

بِنَاءُ الْفَرْدِ الرَّبَّانِيِّ فِي خِتَامِ النُّظْمِ الْقُرْآنِيِّ

مدارسات سور الجزء الثلاثين

تقديم

د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين

إعداد

أ. فوزية بنت محمد وحي

بمشاركة مجموعة من معلمات القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مقدمة د. ناصر بن عبدالرحمن الخنين)

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وتيسيره وامتثانه، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً؛ ثم أما بعد:

فإن الله تعالى قد خلق الثقليين لعبادته على الوجه الشرعي المرضي؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وجعل وحيه سبيلاً مشروعاً لتحقيق هذه العبادة الجليلة، وأكد ذلك في محكم كتابه قائلًا: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9] وقد أشار في هذه الآية باسم الإشارة القريب؛ تنبيهاً إلى قرب الهادي وهو القرآن الكريم من المهدي وهو كل من طلب الهداية وأقبل عليها، وجعل خير "إِنَّ" فعلاً مضارعاً وهو [يهدي] إيذاناً بتجدد فعل الهداية في مستقبل الأزمان لطلابها، ثم إن القرآن الكريم هدى للناس أجمعين؛ من غير تخصيص لقوم دون آخرين؛ كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185].

ولا يخفى أن الله تعالى شرف من علم القرآن وتعلمه بأنه خيرُ الناس؛ وهذا ما ورد في حديث عثمان رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»¹ «فجعل الخيرية سمة لمن يتعلم القرآن تلاوةً وحفظاً وتدبراً؛ ثم يعلمه غيره على مثل ما تعلمه؛ فصار للمعلم أجران؛ أجر التعلم في أول الأمر، وأجر التعليم في نهاية الأمر، وهذا شرفٌ عظيم يحظى به معلم القرآن والعامل به، وإن من أعلى رتب تعليم القرآن تدبره والوقوف عند دلالاته والعلم بأحكامه وتشريعاته، والدعوة إليه ومدارسته وتفطير طلاب العلم إلى معاني دلالاته ولطائف إشاراته، وتيسير تعاطي هذه المعاني وإظهار دلالاتها، وتشجيع المقبلين على القرآن الكريم للعمل بها، وهذا ما وجدته في هذا العمل العلمي الرصين الموسوم بـ {مدارسات سور الجزء الثلاثين} للأستاذة: فوزية بنت محمد وحي؛ فقد تصحّحت هذه المدرسة وقلّبت النظر في تضاعيفها وتمعنّت في تقسيماتها؛ فوجدتها متكاملةً في الجوانب العلمية وافيةً بالمقاصد التدريسية، ومعنيةً باللطائف البيانية، وذات مقاصد دعوية سامية، وتخللها أهداف تربوية غايةً في الحسن وبُعد النظر؛ مع وفاءٍ بالجوانب الموضوعية التفسيرية، وإحاطةٍ بمعاني الكلمات اللغوية، وذكر لأسباب النزول، وتركيزٍ على فحوى الأسئلة التدريسية؛ ذات الثراء الدعوي والشرعي والتوجيهي؛ مع توازنٍ في العرض العلمي؛ فليست موجزةً محلّةً، ولا مطوّلةً مملّةً، وإنما نهجت سبيلاً وسطاً؛ يناسب معظم القراء، وبحق المقاصد العظمى منها، ويتوافق مع مستوى المدارك العقلية للنظر فيها؛ ومثل هذا المنهج الفريد في نمطه، المتميز في تقسيماته، والمتنوع في موضوعاته، والشامل في أهدافه؛ يحقق -بإذن الله تعالى- جملةً من مقاصد الذكر الحكيم؛ الذي أنزله الله تعالى هدايةً للناس أجمعين على اختلاف فئاتهم، وتفاوت مستوياتهم، وتنوع مداركهم؛ فجزى الله الأستاذة القديرة خيراً على هذا المشروع التدارسي

القرآني؛ ذي المنهج العلمي الرصين؛ الذي خرج في هذه الصورة المبتكرة؛ ذات الطابع المغربي تنوعاً وتفناً؛ وهو منهجٌ علميٌّ مدرسي؛ صالحٌ للتداول والتدريس والتقريب، قابلٌ للشرح العلمي، والتوظيف التعليمي؛ بحسب مقامات الدارسين والدارسات لكتاب الله جل وعلا؛ والله المسؤول أن يرفع قدر من قام به، ومن خطط له، ومن أخرجته، ودّسه ونشره؛ كتب الله أثره وآثاره، وجعله في ميزانِ حسنات الجميع؛ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

كتبه: د. ناصر بن عبدالرحمن الحنين

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب
الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

الخميس: ١٥/٤/١٤٤١ - ١٢/١٢/٢٠١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مُقَدِّمَةٌ)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، الحمد لله الذي أنزل كتابه هاديًا ونورًا مبينًا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: 174]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9].

الحمد لله الذي جعل كتابه سبيلًا للفلاح في الدنيا والآخرة، وتركه سببًا في الخسران المبين؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿طه: 123-124﴾.

الحمد لله الذي جعل غاية إنزال كتابه تدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]، ويسره للذكر فهل من مدكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 22].

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على خير الأنام أجمعين، محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

جزء عم: سبع وثلاثون سورة أغلبها مكِّي، نحفظها ونردددها في صلواتنا، سور عظيمة تؤسس لعقيدة سليمة وبناء متوازن ومن ثم شخصية متكاملة للإنسان المسلم المتعلق بربه، الصالح في ذاته، النافع لغيره والإيجابي في مجتمعه.

فيها التعريف بالله الأحد الصمد، والتنبيه على القدرة العظيمة بالتوجيه؛ للتأمل في سبحات هذا الكون العظيم، وبيان لسنة الابتلاء، وتذكير بأصل النشأة والتكريم والخلق في أحسن تقويم، والتربية من ثم على معالي الأمور، والحث على تزكية النفس، وفيها إلى جانب ذلك تذكير بضعف الإنسان وافتقاره إلى ربه أن يعينه ويعيذه فلا يتكبر أو يطغى، بل يتربى على شكر المنعم، وفيها أن الحياة جد ولا بد من السعي، فيها التذكرة بالآخرة و لقاء الله سبحانه، والمقابلة بين الترغيب والترهيب بأوصاف لمشاهد يوم القيامة وأهواله، وذكر لصور من العذاب تنخلع لها القلوب، ثم تلطف بذكر النعيم بأوصاف عذبة، تأنس بما النفوس وتطيب؛ كي يستقيم الإنسان بين هذا وذاك، ويستبين حقيقة الفوز، ويعلم فيلزم.

وقد امتنَّ الله علينا بإعداد هذه المدارس للجزء الثلاثين؛ لتدبره، والوقوف على ما فيه من دروس وعبر، وما يترتب على ذلك من آثار إيمانية تُبنى بها النفوس وتُهذَّب، وذلك باعتماد منهجية التاءات الخمس¹، التي تجمع بين

1 التاءات الخمس: تمهيد (يشمل تمهيدًا للسورة وتعريفًا بها)، تلاوة (آيات السورة)، تفسير (تفسير إجمالي للآيات مع معاني المفردات)، تدبر وتزكية (الجوانب العلمية والموضوعية والعملية والواقعية والتربوية للآيات).

فهم الآيات والتعرف على دلالاتها العلمية، والتطرق إلى أبرز موضوعاتها، مع تناول للمسائل الواقعية واستخراج أهم الجوانب العملية والتربوية، دون إطالة مملة أو اختصار مخل، معتمدين في عرض المادة على الجداول؛ لتوضيح المنهجية التي تبدأ بتمهيد للسورة يجمع: تهيئةً للمجلس وتعريفًا ميسرًا بالسورة من حيث: (أسماء السورة، ونوعها، وعدد آياتها وأسباب نزولها، وفضائلها، ومناسباتها لما قبلها وما بعدها، ومقصد السورة، وموضوعات السورة).

أما التعريف بالسورة فقد اعتمدنا في ذلك على تفسير التحرير والتنوير، والتفسير الموضوعي. وأما المقصد: فمن المختصر في تفسير القرآن الكريم، والبيان في عد آي القرآن (لعدد الآيات)، والتفسير المنير للزحيلي.

كما اعتمدنا في التفسير الإجمالي على كتاب المختصر في تفسير القرآن الكريم، والتفسير الميسر، وأيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري.

واعتمدنا في التدبير والتركيبة (من التاءات الخمس) على منهجية السؤال والجواب لما في ذلك من حُفْرٍ للفكر، وتحريك للذهن تيسيرًا لاستيعاب المادة وفهمها، وهي بذلك مناسبة للقراءة الفردية وللتقديم في المجالس العلمية (مناسبة للطلاب والمعلم).

وجمعنا المادة العلمية من أكثر من سبعين (70) مرجعًا، تشمل أكثر من خمسة وأربعين (45) كتاب تفسير، منها ما هو بالمأثور ومنها ما هو بالرأي المحمود، وَحَرَّيْنَا الصِّحَّةَ فِي النِّقْلِ؛ إذ نعزو ما نقلناه نصًّا إلى صاحبه، وما نقلناه مع تغيير الصياغة نذكر المرجع الذي اقتبسناه منه، إلا أن يكون جمعًا من مراجع مختلفة وما فتح الله به علينا.

وهذا جهد بشري، فما كان فيه من صواب فمن الله - عز وجل -، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان وأبرأ إلى الله منه.

وأشكر كلَّ من شارك في إعداد هذا العمل، وإخراج هذه المدارس المباركة - بإذن الله تعالى -، وأسأل الله أن ينفع بها وأن يتقبلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يجعلها حجةً لنا لا علينا، وأن يجعلها في ميزان حسنات كل من علمنا حرفًا من كتاب الله، وكل من أسهم في إخراجها ونشرها. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

كاتبته: فوزية بنت محمد وحي

مشرفة الدبلوم العالي في معهد تدبر سابقًا
ومشرفة أكاديمية نبراس لتعليم القرآن الكريم وتدبره

الإثنين: ٢٠١٩/١٠/١٤ الموافق ١٤٤١/٠٢/١٥

001. سُورَةُ الْفَاتِحَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعل عملنا خالصاً لوجهك، وتقبله منا يا رب
العالمين، أما بعد:
أعظم سور القرآن، هي السبع المثاني، وهي ركن من أركان الصلاة، وهي رقية.
فرضت قراءتها في اليوم 17 مرة على الأقل، وهي أم الكتاب، وأم القرآن.
تعددت أسماءها، وعظم فضلها، أجملت ما في القرآن الكريم.
نقدم بين أيديكم تدارس سورة الفاتحة.

تهيئة

تعريف

فاتحة الكتاب: سُميت بذلك؛ لأنها تُفتتح بها قراءة القرآن لفظاً، وتُفتتح بها الكتابة في
المصحف خطاً، كما أنها تُفتتح بها الصلوات.¹
أم الكتاب وأم القرآن: وسُميت بذلك؛ لأنها أصل القرآن فهي تشتمل على مقاصد القرآن
من الثناء على الله، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعدده.²
السبع المثاني: سُميت سبباً لأن آياتها سبع، أما سبب تسميتها بالمثاني؛ فلأن آياتها
ومعانيها بنيت على المثاني؛ أي ذكر شيتين بينهما تكامل أو تضاد (الله والرب، والرحمن
والرحيم، والعبادة والاستعانة، ذكر المنعم عليهم ومخالفيهم، ذكر المغضوب عليهم والضالين،
وكون الصلاة قسمت بين الله وبين عبده).
سورة الصلاة: وسُميت بذلك؛ لأن قراءتها واجبة في الصلاة، والصلاة متوقفة عليها.³
القرآن العظيم: سُميت بذلك؛ لاشتمالها على جميع علوم القرآن.⁴
سورة الشفاء وسورة الرقية: ووجه تسميتها بذلك أنها يُستشفى بها ويُرقي.⁵
سورة الأساس: وسُميت بذلك؛ لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه، فهي كالأساس.⁶

اسم السورة:

1 مفاتيح الغيب (1/157)، تفسير القرطبي (1/111)، تفسير ابن كثير (1/101).

2 مفاتيح الغيب (1/157)، تفسير ابن كثير (1/101).

3 [مفاتيح الغيب (1/160)، تفسير القرطبي (1/111)، تفسير ابن كثير (1/101)، إرشاد العقل السليم (1/2)].

4 [تفسير القرطبي (1/112)].

5 [مفاتيح الغيب (160-159)، تفسير القرطبي (113-112)، تفسير ابن كثير (1/101)].

6 [مفاتيح الغيب (1/159)].

نوع السورة	سورة مكية. ¹
عدد آياتها	سبع آيات.
سبب نزولها	لم يرد لها سبب

منها:

- أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن، فقال: (والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيته).²
- أخرج مسلم عن ابن عباس ؓ قال: بينما رسول الله ﷺ وعنده جبرائيل، إذ سمع نقيضاً فوقه فرجع جبريل بصره إلى السماء فقال: «هذا باب قد فُتِحَ من السماء ما فُتِحَ قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: أبشِرْ بنورين قد أُوتيتهما لم يؤثما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً منهما إلا أُوتيته».³

فضل السورة والآثار
الواردة فيها:

- أخرج الإمام البخاري عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله - ﷺ - فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي. فقال: ((ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم))، ثم قال لي: ((لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد)) ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ((الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته))⁴.
- أخرج مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سألت...»⁵.

أولاً: تشتمل محتوياتها على أنواع مقاصد القرآن الكريم، وهي ثلاثة أنواع: (1) الثناء على الله - عز وجل -، وإثبات تفرده بالألوهية، وإثبات البعث والجزاء وذلك من قوله تعالى: {الحمد لله} إلى قوله تعالى: {مالك يوم الدين}. (2) الأوامر والنواهي من قوله: {إياك نعبد}. (3) الوعد والوعيد من قوله: {صراط الذين} إلى آخرها.

مناسبة السورة
لافتتاح القرآن
الكريم:

1 [مفتاح الغيب (159/1)].
2 (أخرجه الإمام أحمد في المسند 357/2، رقم 8667، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: (إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير سليمان بن داود فقد روى له أصحاب السنن وهو ثقة جليل).
3 أخرجه مسلم في صحيحه، رقم 1339.
4 (أخرجه البخاري 4/1623، رقم 4204، وأبو داود 1/461، رقم 1458).
5 أخرجه مسلم في صحيحه، رقم 598.

ثانياً: أنها تشتمل معانيها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية والأحكام العملية، فإن معاني القرآن إما علوم تقصد معرفتها وإما أحكام يقصد منها العمل بها.¹

مقصد السورة: تركز على تحقيق التوجه لله بكمال العبودية له وحده.²

- موضوعات السورة:
- حمد وثناء وتمجيد لله - عز وجل - .
 - تعريف بالدار الآخرة (مالك يوم الدين).
 - إخلاص العبودية لله - عز وجل - والتوكل على الله سبحانه.
 - أقسام الناس الثلاثة من حيث العلم والعمل.

تلاوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ دَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: 1-7]

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)³

1. {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} أبتدئ قراءة القرآن باسم الله مستعيناً به، (الله) علم على الرب - تبارك وتعالى - المعبود بحق دون سواه، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يسمى به غيره سبحانه. (الرَّحْمَنِ) ذي الرحمة العامة، الذي وسعت رحمته جميع الخلق، (الرَّحِيمِ) بالمؤمنين، وهما اسمان من أسمائه تعالى، يتضمنان إثبات صفة الرحمة لله - تعالى - كما يليق بجلاله.
2. {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وفي ضمنه أمرٌ لعباده أن يحمده، فهو المستحق له وحده، وهو سبحانه المنشئ للخلق، القائم بأمرهم، المرابي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح.
3. {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ذي الرحمة العامة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، (الرَّحِيمِ) بالمؤمنين، وهما اسمان من أسماء الله تعالى.
4. {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وهو سبحانه وحده مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال. وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من صلواته تذكير له باليوم الآخر، وحثُّه له على الاستعداد بالعمل الصالح، والكف عن المعاصي والسيئات.

1 التحرير والتنوير (1/ 133)، بتصرف يسير.

2 المختصر في التفسير.

3 (1/ 1)

5. {إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} إنا نخصك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك، لا يملك منه أحد مثقال ذرة. وفي هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والذبح والطواف إلا لله وحده، وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير الله، ومن أمراض الرياء والعجب، والكبرياء.

6. {هُدًى لِّلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ} ذُلْنَا، وأرشدنا، ووقفنا إلى الطريق المستقيم، وثبتنا عليه حتى نلقاك، وهو الإسلام، الطريق الواضح الموصل إلى رضوان الله وإلى جنته، الذي دلَّ عليه خاتم رسله وأنبياؤه محمد - ﷺ -، فلا سبيل إلى سعادة العبد إلا بالاستقامة عليه.

7. {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصلّيقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة، ولا تجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن كان على شاكلتهم، والضالين، وهم الذين لم يهتدوا عن جهل منهم، فضلوا الطريق، وهم النصارى، ومن اتبع سنتهم.

وفي هذا الدعاء شفاء لقلب المسلم من مرض الجحود والجهل والضلال، ودلالة على أن أعظم نعمة على الإطلاق هي نعمة الإسلام، فمن كان أعرف للحق وأتبع له، كان أولى بالصراف المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله - ﷺ - هم أولى الناس بذلك بعد الأنبياء عليهم السلام، فدلت الآية على فضلهم، وعظيم منزلتهم، رضي الله عنهم. ويُستحب للقارئ أن يقول في الصلاة بعد قراءة الفاتحة: (أمين)، ومعناها: اللهم استجب، وليست آية من سورة الفاتحة باتفاق العلماء؛ ولهذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف.

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة	هدايات
ما وجه افتتاح القرآن الكريم بالبسملة؟	أبتدئ قراءة القرآن باسم الله مستعيناً به، (الله) علم على الرب - تبارك وتعالى - المعبود بحق دون سواه، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يسمى به غيره سبحانه.
ومتى تشرع؟	مشروعية الابتداء بالبسملة في الكتب والرسائل والخطب والمواظع ونحوها تأسياً بكتاب الله تعالى؛ حيث ابتدأ الله - عز وجل - كتابه بها، وبسنة رسوله - ﷺ - فقد كان يبتدئ بها في كتبه إلى الملوك، كما في كتابه إلى هرقل، فقد ابتدأه بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم). وكذا كان الأنبياء قبله كما جاء في كتاب سليمان إلى بلقيس: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْتِمْتُ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [النمل: 29-30] ¹

الباء للمصاحبة¹، وهي بمعنى ذكر اسم الله - عز وجل - ومصاحبته في قراءة السورة، مستعيناً بالله سبحانه وتعالى.

حذف المتعلق ليعم كل عمل، ولأنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله - عز وجل -².

لمصاحبة البسملة في كل أمورنا.

ما دلالة الباء؟

وما دلالة حذف المتعلق، فلم يحدد الفعل المبدوء؟

• **ذكر اسم الله عون للعبد على جميع أحواله**، سبب لحصول الخير، والبركة، والحصول على مطلوبه، والنجاة من مرهوبه - بإذن الله تعالى - والسلامة من الشيطان وهزاته وشوروه، وإغاظته ودحره وطرده من أن يحول بين العبد وبين قراءته، ويوسوس له فيها، أو في وضوئه، أو أن يشاركه في أكله وشربه ودخوله وخروجه، وسائر أحواله.³

ما الحكمة من البسملة في قراءة القرآن الكريم وفي جميع الأحوال؟

• **تذكير بالله - عز وجل -**.

• **تجديد للنية.**

• **دحر للشيطان (شُبع النبي - ﷺ - يقول: إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء)⁴.**

• تعريفهم معنى البسملة.

• تعريفهم بحاجتنا إلى البسملة (أكثر من حاجتنا إلى الأكل والشرب).

• تعريفهم بخسارة عدم ذكر البسملة.

• ترتيبهم على حب البسملة وقبلها حب الله - عز وجل - (من أحب أحدًا ذكره، ومن أحب شيئًا ذكره).

• القدوة.

كيف أغرس قيمة البسملة في أبنائي؟

• **المحافظة على البسملة عند البدء في أي عمل.**

• **تعريف الناس بأهميتها وتربية الأبناء والطلاب على مصاحبتها.**

ما الأعمال التي نتعلمها من الآية؟

1 (التحرير والتنوير (1/174).

2 (بدائع الففسير 26/1).

3 الباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفتحة الكتاب، (ص: 172).

4 صحيح مسلم 2018.

دلالة على كمال ألوهيته تعالى باتصافه بالرحمة، فهو - تعالى - إله رحيم كما قال: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]، فهما يوازنان العبد بين الخوف والرجاء. هذا يُشعر بحب الله - عز وجل - والطمأنينة لشرعه وقضائه، فهو الرحمن الرحيم بنا لا يحكم ولا يقضي إلا بخير.

ما مناسبة اقتران اسم الجلالة بصفة الرحمة دون غيرها ﴿يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾؟

- ال في {الحَمْدُ} للاستغراق، أي: أن جميع أجناس الحمد ثابتة لله رب العالمين.¹
- وجاءت جملة اسمية للدلالة على الثبوت والدوام، فله سبحانه وتعالى الحمد في جميع الأوقات والأزمان، وهو المحمود بكل حال، على ما له - سبحانه - من المحاسن والإحسان، وعلى ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى.²

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما دلالة ال التعريف في الحمد، وما دلالة مجيئها في الجملة الاسمية؟

ما حالنا مع الحمد؟ وهل نستشعر معناها عند حمدنا لله - عز وجل -؟

المدح أعم من الحمد، والحمد أعم من الشكر. أما بيان أن المدح أعم من الحمد؛ فالأن المدح يحصل للعاقل وغير العاقل، أما الحمد فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الإنعام والإحسان، فثبت أن المدح أعم من الحمد. والحمد ذكر الصفات الحسنة مع المحبة، ولا يلزم المدح وجود محبة. وأما بيان أن الحمد أعم من الشكر؛ فالأن الحمد هو الثناء المتعلق بمحاسن المحمود لا بإحسانه، وأما الشكر فهو عبارة عن تعظيمه بسبب إنعام وصل إليك. فإذا قال: {الحَمْدُ لله}، فهذا يدل على أن العبد حمده لكونه مستحقاً للحمد لا لخصوص أنه - سبحانه - أوصل النعمة إليه، فيكون الإخلاص أكمل.³

ما الفرق بين الحمد والمدح والشكر؟

ما رواه أبو مسلم الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: (الظهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء،

ذَكَرَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَجْرَ الْحَمْدِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، أَذْكَرَ بَعْضًا مِنْهَا؟

1 (التفسير الوسيط، الطنطاوي (1/ 18).
2 انظر: مجموع الفتاوى (11: 133).
3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (1/ 18).

والقرآن حجة لك، أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها).¹

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها).²

وكان نبينا محمد - ﷺ - إذا رأى ما يحب قال: (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال: الحمد لله على كل حال).³

• أن ربوبية الله - عز وجل - مبنية على الرحمة الواسعة للخلق، فهي ربوبية رحمة وإنعام لا ربوبية أخذ وانتقام.⁴

• لأنه لما كان في اتصافه بـ {رَبِّ الْعَالَمِينَ} تهيب قرئته بـ {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، لما تضمن من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه⁵، كما قال تعالى: {تَبٰىءُ عِبَادِي اَنۡىۡ اَنَا الْعُقُوۡرُ الرَّحِيۡمِ وَاَنَّ عَذَابِيۡ هُوَ الْعَذَابُ الْاَلِيۡمُ} [الحجر:50]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد).⁶

ما دلالة وصف الله - عز وجل - لنفسه بعد ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بأنه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؟

رحمة الله - تعالى - لخلقه على نوعين: رحمة عامة ورحمة خاصة.

• الأولى: رحمة عامة لجميع الخلق، المؤمنين والكافرين وسائر المخلوقات، قال

تعالى: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا} [غافر:7].

• الثانية: رحمة خاصة بالمؤمنين يدل عليها قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب:43].

ولم يرد في النصوص تخصيص اسم الرحمن بالمؤمنين ونحوهم، بل ورد ذلك في اسم الله - عز وجل - (الرحيم).⁷

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ما أنواع رحمة الله - عز وجل -؟ وما الفرق بينها؟

1 رواه مسلم، الحديث رقم: (223).

2 رواه مسلم، الحديث رقم: (2734).

3 أخرجه ابن ماجه، الحديث رقم: (3803)، وقال في «الزوائد»: «إسناده صحيح ورجالها ثقات»، وصححه الألباني.

4 تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (1/11)، بتصرف.

5 تفسير القرطبي (1/139).

6 رواه مسلم، الحديث رقم: 2755.

7 انظر: بدائع التفسير 1/137.

في الجمع بين القراءتين فائدة عظيمة؛ وهي أن مُلْكُه - جلَّ وعلا - مُلْكٌ حقيقي؛ لأن من الخلق من يكون مُلْكًا، ولكن ليس بمالك، ومن الناس من يكون مالِكًا، ولا يكون مُلْكًا: كعامة الناس، ولكن الرب - عز وجل - مالِكٌ ملك¹

في كلمة ﴿مَلِكٌ﴾ قراءتان وهي (مَلِكٌ وَمَالِكٌ)، وفي الجمع بينها زيادة في المعنى، بين ذلك.

لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق، حتى إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار.²

علام يدل إضافة الملك إلى يوم الدين دون غيره، مع أنه تعالى مالك الدنيا والآخرة وملبِكهما؟

قال تعالى: {الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ} [الفرقان:26]، وقال تعالى: {لَمَسِنِ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر:16]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: (يقبض الله الأرض، ويطوي السماء يمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟).³

أسلوب الترغيب والترهيب، وخاصة في الدعوة إلى الله - عز وجل - . وأن يقدم الترغيب على الترهيب، إلا إذا اقتضت الحكمة عكس ذلك، فقد جاء في الحديث: (إن رحمتي سبقت غضبي).⁴ وقال - ﷺ -: (بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، وَيَنْفِرُوا وَلَا تُعْسِرُوا).⁵

ما الأسلوب التربوي الذي نتعلمه من تقديم صفات الله ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ على ﴿مَلِكٌ﴾ يَوْمَ الدِّينِ؟

توخي اللين والرفق في الدعوة إلى الله - عز وجل - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقديم الترغيب على الترهيب ما لم يقتض المقام غير ذلك.

ما العمل الذي نأخذه من هذا الأسلوب التربوي؟

قُدِّم المفعول وهو إياك وكُرِّر؛ للاهتمام والحصر، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سرّ القرآن، وسرها هذه الكلمة (إياك نعبد وإياك نستعين) فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله - عز وجل - .⁶

ما دلالة تقديم المفعول إياك وتكراره في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟

1 تفسير العنمين: الفاتحة والبقرة (12 / 1).

2 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، (ص:39) .

3 أخرجه البخاري، الحديث رقم: 4812، ومسلم، الحديث رقم: 2787.

4 أخرجه البخاري، الحديث رقم: 3194، ومسلم، الحديث رقم: 2751.

5 رواه مسلم.

6 تفسير ابن كثير، ط العلمية (1/49).

من باب تقديم العام على الخاص، واهتمامًا بتقديم حق الله - تعالى - على حق عبده¹.
ومن باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها².
ولئلا يعجب بعبادته، وليعلم أنها بعون الله وتوفيقه³.

ذكرت الاستعانة بعد العبادة
في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ مع أن الاستعانة من
العبادة، فما دلالة ذلك؟

إخلاص العبودية لله - عز وجل - فقلوه: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} يقي العبد بإذن الله من النظر إلى غير الله - عز وجل - ويبعده عن الالتفات إلى غيره، وتكرار العبد لهذه الآية الكريمة تذكير لنفسه بنبذ الرياء وتحري الإخلاص لله - عز وجل -.
كما أن الاستعانة الدائمة بالله تشعر العبد بضعفه وحاجته وقرهه إلى الله - عز وجل -، وأنه لا توفيق إلا بالله وحده سبحانه، وهذا علاج لعجب العبد بنفسه وقدراته وذكائه وغير ذلك.
لذلك كان علاج الرياء بـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} وعلاج الكبر بـ {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

كيف نعالج أمراض الرياء
والعجب والكبر من خلال
الآيات؟

هل استشعروا أنه من دون ربنا وتوفيقه لن يتحقق لنا مرادنا ولن نبلغ بغيتنا؟

• النوع الأول: هداية البيان والدلالة والإرشاد، وهذه الهداية عامة لكل الناس، ويقوم بها الرسل عليهم السلام ومن حمل لواءهم، قال تعالى: {إِنَّمَا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِذَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفَرْنَا} [الإنسان: 3].
• النوع الثاني: هداية التوفيق، وهذه خاصة بمن شاء الله تبارك وتعالى، قال تعالى: {إِنَّمَا لَّا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: 56].

قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾
الهداية نوعان، ما هما؟

والهداية في قوله تعالى: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} تشمل نوعي الهداية؛ أي بيّن لنا وذلنا وأرشدنا إلى الصراط المستقيم، وأهملنا ووفقنا فيه وثبتنا عليه⁴.

ما المقصود بالهداية في دعاء
الفاتحة؟

فعل الهداية إذا عُذِّي بحرف تعيّن معناه وتخصّص بحسب معنى الحرف؛ فإذا عُذِّي بـ(إلى) تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، وإذا عُذِّي باللام تضمن الاختصاص والتعيين، فإذا عُذِّي بنفسه كما في قوله تعالى: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} تضمن ما يجمع ذلك⁵.

في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا
الصِّرَاطَ﴾ عُذِّي فعل الهداية
بنفسه دون حرف معين كـ(إلى)
أو (في)، فما دلالة ذلك؟

1 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، (ص: 39).

2 التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم، (ص: 70).

3 اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفتحة الكتاب، (ص: 322).

4 اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفتحة الكتاب، (ص: 271)، بتصرف.

5 اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفتحة الكتاب، (ص: 271).

فيشمل اهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط؛ فالهداية إلى الصراط لزوم دين الإسلام وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهداية إلى جميع التفاصيل الدينية علمًا وعملاً.¹ وتشمل الثبات على الصراط.

على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم - أعاذنا الله منها -، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذلك الصراط، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطّرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأشدّ الركاب، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حيواً، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حذو القذّة بالقذّة جزاءً وفاقاً {هَلْ تُجْرَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النمل:90].²

ما العلاقة بين هداية العبد والتزامه الصراط المستقيم في الدنيا وسيره على الصراط في الآخرة؟

أسندت الأفعال إلى النون

- الدالة على الجمع في ﴿تَعْبُدُونَ﴾، دلالة على أن العبادة أحسن ما تكون في جماعة المؤمنين.³
 - مشروعية دعاء المسلم لإخوانه المسلمين حين يدعو لنفسه.⁴
- ﴿نَسْتَعِينُ﴾، ﴿أَهْدِنَا﴾ فما الحكمة من ذلك؟

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ما

مناسبة افتتاح الأدمية في القرآن أنه أنفع دعاء للعبد يجمع له خيري الدنيا والآخرة. مناسبة بهذا الدعاء؟

تضمنت السورة نوعي الدعاء، وهما:

- تضمنت سورة الفاتحة نوعي الدعاء، وهو التناء على الله - عز وجل - وذكره.
- دعاء المسألة: وهو طلب الحوائج من الله - عز وجل -، وهو في قوله تعالى: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.⁵

علم الله عباده في هذه السورة لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجلّ المطالب ونيله أشرف المواهب، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم: توسّل للإجابة، ووضّح ذلك؟

1 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، (ص: 39).

2 التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم، (ص: 11).

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (1/ 22).

4 اللباب في تفسير الاستعاذة وبسملة فاتحة الكتاب، (ص: 327).

5 مختصر (شرح رسالة: بعض فوائد سورة الفاتحة)، للشيخ/ صالح الفوزان.

إليه بأسمائه وصفاته، وتوسّل إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان لا يكاد يُرَدُّ معهما الدعاء.¹

ونظير هذا دعاء النبي - ﷺ - الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل، رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس: (اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاکمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت)²، فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له، ثم سأله المغفرة.³

ذكر الصراط المستقيم مفرداً معرّفًا تعريفين، تعريفًا باللام وتعريفًا بالإضافة، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه، وأنه صراط واحد، وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: (خط لنا رسول الله - ﷺ - خطًّا وقال: هذه سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره وقال: هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.^{4 5}

ذكر الصراط المستقيم مفرداً
معرّفًا تعريفين، فعلام يدل
ذلك؟

هم المذكورون في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّاهِدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا* ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: 69-70].

قال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من هم الذين
أنعم الله عليهم؟

• تذكيرًا بحاجة العبد إلى الهداية، وأنها من الله وحده سبحانه، ويشهد له قوله تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: 186]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56].

ما دلالة إسناد النعمة إلى الله
-عز وجل -؟

1 التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، (ص: 27).

2 صحيح البخاري، الحديث رقم: 7499.

3 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 48).

4 أخرجه الترمذي، برقم 2454، وقال: خطأ مريبًا، وأخرجه الحاكم في المستدرک 2/ 318.

5 التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، (ص: 18).

- تنبيهًا على أنَّ الهداية نعمة عظيمة من الله - عز وجل - .
- أنَّ الهداية هي أعظم نعمة، فمن هُدي فهو في نعمة عظيمة أياً كان حاله، ومن ضل فهو فاقد للنعمة، مهما كانت رفاهيته وملذاته في الدنيا.

رسالة

الهداية نعمة من الله - عز وجل -، فهل اجتهدنا في بذل أسبابها؟

- دعاء الله - عز وجل - في الفاتحة وغيره (اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأفعال لا يهدي لأحسنها إلا أنت...).
- صدق النية في طلب الهداية: مراجعة النية وتصحيحها: هل أنا حقاً أطلب الهداية أم متعصب لرأبي.
- عدم التعصب للباطل، فلا يأخذني الكبر والعناد.
- التفكير في آيات الله الكونية والشرعية.
- التفكير في السنن والاعتبار والاتعاظ.
- مصاحبة الصالحين.
- اتخاذ قدوة صالحة.

ما الوسائل العملية التي آخذ بها للاهتمام؟

القدوة حاجة فطرية، وتكمن خطورتها في اتباع المقتدي للمقتدى به في أغلب تفاصيل حياته، ولذلك كان من الأهمية بمكان توجيهها وخاصة في النشء والشباب وذلك بـ:

- بيان الصالح للاقتداء، وهو من أنعم الله عليه بالهداية.
- أنَّ الكافر لا يكون أهلاً للاقتداء به مطلقاً مهما بلغ شأنه في الدنيا، فهو إما ضال أو مغضوب عليه.

وهذه قيمة تحتاج بحثاً عن وسائل مناسبة لغرسها في النفوس، والقرآن الكريم أفضل دليل على ذلك.

كيف نصح مفهوم القدوة خاصة لدى الشباب؟

المغضوب عليه ضال عن هداية العمل، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل، فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك الحق بعد معرفته أولى بوصف الغضب وأحق به، ومن هنا كان اليهود أحق به، وهو متغلظ في حقهم كقوله تعالى فيهم: {يُسَمَّا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِي قَبَاءُ وَاعْتَصَبَ عَلَيَّ غَضَبِي وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} [البقرة:90]، والجاهل بالحق أحق باسم الضلال، ومن هنا وصف النصارى به في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ

قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ كل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، فما دلالة تخصيص اليهود بالغضب والنصارى بالضلال؟

قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ { [المائدة:77].¹

ما مناسبة تقديم ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ على ﴿الضَّالِّينَ﴾ في الآية؟

أنه يقدم الأشد فالأشد، فقدم الله - تعالى - المغضوب عليهم على الضالين؛ لأنهم أشد مخالفة للحق، فإن المخالف عن علم يصعب رجوعه بخلاف المخالف عن جهل.²

هل يختص وصف المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى؟

لا يختص هذان الوصفان باليهود والنصارى، بل كل من شابههم فله قسط من هذا الوصف، قال سفيان بن عُيَيْنَةَ - رحمه الله - : «كانوا يقولون: من فسد من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من العباد ففيه شبه من النصارى». وكان السلف يقولون: «احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون»³

ما دلالة إسناد النعمة إلى الله وإضافتها إليه في قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وإضافة الغضب لما لم يُسَمَّ فاعله في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾؟

في إسناد النعمة إلى الله تعالى، وإضافتها إليه في قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى تفرده بالإنعام وتكريم المنعم عليه، وفي حذف فاعل الغضب في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إشارة إلى أن الغضب عليهم لا يختص به تعالى، بل ملائكته وأنبيأؤه ورسله يغضبون لغضبه، كما أن في ذلك إشعاراً بإهانة المغضوب عليهم وتحقيرهم.⁴

ما فائدة مجيء (لا) قبل الضالين في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؟

جاء بها لتأكيد النفي؛ لئلا يُتوهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم، وللتفريق بين الطريقتين؛ لئيتجنب كل منهما، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به.⁵

ينقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

إما أن يكون العبد عالماً بالحق، أو جاهلاً به.

والعالم بالحق إما أن يكون عاملاً بموجبه أو مخالفاً له.

فالعالم بالحق العامل به: هو المنعم عليه، وهو الذي رَكَّى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح.

ما أقسام الناس بحسب معرفة الحق والعمل به؟

1 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (34/1).

2 تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (20 / 1).

3 الفتاوى الكبرى، 142/2.

4 اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب، (ص: 337).

5 تفسير ابن كثير، ط العلمية (1 / 55).

والعالم به المتبع هواه: هو المغضوب عليه.
والجاهل بالحق: هو الضال.¹

- مربٍ (الرعاية والعناية بمن يقودهم).
- الرحمة.
- الحلم.
- الحزم.
- التواضع.
- التوكل على الله - عز وجل -.
- الإخلاص لله - عز وجل -.
- العمل.
- أن يكون قدوة لمن معه.
- الجزاء (أن يجازي المحسن ويحاسب المسيء).
- العدل.
- المتابعة والمراقبة.
- التوجيه.

في السورة صفات للمربي
الناجح. اذكر بعضاً منها.

- من القيم التي تغرسها سورة الفاتحة:
- حب الله - عز وجل - والتعلق به ومناجاته.
 - العزة بعبادته فهو رب العالمين.
 - التوكل على الله.
 - الإخلاص.
 - العدل.
 - الرحمة.
 - الصبر والرضا.
 - المراقبة.
 - الحمد والثناء والشكر.
 - العلم.
 - العمل.
 - الثبات.
 - الهداية.

اذكر بعضاً من القيم التي
تغرسها سورة الفاتحة.

1 التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، (ص: 14).

- قيمة الخوف والرجاء.
- القدوة.
- وحدة الأمة.
- التواضع.

-
- هل استشعروا أهمية سورة الفاتحة؟
 - سورة الفاتحة مناجاة بين العبد وربّه، فهل نستشعر حمدنا وثناءنا وتمجيدنا حين نقرأها في صلواتنا؟ ثم هل نستشعر ونستحضر جواب الله لنا؟
 - هل استشعروا رحمة الله بنا؟
 - هل شعرنا بالعزة بعبادتنا لرب العالمين؟
 - هل تفكرنا في فقرنا وحاجتنا إلى معونة الله - عز وجل - لنا وتوفيقنا في كل أمورنا فنتواضع للخلق؟
-

078. سُورَةُ النَّبَأِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة فيها رد على شبهات المبطلين، وإسكات للمشككين، وتنبية للغافلين، وثناء على المتقين.
سورتنا جاءت بالأدلة والبراهين؛ لتثبت البعث والجزاء، وتقض مضاجع اللاهين...
سورتنا لهذا اليوم سورة النبأ.

تهيئة:

تعريف السورة

اسم السورة: سورة «النبأ»، سورة «عم يتساءلون»، سورة «عم»، سورة «التساؤل»، سورة «المعصرات».¹

نوع السورة: مكية.²

عدد آياتها: إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ آيَةً فِي الْبُصْرِيِّ وَأَرْبَعُونَ فِي عَدَدِ الْبَاقِيْنَ.³

سبب نزولها: لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

فضل السورة والآثار الواردة فيها: عن ابن عباس، عن النبي - ﷺ - أنه قال: "شيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت"⁴.

مناسبة افتتاح السورة لخاتمها: افتتحت السورة بتساؤل المشركين عن البعث استهزاءً به وتكديفاً، وختمت بوصف ندمهم على ذلك: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

المناسبة بين سورة النبأ وسورة المرسلات:

أخبر الله - عز وجل - في سورة المرسلات عن تكذيبهم بيوم الفصل، وحكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر، وختمتها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء، وافتتحت سورة النبأ بأن ما خالفوا فيه الرسول وكذبوه في أمره لا

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (5/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد أي القرآن (ص: 262)

4 رواه الترمذي (3297) وصححه الألباني

يقبل النزاع؛ لما ظهر من بيان القرآن لحكمة الرحمن التي لا يختلف فيها اثنان مع الإعجاز في البيان.¹

المناسبة بين سورة النبأ وسورة النازعات:

- تناسب السورة مع سورة النازعات من ثلاثة أوجه:
- تشابه الموضوع: فكلتا السورتين تتحدثان عن القيامة وأحوالها، وعن مآل المتقين، ومرجع المجرمين.
 - تشابه المطلع والخاتمة: إنَّ مطلع السورتين في الحديث عن البعث والقيامة، فسورة النبأ تؤكد وجود البعث وما فيه من أهوال وحساب وجزاء، وسورة النازعات افتتحت بالقسم على وقوع القيامة؛ لتحقيق ما في آخر سورة النبأ.
 - اختتمت سورة النبأ بالإنذار بالعذاب القريب يوم القيامة، وسورة النازعات ختمت بالكلام عمّا في أولها من إثبات الحشر والبعث، وتؤكد حدوث القيامة، فكان ذلك دليلاً وبرهاناً على مجيء القيامة وأحوالها.²
 - افتتحت سورة النبأ بسؤال المشركين عن الساعة واختلافهم فيها، وختمت سورة النازعات بسؤالهم عن وقتها واستبعادها.

مناسبة السورة لما بعدها:

من مقاصد السورة: إثبات البعث والجزاء بالأدلة والبراهين.³

- من الآية (1) إلى الآية (5): تساؤل المشركين عن النبأ العظيم.
- من الآية (6) إلى الآية (16): لفت النظر إلى الآيات الكونية.
- من الآية (17) إلى الآية (20): تأكيد وقوع يوم القيامة بوصف أحوالها.
- من الآية (21) إلى الآية (30): جزاء الكافرين المكذبين.
- من الآية (31) إلى الآية (36): جزاء المتقين.
- من الآية (37) إلى الآية (40): وصف موقف الحساب وندم الكافر.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

الآية (الآيات)

1 نظم الدرر، البقاعي (190 / 21)

2 التفسير المنير، الزحيلي (30 / 30)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1 / 582)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون بعد ما بعث الله إليهم رسوله - ﷺ -؟!.
2. ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ يسأل بعضهم بعضاً عن الخبر العظيم، وهو القرآن المنزل على رسولهم المتضمن خبر البعث.
3. ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ هذا القرآن الذي اختلفوا فيما يصفونه به؛ من كونه سحرًا، أو شعرًا، أو كهانة، أو أساطير الأولين.
4. ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ليس الأمر كما زعموا، سيعلم هؤلاء المكذبون بالقرآن عاقبة تكذيبهم السيئة.
5. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ثم سيتأكد لهم ذلك.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما دلالة افتتاح السورة بالاستفهام ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟	تقريع وتوبيخ للمشركين؛ لتساؤلهم عن يوم القيامة، وإنكارهم وقوعه بين مشكك ومتردد ومنكر، والتوبيخ ليس لسؤالهم من أجل العلم، وإنما لسؤالهم إنكارًا وتكذيبًا وتهكمًا. ²
ما الأقوال الواردة في معنى ﴿النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾؟	اختلف في المعنى بالنبا العظيم، فقال بعضهم: أريد به القرآن. وقيل: البعث بعد الموت، والجزاء ويوم القيامة. ويعود كلاهما إلى معنى واحد وهو: تساؤلهم إنكارًا أن يكون البعث حقًا، وأن هذا القرآن الكريم من عند الله - تعالى - وأن الرسول - ﷺ - صادق فيما يأمرهم به أو ينهاهم عنه. ³
ما دلالة تخير لفظ ﴿النَّبِيِّ﴾ دون غيره، وذكر يوم القيامة بوصفه دون لفظه وتعظيمه ﴿النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾؟	دل تخير كلمة النبا على عظم أمر القيامة وما يتساءل عنه المكذبون، والنبأ: الخبر الهائل المفظع الباهر. ⁴ وفي تعظيم أمره تشنيع على من لم يتبين من شأنه البيان اليقيني، فليس هو بالأمر الذي يقبل الاختلاف فيه.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 582)

2 مختصر تفسير ابن كثير (2/ 590)، والتفسير الوسيط للطنطاوي (15/ 248)

3 تفسير الطبري - جامع البيان، ت: شاكر (24/ 149) والتفسير الوسيط للطنطاوي (15/ 248)، بتصرف

4 مختصر تفسير ابن كثير (2/ 590)، بتصرف

توبيخ الله تعالى ودم أمر الخلاف وأن الخلاف في أمر هذا النبأ متمكن ومستمر والناس فيه على قولين مؤمن به وكافر.¹

وفيه أن أهل الباطل مكلّ مختلفة ولا تستقر على رأي واحد، وذلك أن الحق واحد والباطل شعب متعددة؛ ولذلك يغلب على القرآن الكريم توحيد سبيل الحق وجمع سبل الباطل مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

وفيه أن الاختلاف في قضية البعث بعد الموت قائمة، ولا تزال قائمة إلى آخر الزمان.²

ما وجه الحجيء بالجملة الفعلية في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وبالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾؟

ما دلالة «كلا» في قوله

تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾،

وما الفائدة من تكرارها

وحذف متعلق الفعل في كلتا

الآيتين؟

دلت ﴿كَلَّا﴾ على تهديد شديد ووعيد أكيد لمنكري القيامة.³ وفي تكرار الآية زيادة في التهديد والوعيد، وبيان أن الوعيد الثاني أشد وأبلغ من الوعيد الأول، وحذف مفعول ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ للتعميم والتهويل.⁴

• استعمال أسلوب التهديد والوعيد إذا ناسب المقام.

• ضرورة اليقين في الأمور المهمة التي لا يقبل فيها الظن.

• التهكم على المخالف دليل على ضعف الحجة وهو سبيل أعداء الدين.

• الإعراض عن مجادلة المتهم المستهزئ.

• التأدب في السؤال عند طلب العلم.

فوائد تربوية من هذه

الآيات:

تلاوة

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝ وَالْحِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاهُكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا﴾

الآية (الآيات)

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 307)

2 كتاب تدبر وعمل، بتصرف

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 307)

4 التفسير الوسيط للطنطاوي (15/ 249)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

6. ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ ألم نصيّر الأرض مُمهّدة لهم صالحة لاستقرارهم عليها؟!
7. ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ وجعلنا الجبال عليها بمنزلة أوتاد تمنعها من الاضطراب.
8. ﴿وَوَخَّلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ وخلقناكم - أيها الناس - أصنافاً: منهم الذكّان والإناث.
9. ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ وجعلنا نومكم انقطاعاً عن النشاط؛ لتستريحوا.
10. ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾ وجعلنا الليل سائرًا لكم بظلمته مثل اللباس الذي تستترون به عوراتكم.
11. ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وجعلنا النهار ميدانًا للكسب والبحث عن الرزق.
12. ﴿وَوَيَّنَّاتَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ وبنينا فوقكم سبع سماوات متينة البناء محكمة الصنع.
13. ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ وصيّرنا الشمس مصباحًا شديد الاتقاد والإنارة.
14. ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ وأنزلنا من السحب التي حان لها أن تمطر ماءً كثير الانصباب.
15. ﴿لِيُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ لنخرج به أصناف الحب، وأصناف النبات.
16. ﴿وَجَعَلْنَا الْأَفْئِدَةَ﴾ ونخرج به بساتين مُلتفتة من كثرة تداخل أغصان أشجارها...¹

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
بيان قدرة الله - عز وجل - العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره. ² بيان الحكمة من خلق الله عز وجل. إقامة الحجّة على الكفار فيما أنكروه من البعث، فإن الإله الذي قدر على خلق هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موته. ³	ما العلة من ذكر المخلوقات في هذه الآيات؟
علام يدل الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾؟	استفهام تقريرى لتوجيه أنظارهم إلى هذه المخلوقات الدالة على قدرة الله - عز وجل - على الإنشاء والإعادة. ⁴
ما الفائدة من الإتيان بالفعل ﴿نَجْعَلُ﴾؟	يفيد إعمال النظر في خلق الأرض والجبال إذ هي مرئيات لنا ومع ذلك نغفل عنها كثيرًا؛ لتعودنا على مشاهدتها، والمشي عليها، بحيث لا نكاد نتفكر في خلقها! ⁵

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 582)

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 307)

3 التنهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى (2/ 444)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 13)، بتصرف

5 المرجع السابق

جعل الله تعالى الأرض مهددة للخلاق، فما دلالة ذلك؟
فيه دلالة على عظيم قدرة الله.¹ وتتضمن امتنان الله على عباده؛ لتذكيرهم بفضلهم عليهم ليرجعون عن المكابرة، ويقبلوا على النظر فيما يدعوهم إليه الرسول - ﷺ - تليغاً عن الله تعالى.²

ما دلالة وصف الجبال بأنها «أوتاداً» على الأرض في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ﴾؟
بيان قدرة الله - عز وجل - بأن جعلها أوتاداً أرساها بها، وثبتها وقَرَّرها حتى سكنت ولم تضرب بمن عليها.³ اختيار لفظ الأوتاد لشبهها الشديد الكامل بأوتاد الخيمة من كل الوجوه، فالوتد دقيق من الأسفل، وأغلبه في الأرض، وعمله التثبيت، والجبال كذلك.

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ لما قبلها؟
أعقب الاستدلال بخلق الأرض وجبالها بالاستدلال بخلق الناس؛ للجمع بين إثبات التفرد بالخلق وبين الدلالة على إمكان إعادتهم.⁴

في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ امتنان من الله على عباده، بين ذلك.
جعل الله - عز وجل - التآلف بين الزوجين فطرة ينتظم بها أمر المعاشرة والمعاش.⁵ وأنعم عليهم بخلق الذكر والأنثى يتمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك،⁶ وهذا دليل على قدرته سبحانه على إحيائه بعد موته.⁷

ما وجه كون النوم نعمة يمتن الله بها على عباده؟
وجه الامتنان بذلك ظاهر، لما فيه من المنفعة والراحة للبدن، فبالنوم تتجدد القوى، وينشط العقل والجسم.⁸

ما دلالة استعمال لفظ «سباتاً» في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾؟
السبات في اللغة: من السبت وهو القطع، وسمي يوم السبت لانقطاع الناس عن أعمالهم فيه. فيكون النوم قطعاً للحركة؛ لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار، ويستدل بالنوم على قدرة الله على البعث؛ لأنه انفصال الجسد عن الروح المؤقت، وبالنوم ينقطع الإنسان عن الحياة.⁹

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 307)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (13/ 31)

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 302)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (16/ 30)

5 إرشاد العقل السليم، أبو السعود (9/ 86)

6 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 302)، بتصرف

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (17/ 30) بتصرف

8 ينظر: محاسن التأويل، القاسمي (9/ 389) التفسير المنير، الزحيلي (11/ 30)

9 محاسن التأويل، القاسمي (9/ 389)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 302)

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 42].
وكذلك دعاء النوم "باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين".

النوم من دلائل البعث فهو الموتة الصغرى، هات شواهد من القرآن والسنة ما يدل على ذلك.

الليل آية عظيمه تدل على وجود الخالق، وظلامه وسواده الذي يغشى الناس نعمة من الله سبحانه وتعالى.¹ بسبب ما يحصل فيه من النوم الذي يزيد جمال الإنسان وطراوة أعضائه، وفي تكامل قواه الحسية والحركية، ويندفع عنه أذى التعب الجسماني، وأذى الأفكار الموحشة.
وهو - أيضًا - دال على قدرة الله - تعالى - على البعث كما تتحصل منافعكم وتلاميكم النعم.²

ما دلالة جعل الليل على الأرض بمنزلة اللباس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾؟

- من السنن الكونية النوم في الليل وعكسه السهر، فما الطوارئ التي يستحب معها السهر؟
- طلب العلم.
- قيام الليل بالصلاة ومراجعة القرآن الكريم.
- صدقة السر وتلمس حوائج الناس.
- التفكير والاعتبار.

معظم الأعمال لا تكون إلا في النهار³، ففيه تتقلب حوائج الخلق وتتحصل معاشهم.
وكلها دليل على عظيم رحمة الله بخلقه وقدرته الباهرة على تغيير الأحوال، وأنه سبحانه مدبر الأمر وحده ولا إله غيره.

ما دلالة محي لفظ المعاش مع النهار دون غيره من المرادفات؟

ما مناسبة ذكر السماوات ووصفها بالشداد في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾؟

كمال قدرته سبحانه؛ بخلق السماوات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزينها بالكواكب الثابتة والسيارات.⁴

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 307)

2 محاسن التأويل، القاسمي (9/ 389)

3 التحرير والتنوير (21/30)

4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 307)، بتصرف

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: 6].

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47].

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [المالك: 3].

هات شواهد أخرى من القرآن على إحكام بناء السماوات من القرآن.

لأن ذكر السماوات يناسبه ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضاءها وهي الشمس، ففي ذلك مِثَّةٌ على الناس باستفادتهم من نورها.¹

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمُ سَبْعًا شِدَادًا﴾ لما قبلها؟

منبهاً على النعمة بنورها الذي صار ضرورة للخلق، وبالوهاج الذي فيه الحرارة على حرارتها وما فيها من المصالح.² الاستدلال بالشمس أوضح من غيره؛ لأن فيها صيرورة وتحول، فدلّت كذلك على قدرة الله على البعث.

ما دلالة وصف الشمس بالسراج الوهاج في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾؟

يمتن الله - عز وجل - عليهم بأن أنزل عليهم ماءً يصب صباً، يروي الكائنات. وفيه دلالة على أن الله القادر على إنزال المطر الذي تنتفعون به قادر على بعثكم.³

ما دلالة ذكر السحاب الممتلئ، ونزول الماء الكثير المتواصل في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾؟

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 99]. وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَشَيْءٌ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: 50].

ذكر في القرآن الكريم كثير من الشواهد على إحياء الأرض بعد نزول المطر، اذكر بعضاً منها.

1 التحريم والتنوير، ابن عاشور (23/30)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 906)

3 التحريم والتنوير، ابن عاشور (26/30)

ما دلالة ذكر إخراج الحب
والنبات في قوله تعالى:
(لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا)؟

فيه تقرير لكيفية بعث الناس من الأرض وخروجهم من القبور، وهذا هو المقصد الأول من هذا الآية.¹

ما وجه تقديم الحب في الآية؟

قُدِّم ذكر الحب؛ لأنه الأصل في الغذاء، وثبَّت بالنبات؛ لاحتياج الحيوانات إليه، وأُخِّر ذكر الجنات؛ لأن الحاجة إلى الفواكه غير ضرورية، وجميع أنواع النبات التي تخرج من الميت دليل باهر على قدرة الله على البعث.²

ما وجه وصف الجنات بأنها
(أَلْفَاةٌ) في قوله تعالى:
(جَنَّاتٍ أَلْفَاةٍ)؟

إتمام منة الله على عباده؛ لميل النفوس إلى محبة الجنات والحدائق لما فيها من التنعم وجمال المنظر؛ ولذلك أُتبعَت بوصف (أَلْفَاةٍ)؛ لأنه يزيدُها حُسْنًا ونَضْرَةً.³

ما الوسائل المُعِينة على شكر
الله على نعمه؟

- صرف الجوارح إلى طاعة الله، والابتعاد عن معاصيه.
- التفاؤل وحسن الظن بالله، وتعويد اللسان على الشكر القولي في كل الظروف والأحوال.
- رؤية من سلب النعم من مرض وحروب وأرق، فهي مما يُعين النفس على شكر الله.
- مجاهدة النفس مجاهدة تامة في إصلاح القلب وعمارته بمحبة الله، ومحبة ما يحبه، وبغض ما يبغضه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.
- بذل النفس، والمصارعة في فعل الخيرات، ودفع الأذى عن المسلمين، فهذا من الإحسان إلى خلقه، ومن أعظم الشكر الإحسان للمنعم.

في السورة بيان لعدل الله -
عز وجل - وحكمته، بين
ذلك وأثره فيك.

ذم المنكرين ليوم البعث وبيان سوء عاقبتهم، فينبغي للمسلم أن يذكر نفسه دائماً بهذا اليوم، وأن يجعله نصب عينيه.
أبطل القرآن جميع خرافات المشركين وأوهامهم، وأثبت البعث بالأدلة التي تقيم الحجة عليهم، وعلى انفراد الله بالخلق والإيجاد، وعلى إمكان النشور بعد الموت. البعث والحساب والجزاء دليل على عدل الله وحكمته، وكل عامل ملائق ما عمل. تحثُّ السورة الإنسان على فعل كل خير وترك كل شر وأذية، والاستزادة من العمل الصالح، وطلب رضا الله - عز وجل - بصرف جميع أنواع العبودية له وحده دون سواه.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (26/30)، بتصرف

2 محاسن التأويل، القاسمي (9/389)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (26/30)

تلاوة

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ﴿١٩﴾ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٢٠﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢١﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٢﴾ لِلطَّاغِيِينَ ﴿٢٣﴾ مَقَابًا ﴿٢٤﴾ لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٧﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٩﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٣٠﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣١﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٢﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

17. ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ إن يوم الفصل بين الخلائق موعده محدد بوقت لا يختلف.
18. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ يوم ينفخ الملك في القرن النفخة الثانية، فمأتون - أيها الناس - جماعات جماعات.
19. ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ وفتحت السماء فصار لها فروع مثل الأبواب المفتحة.
20. ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ وجعلت الجبال تسير حتى تتحول هباء منثورًا، فتصير مثل السراب.
21. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ إن جهنم كانت راصدة مرتقبة.
22. ﴿لِلطَّاغِيِينَ مَأَابًا﴾ للظالمين مرجعًا يرجعون إليه.
23. ﴿لَا يَثِينُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ماكتنن فيها أزمدة ودهورًا لا نهاية لها.
24. ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ لا يذوقون فيها نومًا، ولا يذوقون فيها شرابًا يتلذذ به.
25. ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ لا يذوقون إلا ماء شديد الحرارة، وما يسيل من صديد أهل النار.
26. ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ جزاءً موافقًا لما كانوا عليه من الكفر والضلال.
27. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ إنهم كانوا في الدنيا لا يخافون حسابًا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فلو كانوا يخافون البعث لآمنوا بالله، وعملوا صالحًا.
28. ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا تكذيبيًا.
29. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ وكل شيء من أعمالهم ضبطناه وعددناه، وهو مكتوب في صحائف أعمالهم.
30. ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فذوقوا - أيها الطغاة - هذا العذاب الدائم، فلن نزيدكم إلا عذابًا على عذابكم.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)	
الهدايات	الأسئلة التدرجية
بعد أن بين الله - تعالى - استهزاء الكفار واستبعادهم وقوع يوم القيامة بين كيفية وقوع ذلك اليوم العظيم وما فيه من أهوال. ¹	ما مناسبة هذا المقطع للمقطع السابق؟
سُمي بذلك؛ لأن الله يفصل فيه بين الخلائق. ²	ما دلالة تسمية يوم القيامة بيوم الفصل في قوله تعالى: (إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا)؟
لتحقيق وقوعه إذ التوقيت لا يكون إلا بزم محقق الوقوع ولو تأخر وأبطأ، وردًا على استهزائهم بخبر البعث، وإنذارًا لهم بأن حصوله قد يكون قريبًا. ³	ما دلالة التعبير عن يوم القيامة بأنه (مِيقَاتًا)؟
قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) [الأعراف: 187]. وقال تعالى: (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) [الأحزاب: 63].	يوم الفصل له وقت محدد لا يتقدم عنه ولا يتأخر، وقد استأثر الله - تعالى - بعلم وقوعه، هات شواهد من القرآن على ذلك.
زيادة الإيذان بسرعة المجيء للحساب بدلالة حذف ما يحصل بين النفخ والحضور. ⁴	ما فائدة العطف بالفاء في قوله تعالى: (فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا)؟
تحويل يوم الفصل باختلال السماء وانحرافها ⁵ وأفاد الماضي تحقيق وقوع هذا التفتيح حتى كأنه قد مضى وقوعه. ⁶	ما دلالة التعبير بالفتح في قوله تعالى: (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا) ومحجى الفعل الماضي؟

1 التفسير الموضوعي (9، 10)

2 المرجع السابق (11/9)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/30)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/31)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (582)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (32/30)

ما فائدة الإخبار عن السماء

بأنها أبواب في قوله تعالى:
(وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ
أَبْوَابًا)؟

للمبالغة في الوصف، وللدلالة على كثرة الفتح فيها، حتى كأنها هي أبواب.¹

في قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أن
الجبال ستكون سرابًا يوم
القيامة، وضح ذلك.

ستزول هذه الجبال مع عظمتها وقوتها حتى تكون كالسراب الذي يخيل إلى الناظر أنه شيء وهو ليس بشيء، ثم تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر.²

تعدد في القرآن الكريم ذكر تغير أحوال الجبال يوم القيامة، نذكر منها:

- الاندكاك: قال تعالى: ﴿وَجُمِّلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: 14].
- أنها تصير كالعهن المنفوش: قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: 5].
- أنها تصير كالهباء: قال تعالى: ﴿وَيُسَّتِ الْجِبَالُ نَسًا ۗ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: 5، 6].
- أنها تصير سرابًا: قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: 20].

للجبال يوم القيامة أحوال
متعددة، وردت في آيات
القرآن الكريم. اذكر بعضًا
منها.

إذا كانت السماء ذلك الخلق العظيم تبدل حالها فكيف سيكون حالنا حينها؟!

المُرْصَادُ: المكان الذي يُرصد فيه العدو.³ تُرْصَدُ وترقب جهنم للكافرين فلا يتجاوزها شقي ولا كافر.⁴ كعدو يترصد عدوه. قال تعالى: ﴿وَاللَّذِينَ كَفَرُوا يَبْرَبُهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُبُشُّ الْمَصِيرُ ۗ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۗ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۗ﴾ [الملك: 6-8].

ما دلالة التعبير بالرصد في
قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
مِرْصَادًا﴾؟

الطغيان: تجاوز الحد مع عدم الاكتراث بحق الغير والكبر، فهو إظهار في مقام الإضمار، بقصد الإيحاء إلى سبب جعل جهنم لهم؛ لأن الشرك أقصى الطغيان إذ المشركون بالله أعرضوا عن عبادته، وتكبروا على رسوله - ﷺ -، حيث أنفوا من

ما دلالة التعبير عن الكفار
بالطاغين في قوله تعالى:
(لِلطَّاغِينَ مَنَابِتُ)؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (33/30)

2 المصباح المنير مختصر ابن كثير (1477)، بتصرف

3 لسان العرب (رصد)

4 التفسير الموضوعي (12/9)

قبول دعوته، وهم المقصودون في معظم هذه السورة.¹

ما وجه تقديم ﴿لِلطَّاعِينَ﴾ لإدخال الروح على المشركين الذين طغوا بشركهم على الله، وللتعجيل ببيان السبب الذي نالوا به العذاب المذكور في الآيات.²

في قوله تعالى: ﴿لَا يَبِينُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ دلالة على المكث الطويل في النار، وضح ذلك.

ما فائدة الجمع بين البرد والشراب في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾؟

ما دلالة التعقيب على وصف العذاب بقوله تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾؟

بيئت السورة شدة تكذيبهم بأكثر من تعبير، وضح ذلك.

- أولاً: دل الفعل ﴿كَانُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزُجُونَ حِسَابًا﴾ على تمكن هذا الوصف من نفوسهم وهم كائنون عليه.
- ثانياً: أفاد التعبير بالفعل المضارع ﴿يَزُجُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزُجُونَ حِسَابًا﴾ بتعدد إنكار هؤلاء الكفار ليوم الحساب، وتكرير شبهاتهم على نفي إمكانه.
- ثالثاً: دلّ التعبير بالماضي ﴿وَكَذَّبُوا﴾ على استقرار وتمكن التكذيب من نفوسهم.
- رابعاً: جاء المفعول المطلق ﴿كِدَابًا﴾ مؤكداً لعامله؛ لإفادة شدة تكذيبهم بالآيات، وذلك أبلغ في بيان شدة كذبهم وثبوتهم عليه.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (36/30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (36/30)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (37/30)

4 التفسير المنير، الزحيلي (30-18)، بتصرف

ثانيًا: العلاج:

• العلم: وهو معرفة الله - تعالى -، ومعرفة نبيه - ﷺ -، ومعرفة دين الإسلام، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَتِيلٌ ؕ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ؕ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؕ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9، 10]، وقال - ﷺ -: ”من يُردِ اللهَ بهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ“¹.

• ذكر الله على كل حال، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205]

- ملازمة مجالس الذكر.
- قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82].
- دعاء الله والتضرع إليه.
- الصحبة الصالحة الناصحة التي تعين على الخير.
- معرفة حقيقة الدنيا، وأنها للتزود للآخرة.

تلاوة

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

31. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ إن للمتقين رهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه مكان فوز يفوزون فيه بمطلوبهم وهو الجنة.
32. ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ بساتين وأعنابًا.
33. ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ وناهديات مستويات السن.
34. ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ وكأس خمر ملأى.
35. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ لا يسمعون في الجنة كلامًا باطلاً، ولا يسمعون كذبًا، ولا يكذب بعضهم بعضًا.

36. (جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا) كل ذلك مما منحهم الله مئةً وعطاءً منه كافياً.¹

تدبر وتركية: (الأسئلة التندرية والهدايات)	
الهدايات	الأسئلة التندرية
لما ذكر الله - سبحانه وتعالى - أحوال الطاغين والأشقياء، وما بهم، وعذابهم المقيم الذي أعد لهم، أعقب ذلك ببيان أحوال المتقين السعداء وشرع في بيان أحوالهم. ²	ما مناسبة الآيات لما قبلها؟
تبشير المتقين وترغيبهم بما أُعدَّ لهم في الآخرة من نعيم. ³	ما دلالة تقديم (لِلْمُتَّقِينَ) في قوله تعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)؟
<ul style="list-style-type: none"> • معرفة الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته. • استشعار سعة علم الله، ومن تمَّ مراقبته في الحركات والسكنات. • الاقتراب من كل ما يحبه الله، والابتعاد عن كل ما يبغضه. • الإيمان باليوم الآخر، وبقاء الله عز وجل. • الدعاء وطلب تحقيق التقوى من الله عز وجل. 	كيف نحقق التقوى؛ لنفوز بوعد الله للمتقين؟
لتشمل الفوز بالنعيم والنجاة من النار. ⁴	ما وجه التعبير بلفظة (مَفَازًا)؟
شدة عناية الله - سبحانه - بعباده في الجنة وإكرامه لهم؛ إذ نَوَّعَ لهم ضروب النعيم. ⁵	ما دلالة تخصيص الأعناب رغم دخولها في عموم لفظ الحدائق في قوله تعالى: (حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا)؟
<ul style="list-style-type: none"> • بساتين جامعة لكل أصناف الأشجار، وخصَّ الأعناب؛ لشرفها وكثرتها في تلك الحدائق. • زوجات على مطالب النفوس. 	بين ما أعد الله للمتقين من نعيم في الجنة كما ورد في الآيات.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 582)

2 التفسير الموضوعي (9/ 15)

3 أضواء البيان للشنقيطي (8-413)

4 التفسير الموضوعي (9/ 15)

5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 310)، بتصرف

- كؤوس مملوءة من رحيق لذة للشاربين.
- الترفع عن اللغو والإثم.¹

اللغو والتكذيب مما تتألم له أنفس الصادقين، ولا ألم على الإطلاق في الجنان.²
دار السلام كل ما فيها سالم من النقص.³
لا يسمعون في الجنة لغواً ولا كذاباً؛ لأنهم على سرر متقابلين قد نزع الله ما في صدورهم من غل وجعلهم إخواناً.⁴

ما دلالة النفي في قوله
تعالى: (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا كِدَابًا)؟

- الإعراض عن مجالس اللغو، والخروج من المجموعات التي يكثر فيها الكلام من غير فائدة.
- ملء أوقاتنا بالذكر والقرآن ومصاحبة الأخيار، فهي نعيم القلوب في الدنيا.
- أن نكون مفاتيح خير بالإرشاد والنصح لمن يخوض فيه.
- أن ننشر في هذه الوسائل ما يفيد، وننافس أهل الباطل حتى يجد الباحث خيراً، ولا نخلي الساحة مما ينفع.

اللغو من الأمراض التي
فتكت في مجتمعنا، وامتلات
بها أوقات الناس في مجالسهم
وفي وسائل التواصل
الاجتماعي، كيف نجعل
مجالسنا وهذه الوسائل
إيجابية؟

قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقْلُهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكَبِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾) [الطور: 17-21]
قال تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لَسَعِيَهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾) [الغاشية: 8-17].
عن أبي هريرة، عن النبي - ﷺ - قال: "من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه".⁵

هات شواهد من القرآن
والسنة على وصف نعيم
أهل الجنة.

عن أنس بن مالك، أن رسول الله - ﷺ - قال: "إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم، والله لقد ازددتم بعدنا

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 907)
2 التفسير الموضوعي (16/9)
3 مختصر تفسير ابن كثير (2/ 593)
4 تفسير جزء عم، ابن عثيمين (30)
5 صحيح مسلم (4/ 2181)

حسناً وجمالاً“¹.

عن أبي هريرة، عن النبي - ﷺ - قال: ” قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر“².

ما دلالة التعقيب بقوله

- دخول المتقين الجنة فضل ومنة من الله.
- يتفاوت أهل الجنة في الدرجات بالحساب ونتائج الأعمال.

تعالى: ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾؟

في جزاء المتقين، إكرام للنبي - ﷺ -؛ إذ إنَّ إسداء هذه النعم لهم كان من أجل إيمانهم به وعملهم بما هداهم إليه.³

علام يدل إضافة ضمير المخاطب إلى ﴿رَبِّكَ﴾؟

تلاوة

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

37. ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ رب السماوات والأرض وما بينهما، رحمن الدنيا والآخرة، لا يملك جميع من في الأرض أو السماء أن يسألوه إلا إذا أذن لهم.
38. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ يوم يقوم جبريل والملائكة مُصْطَفَيْنَ، لا يتكلمون بشفاعة لأحد إلا من أذن له الرحمن أن يشفع، وقال سداداً ككلمة التوحيد.
39. ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ ذلك الموصوف لكم هو اليوم الذي لا ريب أنه واقع، فمن شاء النجاة فيه من عذاب الله فليتخذ سبيلاً إلى ذلك من الأعمال الصالحة التي ترضي ربه.
40. ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ إنا حذرناكم - أيها الناس - عذاباً قريباً يحصل، يوم ينظر المرء ما قدم من عمله في الدنيا، ويقول الكافر متمنياً الخلاص من العذاب: يا ليتني صرت تراباً مثل الحيوانات عندما يقال لها يوم القيامة: كوني تراباً.⁴

1 صحيح مسلم (4/ 2178)

2 صحيح مسلم (4/ 2174)

3 التحزيز والتنوير، ابن عاشور (30/ 43)

4 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 582)

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرية
بعد أن ذكر الله - عز وجل - حساب المكذبين وجزاء المتقين، وصف - سبحانه وتعالى - بعض مشاهد الحساب وندم الكافر آنذاك.	ما مناسبة الآيات لما قبلها؟
<ul style="list-style-type: none"> • إِذْ اللهُ لَمَنْ يَشْفَعُ لِأَهْلِ الْمُحْشَرِ أَثْرَ مِنْ أَثَارِ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.¹ • رَحْمَةُ اللهِ وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَهُوَ رِبَاهِمُ وَرَحْمَتُهُمْ، وَلَطْفٌ بِهَمَّ، حَتَّى أَدْرَكُوا مَا أَدْرَكُوا.² 	<p>ما دلالة إطلاق صفة الرحمن على لفظ الربوبية في قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾؟</p>
بيان سعة رحمته بعباده بإرشادهم وهدايتهم إلى سبيل نجاحهم، وتقديم الأدلة والبراهين المختلفة على صدق ما أنزل إليهم؛ لعلهم يتقون.	مع ما غلب على السورة من الترهيب والتهويل ختمت بتكرار اسم الرحمن مرتين، فما دلالة ذلك؟
جميع الخلق ساكتون لا يتكلمون، بدلالة قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾. قيام جبريل والملائكة صفًا خاضعين لله، بدلالة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾. زهوق الباطل وظهور الحق فلا ينفع الكذب ذلك اليوم، بدلالة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقِّ﴾. ³	يوم القيامة تظهر عظمة الله وعظمة ملكه، ما دلالاته من الآيات؟
أن يكون المتكلم مأذونًا له في الكلام، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255]. أن يتكلم بالصواب، فلا يشفع لغير مرتضى، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109]. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26].	قال تعالى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، اذكر شروط الشفاعة مع شواهد من القرآن.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 43)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 907)

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 907)

قال رسول الله - ﷺ -: ”إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنّه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بما عشرين، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة“¹.

سكنى المدينة والموت بها، فعن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرّة فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها. فقال له: «ويحك، لا أمرك بذلك، إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: لا يثبت أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة، إذا كان مسلماً“².

دعاء الله والعمل الصالح في الدنيا؛ لنيل شفاعة النبي - ﷺ - يوم القيامة. عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله - ﷺ -: ”لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه، أو نفسه“³.

اذكر أعمالاً نخلص بها على
شفاعة النبي - ﷺ - يوم
القيامة من السنة.

- التنويه بعظيم ما يقع في ذلك اليوم من الجزاء بالثواب والعقاب.⁴
- يوم القيامة كائن لا محالة بدلالة اسم الإشارة (ذلك) وبدلالة وصفه ب(الحق).⁵
- إثبات مشيئة العبد في اختيار الطريق والمنهج الموصل إلى الله بدلالة قوله تعالى: (فمن شاء).⁶

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ
الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى
رَبِّهِ مَا بَاءَ﴾؟

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: 49].
قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13].

يوم القيامة تعرض جميع
الأعمال خيرا وشرا، هات
شواهد أخرى من القرآن
تؤكد هذا المعنى.

1 صحيح مسلم (1/ 288)
2 صحيح مسلم (2/ 992)
3 صحيح البخاري (1/ 31)
4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 44)
5 أضواء البيان، الشنقيطي (8/ 413)
6 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 309)

ما دلالة وصف العذاب

بالقرب في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾؟

قرب العذاب مستعمل مجازًا في تحققه وفيه إعدار للمخاطبين بقوارع هذه السورة.¹ كل ما هو آت آت، وليس بين الإنسان وبين جزائه إلا أن يموت.

ما دلالة التمني في قوله

تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾؟

شدة ندامة وحسرة الكافر عند معاينة عذاب الله.² وهو يتمنى عاقبة الحيوان يوم القيامة بتمني مصيرها. فمن عطل وسائل إدراكه في الدنيا ولم ينتفع بها في معرفة الخير كان له أن يتمنى عاقبة الحيوانات ولا يجدها!

ما واقعنا في ضوء الآيات؟

تعلقنا بالدنيا ومتاعها الزائل، وغفلنا عن الدار الآخرة، واهتمنا بكل جديد لا فائدة منه من أجهزة وأخبار، وصبنا جهودنا في تربية أبنائنا على العلوم الدنيوية، وتركنا فواضل الأوقات إلى أمور الدين، وهذه الآيات تنبهنا إلى خطورة ذلك، وأن الدنيا دار اختبار لا دار قرار.

انتشر بيننا اللغو في الحديث، وخاصة في مواقع التواصل الاجتماعي، من خلال بث وترويج الإشاعات في مختلف المجالات، والنكت وغيرها مما يُقَسِّي القلب ويكثر الكذب.

كيف نعالج هذا الواقع من خلال الآيات؟

الدعوة إلى التفكير في خلق الله - عز وجل - الدال على قدرته وعظمته وحكمته، والتفكير في صفة الجنة ونعيمها، والترغيب فيها، تحون بذلك كل ملذات الدنيا ونعيمها الذي يشوبه كدر.

وصف مشهد يوم القيامة وقيام الملائكة والخشوع الذي سيحل هيبه وإجلالاً لله - عز وجل - يدعوننا إلى الرهبة والاستعداد لهذا اليوم الجليل والعمل له، وعدم التغافل عنه.

أمام مشهد رؤية الإنسان لعمله وما قدم لهذا اليوم، حتى يتمنى الكافر أن يكون ترابًا مثل الحيوان، يدعوننا إلى السعي جاهدين للفوز والنجاة من هذا المصير. نحن بين رغبة فيما عند الله - عز وجل - ورهبة من عذابه، ونسعى ونحسن الظن بالله - عز وجل -، وهو الغفور الرحيم وهو شديد العقاب.

هل استقر في نفوسنا اليقين بالبعث والجزاء؟

يوم القيامة آت لا محالة، فهل استعدنا له؟

سنأتي مسرعين لحسابنا، فهل عملنا ما نرجو به السلامة من ذلك الحساب؟

1 التحريز والتنوير، ابن عاشور (30/ 44)

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 310)

هل استحضرننا إحصاء الملائكة لأعمالنا، فعملنا ما يسرنا يوم الحساب؟
هل استشعرنا مراقبة الله لنا وسعة علمه بنا، فأصلحنا ظواهرنا وبواطننا؟

دلائل البعث والجزاء المذكورة في السورة:

- اختلاف المكذبين به: اختلافهم دليل على عدم يقينهم فيما يدعون، وضعف شبهاتهم.
- التأكيد والجزم بوقوعه: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ بيان قدرة الله - عز وجل - على الخلق والبعث، وفيها دعوة إلى التفكير في مخلوقات الله - سبحانه وتعالى - وبديع صنعه وقدرته على بدء الخلق وإعادةه.
- الاستدلال بإخراج النبات بعد موته.
- تحديد ميقات البعث وميعاده، وهو يوم الفصل بين الخلائق، وبيان أن ليوم القيامة وقتًا محددًا، حتى لا يظن أن تأخره دليل على عدم وجوده.
- وصف أهوال يوم القيامة دليل على وقوعه.
- بيان حكمة الله - عز وجل - بالفصل بين الخلائق يوم القيامة، والفصل بين المحسن والمسيء.
- وصف لموقف الحساب: وفيه بيان لعظمة الخالق سبحانه وهيبته الموقفة، ويظهر في موقف قيام الملائكة وسكوتهم.
- وصف لندم الكافر وتمنيه أن لو كان ترابًا: من قلَّ عقله، ولم تكفه الأدلة السابقة على البعث والجزاء ولم يعمل له، فسيأتي هذا اليوم ويتمنى أن لو لم يكن لديه عقل؛ كي يصير ترابًا مثل: الحيوان ولا يُعَذَّب في نار جهنم.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- في السورة إثبات البعث بالأدلة المختلفة؛ لذا ابتدأت السورة بوصف تساؤل المشركين عنه، والإخبار عن يوم القيامة، وما يتبعه من البعث والنشور والجزاء، وأعقبته بتهديد المشركين على إنكارهم إياه.
- أقامت السورة الأدلة والبراهين على إمكان البعث، بتعداد مظاهر قدرة الله على الخلق والإبداع وإيجاد مختلف عجائب الكون، ما يدل على إمكان إعادة الناس بعد الموت.
- حددت السورة ميقات البعث وميعاده، وهو يوم الفصل بين الخلائق الذي يُجمع فيه الأولون والآخرون.
- وصفت السورة ألوانًا من عذاب الكافرين، وأنواعًا من نعيم المتقين، بطريق المقابلة والموازنة، والجمع بين الترغيب والترهيب.
- ختمت السورة بالإخبار بأن هذا اليوم حق لا ريب فيه، وبيّناذكار الكفار بالعذاب الأليم القريب الذي يتمنون من شدته أن يكونوا ترابًا.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- ضرورة إيقاظ القلوب من الغفلة واللهو والتفكر في آيات الله وهذه سمة الإسلام.
- الإيمان باليوم الآخر وتذكر أهواله في كل حال، مما يُبَصِّرُ الإنسان بالحكمة والغاية من الخلق.
- إدراك القيمة في الحكمة من خلق الكون والعباد، وأنها سنة كونية حادثة على التأمل في عاقبة الإنسان.
- طلب العلم الشرعي ودفع الجهل عن النفس والاستعداد لليوم الآخر، وتوسم الهدى القويم من القرآن والسنة النبوية المطهرة.
- تربية النفس والنشء على المداومة على مطالعة كتاب الله، وأنها من أسباب هداية النفوس والعمل الصالح.
- الإكثار من الأعمال الصالحة من أذكار وتلاوة قرآن وشتى الأعمال التي تقربنا إلى الله.
- تحري الصدق والترفع عن الإثم.
- تدارس أسماء الله الحسنى مع الأبناء، والترغيب في رحمة الله وكرمه وفضله على العالمين.
- المحافظة على الدعاء بعد الأذان بأن ننال شفاعته نبيه ﷺ.
- الإكثار من الاستغفار والإنابة والتوبة إلى الله عز وجل .

فوائد تربوية من السورة

- الجمع بين الترغيب والترهيب في التربية، وتقديم ما يقتضيه الحال.
- التفكير في خلق الله - عز وجل - والاستدلال عليه - سبحانه وتعالى - وعلى البعث والجزاء؛ حتى تُبنى عقيدة قوية سليمة، وإيمان راسخ ثابت أمام الشبهات.
- بيان ضعف شبهات الكافر وإن غَلَفَهَا بالعقلانية فهو أبعد ما يكون عنها.
- تربية الأبناء على العمل والاستعداد لليوم الآخر.
- تعليق الأبناء بالله، وتعريفهم بأسماء الله وصفاته، وترغيبهم في رحمة الله - عز وجل - والرضا بقدره وحكمه.
- تعلم الأدب والنظام.

رسائل

- (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) مثل هذا اليوم لا يختلف فيه، لا بد أن نكون على يقين به، فالفوز فوزه والخسارة خسارته.
- (عَنِ النَّبِّ الْعَظِيمِ) إِنَّ يَوْمًا عَظِيمًا نَلْقَى فِيهِ رَبًّا عَظِيمًا لِحَرِي أَنْ نَنْهَيَا لَهُ، ونقدم له من الأعمال ما تسعدنا رؤيتها.
- (إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا) إِنَّ أَيَامَكُمْ فَلَائِلٌ ... فليستيقظ الغافل قبل سير القوافل ... يا من يوقن أنه لا شك راحل.
- (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) فلنختر من الآن الفوج الذي نحب أن نكون معه يومئذ.
- (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) الفوز الحقيقي يوم القيامة، فماذا أعددنا له من صالح الأعمال؟! لا فوز دون تقوى الله عز وجل.

﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ الخسران الحقيقي ألا يكون لنا نصيب من عطايا الرحمن.
 ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ العذاب قريب وكذلك النعيم، فلنختَرْ نَهاية الطريق قبل السير فيه.
 ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ اليوم نعمل وغداً ننظر، فهالاً قدمنا ما يسعدنا رؤيته!

079. سُورَةُ النَّازِعَاتِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تمز القلوب هملاً بمشاهد الموت وقبض الأرواح، والبعث وفتح القلوب وخشوع
تهيئة:

الأبصار، والجزاء والمأوى فأماً نار أو جنة. سورتنا لهذا المجلس هي سورة النزعات.

تعريف السورة:

اسم السورة: سورة «النزعات»، سورة «والنزعات»، سورة «الطامة»، سورة «الساهرة»¹.

نوع السورة: مكية بالاتفاق.²

عدد آياتها: وهي أَرْبَعُونَ وَسِتُّ آيَاتٍ فِي الْكُوفِيِّ وَخَمْسٌ فِي عَدَدِ الْبَاقِيْنَ.³

سبب نزولها: لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

فضل السورة والآثار الواردة
فيها:

لم يرد فيها فضل خاص أو أثر صحيح.

المناسبة بين سورة النزعات وسورة النبأ:

- لما ذكر الله سبحانه وتعالى في آخر سورة النبأ: يوم يقوم الروح والملائكة صفاً، ويتمنى الكافر في ذلك اليوم العدم، أقسم في أول هذه السورة بنزع الأرواح بأيدي الملائكة، على ما ذكره جمهور المفسرين: على أن النزعات هم الملائكة تنزع الأرواح في السماوات امتثالاً للأوامر الإلهية.⁴ فأولها يشبه أن يكون قسماً لتحقيق وقوع ما ذكر في آخر سورة عم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾⁵
- افتتحت سورة النبأ بسؤال المشركين عن الساعة واختلافهم فيها، وختمت سورة النزعات بسؤالهم عن وقتها واستبعادها.

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، بإشراف مصطفى مسلم (21/9)

2 تفسير القرطبي، القرطبي (190/19)، التفسير الموضوعي (21/9)

3 لبيان في عدد آي القرآن (ص: 263)

4 التفسير الموضوعي (24/9)

5 التفسير الموضوعي (23/9)، بتصرف

المناسبة بين سورة النازعات وسورة عبس:

تتشابه سورة النازعات وعبس في أكثر من وجه:

- في موضوع الحديث عن يوم القيامة وأهوالها، حيث وصفت القيامة في هذه السورة، بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾، ووصفت في سورة عبس، بقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾، وهما من أسماء يوم القيامة.
- وإثبات البعث بمخلوقات الله في الإنسان والكون، حيث أثبت الله - عز وجل - البعث بخلق السماء والأرض والجبال في هذه السورة، وأثبت بخلق الإنسان والنبات والطعام في سورة عبس.¹

مناسبة السورة لما بعدها:

تركز هذه السورة على هزّ القلوب المكذبة بالبعث والجزاء، من خلال عرض مشاهد الموت والبعث والحشر والقيامة.²

من مقاصد السورة:

- من الآية (1) إلى الآية (14): تقرير وقوع القيامة وأحوال الكافر فيه.
- من الآية (15) إلى الآية (26): الاستدلال بإهلاك المكذبين: فرعون وجنوده.
- من الآية (27) إلى الآية (33): الاستدلال بقدرة الله - عز وجل - على الخلق والتدبير.
- من الآية (34) إلى الآية (41): عرض لأهوال القيامة وجزاء المكذب والمؤمن.
- من الآية (42) إلى الآية (46): تعثت المكذبين في السؤال عن قيام الساعة والوعيد بقربها.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا عَمَلًا غَيْرًا ۖ وَالتَّشْطَاتِ دُشَطًا ۖ وَالسَّيْحَاتِ سَبْحًا ۖ فَالْسَّيْقَاتِ سَبْقًا ۖ
فَالْمَدْبِرَاتِ أَمْرًا ۖ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۖ
أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ ۖ يَقُولُونَ أَوْنَانَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۖ أَوْدَانَا عَظْمًا تُخْرَجُ ۖ قَالُوا
تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زُجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۖ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ أقسم الله بالملائكة التي تجذب أرواح الكفار بشدة وعنف.
2. ﴿وَالنَّاشِطَاتِ دُشَطًا﴾ وأقسم بالملائكة التي تستل أرواح المؤمنين بسهولة ويسر.

1 التفسير المنير، الزحيلي (30/56)

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/583)

3. ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ وأقسم بالملائكة التي تسبح من السماء إلى الأرض بأمر الله.
4. ﴿قَالَسَّيِّقَاتِ سَيْقًا﴾ وأقسم بالملائكة التي تسبق بعضها في أداء أمر الله.
5. ﴿قَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ وأقسم بالملائكة التي تنفذ ما أمرهم الله به من قضاءه، مثل الملائكة الموكلين بأعمال العباد؛ أقسم بذلك كله ليعتنتهم للحساب والجزاء.
6. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يوم تهتز الأرض عند النفخة الأولى.
7. ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ تتبع هذه النفخة نفخة ثانية.
8. ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قلوب بعض الناس في ذلك اليوم خائفة.
9. ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ يظهر على أبصارها أثر الذلة.
10. ﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ وكانوا يقولون: هل نرجع إلى الحياة بعد أن متنا؟!.
11. ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا تَحَرَّةً﴾ إذا كنا عظامًا بالية فارغة نرجع بعد ذلك؟!.
12. ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ قالوا: إذا رجعنا تكون تلك الرجعة خاسرة، ويكون صاحبها مغبوتًا.
13. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أمر البعث يسير، وإنما هي صيحة واحدة من الملك الموكل بالنفخ.
14. ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ فإذا الجميع أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا أمواتًا في بطنها.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة ابتداء السورة بالقسم بالملائكة وأفعالهم؟	تهويل ليوم البعث وتحقيق وقوعه. ²
علام يدل وصف الملائكة بـ ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾؟	النازعات من النزاع: جذب الشيء بقوة، للدلالة على شدة نزاع الملائكة أرواح الكافرين من أجسادهم حتى بلوغ الغاية في القسوة والغلظة. ³
ما دلالة التعبير بلفظ ﴿عَرَفًا﴾؟	إغراق بقوة شديدة يتغلغل إلى أقصى المراد من كل شيء من البدن حتى الشعر والظفر والعظم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ أقصى المد. ⁴
ما مناسبة القسم بالناشطات بعد النازعات؟	لما ذكر الشد مبتدئًا به؛ لأنه أهول، أتبعه بالرفق؛ لأن معنى الناشطات: أي المخرجات برفق للأرواح. ⁵

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 583)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 66)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 262)

4 نظم الدرر، البقاعي (21/ 218)

5 نظم الدرر، البقاعي (21/ 218)، بصرف

ما دلالة وصف الملائكة بـ
﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشِطًا﴾؟

الناشطات من النشاط، وهو السرعة في العمل، والخفة في أخذ الشيء، للدلالة على سرعة قبض الملائكة لأرواح المؤمنين بخفة وسهولة، وكأنما حلته من نشاط كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنه.¹

شواهد على قبض روح الكافر بشدة:

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: 93].
- قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَابَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: 50].

شواهد على قبض روح المؤمن برفق:

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 28].
- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30].
- ومن الشواهد ما ورد عن النبي - ﷺ - في حديث البراء بن عازب الطويل الذي يصف فيه حال المؤمن والكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، تَنَزَّلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ يَبْضُ الْوُجُوهَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَخَنُوطٌ مِنْ خَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، الْخُرْجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْخَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَحْوَةِ مِسْكِ وَجِدَّتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمْزُونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَالٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ بُنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَبِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: اكْتُبُوا كِتَابَ

اذكر شواهد من القرآن
والسنة على قبض أرواح
الكافرين بشدة وقبض أرواح
المؤمنين برفق.

عبدي في عِلِّيَّينَ، وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خَلَقْتُهُمْ، وفيها أُعيدُهُمْ، ومنها أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قال: فُتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجَلِّسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الإسلامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا

• الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، - فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي! فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَاقْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا، وَطَيْبِهَا، وَيُفَسِّخُ لَهُ فِي قَدْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالذِي سِئْرَتِكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟! فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ بَحْيِيءٌ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: رَبِّ، أَقِمِ السَّاعَةَ؛ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي. قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، تَرَلَّ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمَسْوُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَبْيِئُهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، قَالَ: فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَلْبُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تَلْكَ الْمَسْوُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَنِيَّةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمْرُؤُونَ بِهَا عَلَى مَالٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَبِيثُ؟! فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بِنُ فُلَانٍ، بِأَفْجِحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ؛ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيْطِ﴾ [الأعراف: 40]، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : اكْتُبُوا كِتَابَتَهُ فِي سِجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَطُطَّرْخُ رُوحُهُ طَرْخًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]، فُتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجَلِّسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاةُ لَا أَذْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاةُ لَا أَذْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاةُ لَا أَذْرِي! فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَاقْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَمُحْمِومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالذِي يَسْؤُوكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟! فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ بَحْيِيءٌ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَبِيثِ، فَيَقُولُ: رَبِّ، لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»¹.

<p>رسالة هلاً تفكرنا في هذه الآيات، فمن أي الفريقين نكون؟!¹</p>	<p>رسالة</p>
<p>للدلالة على طاعة الملائكة لله - تعالى - وسرعتها في تنفيذ ما كلفهم به، وتسبيحه وتحميده وتكبيره وتقديسه.¹</p>	<p>ما دلالة وصف الملائكة ﴿وَالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا﴾؟</p>
<p>دلت الفاء على ترتيب ما بعدها على ما قبلها، وللايدان بأن هاتين الصفتين متفرعتان عما قبلهما.² السبق: تجاوز السائر من يسير معه، وهذه الصفة الرابعة للملائكة للدلالة على سبقها في تنفيذ أمر الله تعالى.³</p>	<p>ما دلالة التعقيب بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا﴾ وما دلالة وصف الملائكة بالسبق؟</p>
<p>قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]. قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (19) يُسْحِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿20﴾ [الأنبياء: 19، 20].</p>	<p>هات شواهد من القرآن تدل على طاعة الملائكة لله تعالى وسرعة استجابتهم لأوامره.</p>
<p>فلنكن دائماً مسارعين في الخيرات، وسباقين إلى الطاعات تأسياً بالملائكة.</p>	<p>رسالة</p>
<p>تدبير شأن الخلائق وتنظيم أحوالهم إنما هو بقضاء الله - عز وجل - وتقديره وتدبيره، فعلام يدل وصف الملائكة ونسب التدبير إليها؟</p>	<p>تدبير شأن الخلائق وتنظيم أحوالهم إنما هو بقضاء الله - عز وجل - وتقديره وتدبيره، فعلام يدل وصف الملائكة ونسب التدبير إليها؟</p>
<p>المقسم عليه المراد تحقيقه هو وقوع البعث، ولكن لم يصرح به بل ذكر بعض صفاته في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الزَّادِقَةُ ﴿٧﴾ فُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾ ليكون أوقع في نفوس السامعين المنكرين، إذ دل على المقسم عليه بعض أهواله فكان في جواب القسم إنذار.⁵</p>	<p>ما المقسم عليه وما دلالة عدم التصريح به؟</p>

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 264)

2 تفسير القرطبي، القرطبي (19/ 194)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 264)

4 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 264)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 66)، بتصرف

للملائكة - عليهم السلام - مهام مختلفة، نذكر منها:

• **حملة العرش:** قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 17].

• **ومنهم سكان السماوات السبع:** وهم الذين يعمرن السماوات السبع عبادة دائمة ليلاً ونهاراً، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (20) [الأنبياء: 20].

• **ومنهم الموكلون بالنار:** وهم الزبانية وعددهم تسعة عشر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَاحِشٌ لِّلسَّعِيرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)﴾ [المدثر: 27-30].

• **ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم:** قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11].

• **ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد:** قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (12) [الانفطار: 10-12].
والواجب علينا:

- أن نؤمن بوجودهم، وما ذكر لنا من مهامهم، عن طريق الوحي بالكتاب والسنة الصحيحة، وما ذكر لنا عنهم.
- أن نحبههم، ونستحي أن نعصي الله - عز وجل - وهم يكتبون ما نعمل.
- أن نقتدي بطاعتهم لله - عز وجل - ما تيسر لنا ذلك.

للملائكة مهام مختلفة هيأهم الله لها، اذكر بعضها وما يشهد لها، وما واجبنا تجاههم؟

لما أقسم سبحانه وتعالى بتلك الأفعال العظام التي ما أقدر عليها أهلها إلا الملك العلام، ذكر ما يكون فيه من الأعلام تهويلاً لأمر الساعة.¹

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ لما قبلها؟

ما وجه التعبير بالرفختين

(الراجفة والرادفة)، في قوله

المبالغة في الرجف لتهويل يوم القيامة، وإنذار بوقوعه، لئلا يُغفل عنه.²

تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ

(6) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾؟

1 التفسير الموضوعي (24/9)

2 التفسير المنير، الزحيلي (35/30)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (67/30)، بتصرف

علام يدل التنكير في قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمِنَدٍ وَاجِفَةٌ﴾؟
 للتكثير¹، والدلالة على انقسام الناس إلى قسمين قلوب الكفار الخائفة وقلوب المؤمنين المطمئنة.²

ما دلالة التعبير بالخشوع في قوله تعالى: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾؟
 دل التعبير بالخشوع على شدة الملح والخوف من فظيع ما تشاهده الأبصار من الأهوال، حتى ظهر على الأبصار. كما دل على ذلة وحقارة هؤلاء الكفار، وقد ملك قلوبهم الخوف، وأذهل أفئدتهم الفرع، وغلب عليهم التأسف واستولت عليهم الحسرة.³

هل استشعرنا هول الموقف وشدته، وسألنا الله - عز وجل - الثبات والأمن في ذلك اليوم، فلا يثبت إلا من ثبته الله ولا يأمن إلا من أمنه الله - عز وجل -، اللهم أمتنا يوم الفرع وأجرنا من هوله.

ما دلالة التعبير بالفعل المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾؟
 لاستحضار حالتهم الغريبة، حيث أنكروا ما قام الدليل على عدم إنكاره، وللإشعار بأن هذا الإنكار كان متجددًا ومستمرًا منهم.⁴

علام يدل مجيء الاستفهام في مقولة الكفار، في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10) إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَحِرَةً﴾؟
 للإيدان بأنهم كانوا يقولون ما يقولون في شأن البعث على سبيل التهكم والتعجب ممن يحدثهم عنه، كما هو شأن المستفهم عن شيء الذي لا يقصد معرفة الحقيقة، وإنما يقصد التعجب والإنكار.⁵

ما دلالة إعادة القول ﴿يَقُولُونَ﴾ ﴿قَالُوا﴾ في الآيات؟
 دلالة على أن قولهم هذا في غرض آخر غير القول الأول، فالقول الأول قصدهم منه الإنكار والإبطال، والقول الثاني قصدوا منه الاستهزاء والتورك.⁶

ما الفائدة من ذكر ردهم على استفهامهم، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؟
 الزيادة في التهكم والاستهزاء بالبعث.⁷

1 التحزير والتنوير، ابن عاشور (67 / 30)

2 تفسير العنيمين: جزء عم، ابن عثيمين، (ص: 42)، بتصرف

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 909)، بتصرف

4 التفسير الوسيط، الطنطاوي (266 / 15)

5 التفسير الوسيط، الطنطاوي (266 / 15)

6 التحزير والتنوير، ابن عاشور (71 / 30)

7 التفسير الوسيط، الطنطاوي (267 / 15)

ما دلالة نَسْبِ الخسران إلى الكثرة؟

المبالغة في وصفهم الرجعة بالخيبة والفشل، وإلا فالمراد خيبتهم وفشلهم هم؛ لأنه تَبَيَّنَ لهم كذبهم، وصدق من أخبرهم بأن الساعة حق.¹

رد القرآن الكريم على منكري البعث بعدة أوجه توافق العقل السليم، منها ما ورد في السورة ومنها ما ورد في سور أخرى:

- أولاً: قدرة الله - عز وجل - على البعث، والأدلة على ذلك كثيرة، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: 27].
- ثانياً: الحكمة من البعث وأنها من كمال العدل والميزان الذي يقوم عليه الكون كله، فمن مقتضى عدل الله - تعالى - أن يكون هناك يوم للجزاء والحساب، كلٌّ يجازى بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً لَهُمْ مَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجن: 21].
- ثالثاً: بعث الأرض والنباتات بعد موتها إحياء الله - تعالى - للأرض بالنبات بعد إنزال المطر عليها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَك تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: 39].
- رابعاً: تواطؤ الأنبياء على تأكيد البعث وإنذار قومهم به، قال تعالى: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: 35].
- خامساً: وصف يوم القيامة بأدق تفاصيله، وتكرر وصفه في سور عدة، وتصديق بعضه بعضاً، ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، دليل على صدق حصوله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَك تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: 39].
- سادساً: وحدانية الله - عز وجل - وصدق النبوة والرسالة والكتاب: فأركان الإيمان يصدق بعضها بعضاً.
- سابعاً: إهلاك الأمم المكذبة، ومنها فرعون وقومه كما ورد في السورة.

ما دلالة التأكيد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؟

تأكيد الخبر بتنزيل السامع منزلة من يعتقد أن زجرة واحدة غير كافية لإحيائهم.²

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 267)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 72)

الزجرة: المرة من الزجر، وهو الكلام الذي فيه أمر أو نهي في حالة غضب، وهذا فيه مناسبة لإحياء ما كان هامداً، كما يُبعث البعير المبارك بزجرة ينهض بها سريعاً خوفاً من زاجره.¹

ما وجه التعبير بالزجرة دون الصبيحة؟

أضافت معنى المفاجأة؛ للدلالة على سرعة حضورهم في هذا المكان عقب البعث.² ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 51، 52].

ما المعنى الذي أضافته إذا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾؟

تسمى ساهرة؛ لأن من شدة الخوف فيها يطير النوم عن الإنسان، فتلك الأرض التي يجتمع الكفار فيها في موقف القيامة يكونون فيها في أشد الخوف.³

ما وجه وصف أرض الحساب بالساهرة؟

أسلوب التهيب فيه زجر وردع عن الوقوع فيما يجلب هذه الشدة في نزع الروح. تقديم الموت على أنه مرحلة انتقالية لا بد منها، أنت تحدد جمالها من شدتها، فهل أفضل حالاً ممن يرى مكانه في الجنة وينتظر دخولها! تصوير أهوال يوم القيامة يبعث على اتقاء هذا المصير، والعمل على النجاة، والبحث عن سبل الأمن في ذلك اليوم. ذكر هذه القلوب الواجفة دون القلوب المطمئنة يبعث الرهبة أكثر في النفس وعدم الاتكال.

ما الفوائد التربوية التي نأخذها من هذه الآيات؟

عدم ذكر الأعمال الموجبة للأمن في ذلك اليوم حتى آخر السورة: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ يبعث التشويق والبحث في سبل النجاة.

تذكر الموت واليوم الآخر وأهواله وعدم الغفلة عنه. التزام الصراط المستقيم (دين الإسلام) والثبات عليه، والبعد عن مزلق العصيان والانفلات، والمساواة بالتوبة النصوح. قراءة القرآن الكريم وحفظ ما تيسر منه وتدبر معانيه؛ لتطبيقها واقعاً عملياً في حياتنا نحن وأبنائنا. التفكير في آيات الله وملكوته في الكون والإنسان. تذكر هوان الدنيا بكل ملذاتها أمام مشهد واحد من مشاهد الموت أو القيامة. الترفع عن سفاسف الأمور وترك الانشغال بالملهيات التي لا نفع فيها للأخرة.

قدمت لنا سورة النازعات صوراً شديدة من خروج الروح إلى يوم القيامة، علنا نتعظ وننتهياً لهذه المشاهد العصبية. فكيف نتقي هذا المصير؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (72/30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (72/30)

3 نظم الدرر، البقاعي (227/21)

تذكر الجنة ونعيمها وما أعدده الله لأهلها من جزاء وكرامة (درس أسبوعي مع الأبناء).

تعريف أبنائنا بالدين وربطهم به وتعريفهم بالملائكة وأنهم عبادٌ مطيعون لربهم سباقون لامتهال أوامره محبتون لخالقهم؛ فاصطفاهم وكرمهم بهذه الأعمال.
نحمد الله - عز وجل - ونحبه ونشكره؛ أن أنعم علينا بإرشادنا وهدايتنا إلى طريق الحق حتى نتقي مصير الشقاء.

تلاوة

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

15. ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ هل جاءك - أيها الرسول - خبر موسى مع ربه ومع عدوه فرعون؟!.
16. ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ حين ناداه ربه سبحانه في وادي طوى المطهر.
17. ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ قال له فيما قال: سر إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في الظلم والاستكبار.
18. ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ﴾ فقل له: هل لك - يا فرعون - أن تتطهر من الكفر والمعاصي؟
19. ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ وأرشدك إلى ربك الذي خلقك ورعاك فتخشاه، فتعمل بما يرضيه، وتتجنب ما يسخطه؟
20. ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ فأظهر له موسى - عليه السلام - العلامة العظيمة الدالة على أنه رسول من ربه، وهي اليد والعصا.
21. ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ فما كان من فرعون إلا أنه كذب بهذه العلامة، وعصى ما أمره به موسى - عليه السلام -.
22. ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ ثم أعرض عن الإيمان بما جاء به موسى.
23. ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ ورجع يجمع جنوده لمغالبة موسى، فنادى قومه قائلاً:
24. ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ أنا ربكم الأعلى، فلا طاعة لغيري عليكم.
25. ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ فأخذته الله فعاقبه في الدنيا بالغرق في البحر، وعاقبه في الآخرة بإدخاله في أشد العذاب.

26. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى) إن فيما عاقبنا به فرعون في الدنيا والآخرة لموعظة لمن يخشى الله؛ فهو الذي ينتفع بالمواعظ.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)	
الهدايات	الأسئلة التدرجية
لتكون تسليئةً للنبي - ﷺ - عمّا أصابه من هؤلاء الجاحدين، وتهديداً لهم حتى يقلعوا عن غيبيهم. ² ولتماثل حال المشركين في طغيانهم على الله ورسوله - ﷺ - بحال فرعون وقومه ³ ، فهي قصة للاعتبار بها.	ما مناسبة ورود قصة موسى مع فرعون في السورة؟
التشويق إلى معرفة أمر عظيم متحقق وقوعه ⁴ ، وجعل السامع في أشد حالات الترقب لما سيلقى إليه، حتى يكون أكثر وعياً لما سيسمعه. ⁵	ما دلالة الاستفهام، في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾؟
إثبات مناجاة موسى لربه تعالى وأنه كلمه ربه دون واسطة. ⁶	ما دلالة الوصف بالنداء في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾؟
بيان عناية الله - عز وجل - بموسى وتلطفه به بهذا التكليف الذي اصطفاه له؛ وهو حمل الرسالة إلى فرعون الطاغية.	ما دلالة ورود اسم الرب، في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾؟
قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)﴾ [طه: 11-12]. قال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52)﴾ [مريم: 52].	وردت آيات تثبت تكليم موسى لربه سبحانه، هات شواهد على ذلك.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 583)

2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 268)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 73)

4 تفسير القرآن الكريم، السعدي، (ص: 909)

5 التفسير الوسيط، الطنطاوي، (15/ 269)

6 أيسر التفاسير، الجزائري (5/ 511)

لأن الطغيان تجاوز كل حد في الكفر والغرور والعصيان، وهو إفراط التكبر¹، فهذا الطغيان استوجب إرسال الرسول وتأييده بالآيات من الله - عز وجل - لعلّ الطاغية يستمع إلى نداء الحق ويرجع عن طغيانه.

ما دلالة تخصيص الطغيان في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾؟

ادعاء الألوهية، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38].
استعباد بني إسرائيل واضطهادهم وتعذيبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4].

ذكرت في القرآن الكريم صوراً من طغيان فرعون، هات شواهد على ذلك.

الحض والترغيب في الاستجابة للحق على سبيل النصح الحكيم، والإرشاد البليغ²، وفيه تल्प في الخطاب ولين للمدعو، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (44)﴾ [طه: 43-44].

ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾؟

- التزكية خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن يزكي الإنسان نفسه ويطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح.³
- تقرير أنه لا تزكية للنفس البشرية إلا بالعمل بما أنزل الله عز وجل.⁴

علام تدل الدعوة إلى التزكية في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾؟

الخشية هي الخوف المقرون بالعلم، فإن لم يكن مع علم فهو خوف مجرد⁵، ولا تحصل الخشية من العبد لله - عز وجل - إلا بعد معرفة الله تعالى، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]،⁶ وذكر الخشية؛ لأنها ملاك الأمر، من خشى الله أتى منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شيء.⁷

ما المراد بالخشية وما دلالة تخصيصها في قوله تعالى: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾؟

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (270/15)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (75/30)
2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (270/15)
3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 909)، بتصرف
4 أيسر التفاسير، الجزائري (511/5)، بتصرف
5 تفسير العثيمين: جزء عم، (ص: 44)، بتصرف
6 أيسر التفاسير، الجزائري (511/5)
7 التفسير الوسيط، الطنطاوي (270/15)

ما الفائدة من ذكر الربوبية
دون الألوهية في قوله
تعالى: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ
فَتَخْشَى﴾؟

• الطغيان مانع من قبول الحق واتباعه، والتزكية سبيل لتطهير النفس، وأدعى
للاهتمام بهدى الله - عز وجل - واتباع نصحهم.

• تزكية النفس من أسباب حصول الخشية، فالجملة مرتبة حسب حصولها.³
• كما أنه لا سبيل إلى التزكية والاهتداء إلى الحق إلا باتباع الرسل.

هاتان الآيتان فيهما أسمى ألوان الإرشاد إلى الدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة
الحسنة، واللين والتلطف، فإن كان هذا أسلوب الدعوة للطاغية فرعون فكيف لمن
دونه!!

ما المناسبة بين قوله تعالى:
﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكِيَ﴾
والآية التي بعدها ﴿وَأَهْدِيكَ
إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾؟

أولاً: تعاهد القلب وعلاجه من الأمراض وأهمها العجب والكبر والحسد والبغض
وغيرها.

ثانياً: تعاهد القلب بعبادات القلوب كالإخلاص والصبر والرضا والتوكل والمراقبة
وغيرها.

ثالثاً: معرفة الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته، وكلما كان العبد بالله أعلم كان له
أخشى ومنه أقرب وله أحب.

ومما ينصح به عملياً:
الحفاظة على الأذكار.

تبيين الأوقات الفاضلة والحث على العمل فيها، والحث على النوافل وأعمال التطوع.
عمل جلسة أسرية؛ لتعليم القرآن، وتدارس معاني أسماء الله الحسنى.

حضور دروسٍ عن أعمال القلوب.

عمل مسابقة في قراءة كتاب عن معنى الخشية.

عمل درس أسبوعي للجيران لتدبر القرآن.

استغلال وسائل التواصل في الدعوة إلى الله - عز وجل -.

تزكية النفس من الأمور
الباعثة على الخشية، فما
حالنا معها وكيف نتعاهد
أنفسنا وأبناءنا على ذلك؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (73 /30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (78 /30)، بتصرف

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (77 /30)، بتصرف

ما دلالة وصف الآية
بالكبرى في قوله تعالى: ﴿فَأَرَاهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾؟

دليل صحة دعوة موسى - عليه السلام -، ومناسبة لحال فرعون؛ حيث لا يوجد
أشد طغياناً منه؛ حيث ادعى الربوبية والألوهية معاً¹، فكان مناسباً أن يأتيه موسى
بآية عظيمة تثبت صدق نبوءته.

ما المعنى الذي أضافته الفاء،
في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ
وَعَصَى﴾؟

للدلالة على شدة عناده ومكابرته؛ حتى إنه رأى الآية فلم يتردد ولم يتمهل حتى
ينظر في الدلالة، بل بادر إلى التكذيب والعصيان.²

علام يدل قوله تعالى: ﴿لِيُؤْمِرَ
أَدْبَرَ يَسْعَى﴾؟

للدلالة على أنه قد تجاوز التكذيب والعصيان، إلى ما هو أشد منهما في الجحود
والعناد، وهو الإعراض عن الحق والسعي الشديد في إبطاله³، كما يدل على إصراره
وعناده بحشر السحرة للقاء موسى - عليه السلام -.

ما دلالة التعبير بالإدبار دون
الإقبال؟

إظهاراً للسخط ولقصد التفاؤل عليه.⁴

ما الفائدة من التعبير بالسعي
في الآية؟

دلالة على شدة كفره وعناده وإعراضه عن الحق، وحرصه؛ ليقنع رعيته بأنه الربُّ
الأعلى خشية شيوع دعوة موسى - عليه السلام - لعبادة الرب الحق.⁵

ما دلالة العطف بالفاء في
أفعال فرعون في قوله تعالى:
﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾: ﴿فَقَالَ أَنَا
رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾؟

للإشعار بأنه بمجرد أن جمعهم دعاهم إلى الاعتراف بأنه هو رب الأرباب⁶؛ لفرط
حرصه على إبلاغ ذلك إليهم⁷، وللصدِّ عما جاء به موسى - عليه السلام -،
وهذه عادة الطغاة، ألا يتركوا مجالاً للرعية من أجل التفكير، بل يسقطوا عليهم
الأحكام سابقاً، فلا يجدوا غير التسليم لرأيهم.

ما الغاية من الحصر في قول
فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ
الْأَعْلَى﴾؟

لرد دعوة موسى، من وجوب عبادة الله - تعالى - وحده⁸، وليبين عداوته لمن آمن
بموسى - عليه السلام -؛ فيصد بذلك قومه عن الاهتداء.

1 أضواء البيان، الشنقيطي (8/ 419)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 78)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 271)

4 غرائب القرآن و غرائب الفرقان، النيسابوري (6/ 441)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 79)، بتصرف

6 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 271)

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 80)

8 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 271)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 80)

- انتقام الله تعالى من فرعون وإهلاكه له.¹
- تنكيل الله له في الآخرة والأولى وجعله عبرة في زمنه ولمن بعده إلى يوم القيامة.²
- تقديم الآخرة على الأولى في الذكر؛ لأن أمر الآخرة أعظم³، وعذابها أشد وأبقى.

ما وجه التعبير بالفعل الماضي (أخذه) مع أن عذاب الآخرة مستقبل ليوم الجزاء؟

لأن فرعون بدأ يذوق العذاب منذ مماته⁴، فقد تحقق هذا النكال في الدنيا بملاكه وفي الآخرة بأول منازلها بعد الموت، قال تعالى: ﴿فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَقَاتٍ مَّأْمُورًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٥١﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُرًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: 45، 46].

لأن الذين يخشون الله - عز وجل - هم أهل المعرفة الذين يفهمون دلالة الأشياء على لوازمها وخفائها، وفي هذا تعريض للمشركين بأنهم ليسوا بأهل للانتفاع بمثل هذا كما لم ينتفع بمثله فرعون وقومه⁵، قال السعدي: «فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها»⁶.

العلم بالله - عز وجل - بأسمائه وصفاته والتفكر في آياته، ما يزيد في حبه سبحانه وتعظيمه، فمن كان بالله أعرف كان له أقرب ومنه أخوف. التعرف على هذه العبادة القلبية وسبل تعزيرها في النفس. المداومة على ذكر الله - عز وجل - تدبر الآيات التي ذكرت فيها الخشية. أخذ العظة والعبرة من قصص القرآن والصالحين وأخذ العبرة والعظة من خشيتهم لله - عز وجل - أن نكون قدوة لأبنائنا بحيث تتبين الخشية في سلوكنا؛ فأبناؤنا يتربون من فعلنا أكثر من قولنا.

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 315)
 2 تفسير العثميين: جزء عم، (ص: 50)
 3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 81)
 4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 82)
 5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 82)
 6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 909)

على مر الزمان تتكرر قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون بصور مختلفة، حيث يجتمع الباطل بكل أدواته وقوته وعتاده في مواجهة الحق، والعبرة في القصة دائماً بانتصار الإيمان على الكفر والطغيان، فما نشاهده في بلاد المسلمين اليوم من حالات استضعاف لأهل الإيمان وتمكن للباطل وأهله ما هو إلا حلقة في هذه القصة الخالدة، ثم يكون النصر النهائي بإذن الله فيها للحق وأهله، الذين يخشون الله ويؤمنون به، وهذا يدعوننا إلى التمسك بالحق الذي نحن عليه، والدفاع عنه، ونصرته بشتى الطرق، كما يعلمنا أدب الداعية والتزامه بمنهج وأخلاقه أيًا كان المدعو وبطشه وجبروته.

في الآيات عبرة وتسليية
للدعاة إلى الله وللمسلمين
على مر العصور، بينها.

المواجهة وعدم الخوف من الباطل وأهله، ففي قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ تعبير بالذهاب، حيث أمر الله - عز وجل - الداعية بمواجهة الباطل مهما علا شأن صاحبه بالكلمة والنصح وعرض الحق والدلالة عليه. التلطف واللين، في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾. التدرج: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ وأهديك إلى ربك فتخشى، ويكون هذا في بداية الأمر، وبعد ذلك يتغير الخطاب، ففي هذا منهج للداعية بالبدء باللين واللفظ والتوضيح والبيان، وهذا من التدرج في دعوة المخالفين. الوضوح وعدم المداينة في الدين، ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾. أدلة وبراهين صدق الداعية، ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾، يجب أن يكون مع الداعية أدلة إذا دعا الناس إلى الله - عز وجل -؛ ليجيب على شبهاتهم وأسئلتهم.

في الآيات منهج للداعية إلى
الله تعالى في الدعوة وخطاب
المخالفين، بينه.

تلاوة

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَّاها ۖ رَفَعَ سَمَكها فَسَوَّاهَا ۖ وَأَغْطَشَ لَيْلها وَأَخْرَجَ ضَحَلها ۖ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلها ۖ أَخْرَجَ مِنْها مَاءها وَمَرَعاهَا ۖ وَالْجِبَالَ أَرْسَنها ۖ مَتَّعَّا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَكُم﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

27. ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَّاها﴾ أبغثكم - أيها الناس - بعد الموت أشد في تقديركم أم خلق السماء؟
28. ﴿رَفَعَ سَمَكها فَسَوَّاهَا﴾ رفعها فوقكم كالبناء، وأعلى سقفها في الهواء، لا تفاوت فيها ولا فطور.
29. ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلها وَأَخْرَجَ ضَحَلها﴾ وأظلم ليلها بغروب شمسها، وأبرز نهارها بشروقها.
30. ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلها﴾ والأرض بعد خلق السماء بسطها، وأودع فيها منافعها.
31. ﴿أَخْرَجَ مِنْها مَاءها وَمَرَعاهَا﴾ وفجر فيها عيون الماء، وأنبت فيها ما يُرعى من النباتات.
32. ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنها﴾ وأنبت فيها الجبال أوتادًا لها.

33. ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ خلق سبحانه كل هذه النعم منفعه لكم ولأنعامكم.¹

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا﴾ لما قبلها من الآيات؟	بعد ذكر نموذج طغيان فرعون وعتوه وتعالیه على الحق، وكيف كانت عاقبته، عادت الآيات تذكّر أهل مكة ومشركيها بمظاهر قدرة الله في مخلوقاته، وتحذّرهم من أهوال يوم القيامة؛ ليرتدعوا عن كفرهم وضلالهم، فقال سبحانه مخاطبًا لهم: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا﴾. ²
ما دلالة التعبير بر(أنتم) في قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا﴾؟	إبطال شبهة منكري البعث ب(أنفسهم)؛ وذلك بقياس خلق أجسادهم على خلق السماوات والأرض؛ لأنهم فرضوا استحالة عودة الحياة إلى الأجسام البالية إذ مثلوها بأجساد أنفسهم، حين قالوا: ﴿إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: 10]. ³
ما دلالة الاستهتام في قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا﴾؟	تقريرهم بعظم خلق السماء وأن من قدر على خلقها قادر على إعادة خلقهم مرة ثانية؛ لأنه قدر سبحانه على ما هو أعظم من ذلك. ⁴ هل استشعرتنا ضعفنا أمام قدرة الله تعالى؟ فلماذا تكبر ونعجب بأنفسنا؟!
ما فائدة تقديم خلق السماء على الأرض في الآيات؟	لأنه أدلّ على القدرة الباهرة لعظم السماء وانطوائها على الأعاجيب. ⁵
في قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ عبر عن النهار بالضحى، فما فائدة ذلك؟	عبر سبحانه بالضحى عن النهار؛ لأنه أزهى ما فيه وأقوى نورًا. ⁶
ما وجه إضافة الليل والضحى إلى الشمس؟	لأنهما يحدثان بسبب غروب شمسها وطلوعها، فالليل في غاية الظلام بسبب مغيبها، وإضاءة النهار ببروز ضوئها. ⁷

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 584)

2 التفسير الموضوعي (31/9)، بتصرف

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (83/30)، بتصرف

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (83/30)، بتصرف

5 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 275)

6 نظم الدرر، البقاعي (21/ 240)

7 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 274)

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ۚ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ آيَةً عَظِيمَةً، وَقَدْ ذَكَرَ خَلْقَهُمَا فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، اذْكَرَ أَمْثَلَةً عَلَىٰ ذَلِكَ.﴾

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190].
قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: 10].

ما مناسبة الآيات في قوله

تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا

وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ

أَرْسَاهَا﴾ لِلآيَةِ السَّابِقَةِ:

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ

ذَخَاهَا؟﴾

هي تفسير للآية السابقة، عن ابن عباس قال: ﴿ذَخَاهَا﴾ وذخيتها أن أخرج منها الماء والمرعى، وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام.¹

ما دلالة الاقتصار على ذكر

المرعى عما تخرجه الأرض من

الزروع؟

ذكر المرعى يدل على لطف الله - عز وجل - بالعجماوات فيعرف منه أن اللطف بالإنسان أحرى بدلالة فحوى الخطاب.²

كيف نجمع بين هذه الآية

وبين آية سورة البقرة في قوله

تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا

فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ

إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَمِعَ

سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ (29)﴾؟

روي عن ابن عباس أنه سئل عن الجمع بين هاتين الآيتين فقال: خلق الله - تعالى - الأرض أولاً غير مدحوة، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وجعل فيها الرواسي والأنهار وغيرهما؛ أي أن أصل خلق الأرض كان قبل خلق السماء، ودحوها بجبالها وأشجارها، كان بعد خلق السماء.³

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 316)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 87)

3 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 275)

ما دلالة التعبير بالإرساء
في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ
أَرْسَاهَا﴾؟

أي أن الله - سبحانه - جعلها مراسٍ للأرض تكون سبباً لثباتها، كما أن المراسي
سبب لثبات السفينة.¹

استدل الله - عز وجل - في
هذه الآيات على البعث
بخلق السماوات والأرض،
اذكر شواهد على ذلك من
القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُنَّ
يَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَيِّطَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: 33].
قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: 99].

التفكير في خلق السماء ورفعها من دون عمد ولا تفاوت ولا فطور! وتعاقب الليل
والنهار وما فيهما من آيات! والأرض التي مهدت وبسطت وما فيها من البحار
والأنهار وما عليها من مرعى وأنعام! والجبال الرواسي كيف نصبت!
قال أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت
لله فيه نعمة ولي فيه عبرة.

ولما سُئِلت أم الدرداء عن أفضل عبادة أبي الدرداء قالت: التفكير والاعتبار.
من آثار التفكير في العبد:

- أن التفكير في الكون يورث الحكمة، ويحيي القلوب، ويغرس فيها الخوف
والخشية من الله - عز وجل -.
- أن التفكير في الكون يكشف عن عظمة الخالق في خلقه، ويجعل المرء يقر
بوحداية الله تعالى، ويتواضع لعظمته، ويحاسب نفسه على أخطائها فيزداد إيماناً
وصفاءً.
- أن التفكير في الكون يفتح آفاق المعرفة والتعلم، فحينما يتفكر المرء في الكون
يكتسب معارف جديدة وعلوً نافعاً يستفيد منها في جميع أمور حياته.

دعت السورة إلى التفكير
في خلق الله - عز وجل
- فكيف يكون ذلك وما
آثاره؟

شكر الله - عز وجل - على نعمه، وللشكر ثلاثة أركان:

- بالقلب: خضوعاً واستكانة، باللسان: ثناءً واعترافاً، بالجوارح: طاعة وانقياداً.
- ومن أبواب الشكر:
- استعمال النعمة في طاعة الله - عز وجل - واجتناب صرفها في معصيته.
- عدم الإسراف وحفظ النعم.
- تذكير الغير بها.
- ظهورها على العبد.

تلاوة

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

34. ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ فإذا جاءت القيامة الكبرى والشدة العظمى وهي النفخة الثانية.
35. ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ عندئذ يُعْرَضُ على الإنسان كل عمله من خير وشر، فيتذكره ويعترف به.
36. ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ وأظهرت جهنم لكل مُبْصِرٍ تُرَى عِيَانًا.
37. ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ فأما من تجاوز الحد في الضلال.
38. ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وفضل الحياة الدنيا الفانية على الحياة الأخرى الباقية.
39. ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ فإن النار هي مستقره الذي يأوي إليه.
40. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ وأما من خاف قيامه بين يدي ربه، وكف نفسه عن اتباع ما تحواه مما حرمه الله.
41. ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ فإن الجنة هي مستقره الذي يأوي إليه.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما دلالة التعبير (الطَّامَّةُ) في قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ) ؟	الطَّامَّة: اسم للمصيبة العظمى، التي تطمّ وتغلب وتعلو ما سواها من مصائب، وهذا الوصف ليوم القيامة، من أوصاف التهويل والشدة؛ لأن أحوالها تغمر الناس وتجعلهم لا يفكرون في شيء سواها. ²
	هل استشعرنا عظم هذا اليوم، فاستعددنا له!؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 584)

2 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 276)

• إن الذي خلق السماوات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الكثيفة الغبراء، وما فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى ومن أساء فلا يلومنّ إلا نفسه، ولهذا ذكر بعد هذا القيام الجزاء.¹

• إنه لما ذكر الله - عز وجل - ما دلّ على البعث أتبعه ما يكون مسبباً عنه.²

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ لما قبلها؟

يكون بإطلاعه على أعماله، ورؤيته إياها في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها³، فيتذكرها وكان قد نسيها، كما في قوله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: 6].

كيف يتذكر الإنسان أعماله يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾؟

أي أنها ظاهرة لكل أحد، قد برزت لأهلها، واستعدت لأخذهم، منتظرة أمر ربها⁴، والتعبير بفعل برز زيادة في تهويلها وتعظيم شأنها.

ما دلالة التعبير بـ﴿وَبُرِّزَتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾؟

قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: 23].

كيف تُحضر جهنم يوم القيامة؟

وقال رسول الله - ﷺ -: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يُجْرُوتُهَا».⁵

تجاوز الحدود في الكفر والفسوق والعصيان، بأن تجرأ على المعاصي الكبار، ولم يقتصر على ما حده الله عز وجل.⁶

ما دلالة التعبير بلفظة «طغى» في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾؟

• الطغيان من أكبر أسباب إثارة الحياة الدنيا، فلما كان مسبباً عنه ذكر عقبه.⁷

• كما أن إثارة الدنيا يزيد في الطغيان، فإذا اجتمعا ما ردع شيء صاحبها عن تجاوز حدود الله - عز وجل - والتعدي على الناس.

ما وجه تقديم الطغيان على إثارة الحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (37) وآثر الحياة الدنيا؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 909)، بتصرف
2 التفسير الموضوعي (33 / 9)
3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15 / 276)
4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 910)
5 صحيح مسلم (4 / 2184)
6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 910)، التفسير الوسيط، الطنطاوي (15 / 277)
7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30 / 91)

ما دلالة التعبير بلفظة

(وَأَتْرُ) في قوله تعالى: (وَأَتْرُ) الْحَيَاةَ الدُّنْيَا؟

الإيثار معه نبذ نعيم الآخرة، ويرجع إيثار الحياة الدنيا إلى إرضاء هوى النفس¹، وفيها دلالة على استهانتها بالآخرة والغفلة عنها، ما جعله يقدم الدنيا عليها.

ما وجه تقديم عبادة الخوف في قوله: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ؟)

• الخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، وقلَّ أن يثبت غير هذا الحاجز، فجمع الله سبحانه بينهما في السياق القرآني في آية واحدة، فالذي خلق النفس عالم بدائيتها فأرشدتها إلى دوائها.²

• الخوف حاجز عن الطغيان، فكان بالمقابلة مع قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ ظَنَى؟).

ما دلالة إضافة المقام إلى الله عز وجل -؟

تفخيم للمقام وتعظيم لهوله وموقعه من النفوس.³

ما وجه تخصيص «الهوى» في قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) مع وجود دواعٍ أخرى للمعصية؟

مخالفة الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقلَّ أن يؤتى الإنسان إلا من قبيل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها.⁴

كيف نربي أنفسنا وأبنائنا على مغالبة الهوى؟

• بناء العقيدة الصحيحة القوية في نفوسنا ونفوس أبنائنا، التي تجابه الفن المطروحة.

• التربية القرآنية ثم بالسيرة النبوية.

• المداومة على الذكر؛ فإنها تبعد الغفلة عن القلب؛ لأن القلب إذا غفل مال عن الصراط السوي.

• استشعار مراقبة الله، وأنه يعلم السر وأخفى سبحانه.

في الآيات أكثر من منهج رباي في التربية، اذكر بعضها وكيف نطبقها في حياتنا؟

• الحوار، ونستخدمه لإقناع المخالف وحثه على التفكير.

• الاستدلال بالأعلى على الأدنى.

• التذكير بالنعيم والمنعم، وما فيه من التحبيب والترغيب والإلانة للقلوب القاسية.

• تنويع الخطاب والأسلوب يساعد على الإقناع.

• الجمع بين الترغيب والترهيب.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 91)، بتصرف

2 التفسير الموضوعي (9/ 35)

3 المخرر الوجيز، ابن عطية (5/ 435)

4 التفسير الموضوعي (9/ 35)

- الإخلاص لله - عز وجل - في كل قول وعمل.
- التفكير في مخلوقات الله - عز وجل -.
- شكر الله - عز وجل - على نعمه.
- المسارعة في الخيرات وعدم التسويف.
- حفظ الجوارح، واستعمالها في طاعة الله.
- محاسبة النفس.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَحْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

42. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ يسألك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبون بالبعث: متى تقع الساعة؟
43. ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ليس لك علم بما حتى تذكرها لهم، وليس من شأنك ذلك، إنما شأنك الاستعداد لها.
44. ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ إلى ربك وحده منتهى علم الساعة.
45. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَحْشَاهَا﴾ إنما أنت منذر من يخشى الساعة؛ لأنه الذي ينتفع بإنذارك.
46. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ كأنهم يوم يرون الساعة مشاهدة، لم يلبثوا في حياتهم الدنيا إلا عشية يوم واحد أو بكرته.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
------------------	----------

لما قُضِيَ حق الاستدلال على إمكان البعث بإقامة الدليل وضرب الأمثال، وعُرض ما مناسبة الآيات لما قبلها؟ بعقاب الذين استحقوا بما كان ذلك مثاراً لسؤالهم أن يقولوا: هل لحيء هذه الطامة الكبرى وقت معلوم؟²

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 584)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 94)

<p>للدلالة على تجدد هذا السؤال وتكرره.¹</p>	<p>ما وجه التعبير بالفعل المضارع ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾؟</p>
<p>لوقوعها بغتة، أو لسرعة ما في هذا اليوم من الحساب، أو لأنه - مع طولها - زمان يسير عند الله تعالى²</p>	<p>ما دلالة التعبير عن يوم القيامة ﴿السَّاعَةِ﴾؟</p>
<p>دل الاستفهام ﴿أَيَّانَ﴾ على استبعاد وقوع يوم القيامة واستحالة عند المكذبين³، فهو سؤال استهزاء واستبعاد وليس سؤال استفسار.</p>	<p>ما دلالة السؤال بظرف الزمان ﴿أَيَّانَ﴾؟</p>
<p>تشبيهاً للأمر المغيب حصوله بسفينة ماخرة البحر لا يعرف وصولها إلا إذا رست.⁴</p>	<p>ما وجه التعبير بالإرساء في الآية؟</p>
<p>إن جبريل - عليه السلام - سأل النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهيم في البنيان، فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا - ﷺ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34]"⁵</p>	<p>لم يذكر النبي - ﷺ - وقت يوم القيامة، وذكر من علاماتها. اذكر شاهداً على ذلك.</p>
<p>توبيخهم على إلحاحهم في السؤال عنها، مع أن الأولى بهم الاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح.⁶</p>	<p>ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾؟</p>
<p>• امتثال ما أمره الله - عز وجل - به، من بيان اقتراحها، وتفصيل أهوالها، ودعوة الناس إلى حسن الاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح.⁷</p> <p>• فيها دلائل على النبوة، بأن قصر وظيفته على الإنذار دون العلم الكامل.</p>	<p>في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ بَحْثَاهَا﴾ بيان لمهمة الرسول الكريم - ﷺ -، بيئتها؟</p>

1 التحريز والتنوير، ابن عاشور (95 / 30)
2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (277 / 15)
3 لتحريز والتنوير (95 / 30)
4 التحريز والتنوير، ابن عاشور (95 / 30)
5 صحيح مسلم (39 / 1)
6 التفسير الوسيط، الطنطاوي (277 / 15)
7 التفسير الوسيط، الطنطاوي (278 / 15)

ما وجه تخصيص الإنذار لمن يخشى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا؟﴾

من يخشى مجيء الساعة لا يهمله سوى الاستعداد لها والعمل من أجلها وهو المنتفع بها، أما من لا يؤمن بما فلا يُبالى به ولا يَتَعَنُّتُهُ؛ لأن تعنته مبني على العناد والتكذيب.¹

ما دلالة التعبير بالعشية أو الضحى في قوله تعالى: ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا؟﴾

• للدلالة على أن مدة لبثهم، كأنها لم تبلغ يوماً كاملاً، ولكن ساعة منه، عشيته أو ضحاها.²

• زيادةً في تقليل المدة؛ لأن حصة الضحى أقصر من حصة العشية.³

• فيه إضافة الضحى إلى العشية؛ لأن الناس يكونون في العشية بعد أن كانوا في الضحى، فالعشية أقرب والضحى أسبق.⁴

ما حال الناس مع حقيقة هذه الحياة الدنيا وقد بيّنها الله تعالى في كتابه العزيز؟

المؤمن العاقل يفطن لهذه الحقيقة، هذه الحياة قصيرة عاجلة، هزيلة ذاهبة، زهيدة تافهة، أضمن أجل عشية أو ضحاها نضحى بالآخرة! ومن أجل شهوة زائلة ندع الجنة مثابة ومأوى! وللأسف هذا هو الواقع لو سألنا الآن، كم مضى من السنوات علينا؟ نشعر كأنه يوم واحد والإنسان الآن بين ثلاثة أشياء: يوم مضى فهذا قد فات، ويوم مستقبل لا يدري أيذكره أو لا يذكره، ووقت حاضر هو المسؤول عنه وهو الذي عليه مدار العمل، فعلياً أن نعمل ونجتهد ما دمنا في ميدان العمل ونحسب فيما بقي.⁵

تؤمن الدنيا يوم القيامة، حتى ليظن الإنسان أنه ما لبث فيها إلا القليل من الوقت، اذكر شواهد على ذلك، وعلام يدل؟

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ [المؤمنون: 113]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [المؤمنون: 113]. كل معدود فهو قصير أمام الأبد، وكذلك الدنيا، فالكَيْس الذي لا يشتري حديقاً فائياً بذهبٍ باقٍ.

المسارعة في عمل الخيرات، فإن المنيّة قد تأتي في أي لحظة وعلى أي حال، فكن مستعداً وإياك واتباع الهوى فيهوي بك في النار.

الحرص على مغالبة ما يكون بين الإخوة من سوء فهم وخصومات فإنّ الدنيا سريعة زائلة؟

• اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 910)، بتصرف
2 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 279)
3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 98)
4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 99)
5 تفسير العثيمين: جزء عم، (ص: 58)

- الاستدلال بالموت واختلاف أحواله وهي حقيقة لا ينكرها أحد، وإن كان نزع الروح بشدة وإخراجها يبسر غير مشاهد للعيان وهو من الغيبات التي لا يعلمها إلا الله - عز وجل -، ولكن المشاهد هو اختلاف الظاهر للأحوال في الموت، وهو ما يدعو إلى الاعتبار والاتعاض، خاصة بالنظر إلى نهايات الطغاة والظالمين في كل وقت وحين، والباحث في التاريخ يرى ما يشهد لذلك.
- وصف يوم القيامة وأهوالها وحال المكذب فيها، يتوافق مع بقية ما ذكر في سور القرآن الكريم، ويقرع كل قلب حي من هولها، وهذا الوصف يدعو إلى التفكير والتجرد من هوى النفس في البحث عن الحقيقة، فالخسارة لا تغتفر.
- إهلاك المكذبين مع رؤية الآيات العظيمة، وأدب الداعي في الدعوة إلى الله - عز وجل - وفرعون نموذج وغيره في التاريخ كثير.
- خَلْقُ السماوات والأرض وما فيها وهو أشد من خلق الإنسان وبعثه.
- عناية الله بالإنسان بتهيئة ما يحتاجه في حياته دليل على أنه ما خَلَقَ عبثًا.
- وصف مصير الفريقين (المكذب والمؤمن) وما فيه من حكمة بالغة بعدم جعل الطاغية كمن نهي نفسه عن هواها.
- بيان أن سبب التكذيب هو هوى النفس وركونها إلى ملذات الدنيا الفانية.
- تبرؤ النبي ﷺ من معرفة وقت القيامة، ولو كان من عنده لما وصف نفسه بعدم العلم بما.

خاطبتِ السورة العقل
البشري بما يناسبه من الأدلة
لتقييم عليه الحجة وتثبيت
البعث والحساب وذلك من
عدة أوجه، وضحها.

- حب الله - عز وجل - الذي علمنا وهدانا إلى الحق، وخلقنا وخلق لنا ما تستقيم به حياتنا في الدنيا، وهدانا إلى الفوز في الآخرة.
- التفكير وهو القيمة التي تعالجها السورة من بدايتها إلى نهايتها، وهو من أهم وسائل ترسيخ العقيدة الصحيحة القوية التي تقف - بإذن الله تعالى - أمام الشبهات.
- النواضع من خلال بيان مصير المتكبر الذي بطر الحق وأعرض عنه كبيرًا وعلوًا، وبيان تواضع موسى - عليه السلام -.
- أدب الدعوة إلى الله - عز وجل -.
- اللين والرفق فإن كان ذلك مع فرعون فمن باب أولى مع من هو دونه في الكفر والطغيان.
- الخوف من الله - عز وجل - ورجاؤه.
- إيثار الآخرة على الدنيا فهي سبيل النجاة.
- لجم النفس وعدم ركونها إلى هواها حتى يكون فيما يرضي الله - عز وجل -.
- حب الملائكة الكرام الخاضعين لله - عز وجل - والافتداء بهم في طاعتهم لله - عز وجل - ومسارعتهم للاستجابة لأمره.

اذكر بعضًا من القيم التي
تغرسها السورة.

- قيمة يوم القيامة، والبعث والجزاء والاستعداد له بداية من أول منازل وهو الموت.
- اخوف من الطغيان لمعرفة عواقبه في الدنيا والآخرة.
- قيمة الجنة والسعي للفوز بها، وقيمة النار والسعي للنجاة منها.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- ذكر بعض أوصاف الملائكة ومهامهم، ومنها إخراج روح الإنسان.
- بيان حال المؤمن والكافر عند قبض الأرواح.
- بيان حال الكافرين المكذبين يوم القيامة وما هم فيه من الفزع والخوف والذلة والصغار.
- بيان حال المكذبين والمستبعدين للبعث والجزاء في الدنيا، وناسب ذلك إيراد قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون الطاغية الجبار الذي ادّعى الربوبية، ثم أهلكه الله وجنّوده بالغرق في البحر؛ للعتبة والعبرة، والدلالة على كمال القدرة الإلهية.
- ذكرت السورة عددًا من الأدلة على البعث، منها قدرة الله - عز وجل - وإنعامه على خلقه، بخلق السماوات والأرض والجبال والمتاع، التي تُوجب الخضوع والخشوع له وحده سبحانه.
- أوردت السورة بعد ذلك بعضًا من أهوال يوم القيامة، وانقسام الناس فيه إلى فريقين: سعداء وأشقياء، حسب ما كان منهم من عمل في هذه الحياة الدنيا، فأما من عتا وتمرّد وتكبّر وتجاوز الحد في الكفر والعصيان، وقدم الحياة الدنيا على الآخرة، فأواه ومستقره النار، وأما من حذر مقامه بين يدي ربه، وزجر نفسه عن المعاصي والمحارم، فمثواه ومستقره الجنة.
- وختمت السورة بسؤال المشركين عن ميقات الساعة، وتفويض أمرها إلى الله - تعالى -، وتأكيد حدوثها، وذهول المشركين من شدة هولها، ومعرفتهم أن مكثهم في الدنيا كمقدار عشية أو ضحاها.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الاستعداد للموت بالسعي لرضا الله والمداومة والقيام على طاعته - عز وجل -.
- الدعوة إلى الله والعمل لدينه بالحكمة والموعظة الحسنة.
- التفكير والتأمل في مخلوقات الله العظيمة التي تدل على عظمة خالقها وبارئها.
- الخوف من الله وتقديم رضاه - سبحانه - وَحَيَّاهُ على هوى النفس وشهواتها.
- الحذر من الظلم والطغيان.
- إثارة الآخرة الباقية على الدنيا الفانية.

فوائد تربوية من السورة

- الجمع بين الترغيب والترهيب في التربية، وتقديم ما يقتضيه الحال.
- التفكير في خلق الله - عز وجل - والاستدلال عليه - سبحانه وتعالى - وعلى البعث والجزاء حتى تُبنى عقيدة قوية سليمة، وإيمان راسخ ثابت أمام الشبهات.
- الاعتبار بمصير الطغاة والظالمين.
- بيان أهمية الدعوة إلى الله - عز وجل - والتأدب فيها.
- التربية على اختيار الألفاظ المناسبة للمخاطب.
- ليس على الداعية إلا إرشاد الناس إلى الحق بأفضل وسيلة مناسبة مهما بلغ المدعو من الطغيان والتجبر.
- تربية الأبناء على العمل، والاستعداد لليوم الآخر، وهوان الدنيا، فلا قيمة لشيء إذا جاءت الطامة.
- التربية على هوان المصيبة مهما بلغت، والالتجاء إلى الله - عز وجل - فليس أعظم من مصيبة الطامة الكبرى.
- تعليق الأبناء بالله - عز وجل - وتعريفهم بأسماء الله وصفاته، وترغيبهم برحمة الله - عز وجل - والرضا بقدره وحكمه.
- تعلم الأدب والنظام.

رسائل

- ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَنْبَصُورًا ۝ أَنْبَصُرُهَا حَشِيْعَةً ۝﴾ إذا وجفت القلوب وخشعت الأبصار فما لنا إلا الواحد القهار.
- ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَيَّجَ﴾ لا تزكية بغير اتباع الوحي.
- ﴿مَتَاءًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ فهلا شكرنا!!!
- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ ماذا أعددتنا لهذا اليوم العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين!!
- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ لنجعل أعمالنا أجمل ذكرى ليوم القيامة.
- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ليست قيمة الزمن في كثرة ساعاته ولكن في عظم مدخراته.

080. سُورَةُ عَبَسَ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورتنا تدور حول تصحيح منهج الداعية بما يلائم قيمة الدعوة وتوجيهها، كذلك تصحيح القيم الإنسانية، ووضع الأسس الإسلامية لأقدار الناس وأوزانهم، وتؤكد أن قيمة الإنسان بعمله وسلوكه، واتباعه لهدي السماء. **تهيئة:**
سورة مكية، عاتب الله فيها نبيه محمد - ﷺ - ليربيه، ويعلمه، ويهذب أمته من بعده.

تعريف السورة:

اسم السورة:	سورة «عبس»، سورة «السفرة»، سورة «الصاخة»، سورة «الأعمى». ¹
نوع السورة:	مكية بإجماع المفسرين. ²
عدد آياتها:	أَرْبَعُونَ آيَةً فِي الشَّمَامِيِّ وَإِخْدَى وَأَرْبَعُونَ فِي عَدَدِ أَبِي جَعْفَرٍ وَالْبَصْرِيِّ وَاثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ فِي عَدَدِ الْبَاقِيْنَ. ³
سبب نزولها:	أخرج الترمذي، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أنزلت (عَبَسَ وَتَوَلَّى) في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله - ﷺ -، فجعل يقول: يا رسول الله، أرشدني، وعند رسول الله - ﷺ - رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله - ﷺ - يعرض عنه، ويقبل على الآخر، فيقول له: أتري بما أقول بأسًا؟ فيقول: لا، فنزلت: (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى). ⁴ ولا خلاف في أن المراد بالأعمى هو ابن أم مكتوم. ⁵
فضل السورة والآثار الواردة فيها:	لم يرد فيها فضل خاص أو أثر صحيح.

1 انظر: التفسير الموضوعي (37/9)، أسماء سور القرآن وفضائلها (480/1-483)، تفسير القاسمي = محاسن التأويل (404/9)، فتح القدير للشوكاني (462/5)

2 التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (37/9)

3 البيان في عد آي القرآن (ص: 264)

4 أخرجه الترمذي في سننه (289/5)، الحديث رقم: (3331)، تحقيق الألباني: صحيح الإسناد، في كتابه صحيح وضعيف سنن الترمذي (331/7) الحديث رقم:

(3331)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (103/30)

المناسبة بين سورة عبس وسورة النازعات:

- في كلتا السورتين ذكر - سبحانه - الدعوة إلى الله - عز وجل -، ففي النازعات ذكر الله - سبحانه وتعالى - قصة موسى مع فرعون وهو سيد قومه أرسل الله - عز وجل - إليه موسى - عليه السلام -؛ ليدعوه، لكنه كفر وعتا عن أمر ربه، وهذه السورة جاءت؛ لتبين للنبي ﷺ أن كبار القوم وعليتهم إن لم يؤمنوا فإنهم لن يؤثروا في الدعوة ولا يجب الانشغال بهم عن غيرهم من المستضعفين الراغبين في المعرفة والعلم.¹
- في كلتا السورتين جاء ذكر فضل الله - تعالى - على الإنسان بقوله - تعالى -: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَعْمَالِكُمْ﴾، ففي سورة النازعات جاءت هذه الآية بعد ذكر السماء والليل والنهار والأرض والجبال، فجاءت بشكل عام، وفي هذه السورة كان التفصيل والبيان بذكر أنواع الثمار.²
- في كلتا السورتين جاء اسم من أسماء يوم القيامة مشابه في لفظه للثاني، ففي سورة النازعات ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ وفي سورة عبس ﴿الصَّاحَّةُ﴾.
- في السورتين كانت النهاية بذكر يوم القيامة، ففي النازعات كان بيان مصير الفريقين دون تفصيل، وجاءت سورة عبس؛ لتبين وتفصل بعضًا مما يكون في ذلك اليوم.³

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة عبس وسورة التكويد:

- توضح كل من السورتين أهوال القيامة وشدايدها، ففي سورة عبس، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ﴿١﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢﴾ وَأُمِّهِهٖ وَأَبِيهِهٖ ﴿٣﴾ وَصَلْبَتِيهِهٖ وَبَنِيهِهٖ ﴿٤﴾ لِكُلِّ أَمْرِي مِّنْهُمُ يَوْمَ يَوْمٍ يَمِيزُ شَأْنَ يُغْنِيهِهٖ ﴿٥﴾﴾، وقال - سبحانه وتعالى - في سورة التكويد: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَلْتَهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾﴾.
- فلما ذكر - سبحانه وتعالى -: (الطَّامَّةُ وَالصَّاحَّةُ) في خاتمتي السورتين المتقدمتين، أردفهما بذكر سورتين مشتملتين على وصف أهوال القيامة.

مناسبة السورة لما بعدها:

حقيقة دعوة القرآن، وكرامة من ينتفع بها، وحقارة من يُعرض عنها.⁴

من مقاصد السورة:

- من الآية (1) إلى الآية (10): عتاب الله لرسوله - ﷺ -.
- من الآية (11) إلى الآية (16): تنويه بالقرآن الكريم.
- من الآية (17) إلى الآية (23): تفرغ للإنسان الكافر بربه.
- من الآية (24) إلى الآية (32): دعوة للتفكير في دلائل قدرة الله - عز وجل - والبعث في طعام الإنسان.

1 التفسير الموضوعي (39/9)

2 التفسير الموضوعي (39/9)

3 التفسير الموضوعي (39/9)

4 المختصر في تفسير القرآن الكريم (585/1)

- من الآية (33) إلى الآية (37): أهوال القيامة وانشغال الناس عن بعضهم.
- من الآية (38) إلى الآية (42): حال المؤمن وحال الكافر.

تلاوة

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾
أَمَّا مَنْ اسْتَغْفَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾
وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ قطب رسول الله - ﷺ - وجهه وأعرض.
2. ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ من أجل مجيء عبد الله بن أم مكتوم يسترشد، وكان أعمى، جاء والرسول - ﷺ - منشغل بأكابر المشركين أملاً في هدايتهم.
3. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ وما يُغْلِمُكَ - أيها الرسول - لعل هذا الأعمى يتطهر من ذنوبه؟!.
4. ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ أو يتعظ بما يسمع منك من المواعظ، فينتفع بما.
5. ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْفَى﴾ أما من استغنى بنفسه بما لديه من المال عن الإيمان بما جفت به.
6. ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ فأنت تتعرض له، وتقبل إليه.
7. ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ وأي شيء يلحقك إذا لم يتطهر من ذنوبه بالتوبة إلى الله.
8. ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ وأما من جاءك يسعى بحثاً عن الخير.
9. ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ وهو يخشى ربه.
10. ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ فأنت تتشاغل عنه بغيره من أكابر المشركين.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرية
<p>الفعلان (عبس - تولى) يُشعران بأن المحكى حدث عظيم،¹ وفي هذا بيان بضرورة المساواة في شأن الإنذار وتبليغ الدعوة دون تمييز بين فقير وغني، وقوي وضعيف، وألاً نتجاوز ذوي الحاجة، فقد يكون فيهم من الخير ما لا يكون في غيرهم،² وكلهم عباد لله - عز وجل -، معنيون بالدعوة، وهذا فيه تأديب للأمة وللدعاة خاصة، في شخصية رسول الله - ﷺ -.³</p>	<p>ما دلالة افتتاح السورة بالعتاب من الله تعالى لنبيه - ﷺ - في رجل أعمى من عامة الناس في قوله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى)؟</p>
<p>تكريم للنبي - ﷺ - لإيهام أنّ من صدر عنه ذلك غيره،⁴ وفي ذلك تلميح من الله - عز وجل - برسوله - ﷺ -، وتكوين لوقع العتاب، فكأن الحديث عن شخص غيره.</p>	<p>ما وجه التعبير بضمير الغائب في قوله تعالى: (عَبَسَ)؟</p>
<ul style="list-style-type: none"> • للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول - ﷺ - وتشاغله بالقوم. • وصف يناسب الإقبال عليه والتعطف. • دفع إيهام الاختصاص بالأعمى المعين. • إيماء إلى أن كل ضعيف يستحق الإقبال من مثله.⁵ • ترفيقاً لقلب النبي - ﷺ - لما كان صاحب ضرارة فهو أجدر بالعناية به؛ لأن مثله يكون سريعاً إلى انكسار خاطره.⁶ • حث على كمال الأخلاق، فمع أن المعاتب فيه أعمى لم ير هذا العبوس، ولم يشعر به، ومع ذلك عوتب فيه خير البشر - ﷺ -. 	<p>ما دلالة التعبير عن ابن أم مكتوم بالأعمى؟</p>
<ul style="list-style-type: none"> • بيان عناية الإسلام بالضعفاء، وحثه على العدل مع الجميع. • مكانة الرسول - ﷺ - بدليل التلطف بعبابه. • ضرورة الإقبال على طالب العلم وتعليمه. • العمى عمى البصيرة. • الداعي إلى الله عليه البلاغ، وليس عليه هداية الناس وإنما أمرهم إلى ربهم. • صدق الرسول - ﷺ - في تبليغ الوحي، بذكره لهذا العتاب. 	<p>ما الفوائد التربوية التي نأخذها من هذه الآية؟</p>

1 انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (103/30، 105)

2 التفسير المنير، الزحيلي (62/30)، بتصرف

3 أضواء البيان، الشنقيطي (432/8)

4 بحر العلوم، السمرقندي (546/3)

5 روح المعاني، الألويسي (242/15)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (104/30)

- تعلم الأدب في العتاب خاصة مع من له فضل ومكانة، ومن عرف عنه حسن الخلق.
- الكمال لله - عز وجل -، فلا نطلبه ممن يحيط بنا، فكل بني آدم خطأ، والتغافل من حسن المعاشرة.
- فهلا أقبلنا على الضعفاء والمساكين، وتلمسنا حاجاتهم وقدمنا إليهم المعونة.

ما فائدة الالتفات من صيغة الغائب إلى المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ؟﴾

- فيه من الإيناس بعد الإيحاء، والإقبال بعد الإعراض.
- وفيه خفة انصراف العتاب المباشر بهذا الأسلوب اللطيف.¹

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ يَزْكِي (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى؟﴾

- الاتصاف بالأخلاق الجميلة والتطهر من الرذائل مقصود الدعوة إلى الله تعالى.
- الانتفاع بالتذكرة والعمل بما، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ.²
- المقبل على العلم هو أول من يحصل له الاعتاض والانزجار عن المحارم.³
- قَدَّمَ التَّزْكِيَّ عَلَى التَّذَكُّرِ؛ لتقدم التخلية على التحلية.
- في الآية تعريض وإشعار بأن من تصدى - ﷺ - لتزكيتهم وتذكيرهم من الكفرة لا يُرجى منهم التزكي والتذكر.⁴

ما دلالة التعقيب بقوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَعَى؟﴾

- في ذكر وصف الاستغناء إشارة إلى الكبر والاكتماء والإعراض عما يدعو إليه النبي - ﷺ -، فالمستغني - كما أورد ابن عاشور - من عدّ نفسه غنيًّا عن الهدى بأن أعرض عن قبوله.⁵

ما فائدة التعبير بالتصدي في قوله تعالى: ﴿تَصَدَّى؟﴾

- بيان حرص النبي - ﷺ - على دعوته - مع إعراض المدعو - رجاء إسلامه.⁶

ما دلالة النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي؟﴾

- رفع الحرج عن النبي - ﷺ -، فالإيمان والهداية بيد الله - عز وجل -، وما عليك إلا البلاغ، فلو لم يتزكَّ، فلست بحاسب على ما عمله من الشر.⁷
- وفي ذلك تخفيف على الدعاة في حمل هم التوفيق، فما على الداعية إلا البلاغ والبيان والإرشاد.

1 انظر: روح المعاني، الألوسي (242/15)

2 انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (910/1)، تفسير العنيمين: جزء عم (60/1)

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/319)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 911)

4 روح المعاني، الألوسي (242/15)

5 التحرير والتنوير (107/30)، بتصرف

6 انظر: التحرير والتنوير (107/30)

7 تفسير إحياء التراث، البغوي (210/5)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 911)

فعل ﴿يَسْعَى﴾ يدل على الاستعجال والمسارعة؛ وهذا دليل على حرص الصحابي على طلب العلم،¹ وهذا شأن من رام معرفة الحق، أن يبحث الخطى إليه؛ سعياً إلى المعرفة والنجاة.

الخشية تدل على خوف طالب العلم من الله - عز وجل -². فالسعي يدل على الحرص وبذل الجهد، والخشية تدل على المحرك الأساسي والقصد، وهو الخوف من الله - عز وجل - والرغبة فيما عنده.

ما الهداية المستفادة من
قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ
يَسْعَى، وَهُوَ يُخْشَى؟﴾

إن «في تقديم ضميره - عليه الصلاة والسلام - على الفعل تنبيه على أنّ مناط الإنكار خصوصيته، أي مثلك خصوصاً لا ينبغي أن يتصدى للمستغني ويتلّه عن الفقير الطالب للخير»،³ وهذا الأسلوب أبلغ في النهي.

ما مناسبة تقديم الضمير
في قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ
تَلْهَى؟﴾

- الإقبال على طالب العلم المفتقر إليه، الحريص عليه أكثر من غيره.
- عدم الحرص الشديد على هداية وصلاح من لم يقبل على الهداية والتعلم، فلا يدفعهم الحرص على إسلام الكافر إلى التصدير في حق المسلم.
- عدم اختصاص الإنذار بأحد، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.⁴
- لا بد من الموازنة في المصالح، والعمل بالقاعدة الفقهية المشهورة: «لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة».⁵

في عتاب الله لنبيه - ﷺ -
- منهج للداعية في الدعوة
أذكره.

- إنّ الإنسان مُعَرَّضٌ للخطأ وكل بني آدم خطأ، فلا ندقق في محاسبة بعضنا بعضاً، بل نتجاوز عسى الله أن يتجاوز عنا.
- إنّ العتاب أمر مشروع، ولكن لا بد أن يكون باعتدال، ومناسباً للمقام وللخطأ، فلا نبالغ بما يكدر الصفو ويأتي بالنفرة.
- إنّ الإكرام والإحسان لمن أسأنا إليه سواء بقول أو فعل خلق رفيع، وقد كان رسول - ﷺ - مكرماً لابن أم مكتوم - رضي الله عنه - .
- إنّ مجرد العبوس، أنزل من أجله قرآن يُتلى إلى قيام الساعة، فلنحذر من إيذاء الآخرين بما يجرحهم من قول أو فعل أو إشارة، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1].

كيف نربي أنفسنا وأولادنا
من خلال عتاب الله لنبيه - ﷺ -
في قصة الأعمى؟

1 ينظر: تفسير القرطبي، القرطبي (215 / 19)
2 تفسير القرطبي، القرطبي (215 / 19)
3 إرشاد العقل السليم، أبو السعود (108 / 9)
4 تفسير ابن كثير، ت: سلامة (8 / 319)
5 ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (1 / 910)، بتصرف

- الاهتمام بالضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة، وتلمس حاجاتهم، والإقبال عليهم.
- نري أبناءنا بقص القصص عليهم، والتعقيب عليها بما أوردناه من فوائد.

تلاوة

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

11. ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ليس الأمر كذلك، إنما هي موعظة وتذكير لمن يقبل.
12. ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ فمن شاء أن يذكر الله ذكره، وأتَّعظ بما في هذا القرآن.
13. ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ فهذا القرآن في صحف شريفة عند الملائكة.
14. ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ مرفوعة في مكان عالٍ، مطهرة لا يصبها دَسٌّ ولا رِجْسٌ.
15. ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ وهي بأيدي رسل من الملائكة.
16. ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ كرام عند ربهم، كثيري فعل الخير والطاعات.¹

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ لما قبلها؟	بعد ما ذكر - سبحانه - تصليِّي الرسول - ﷺ - لمن استغنى عن الدعوة والإيمان، بيّن علو رتبة القرآن العظيم الذي هو أساس هذه الدعوة وأنه موعظة حقيقية بالاعتاظِ بها. ²

ما مناسبة افتتاح الآية بكَلَّا في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾؟	للزجر والردع، فقد ارتفعت نبرة العتاب هنا، ³ عندما تصدى - ﷺ - لمن استغنى عمّا دعاه إليه من الإيمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم معرضاً بسبب ذلك عن إرشاد من يسترشده. ⁴
	وقيل: للإبطال، إبطال لما جرى في الكلام السابق ولو بالمفهوم أو أنه للتأكيد، ⁵

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 585)

2 إرشاد العقل السليم، أبو السعود (9/ 109)، بتصرف

3 انظر: التفسير الموضوعي (9/ 41)

4 إرشاد العقل السليم، أبو السعود (9/ 109)

5 انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 114)

أي الحرص والإلحاح على من لا يريد الحق والتذكر أمر لا ينبغي¹.

الغاية من إرسال الرسل الوعظ والتذكير².
آيات القرآن تذكر الإنسان بما ينفعه وتحثه عليه، وتذكر له ما يضره وتحذره منه
ويتعظ بها القلب³.
وفيه بيان علو رتبة القرآن وأنه موعظة حقيقية للاتعاط به⁴.

ما دلالة وصف القرآن
بالتذكرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا
تَذْكُرَةٌ﴾؟

جعل الله - عز وجل - للإنسان الخيار قدرًا بين أن يؤمن ويكفر، أما شرعًا فإنه لا
يرضى لعباده الكفر، وليس الإنسان مخيرًا شرعًا بين الكفر والإيمان، بل هو مأمور
بالإيمان ومفروض عليه، لكن من حيث القدر هو مخير⁵.
ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ
فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا
بِنَارٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29]،
في هذه الآية خير الله - سبحانه وتعالى - الناس بين الكفر والإيمان وتوعد من
اختار الكفر بنار جهنم.

علام تدل المشبئة في قوله
تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾؟

- علام يدل وصف الله - عز وجل - لكتابه بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾؟
- دلالة على حفظ الله لكتابه بأن جعل هذه الصحف مرفوعة القدر والرتبة.
- مُطَهَّرَةٌ من الآفاق وعن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها.
- جعل السفراء في كتابه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقباء الأتقياء.
- هذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول⁶.
- استشعار عظمة القرآن وعلو قدره وطهارته⁷.
- سَفَرَةٌ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ؟

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: 21].
وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: 77].
وقال تعالى: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: 2].
وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79].

حفظ الله كتابه وطهره، اذكر
شواهد على ذلك.

1 أضواء البيان، الشنقيطي (433/8)، بتصرف
2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (910/1)
3 انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (109/9)
4 انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (109/9)
5 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (61/1)
6 انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (911/1)
7 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (321/8)، بتصرف

على حامل القرآن أن يقتدي بالملائكة حاملة القرآن الكريم، ويتصف بصفاتهم الكريمة، فخلقهم كريم حسن، وأخلاقهم وأفعالهم بارة كاملة طاهرة، وهذا ما يجب أن يتصف به حافظ القرآن العامل به حتى يكون مع هؤلاء الملائكة كما قال النبي - ﷺ -: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»¹.
فليس حافظ القرآن من حفظ حروفه، ولكن من حفظ حدوده وعمل به.

وصف الله الملائكة الموكلة
بصحف القرآن بأوصاف
كريمة، كيف يستفيد حافظ
القرآن وحامله من هذه
الأوصاف؟

- استحضار القلب عند تلاوته، والتفكير في آياته، واستشعار ما فيه من مواعظ.
- افتتاح القراءة بالاستعاذة، وألا يقطع التلاوة وسط آية أو معنى لا يصلح الوقف عليه لمكالمة الناس أو لغير ضرورة.
- تحسين الصوت بالقراءة.
- تعاهد الفم بالسواك عند قراءة القرآن.
- عدم وضع أي شيء على المصحف، فإنه يعلو ولا يُعلَى عليه.
- ترك تناوله باليد اليسرى تكرماً لكتاب الله - عز وجل -، فقد كان النبي - ﷺ - يعجبه اليمين.
- ألا يستدير المصحف، ولا يجتاز من فوقه وغير ذلك.

حفظ الله كتابه وطهره في
الملأ الأعلى، فما آداب
قراءة القرآن الكريم؟

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿٧٥﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿٧٦﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٧٩﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٨٠﴾ كَلَّا لَمَّا يُقْضَىٰ مَا أَمَرَهُ ﴿٨١﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

17. ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ لعن الإنسان الكافر، ما أشد كفره بالله!
18. ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ من أي شيء خلقه الله حتى يتكبر في الأرض ويكفره؟!
19. ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ من ماء قليل خلقه، فقدّر خلقه طويلاً بعد طور.
20. ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ثم يسّر له بعد هذه الأطوار الخروج من بطن أمه.
21. ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ثم بعد ما قدّر له من عمر في الحياة أماته، وجعل له قبراً يبقى فيه إلى أن يُبعث.
22. ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ ثم إذا شاء بعثه للحساب والجزاء.

23. ﴿كَلَّا لَنَا يَفْضُ مَا أَمَرُهُ﴾ ليس الأمر كما يتوهم هذا الكافر أنه أدى ما عليه لربه من حق، فهو لم يؤد ما أوجب الله عليه من الفرائض.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
بعد ما عاتب الرب تبارك وتعالى رسوله - ﷺ - على انشغاله بأولئك الكفرة المشركين، وكانوا هم السبب في إعراضه - ﷺ - عن ابن أم مكتوم، وفي عتاب الله له؛ فاستوجبوا لذلك لعنة الله عليهم لكفرهم وكبريائهم، فجرد الله تعالى شخصاً منهم غير معلوم، والمراد به كل كافر متكبر مثلهم، حيث قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾. ²	ما مناسبة الآيات في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ لما قبلها؟
توبيخ للإنسان وزجر وتأنيب له ودعاء عليه بأشنع دعوة، ما دام أنه ليس في قلبه إيمان ولا حياة، فالموت أجدر به. ³	ما وجه التعبير بالقتل في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾؟
فيه تعجب من حال إفراطه في الكفران، وتلقي نعم خالقه بالبحود والطغيان، ⁴ وكثرة تكذيبه دون الاستناد إلى علم. ⁵	ما دلالة تخصيص كفر النعم في توبيخ الإنسان في قوله تعالى: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾؟
• في السؤال تنشيط للعقل ولفت للأنظار، وهو أسلوب مناسب لتبنيه من كُفْرهم كفر جهالة لا عناد وجحود. • ذكر الإنسان بأصل خلقه المهين لئلا يتكبر على عبادة الله - عز وجل -، ودلالة على قدرة الله - عز وجل - بإعادته كما بدأه، ⁶ وهذا يقتضي من الإنسان شكراً لا كُفراً وتقصيراً.	علام يدل الاستفهام وذكر خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾؟
إذا علمت أن خلقك - أيها الإنسان - من نطفة، ثم كنت جنيناً في بطن أمك لا حول لك ولا قوة، فَسَيَّرَكَ ربك وسلك لك السبيل للخروج، ولولا رحمة الله ما خرجت، فكيف تستغني عن ربك وتكفر وتجدد نعمه، وتنسى ربك وذكره.	ما أثر قوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ في أنفسنا؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 585)

2 انظر: أيسر التفاسير، الجزائري (1/ 1447)

3 انظر: غرائب القرآن ووعائب الفرقان، النيسابوري (6/ 448)

4 غرائب القرآن ووعائب الفرقان، النيسابوري (6/ 448)

5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 322)

6 انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 322)، تفسير السعدي (1/ 911)

فينبغي لنا حمد الله كثيراً وتعظيمه، وذكره وشكره، والاجتهاد في الطاعات، وألا نكون ممن يكفر بالله وبنعمه، ويستغني عن هدايته وتوفيقه.
فلو أدخلنا قطرة ماء ما استطعنا إخراجها إلا بقدره الله - عز وجل -، فبم نستغني؟!

- يدل على أن الله - عز وجل - هو المفرد بتدبير الإنسان وتصريفه بهذه التصاريف، لم يشاركه فيه أحد.¹
- التذكير بمنة الله على الإنسان بأن يسّر له الأسباب الدينية والدينية،² يسّر له خروجه من بطن أمه،³ ويسّر له سبيل العمل الإنساني وذلك أعجب في الدلالة على بديع صنع الله - عز وجل -؛ لأنه أثر العقل وهو أعظم ما في خلق الإنسان، وهو أقوى في المنة.⁴
- وقابل فـ(أَمَاتَهُ) مقابل خلقه و(فَأَقْبِرَهُ) مقابل (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ)؛ لأن الإقبار إدخال في الأرض، وهو ضد خروج المولود إلى الأرض.⁵

ما وجه امتنان الله - عز وجل - على الإنسان بقوله تعالى: (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبِرَهُ)؟

- بإكرامه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها على وجه الأرض.⁶
- هلا استشعرنا إكرام الله - سبحانه - للإنسان المسلم بدفنه، خلاف كثير من الديانات الباطلة التي أهانت الإنسان حياً وميتاً.

ما وجه امتنان الله - عز وجل - على الإنسان بالإقبار؟

- إثبات بعث الله للإنسان بعد الموت.⁷
- التعليق بالمشيئة إشعار بأن وقت الساعة لا يعلمه إلا هو، فهو الذي استأثر بعلمه، وهو القادر على تقديمه وتأخيرها، وهو القاهر فوق عباده، وذو السلطان عليهم في إحيائهم وإماتتهم، وبعثهم وحشرهم، وحسابهم على ما قدموا من عمل، خيراً كان أو شراً.⁸

علام يدل التعبير بالنشور في قوله تعالى: (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ)؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (911/1)
2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (911/1)
3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/322)
4 التحرير والتنوير (30/123)
5 التحرير والتنوير (30/123)
6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (911/1)
7 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/323)
8 تفسير المراغي (30/45)

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم: 20).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: 259].

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: 78-79).

وهذا الحديث ثابت في صحيح مسلم، عن أبي هريرة قال رسول الله - ﷺ -: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْتَلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجَبُ الدُّنْيَا، وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»¹.

البعث والنشور واقع لا محالة، والله - سبحانه - يبعث من في القبور، اذكر شواهد على ذلك من القرآن والسنة.

مهما بلغ الإنسان من عبادته لله - عز وجل - فإنه لا يؤدي ما أمره الله به، فهي دلالة على تقصير الإنسان فيما فرض الله عليه من الفرائض.²
قال مجاهد: لا يقضي أحد أبدًا ما افترض الله عليه.³
فهلا استشعرنا رحمة الله بنا أن يكفر عنا سيئاتنا ويغفر لنا مع تقصيرنا! فنتجهد في العمل ونقطع طول الأمل.

ما دلالة الزجر في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ؟﴾

ترينا هذه الآيات على التواضع، والشعور بالتقصير في جنب الله - عز وجل -، كما تدفعنا إلى شكر الله - عز وجل - والاجتهاد في طلب الهداية والسعي فيما يرضي الله - عز وجل -.

علام تربيانا هذه الآيات؟

تلاوة

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^١ ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾^٢ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾^٣ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾^٤ ﴿وَعَبَبًا وَقَضْبًا﴾^٥ ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾^٦ ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾^٧ ﴿وَفَكْهَةً وَأَبَّا﴾^٨ ﴿مُتَعَا لَكُمْ وَلَا نَعْمِيكُمْ﴾^٩.

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

24. ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الذي يأكله كيف حصل!؟

25. ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ فأصله من المطر النازل من السماء بقوة وغازة.

1 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ما بين الفختين (2270/4)، الحديث رقم: (2955)

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/323)، بتصرف

3 المحرر الوجيز، ابن عطية (439/5)

26. ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ ثم فَتَقْنَا الأرض فانشقت عن النبات.
27. ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ أنبتنا فيها الحبوب من قمح وذرة وغيرها.
28. ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ وعنبًا وقثًا رطبًا؛ ليكون علفًا لدوابهم.
29. ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ وزيتونًا ونخلًا.
30. ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ وبتاتين كثيرة الأشجار، (غلبًا: أي كثيرة الأشجار والواحدة غلباء كحمراء كثيفة الشجر).¹
31. ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ وأنبتنا فيها فاكهة، وما ترعاه بهائمكم.
32. ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ لانتفاعكم، وانتفاع بهائمكم.²

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
بعد بيان الدلائل على قدرة الله تعالى وتعداد نعمه في الأنفس البشرية، ذكر الله - عز وجل - دلائل الآفاق الدالة على وحدانيته تعالى، وعدّد النعم التي يحتاج إليها الإنسان لقوام حياته، فدعاه إلى التأمل في شيء محسوس قريب تشتد الحاجة إليه، ألا وهو الطعام. ³	ما مناسبة قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ لما قبلها؟
• دعوة إلى النظر والتأمل والتفكير في أقرب ما يكون للإنسان وأشد ما يكون في حاجة إليه وهو قوام حياته، وهو الطعام، ⁴ وهذا ما يعينه على طاعة خالقه، وإخلاص العبادة له. ⁵	ما المراد بالنظر في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ وعلام يدل أمر الله تعالى به؟
• في الأمر بالنظر إرشاد له إلى التفكير في الطعام كيف يصل إليه بعد ما تكررت عليه طبقات عديدة ويسره الله - عز وجل - له. ⁶	
• فيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظامًا بالية وترابًا مرمقًا. ⁷	

1 أيسر التفاسير، الجزائري (5/ 519)

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 585)

3 التفسير المنير، الزحيلي (30/ 70)

4 انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 323)

5 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 290)

6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 911)

7 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 323)، التفسير المنير، الزحيلي (30/ 70)

في إضافة الطعام إلى الإنسان دليل على قربه منه، وغفلته عما فيه من الدلالات؛ لأنه لم يبد منه بمقتضى التكرار والعادة.¹
وفيه تنبيه على أن طعام الإنسان الذي هو قوام حياته، إنما هو بتدبير الله - عز وجل - وتصريفه وخلقه للخلق، فماذا يملك الإنسان في الحقيقة إن لم يملك طعامه؟! فبم يتكبر؟
كما أن فيها تنبيه؛ لأن إلف النعمة يسبب الغفلة عن استشعارها وشكر المنعم بها.

علام يدل إضافة الطعام
إلى الإنسان في قوله تعالى:
(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى
طَعَامِهِ؟)

امتنان الله - عز وجل - على عباده بإنزال الماء من السماء إلى الأرض، إنزالاً مصحوباً بالقوة والكثرة، لحاجتهم الشديدة إليه في حياتهم.²

ما دلالة التعبير بالصب في
قوله تعالى: (أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ
صَبًّا؟)

فيها امتنان بنعمة أخرى - وهي نتيجة لنعمة نزول المطر -، وهي شق الأرض شقاً مشاهدًا مرئيًا لمن نظر إليها بعد أن كانت متماسكة الأجزاء فتقًا لإخراج الحب نباتًا.³

ما فائدة التعقيب بقوله
تعالى: (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ
شَقًّا؟)

إثبات قدرة الله على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظامًا بالية بدلالة إحياء النباتات من الأرض الهامدة.⁴
وفيه دلالة على عناية الله - عز وجل - بالعباد، وعلى سنة الأسباب والمراحل.

بعد صب الماء وشق الأرض
جاء إنبات الحب في قوله
تعالى: (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا)
فعلام يدل ذلك؟

لكثرة فوائدها ومنافعها.⁵
ومنافع شجر النخيل كثيرة لا تقتصر على ثمره، فذكر اسم الشجرة الجامعة لهذه المنافع أجمع في الاستدلال بمختلف الأحوال وإدماج الامتنان بوفرة النعم.⁶

ما دلالة تخصيص هذه
الأصناف الأربعة في قوله
تعالى: (وَعِنَبًا وَقَضْبًا،
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا؟)

ذكرت الحدائق بالجمع
ووصفت بـ(عُلبًا)، فما دلالة
ذلك؟
• يوحي بكثرتها وتنوعها وتعددتها.
• ووصفها بـ«عُلبًا» دليل على عظم شجرها وكثرتها،⁷ وفي هذا الوصف زيادة في الامتنان.

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (290/15)، بتصرف

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 911)، بتصرف

3 جامع البيان، الطبري (226/24)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (323/8)

4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (323/8)

5 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 911)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (132/30)، بتصرف يسير، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (324/8)

7 التفسير الوسيط، الطنطاوي (291/15)

- تعدد النعم دليل على وحدانية الخالق المنعم - سبحانه - وعلى قدرته.
- كما أن شقَّ الأرض وإخراج النبات مثل على الإحياء بعد الإماتة، ودلالة على البعث.

- ويدل لفظ المتاع على سرعة زوالها وقرب اضمحلالها¹ وهوانها.
- كما أن في الآية امتنان بالأنعام للإنسان وما ينتفع بها من منافع مختلفة، كما أن الأنعام يستفاد من لحمها في الطعام والشراب.
- وفي كل ذلك دلالة على عناية الله - عز وجل - بالإنسان بتنوع أكله وشربه، وهيئة حياة كريمة مختلفة اللذة.
- هذا ترغيب في الإيمان والطاعة فإنه لا يليق بالعاقل أن يتمرد على طاعة الإله الذي أحسن إلى عباده بهذه الأنواع العظيمة من الإحسان.²
- إنَّ من نظر إلى هذه النعم أوجب عليه ذلك شكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره.³

قال تعالى: (مَتَاعًا لَكُمْ
وَلَا نَعَامِكُمْ) ما فائدة
تعدد النعم ووصفها بالمتاع
وإضافتها إلى الإنسان
والأنعام؟

- إخلاص العبودية لله - عز وجل - وأداء حق الله علينا فيما رزقنا من نعم.
- البعد عما يغضب الله - عز وجل - والحياء منه - سبحانه - وألا نستعين بنعمه على معصيته.
- الشكر بالقلب واللسان والجوارح، وظهور النعمة علينا دون إسراف ولا بخل بها.
- الحرص على هذه النعم وحفظها، لتبقى ولا تزول.

في الآيات توجيه للتأمل في
خلق الإنسان ومعاشه، مما
يستلزم شكر الخالق المنعم
وتوحيده، فكيف يكون منا
الشكر؟

- أن ننسب النعمة إلى المنعم - سبحانه وتعالى -، ونشكره عليها، والعلم بأن الأسباب وسيلة فقط جعلها الله - عز وجل - ليسوق لنا النعمة.
- أن نردد على آذانهم أن شكر الله يزيد النعم وأن كفرانها يُزيلها، ونكون قدوة لهم في ذلك.
- أن نذكر لهم أن رسول الله - ﷺ - كان لا يعيب أي طعام.
- أن يَظْهَر أثر النعمة علينا.
- أن نتصدق بما يتيسر لنا.
- أن نَعُوذهم على شكر الناس، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

كيف نفرس في أبنائنا قيمة
شكر الله على النعم، مثل
نعمة الطعام؟

1 إرشاد العقل السليم، أبو السعود (9/ 112)

2 التفسير المنير، الزحيلي (30/ 73)

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 911)، يتصرف

- نكون قدوة لهم في عبادة التفكير، بأن نلفت نظرهم إلى عظيم خلق الله في السماوات والأرض، ونكثر من التسبيح والتنزيه في هذه المقامات.
- نوجههم إلى شكر المعتم - سبحانه -، ونذكرهم أن أي نعم وإن كنا من يحضرها لهم فالله - سبحانه وتعالى - هو الذي سخر الأسباب حتى تصل إلينا؛ فالفضل والمنة لله - عز وجل -، وأن نتفكر في تسخير هذه الأسباب.
- نعوّدهم على النظر والسؤال والتعليل، فهو من أكثر ما ينمي مهارات الإنسان.
- توجههم إلى قراءة الكتب العلمية المصورة.
- طرح الأسئلة وإثارة النقاش وهذه نماذج من الأسئلة:

كيف نعوّدهم أبناءنا على
عبادة التفكير؟

- كم لوئاً كان طعامنا؟
- كم طعاماً ومذاقاً؟
- كم شكلاً؟ وكلها نبتت من أرض واحدة، وماء واحد!! نتعجب من ذلك.
- من أنبتها وشكلها بهذه الصورة البهية؟
- من أنعم علينا واعتنى بنا حتى ندرك بحواسنا ونتلذذ بها؟
- من اعتنى بما يزين حياتنا ويهيجنا ويحفف عنا مشقة الحياة؟
- من اعتنى بغذاء جسدنا بهذه الطريقة، ألا يعتنى بغذاء روحنا؟
- من اعتنى بجسدنا البالي بعد موتنا، من أن يبقى جيفة تأكله الديدان أمام نظرنا، ألا يعتنى بنا ويهدينا ما يصلح به شأننا؟!

تلاوة

(فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَلَاتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾)

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

33. ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ فإذا جاءت الصيحة العظيمة التي تصخ الأذان وهي النفخة الثانية.
34. ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ يوم يهرب المرء من أخيه.
35. ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ ويفرّ من أمه وأبيه.
36. ﴿وَصَلَاتِهِ وَبَنِيهِ﴾ ويفرّ من زوجته وأولاده.

37. ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ لكل واحد منهم ما يشغله عن الآخر من شدة الكرب في ذلك اليوم.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة ذكر أمر المعاد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاحَّةُ﴾ بعد ذكر المعاش؟	بعد ذكر الآيات الدالة على البعث، ذكر ذلك اليوم وعظم أمره وحذر العباد منه؛ ² لينزودوا له بالأعمال الصالحة، وبالإنفاق مما امتن به عليهم. ³
ما وجه تسمية يوم القيامة بالصاخة؟	سميت بذلك؛ لأنها تصخ الأسماع، أي: تُبالغ في إسماعها حتى تكاد تُصمها. ⁴
ذكرت أسماء عديدة ليوم القيامة في القرآن، عدّد بعضها، واذكر دلالاتها.	الطامة: سميت بذلك؛ لأنها تطم على كل أمر هائل فظيع. القارعة: سميت بذلك؛ لأنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها. الغاشية: سميت بذلك؛ لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وأفزاعها. التغابن: سميت بذلك؛ لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، أي أن أهل الجنة أخذوا الجنة، وأخذ أهل النار النارَ على طريق المبادلة، فوقع الغبن من أجل مبادلتهم الخير بالشر. الحاقة: سميت بذلك؛ لأن الأمور تحق فيها، وقيل: سميت حاقة؛ لأنها تكون من غير شك، وقيل: سميت بذلك؛ لأنها أحقت لأقوام الجنة، وأحقت لأقوام النار. وقيل: سميت بذلك؛ لأن فيها يصير كل إنسان حقيقاً بجزاء عمله. الواقعة: سميت بذلك؛ لأنها تقع عن قرب. وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد. ⁵
علام يدل فرار الإنسان من المقربين إليه؟	تعددت الأقوال في ذلك من باب اختلاف التنوع، وتكمل بعضها بعضاً وكلها تدور حول شدة وعظم أهوال ذلك اليوم، منها: • قيل: كل واحد يفر؛ لأنه لا يتفرغ لأهله؛ لاشتغاله بنفسه. • وقيل: إنما يفر حذرًا من مطالبتهم إياه، لما بينهم من التبعات، ولما لهم عليه من حقوق.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 584)

2 انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 325)

3 تفسير القرطبي، القرطبي (19/ 244)

4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 325)

5 تفسير القرطبي (20/ 164)

- وقيل: لَقَلَّأ يروا ما هو فيه من الشدة، حياءً وخجلاً منهم.
- وقيل: لعلمه أنهم لا ينفعون ولا ينعون عنه شيئاً.¹

- ابتداء بالأخ؛ لشدة اتصاله بأخيه من زمن الصبا، فينشأ بذلك إلف بينهما يستمر طول الحياة، ثم ارتقي من الأخ إلى الأبوين، وهما أشد قرباً لابنهما، وقدمت الأم في الذكر؛ لأن إلفَ ابنتها بما أقوى منه بأبيه، وانتقل إلى الزوجة والبنين، وهم مُجْتَمِع عائلة الإنسان، وأشد الناس قرباً منه وملازمة.²
- وخصوا بالذكر؛ لأنهم أخص القربات، وأولاهم بالحنن والرأفة، فالفرار منهم لا يكون إلا في أشد حالات الخوف والفرع.³
- وقيل بترتيب تضييع الحقوق:

- فعالب الناس لتضييع حقوق إخوتهم أكثر، سواء بالتعدي على ميراثهم، أو بعدم التواصل معهم، أو غيره؛ وذلك لانشغالهم بأسرهم الصغيرة.
- ثم ذكر الوالدين حيث يكون الحرص على برهما أكثر من الأخوة وأقل من الأولاد؛ ولذلك وصى الله ببرهما.
- ثم الأشد قرابة منه رقيقة دربه، ثم أولاده الذي يكون أحرص ما يكون على تقديم كل حقوقهم.

ما وجه ترتيب أصناف

القرابة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾؟

ما مناسبة لفظ الصاحبة

دون الزوجة في قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾؟

وصف الصاحبة دال على القرب والملازمة والنصرة، والمرأة قد تكون غير حسنة العشرة لزوجها فلا يكون فراره منها بسبب شدة الهول، فذكر بوصف الصاحبة.⁴

- بيان سبب الفرار، والمبالغة في تهويل شأن هذا اليوم.
 - انشغال الإنسان بنفسه عن غيره في هذا اليوم، اشتغلاً يُنسيه كل شيء سوى التفكير في مصيره... وذلك لشدة الهول، وعظم الخطب.⁵
- ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۗ بُيُوتُهُمْ يُودَّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِبَنِيهِ ۗ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۗ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّسُهَا ۗ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۗ﴾ [المعارج: 10-14]

علام يدل لفظ يغنيه في قوله

تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمِيذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؟

1 ينظر: تفسير القرطبي (19/ 224)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/135)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 293)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 136)

5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 326). التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 293)

أولاً: محاسبة النفس، فعن عمر الفاروق - رضي الله عنه - أنه قال: «أيها الناس، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتهيموا للعرض الأكبر؛ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه». وقال الفضيل بن عياض: «من حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عن السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته، وأكيس الناس من دان نفسه، وحاسبها، وعاتبها، وعمل لما بعد الموت، واشتغل بعيوبه وإصلاحها».

ثانياً: الحرص والمجاهدة في طاعة الله، والأعمال الصالحة، وتجنب معاصيه. ثالثاً: ألا أطيع أحداً في معصية ولا أتنازل عن شيء من ديني من أجل أحد، فحتمًا سيفر مني يوم القيامة وسأحاسب بمفردتي. رابعاً: لا أتكل على صلاح أحد من أسرتي، فلا ينفعني أحد يوم القيامة، ولن يعطيني أحد من حسناته طواعية.

خامساً: أحذر من ظلم ذوي الرحم فهو أشد عند الله - عز وجل - وأحرص على أداء حقوقهم على الوجه الأكمل، وأسأل الله التوفيق والقبول والعمو والعافية. سادساً: الحرص على الإحسان إلى ذوي الرحم؛ حتى أنال أجر الإحسان وأجر الصلة إن شاء الله تعالى.

(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ

(34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35)

وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ)؛ إلام تدفع

هذه الآيات من عمل؟

تلاوة

(وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٥﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٦﴾ وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ غَٰبِرَةٌ ﴿٣٧﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٣٨﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ ﴿٣٩﴾)

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

38. ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ وجوه السعداء في ذلك اليوم مضيئة.
39. ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ ضاحكة فرحة بما أعد الله لها من رحمته.
40. ﴿وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ غَٰبِرَةٌ﴾ ووجوه الأشقياء في ذلك اليوم عليها غبار.
41. ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ تعشاها ظلمة.
42. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ﴾ أولئك الموصوفون بتلك الحال هم الذين جمعوا بين الكفر والفجور.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<p>وجوه كثيرة في هذا اليوم تكون مضيئة مشرقة، يعلوها السرور، والاستبشار والانسراح، لما تراه من حسن استقبال الملائكة لهم،¹ وبما تجد من برد اليقين بأنها ستوفى ما وعدت به جزاء إيمانها وما قدمت من عمل صالح، وبشكرها لنعم ربها وآلائه، وإيثارها ما أمرها به على ما تمناه.²</p>	<p>ما دلالة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ؟﴾</p>
<ul style="list-style-type: none"> • وجوه الكفار تغشاها وتعلوها ظلمة وسواد، وذلة وهوان، من شدة ما أصابها من خزي وخسران.³ • سواد مظلمة مدلهمة، من شدة الهم والكرب والغم الذي يعلوها، قد أيست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها.⁴ 	<p>ما دلالة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ؟﴾</p>
<p>﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: 22- 25].</p> <p>﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢٦﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٢٧﴾ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٢٨﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ عَآئِنِيَةٍ ﴿٢٩﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٣٠﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٣١﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٣٢﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٣٣﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الغاشية: 2- 10].</p> <p>والوجه يدل على حال صاحبه، فمن كان في نعمة تظهر عليه مثل الوجوه الناضرة، ومن كان في نقمة وعذاب يظهر عليه كما الوجوه الخاشعة. اللهم سلم.</p>	<p>ذكرت الوجوه في القرآن؛ لبيان حالي المؤمنين والكافرين يوم القيامة، هات شواهد على ذلك.</p>
<ul style="list-style-type: none"> • جيء باسم الإشارة لزيادة الإيضاح تشهيراً لحالهم الفظيع للسامعين. • أتبع وصف الكفرة بوصف الفجرة من دون عطف؛ للدلالة على أنهم جمعوا بين فساد الاعتقاد وفساد العمل،⁵ وأنهم لم يُحسنوا في عبادتهم للخالق ولم يُحسنوا في معاملتهم للمخلوق. • دلالة على أنهم تجاوزوا حدود الله بقلوبهم وأعمالهم.⁶ 	<p>ما دلالة قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ؟﴾</p>

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 294)

2 تفسير المراغي، المراغي (30/ 50)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 294)

4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 911)، التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 294)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 138)، بتصرف

6 أضواء البيان، الشنقيطي (8/ 436)

- لا يبقى يوم القيامة مع الإنسان إلا عمله، كيف نربي أنفسنا على إصلاح العمل استعدادًا لذلك اليوم؟
- تذكر هول الموقف.
- إن المعاصي لا تزيد الإنسان إلا ندمًا وخسارة.
- الرجوع والتوبة النصوح، وتكرار ذلك كلما تكرر الذنب.
- الحرص على الثبات على الحق حتى الموت عليه والفوز يوم القيامة، يوم فوز وسعادة أو خسران وندامة.

- عدد بعض القضايا التي عاجلتها السورة؟
- أخلاق الدعاة.
- صفات حملة القرآن.
- كفران النعم.
- التكذيب بالقيامة والحساب.
- الغفلة.
- فتنة الأهل.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- افتتحت السورة بعتاب النبي - ﷺ - لعبوسه وتولييه عن مؤمن جاءه يطلب الهدى؛ لانشغاله بدعوة معرض عنها؛ لتغرس مفهوم تساوي الحقوق في الدعوة بين فقير وغني، وسيد وعبد، ولا يقدم إلا من رغب بها وطلبها.
- في السورة بيان لأهمية الأخلاق في الدعوة إلى الله - عز وجل -.
- في السورة بيان مقام النبي - ﷺ - وأنه أشرف مقام، دلَّ على ذلك أسلوب عتاب الله له حيث خاطبه بأسلوب الغائب تلطُّفًا.
- في السورة بيان استحالة كتمان الرسول - ﷺ - شيئًا من الوحي، فلو كان كاتمًا شيئًا لكتُم عتاب الله - عز وجل - له.
- في السورة بيان حرص النبي - ﷺ - على دعوة الناس وهدايتهم وخاصة وجهاء القوم؛ لأنهم بإسلامهم يسلم تابعوهم.
- في السورة بيان عظم مكانة كتاب الله الكريم، وأن الله تولاه بعنايته وحفظه، وأنه ذكرى وموعظة لمن عقل وتدبر.
- في السورة تنديد ببحود الإنسان وكفره بنعم ربه وإعراضه عن هداية الله - عز وجل -.
- في السورة دعوة للتفكير والاستدلال.
- في السورة بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانته في خلق الإنسان وحاجاته، المقتضية للإيمان به وبآياته.
- ختمت السورة بوصف أهوال يوم القيامة، وفرار الإنسان من أقرب الناس إليه، وبيان حال المؤمنين السعداء والكافرين الأشقياء في هذا اليوم.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الحرص على دعوة الناس وهدايتهم، اقتداء بالنبي - ﷺ -، ابتداء بالأقارب والأصدقاء.
- مهما فعل أحدنا من خطأ، فينبغي التسامح والعمو.
- إكرام وإحسان من أسأنا إليه سواء بقول أو فعل.
- الحذر من إيذاء الآخرين سواء بقول أو فعل أو إشارة.
- الحذر من كسر قلوب الآخرين ومشاعرهم.
- تدبر القرآن ولو آية منه يومياً، فهو تذكرة لمن شاء أن يتذكر.
- التفكير بنعم الله والعمل بما يدعو إليه هذا التفكير وهو شكر المنعم.
- الاستعداد للدار الآخرة بالعمل الصالح.
- التخفف من حقوق العباد ويُخص بذلك القرابة؛ لكثرة ملازمتهم للإنسان وعدم اكتراثه في الغالب بحقوقهم.

فوائد تربوية من السورة

- الأدب في العتاب واختيار الأسلوب المناسب للمعاتب.
- العناية بالمدعو سواء أكان فقيراً أم غنياً، خاصة من أقبل طالباً للعلم.
- الإحسان إلى الضعفاء.
- الجمع بين الترغيب والترهيب في التربية، وتقديم ما يقتضيه الحال.
- التفكير في خلق الله - عز وجل - والاستدلال عليه - سبحانه وتعالى - وعلى البعث والجزاء حتى تُبنى عقيدة قوية سليمة وإيمان راسخ ثابت أمام الشبهات.
- التعويد على شكر المنعم.
- تربية الأبناء على العمل والاستعداد لليوم الآخر.
- تعليق الأبناء بالله، وتعريفهم بأسماء الله وصفاته، وترغيبهم برحمة الله - عز وجل - والرضا بقدره وحكمه.
- تعلم الأدب والنظام.
- تعظيم شأن القرآن الكريم ومن يحمله.
- تأكيد المسؤولية الفردية في العمل والجزاء، وعدم الاتكال.

رسائل

(عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) قال السعدي: «لا يُترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة».

(عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) سمو منزلة المؤمن عند الله.

(يَأْيُذِي سَفَرَةَ ۖ كِرَامٍ بَرَرَةَ) حثُّ لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد حتى يكون مع السَّفَرَةِ البرَّة.

(قتل الإنسان ما أكفره) ما حالنا مع نعم الله - عز وجل - علينا؟ هل أدينا حق شكرها؟
 (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ • ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ • وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْنَا عَاوِرَةٌ • نَرَاهُمْهَا قَائِرَةٌ) ثم نعيم لا ينفد أو
 عذاب مؤبد، فاعمل تجد.

081. سُورَةُ التَّكْوِيرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

في خِصَمِ الغفلة التي يعيشها الناس، وبعدهم عن منهج ربهم، وهو قلوبهم وانشغالها بحطام الدنيا، تحتاج القلوب إلى هزّ ووعظ وتذكير؛ لتستيقظ من غفلتها وتعمل ليوم حسابها، ولا شيء أبلغ من وصف يوم القيامة، ذلك اليوم المهول شديد الخطوب الذي تتغير فيه معالم الدنيا وتنقلب رأساً على عقب، يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات، في مشاهد يفرغ القلب من مجرد سماعها، ثم حساب على الصغير والكبير، فأما أهل الإيمان فلا يمزجهم الفرع الأكبر؛ لأنهم صدقوا بالوحي وأطاعوه، وأما من كذبه فأين يفر من الله في ذلك اليوم؟! السورة التي بين أيدينا تصف مشاهد من يوم القيامة وكأنها رأي العين، تُبين حقيقة القرآن وسنده الجليل العالي، وإثبات نبوة محمد - ﷺ - معنا سورة التكويد.

تهيئة:

تعريف السورة:

اسم السورة:	”سورة التكويد“، و”إذا الشمس كورت“ ¹ .
نوع السورة:	مكية ² .
عدد آياتها:	عشرون وتسع آيات في جميع العَدِّ إِلَّا فِي عَدِّ أَبِي جَعْفَرٍ فَإِنَّهَا وَثَمَانٌ ³ .
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: ”من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾“⁴.
- روى مسلم في صحيحه، عن الوليد بن سريع عن عمرو بن حريث قال:

1 التخرير والتنوير، ابن عاشور (139/30)

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/586)

3 لبيان في عدّ آي القرآن، (ص: 265)

4 مسند أحمد (7/20)، إسناده صحيح

«صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - ﷺ - الصُّبْحَ فَسَمِعْتُهُ يُقْرَأُ فَلَا أَفْسِمُ بِالْحَنَسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ»¹.

المناسبة بين سورة التكوير وسورة عبس:

ختمت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة، بيوم الصاخة؛ لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة، وابتدأت سورة التكوير بإتمام ذلك، فصوّرت ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة، من عالم الملك والملكوت، حتى كأنه رأي عين، كما رواه الإمام أحمد وغيره.²

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة التكوير وسورة الانفطار:

ختمت سورة التكوير بأنه - سبحانه - لا يخرج شيء عن مشيئته، وأنه موجد الخلق ومدبرهم، وكان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا بهذا الوصف لا آخر له: أرحام تدفع وأرض تبلع، ومن مات فات، ولا عود بعد الفوات، وافتتح الله - سبحانه - سورة الانفطار بما يكون مقدمة لمقصود التي قبلها، من أنه لا بد من نقضه لهذا العالم وإخراجه؛ ليحاسب الناس، فيجزى كلا من المحسن والمسيء بما عمل.³
كما تشابهت السورتان في المحاور، فكلاهما تتحدث عن تبعثر الكون وانفراطه في يوم القيامة.

مناسبة السورة لما بعدها:

تصوير القيامة بانفراط الكون بعد إحكامه.⁴

من مقاصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (14): أهوال القيامة.
من الآية (15) إلى الآية (29): تنويه بالقرآن الكريم.

موضوعات السورة:

تلاوة

(وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِّلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِقَتْ ۝ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ۝)

الآية (الآيات)

1 صحيح مسلم (1/336)

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (21/275)

3 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (21/298)

4 المختصر في تفسير القرآن الكريم (586)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إذا الشمس مُجمِع جزمها، وذهب ضوءها.
2. ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ وإذا الكواكب تساقطت ومُحي ضوءها.
3. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ وإذا الجبال حُرِّكت من مكانها.
4. ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ وإذا الثُّوق الحوامل التي هي أنفُسُ أموالهم أُهملت بترك أهلها لها.
5. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُيِّرَتْ﴾ وإذا الوحوش مُجمعت مع البشر في صعيد واحد.
6. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ وإذا البحار أُوقدت حتى تصير نارًا.
7. ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ وإذا النفوس فُرنّت بمن يماثلها، فيُفَرِّقُ الفاجر بالفاجر، والتقوي بالتقوي، (وقيل تزوج الأرواح بالأجساد المخصصة لها فيصير الروح زوجًا مع الجسد).¹
8. ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ وإذا الطفلة المدفونة وهي حيّة سألتها الله.
9. ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ بأي جريمة قتلتك من قتلك!؟
10. ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُثِرَتْ﴾ وإذا صحف أعمال العباد نُثرت؛ ليقرأ كل واحد صحيفة أعماله.
11. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ وإذا السماء نُزعت كما يُنزع الجلد عن الشاة.
12. ﴿وَإِذَا الْجُجُجُ سُعِرَتْ﴾ وإذا النار أُوقدت.
13. ﴿وَإِذَا الْجُنَّةُ أُرْلِقَتْ﴾ وإذا الجنة فُربت للمتقين.
14. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخِّضَتْ﴾ عندما يحصل ذلك تعلم كل نفس ما قدمت من الأعمال لذلك اليوم.²

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرية
تشويق لما سيذكر بعدها؛ ³ لأن السامع عندما يجد هذا الظرف وقد تكرر يكون في ترقب وشوق لمعرفة الجواب، وعندما يسمعه يتمكن من نفسه كل التمكن، ⁴ وتكرار كلمة (إذا) 12 مرة كلها بعد واو العطف عدا الأولى منها، قصده التهويل. ⁵	ما دلالة افتتاح السورة بـ(إذا) وتكررها في الآيات؟

1 التحرير والتنوير (141/30)

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/586)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/296)

4 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/296)

5 التحرير والتنوير (140/30)، يتصرف

علام يدل تقديم المسند إليه
على المسند «الفاعل» في
الآيات كقوله تعالى: ﴿إِذَا
الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾؟

لقصد الاهتمام بذكر ما أسندت إليه الأفعال، وليفيد ذلك التقديم الحكم وتأكيده
في جميع تلك الجمل رداً على إنكار منكريه.¹

ما دلالة التعبير بالفعل
الماضي في قوله تعالى:
﴿كُوِّرَتْ، اُنْكَدِرَتْ...﴾؟

للتأكيد على تحقيق وقوع هذه الأمور.²

ما وجه تخصيص ﴿العِشَارُ﴾
بالذكر في الآيات؟

لأنَّ النوق العشار كانت من أثنى الأموال عند العرب، وكانوا يحافظون عليها حتى
في أشدِّ حالات الخوف، فدلَّ ذلك على شدة هول يوم القيامة، الذي تنصرف فيه
الناس عن نفائس أموالهم (العشار) فكيف بما هو دونها.³

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا
الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ مع أمَّا
غير عاقلة ولا مكلفة؟

دلالة على كمال عدل الله - تعالى - حتى إنه ليقصص من القرناء الجماء.⁴
إيماء إلى شدة الهول، فالوحوش التي من طبعها نفرة بعضها عن بعض تتجمع في
مكان واحد، لا يعدو شيء منها على الآخر من شدة الرعب، فهي ذاهلة عمَّا
في طبعها من الاعتداء والافتراس.⁵

قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ
رُوجَتْ﴾ يقرن كل صاحب
عمل مع نظيره يوم القيامة،
هات شواهد من القرآن
على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: 71].
قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: 73].
قال تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: 22].

العناية باختيار الصحبة الصالحة التي:

- ما التوجيه الذي نستخلصه
- من ذلك فيما يتعلق باختيار
- الصحبة في الدنيا؟
- تعين على الطاعات، والمسابقة في الخيرات، وتقويم السلوك، وتحذيب الأخلاق.
- مجالسهم في الدنيا خير على الإنسان وبركة.
- يمتد أثرهم الطيب لما بعد الموت، فلا يدعون ذكر صاحبهم، أو الدعاء له، أو إجراء الصدقات باسمه، حتى يجتمعوا تحت ظل عرش الرحمن.

1 التحرير والتنوير (141/30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (140/30)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (297/15)

4 التفسير الوسيط، الطنطاوي (298/15)

5 التحرير والتنوير (143/30)، يتصرف

لأن من أفضع الاعتداء على إزهاق الأرواح من أجسادها اعتداء الآباء على نفوس أطفالهم بالوآء، فإنَّ الله جعل في الفطرة حرص الآباء على استحياء أبنائهم، وجعل الأبوين سبب إيجاد الأبناء، فالوآء أفضع أعمال أهل الشرك، وسؤال الموؤودة سؤال تعريضي مراد منه تهديد وإيذاها ورعبه بالعذاب.¹

سئلت عن تعيين الذنب الموجب قتلها دون أن تُسأل عن قاتلها؛ لزيادة التهديد، وإدخال الروح على من وأدها، وجعل سؤالها للتعريض بالتوبيخ والتخطئة للذي وأدها، وليكون جوابها شهادة عليه فيكون استحقاقه العقاب أشد وأظهر،² وتبكيًا لقاتلها، وإلزامه الحجة، حتى يزداد اقتضاحًا على اقتضاحه.³

وردت آيات في القرآن تحرم قتل الأولاد، كما نوهت هنا بوآء البنات، هات شواهد على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 151].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31].

في ذلك تحقيق للعدل في هذا اليوم لكل أحد مهما كان ضعيفًا، وفيها عناية الله - عز وجل - بالضعفاء والمظلومين، فنحذر من استضعاف الناس والتعدي على حقوقهم، خاصة ذوي الحاجة وقليلي اليد والحيلة، فالله ناصرهم ولو بعد حين. كما نظمنا على كمال عدل الله - عز وجل - ورحمته بعباده، ونحن نرى حال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ما الغاية من التعبير بالكشط في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾؟

الكشط: إزالة الإهاب عن الحيوان الميت وهو أعم من السلخ؛ لأنَّ السلخ لا يُقال إلا في إزالة إهاب البقر والغنم دون إزالة إهاب الإبل فإنه كشط، والظاهر أن المراد إزالة تقع في يوم القيامة؛ لأنها ذكرت في أثناء أحداث يوم القيامة.⁴ وفي هذا ترويع لما سيحدث في ذلك اليوم.

تقرب الجنة من أهلها؛ كرامة لهم، هات شاهد من القرآن يدل على ذلك؟ مع ذكر حكمة ذلك.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31]، وحكمة ذلك: حتى لا يكون هناك تعب عليهم في الوصول إليها وذلك كرامة لهم.⁵

1 التحرير والتنوير (144 / 30)

2 التحرير والتنوير (146 / 30)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/299)

4 التحرير والتنوير (149 / 30)

5 التحرير والتنوير (150 / 30)

- المراد بالنفس عموم الأنفس؛ لأن النكرة في سياق النفي تشمل كل نفس وأسند - سبحانه - الإحضار إلى النفوس؛ لأنها هي المباشرة لأعمالها في الدنيا، التي ستجد جزاءها في الآخرة.¹
- تنبيه الذهن إلى حقارة المرء الواحد، وقلة دفاعه عن نفسه.²

ما المراد بالنفس، وما دلالة تنكيرها في قوله تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ؟﴾

لأنها الفاعلة للأعمال التي يظهر جزاؤها يومئذ.³
إثبات علم الإنسان لأعماله من خير أو شر يوم القيامة.⁴
وفي ذلك إشارة إلى المسؤولية الفردية، فكلٌّ مسؤولٌ عمَّا أحضر في صحيفته من أعمال، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَدْشُورًا﴾ [الإسراء: 13].

علام يدل إسناد الإحضار إلى النفوس في الآية؟

- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَنُحَذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].
- ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

يوم القيامة تنشر صحائف الأعمال، وتعلم كل نفس ما عملت من خير أو شر، هات من القرآن ما يدل على ذلك.

ذكر في هذه الآيات اثني عشر حدثاً؛ ستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة تحصل في الآخرة.⁵
فالستة التي تحصل عند النفخة الأولى آخر الحياة الدنيا مرتبة على حسب تأثيرها بالملاحظة على الأرض، فتبدأ بالشمس حين تُكْوَرُ ويذهب نورها وَيَعْمُ الظلام، وهناك تبرز النجوم فتتكدر هي بدورها ويذهب كل ما يضيء، ويُدرَك بالنظر، حينها تنزل الأرض باندكاك الجبال وتسييرها، يذهل المرء عن كل أملاكه ومتاعه وأنفسها ومنها النوق العشار، وتذهل من شدة الخطب الوحوش، تذهل عما كانت فريستها، آنذاك يظهر ضوء البحر الذي يُسَجَّرُ نارًا، أو كذلك على القول الثاني أن البحر المسجور هو المملوء فيكون فيضان البحر وامتلاؤه سبباً في حشر الوحوش؛ فإرأا منه إلى أرض المحشر، وبه تنتهي علامات النفخة الأولى إيذاناً بنهاية الحياة الدنيا.⁶

ما مناسبة ترتيب الأحداث المذكورة؟

1 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 300)
2 احرر الوجيز، ابن عطية (5/443)
3 التحرير والتنوير (151/ 30)، كقول النبي - ﷺ - للذي سأله متى الساعة: «ماذا أعددت لها؟»
4 احرر الوجيز، ابن عطية (443/5)
5 التحرير والتنوير (141/ 30)
6 انظر التحرير والتنوير (141/ 30)

ثم شرع في ذكر الأحوال الحاصلة في الآخرة يوم القيامة، وقد انتقل إلى ذكرها؛ لأنها تحصل عقب الستة التي قبلها، وابتدئ بأولها وهو تزويد النفوس "تزييد الأرواح بالأجساد المخصصة لها فيصير الروح زوجاً مع الجسد"، ثم ذكر سؤال المؤودة؛ لأنه أفضع أعمال أهل الشرك، وتبدأ علامات الحساب ومنها نشر الصحف، وفتح السماء، ثم المصير إلى الجحيم أو إلى الجنة. وقدمت الجحيم في الذكر على الجنة؛ مناسبة لمقام التهويل في السورة.

- ذكر أهوال يوم القيامة، وذهاب الدنيا، وزوال ما فيها من شمس وسماء وجبال وكل ما فيها من نظام واتساق، يجعلني أزهد في الدنيا، وتكون الآخرة همي، وأترفع عن سفساف الأمور، وكل ما يشغلني عن غايتي وهي الفوز في ذلك اليوم.
- الخشية من ظلم الناس، خاصة الضعفاء منهم.
- إن كان ذلك كذلك، فالعمل يكون لدار فيها البقاء، ففي ذلك حثٌ على الاستعداد لليوم الآخر، وترغيب في الإيمان والعمل الصالح؛ إذ بهما المصير إلى الجنة، وترهيب من الذنوب والمعاصي؛ إذ بهما المصير إلى النار.
- الآيات تجرد النفس من كل ما تطمئن إليه وتركن؛ لتلوذ بكنف الله - عز وجل -، وتأوي إلى حماه، فلا ملاذ ولا ملجأ إلا في حمى الواحد القهار، الذي له وحده البقاء والدوام، وعنده وحده القرار والاطمئنان للمؤمنين.

ما أثر هذه الآيات فينا؟

تلاوة

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾ الْجُجُورِ الْكُنُوسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

15. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ أقسم الله بالنجوم الخفية قبل بزوغها في الليل.
16. ﴿الْجُجُورِ الْكُنُوسِ﴾ الجاربات في أفلاكها، التي تغيب عند بزوغ الصبح، مثل: الطباء تدخل كيناسها؛ أي بيتها.
17. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ وأقسم بأول الليل إذا أقبل، وبآخره إذا أدبر.

18. ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ وأقسم بالصبح إذا بزغ نوره.
19. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ إن القرآن المنزل على محمد - ﷺ - لكلام الله بلّغه ملك أمين، وهو جبريل - عليه السلام -، ائتمنه الله عليه.
20. ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ صاحب قوة، ذي منزلة عظيمة عند رب العرش سبحانه.
21. ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ يطيعه أهل السماء، مؤتمن على ما يبلغه من الوحي.
22. ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ وما محمد - ﷺ - الملائم لكم الذي تعرفون عقله وأمانته وصدقه بمجنون كما تدعون بهتناً.
23. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْيُسْبِينِ﴾ ولقد رأى صاحبكم جبريل على صورته التي خلّق عليها بأفق السماء الواضح.
24. ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ وليس صاحبكم ببخيل عليكم يبخل أن يبلغكم ما أمر بتبليغه إليكم، ولا يأخذ أجرًا كما يأخذ الكهنة.
25. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ وليس هذا القرآن من كلام شيطان مطرود من رحمة الله.
26. ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ لأي طريق تسلكونها؛ لإنكار أنه من الله بعد هذه الحجج؟!
27. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ليس القرآن إلا تذكيرًا وموعظة للجن والإنس.
28. ﴿لِيَمُنَّ شَاءَ مُنْكُمْ أُنْ يُسْتَقِيمَ﴾ لمن شاء منكم أن يستقيم على طريق الحق.
29. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وما تشاؤون استقامة ولا غيرها إلا أن يشاء الله ذلك، رب الخلائق كلها.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
أفادت الآيات السابقة تحقيق وقوع البعث والجزاء، وهم قد أنكروه وكذبوا القرآن الذي أنذرهم به، فلمّا قضى حق الإنذار به، وذكر أشرافه؛ فرع عنه تصديق القرآن الذي أنذرهم به وأنه موحى به من عند الله. ²	ما مناسبة هذا القسم لما قبله من الآيات؟
تنويه بشأها وما في حركاتها من الدلائل على قدرة مصرفها ومقدّرها؛ تقريبًا لمن خصها بالعبادة واتخذها من دون الله أربابًا، وتنبهها على عظمة خالقها.	ما دلالة القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالْكَتِّبِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 586)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 152)

ما دلالة التعبير بـ﴿عَسَسَ﴾ قيل معنى عسس أقبل بظلامه، وقيل معناها أدير ظلامه؛ لذلك يكون إشار هذا الفعل لإفادته كلا حالين صالحين للقسمة فيهما؛ لأتأما من مظاهر القدرة إذ يعقب الظلام الضياء، ثم يعقب الضياء الظلام، وهذا إيجاز.¹

ما مناسبة القسم بالليل بعد
القسم بالخنس؟

- مناسبة جريان الكواكب والنجوم في الليل.
- لأن تعاقب الليل والنهار من أجل مظاهر الحكمة الإلهية في هذا العالم.²

قرن الله - عز وجل -
القسم بالليل والنهار في
مواضع كثيرة، اذكر بعضها.

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٤﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٣﴾﴾ [المدثر: 33، 34].
قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾﴾ [الليل: 1، 2].
قال تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّتْهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ [الشمس: 3، 4].

ما دلالة القسم بهذه
المخلوقات مجتمعة في
الآيات؟

إنَّ هذه المخلوقات في حركاتها المختلفة، من ظهور وأفول، ومن إقبال وإدبار، تدل دلالة ظاهرة على قدرة الله - تعالى -، وعلى بديع صنعه في خلقه.³

- التفكير في دقة نظام الكون وإحكامه يقود إلى اليقين بأن هذا الخلق المحكم يحتاج إلى خالق واحد لا شريك له.
- حصول معرفة بعض ما أودعه الله في هذا الكون من الآيات العظيمة، مشعر بكمال العظمة والقدرة والحكمة والتدبير، فتبارك الله أحسن الخالقين.
- يورث ذلك في النفس خشية ومهابة تدفع إلى الاجتهاد في مرضاة الله، والإكثار من الأعمال الصالحة.
- التواضع أمام عظمة الله - عز وجل - وغناه عن المخلوقين والتأكد من أن الإنسان مخلوق مكرم فضَّل على كثير من المخلوقات، وأشرف ما فضَّل به نعمة العقل التي ينبغي أن تقود إلى كمال التوحيد والاتباع.

التفكير في الكون من
العبادات المنسية التي أمرنا
بها، كيف نركي أنفسنا من
خلال هذه العبادة؟

إن القرآن المقسم عليه، حاله في الثبوت والظهور، وحال الناس معه كحال هذه الكواكب الثوابت لديكم في ظهورها تارة، واختفائها أخرى، وكحال الليل والصبح، فهو عند أناس موضع ثقة وهداية كالصبح في إسفاره، قلوبهم متفتحة إليه وعقولهم مهتدية به، فهو لهم روح ونور، وعند أناس مظلمة أمامه قلوبهم عميت عنه بصائرهم، وفي آذانهم قر، وهو عليهم عمى، وأناس تارة وتارة كالنجوم أحياناً وأحياناً، تارة ينقذح نوره في قلوبهم، فتظهر معالمه فيسيرون معه، وتارة يغيب عنهم

ما مناسبة القسم للمقسم
عليه؟

1 التحير والتنوير، ابن عاشور (154/30)

2 التحير والتنوير، ابن عاشور (30، 154)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (302/15)

نوره فتحنس عنه عقولهم وتكنس دونه قلوبهم، كما قال - تعالى - عنهم: ﴿كَلَّمَا أَعْزَأَ لَهُمْ مَشْرَؤًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: 20].¹

- الرسول لا يأتي بقول من عنده، وإنما القول الذي جاء به هو ما أرسل به من غيره، إلى ما أرسل إليه به.
- في وصف جبريل - عليه السلام - بتلك الأوصاف: نص في تمكنه من حفظ ما أرسل به، وصيانتة عن التغيير والتبديل؛ لأنه «مكين»، فلا يصل إليه ما يخل برسالته.
- لأنه ﴿مُطَاعٌ تَمَّ أَمِينٌ﴾ والمطاع لا يؤثر فيه غيره، والأمين لا يخون ولا يبدل، فكان القرآن الذي جاء به مصوناً من أن يتسلط أحد عليه.²
- وفي ذلك دلالة على حقيقة أن القرآن من عند الله - عز وجل -، ورد على شبهة أن القرآن من جبريل - عليه السلام -.

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ تَمَّ أَمِينٍ؟﴾

دل على شرف القرآن عند الله - تعالى -، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة، والعادة أن الملوك لا تُرسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل.³

ما دلالة وصف جبريل - عليه السلام - بهذه الأوصاف في الآيات؟

- صفة الكرم، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 19].
- صفة القوة، ودليلها قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: 20].
- صفة القرب من الله - عز وجل -، ودليلها قوله تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التكوير: 20].
- صفة الاحترام من الملائكة، ودليلها قوله تعالى: ﴿مُطَاعٍ﴾ [التكوير: 21].
- صفة الأمانة، ودليلها قوله تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير: 21].
- صفة الحسن، ودليلها قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: 6].
- صفة الطهارة، ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل: 102].

لجبريل - عليه السلام - أوصاف جعلته أشرف الملائكة وأمين الله على وحيه، اذكرها بشواهد قرآنية.

لما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس، فقال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ وهو محمد - ﷺ -.⁴

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ بعد ذكر أوصاف جبريل؟

1 أضواء البيان، الشنقيطي (444/8)، بتصرف
2 أضواء البيان، الشنقيطي (446/8)
3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 913)
4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (157/30)

• إظهار في مقام الإضمار؛ للتعريض بأنه معروف عندهم بصحة العقل وأصالة الرأي.¹

• تبكيبتهم، فوصفهم النبي - ﷺ - بالجنون إنما هو بختان وللإساءة إلى سمعته وليس لجهلهم به.

• للاستدلال عليهم، وإقامة الحجة على كذبهم في دعواهم، فإنه إذا كان صاحبهم، وكانوا قد خالطوه وعاشروه، وعرفوا عنه ما لم يعرفه سواهم من استقامة، وصدق لهجة، وكمال عقل، ووفور حلم، وتفوق على جميع الأنداد والأتراب في صفات الخير، لم يكن ادعواؤهم عليه ما يناقض ذلك إلا باطلاً من القول وزوراً.²

ما دلالة التعبير بـ (صَاحِبِكُمْ)؟

في قوله تعالى: ﴿وَمَا

صَاحِبِكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾؟

• دلت الآية على صدق النبي - ﷺ - في تبليغه وأدائه للأمانة على أكمل الوجوه.

• فما كان النبي - ﷺ - على ما أنزله الله إليه بظنين؛ أي بمتهم، ومنهم من قرأ ذلك بالضاد؛ أي ببخيل، بل يبذله لكل أحد.³

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ

عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾؟

سألت عائشة - رضي الله عنها - عن قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23] ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: 13]، فقال: (إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيْلٌ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ، سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيَّنَّ السَّمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ).⁴

فالأولى في الأرض، والثانية ليلة الإسراء والمعراج.

رأى النبي - ﷺ - - جبريل -

عليه السلام - على صورته

الحقيقية مرتين، اذكرهما مع

شواهد من القرآن والسنة.

• أن نؤمن برسول الله - ﷺ - إيماناً يكون له أثره في القلب؛ بالحب والتوقير والتعظيم والافتداء.

• أن يكون رسول الله - ﷺ - أحبَّ إلينا من أنفسنا وأولادنا ووالدينا والخلق أجمعين.

• ألا تُقدِّم آراءنا وهواننا على ما أمرنا به.

• عدم رد سنته أو الحديث عنه كما يتحدث بعضنا عن بعض.

• تعلم سنته واتباع هديته.

• تعلم سيرته وتعليمها حتى تكون منارة لنا ومنهاجاً.

• والتحاكم إلى ما جاء به، والانقياد لحكمه برضى وتسليم.

• الدفاع عنه ببيان سيرته ونشرها.

ما واجبنا تجاه النبي - ﷺ -

حين نرى ونسمع من يتهمه

ويسيء إليه؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (157/30)

2 تفسير المراغي، المراغي (60/30)

3 التفسير الوسيط، الططاوي (304/15)

4 رواه مسلم، (1، 159)

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ بعد النناء على جبريل ورسول الله - عليهما السلام -؟

لما ذكر جلاله كتابه وفضله بذكر الرسولين الكريمين، اللذين وصل إلى الناس على أيديهما، وأثنى الله عليهما بما أثنى، دفع عنه كل آفة ونقص مما يُقَدِّحُ في صدقه، فقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾.¹

ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَ تَدْهَبُونَ؟﴾

- التوبيخ والتعجيز على الحجج المتقدمة المثبتة أن القرآن لا يجوز أن يكون كلام كاهن، وأنه وحي من الله بواسطة الملك.
- تمثيلاً لحالهم في سلوك طرق الباطل بحال من ضل الطريق الجادة، فيسأله السائل منكراً عليه سلوكه، أي اعدل عن هذا الطريق فإنه مَضَلَّة.²
- بمنزلة من يسد عليهم الطريق إلا له؛ لأنه - أي القرآن - ليس في نزوله من الله على رسوله - ﷺ - أي شبهة أو تهمة، فليس للعاقل أن يجحد عنه، وكل ذهاب إلى غيره فطريق مسدود، وضلال وهلاك.³
- إن نكل ما قاله المشركون في القرآن والرسول باطل، فلا مذهب من مذاهبهم يصح؛ لأنها عدول عن الصواب، وهو الإيمان بالقرآن.⁴

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا دِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ؟﴾

- إن القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به ويتعظون، فهو يعم كل البشر؛ لأنهم مدعوون إلى الاهتداء به ومستفيدون مما جاء فيه.⁵
- في ذلك دلالة على عالمية رسالة محمد - ﷺ -.

الاسلام دين عالمي ورسول الله - ﷺ - بُعث للناس عامة، هات شواهد على ذلك من القرآن.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].
قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28].
قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158].

ما واقعنا مع الدعوة لدين الله، وما وسائل دعوة الغرب لدين الله؟

لا شك أن واقعنا مؤلم في الدعوة إلى دين الله، ونجد تقصيراً كثيراً في الدعوة، وتقتصر على الدعاة والعلماء، والحقيقة لا بد أن يكون هذا همماً مشتركاً لكل مسلم ينتمي إلى هذا الدين، فقد أكون داعية لهذا الدين: (بأخلاقي - بالتزامي - باعتزازي بحجايي وديني - بأن أكون قدوة في تصرفاتي وتعاملاتي)، فلا بد وأن نحمل هذا

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (912)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (164/30)

3 أعضاء البيان، الشنقيطي (8/448)

4 تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده، عبد المحسن العسكر (84)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (165/30)

الهم لنصرة دين الله والدعوة إليه.

ومن الوسائل المعينة على ذلك:

- تعلم لغاتهم.
- تفعيل وسائل الإعلام.
- تفعيل وسائل التواصل الاجتماعي والتقنية الحديثة.
- التخلق بأخلاق الإسلام واتباع هدي محمد - ﷺ - حتى نكون نموذجًا عمليًا لهذا الدين.

ما الذي تثمره معرفة
أوصاف القرآن وأوصاف
من بلغنا إياه؟

من علم هذه الأوصاف للقرآن والرسولين الآتين به: الملكي والبشري أحبه وأحبهما، وبالغ في التعظيم والإجلال، وأقبل على تلاوته في كل أوقاته، وبالغ في السعي في كل ما يأمر به والهرب مما ينهى عنه؛ لتحصل له الاستقامة رغبةً في مرافقة من أتى به، ورؤية من أتى من عنده.¹

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لِمَنْ
شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾؟

- طريق الهداية سهل ميسر لمن أراد الاستقامة عليه.
- الإنسان مسؤول عن نفسه، فمن لم يستقم فهو مسؤول عن انحرافه.
- دلائل الهدى والإيمان في الأنفس والآفاق واضحة جلية في القرآن لمن أراد الاستقامة.
- من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن؛ فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه.²

• إن من أعظم أسباب الاستقامة أن يعتصم العبد بربه - عز وجل - ليوافقه إلى الاستقامة قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101].

كيف نحقق الاستقامة ونربي
أبناءنا وأنفسنا عليها؟

- المسارعة إلى طاعة الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ۖ وَإِذْ أَلَّيْتَهُمْ مِنَ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: 66، 67، 68].
- الدعاء أن يرشدنا الله إلى طريق الاستقامة والثبات عليه.
- اختبار الصحبة الصالحة المعينة على الطاعة والاستقامة.
- من شاء بذل ومن بذل وصل: بذل الجهد لمعرفة الحق واتباعه ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

1 نظم الدرر، البقاعي (21/ 294)

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 340)

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- أوردت السورة أحداث الساعة، وانفراط الكون بعد إحكامه، بداية بالشمس ثم النجوم ثم الجبال، ثم زهول الإنسان عن أمواله، ثم زهول الوحوش وحشرها وفضاضتها وإيقادها نارا.
- ثم ذكرت السورة حال النشور والحساب.
- وفي ذلك دعوة إلى التفكير في ملكوت السماوات والأرض، وكذلك دعوة إلى التفكير في الدنيا وهوانها.
- في السورة دعوة للتمسك بما جاء في هذا الكتاب الكريم الذي هو سبيل النجاة، من بيان صفات الملك الذي وكل من أهل السماء - جبريل عليه السلام - ثم صفات من وكل به من أهل الأرض - النبي ﷺ -.
- فبيّنت صفات جبريل - عليه السلام - الأمانة، والقوة، وعلو المكانة، والطاعة، والكرم.
- وبيّرت الرسول - ﷺ - مما أتممه به المشركون.
- ثم ذكرت السورة مقاصد القرآن الكريم.
- في السورة تنويه بعملية رسالة نبينا محمد - ﷺ - وأنها هداية للخلق عامة.
- اختتمت السورة بالأمر بالاستقامة ووعده بالتوفيق لها لمن صدق فيها، وهي النتيجة العملية لليقين بصدق القرآن، والتصديق بيوم القيامة، وبيان أن مشيئة الله سابقة مشيئة العبد، فلا يقع في ملك الله - تعالى - إلا ما يريد.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الاستعداد لليوم الآخر بالإيمان والعمل الصالح.
- تربية الأبناء على التفكير في آيات الله - عز وجل - خاصة التي تعرض مشاهد يوم القيامة.
- التفكير في آيات الله الكونية.
- عدم التعلق بالحياة الدنيا والزهد في متاعها الزائل.
- تعظيم قيمة القرآن في قلوبنا والإقبال عليه.
- استشعار منة الله على عباده بالهداية والاستقامة، ولزومهما باتباع مرضي الله واجتناب نواهي.

فوائد تربوية من السورة

- نأخذ من السورة أسلوب الترغيب والترهيب.
- من القضايا التي تعالجها السورة التعلق بالدنيا ومتاعها.
- تغرس السورة علو الهمة والترفع عن سفاسف الأمور.
- تغرس السورة قيمة القرآن الكريم علما وعملا.
- تغرس السورة قيمة حب الملائكة والافتداء بهم.
- تغرس السورة قيمة المسؤولية الفردية والإيجابية بالسعي لمعرفة الحق واتباعه.

رسائل

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١١ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ١٢ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ١٣ ذكر الدار الآخرة دواء للطفغان وقسوة القلوب.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قرينك في الدنيا قرينك في الآخرة، فاحرص على اختيار أصحابك.
 ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُزِّلَتْ﴾ قال قتادة: «صحيفتك يا ابن آدم تملي ما فيها، ثم تطوى، ثم تنشر عليك يوم القيامة».
 ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ قبل أن تقدم على أي عمل يُغضب ربك في السر تذكر أنه سيأتي يوماً يكون السر فيه علانية.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ١٤ ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٥﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٦﴾ فلنلزم كلام الله علماً وعملاً، تمثلاً وسلوكاً، تهذيباً وتأديباً، قال ابن مسعود: "إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره".

082. سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ: تَرْبِيَّةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورتنا هذا اليوم أولها: هَوًّا وحرأكًا واضطرابًا، وآخرها: صمتٌ ومهابةٌ وسكونٌ، وبينهما لومٌ وعتابٌ.

سورتنا اليوم تتحدث عن جزاء الإنسان، بعد حصول الأهوال العظام، عن مصيره إما إلى نعيم وإما إلى نار، في يوم الملك فيه لله الواحد القهار. سورتنا هي سورة... الانفطار.

تعريف السورة:

اسم السورة:	«سورة الانفطار»، «سورة إذا السماء انفطرت»، «سورة المنفطرة» ¹ .
نوع السورة:	مكية ² .
عدد آياتها:	تسع عشرة آية.
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

عن عبد الله بن عمر: عن النبي - ﷺ -، قال: «من سرّه أن ينظر إلى القيامة رأي العين، فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾»³.

عن جابر - رضي الله عنه - قال: قام معاذ فضلى العشاء الآخرة فطول، قال النبي - ﷺ -: «أفتان يا معاذ، أفتان يا معاذ؟ أين كنت عن ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿الضُّحَى﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾»⁴.

المناسبة بين سورة الانفطار وسورة التكوير:

مناسبة السورة لما قبلها: كلتا سورتي التكوير والانفطار تصف أهوال القيامة وانفطار الكون فيها. سورة التكوير نُوّهت بملك الوحي جبريل - عليه السلام -، وسورة التكوير نُوّهت

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (169/30)

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/341)

3 مسند أحمد، ت: شاكر (4/455)، إسناده صحيح

4 السنن الكبرى، للسنائي (2/19)، حكم الألباني: صحيح

بالملائكة الحفظة لأعمال العباد.

كلتا السورتين تَبَّهتا إلى علم الإنسان يومئذ بما أحضر وقَدَّمَ وأخَّر، وهذا العلم الذي يسبق الحساب.

كلتا السورتين حُتِّمت بأن الأمر لله عز وجل؛ فختمت سورة التكوير بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وختمت سورة الانفطار بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

المناسبة بين سورة الانفطار وسورة المطففين:

قال البقاعي: «لما ختم الانفطار بانقطاع الأسباب وانحسام الأنساب يوم الحساب، وأبلغ في التهديد بيوم الدين، وأنه لا أمر لأحد معه، وذكر الأشقياء والسعداء، وكان أعظم ما يدور بين العباد المقادير، وكانت المعصية بالبخس فيها أحس المعاصي وأدناها، حذر من الخيانة فيها، وذكر ما أعد لأهلها وجمع إليهم كل من اتصف بوصفهم، فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾»¹. ويمكن أن يقال إنَّ سورة المطففين كأنها إيضاح لسورة الانفطار، أو متفرعة عنها، وتفصيل لإجمالها، كما أن سورة الانفطار مشابهة لسورة التكوير، وسورة التكوير متناسقة مع سورة عبس، فكأن المطففين، والانفطار، والتكوير، وعبس سورة واحدة من حيث تناسقها وتكاملها.²

مناسبة السورة لما بعدها:

تصوير القيامة بتبعض المخلوقات المنتظمة، وتغير حالها ومسارها.³

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (5): إثبات البعث وأهواله.
من الآية (6) إلى الآية (8): توبيخ الإنسان على جحوده نعم ربه.
من الآية (9) إلى الآية (12): تكذيب الإنسان بالبعث، وكتابة الملائكة لأعماله.
من الآية (13) إلى الآية (18): جزاء الأبرار، وجزاء الفجار، وتحويل القيامة.
الآية (19): المسؤولية الفردية.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾

الآية (الآيات)

1 نظم الدرر، البقاعي (310/21)

2 الجواهر، الطنطاوي (91/25/13)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (587 /1)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ إذا السماء تشققت لنزول الملائكة منها.
2. ﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ وإذا الكواكب تساقطت متناثرة.
3. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ وإذا البحار فُتِحَ بعضها على بعض فاختلطت.
4. ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ وإذا القبور فُلبَ تراجمها؛ لبعث من فيها من الأموات.
5. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ عند ذلك تعلم كل نفس ما قدمت من عمل، وما أخرت منه فلم تعمله.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
أسلوب الشرط إذا، وفيه تشويق وترقب لجواب إذا؛ حتى يتمكن من النفس كمال التمكن، وفيه إثبات وتحويل للبعث والجزاء والإنذار. ²	ما الأسلوب الذي افتتحت به السورة، وعلام يدل؟
صيغة الماضي في الجمل الواردة تنبيه على تحقق الوقوع. ³	ما دلالة التعبير بالماضي في قوله تعالى: ﴿انْفَطَرَتْ﴾، ﴿انْتَثَرَتْ﴾، ﴿فُجِّرَتْ﴾؟
لما فيها من الهول باستحضار حالة الأرض، وقد أُلقت على ظاهرها ما كان في باطن المقابر من جثث كاملة ورفات. ⁴ وفي هذا زيادة في تحويل هذا المشهد المريع لخروج الموتى من مقابرهم.	ما دلالة ذكر بعثرة القبور دون غيرها من حالات الأرض في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾؟
نستشعر قدرة الله - عز وجل - على إتقان خلقه وإبداعه، وعلى تغييره الأحوال متى شاء وكيف شاء، لا يعجزه شيء، وهو العزيز الحكيم. ويدعوننا هذا إلى الاستعداد لهذا اليوم ولهذا المشهد المهيب، يوم خروجنا من القبور للوقوف بين يدي الله - عز وجل - . ونشكر الله سبحانه وتعالى أن أعلمنا بذلك حتى لا نؤخذ على غفلة وتجهز له حتى نكون من الفائزين.	نرى سماء متقنة لا فروح فيها ولا فطور، وكذلك ما نراه وما نعلمه عن الكون كله، فما أثر معرفتنا بانقلابه في هذا اليوم؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 587)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 170)

3 المرجع السابق، بتصرف

4 المرجع السابق

جواب إذا قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾¹
 دلالة على أن كل شيء محصى على النفس، وأنما تعلم ما تحقره من أعمال وتذكر
 المنسي والمغفول عنه، وأن هذا وعيد بالحساب على جميع أعمالها.²
 وفيه تحذير من العمل بما يخالف الله تعالى ورسوله - ﷺ -.³

ما دلالة التعبير بالنفس في
 قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا
 قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾؟

قيل: العمل الذي قدمته النفس، أي عملته مقدماً وهو ما عملته في أول العمر،
 والعمل الذي أخرته؛ أي عملته مؤخراً أي في آخر مدة الحياة.
 وقيل: المراد بالتقديم المبادرة بالعمل، والمراد بالتأخير مقابله وهو ترك العمل.⁴
 وقيل: ما قدمت في حياتها وما أخرت مما سنَّته فعمل به بعد موتها.⁵
 وفيه تنبيه للغافل عما يؤخره من عمل صالح حتى يبادر إليه، وما يقدم من المعاصي
 حتى ينتهي عنها.

﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
 وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: 49].
 ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾
 [الإسراء: 13].

كل ما عمله الإنسان محصى
 في كتابه، هات شواهد من
 القرآن على ذلك.

آيات تمز القلوب رهبة
 وخوفاً من أهوال يوم
 القيامة، فكيف نستعد لهذا
 اليوم المهول؟

- تذكر هول يوم القيامة من أعظم الروادع عن المعصية.⁶
- كثرة الاستغفار والمبادرة بالتوبة.
- الحذر من ترك سنة سيئة بعد موتنا؛ فإن أوزارها تكتب علينا حتى ونحن في قبورنا.
- زيارة القبور للاعتبار والاتعاظ والتذكر.
- محاسبة النفس ومراجعتها على التقصير.
- المبادرة وترك التسويف في العمل الصالح.
- الزهد في الدنيا وعدم التعلق بما فكلها إلى زوال.

1 المرجع السابق، بتصرف

2 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (88)

3 المحرر الوجيز، ابن عطية (446/5)، تفسير العثيمين، ابن عثيمين (88)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (173/30)

5 جامع البيان، الطبري (268/24)

6 المختصر في التفسير (587)

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٢﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٣﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

6. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ يا أيها الانسان الكافر بربك، ما الذي جعلك تخالف أمر ربك حين أمهلك ولم يعاجلك بالعقوبة تكريمًا منه؟!
7. ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ﴾ الذي أوجدك بعد أن كنت عدماً، وجعلك سوي الأعضاء معتدلاً.
8. ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ في أي صورة شاء أن يخلقك خلقك، وقد أنعم عليك إذ لم يخلقك في صورة حمار ولا فرس ولا كلب ولا غيرها.¹

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
تهيئة النفس لقبول الموعدة؛ لتكون أشد تغلغلاً في القلب بعد ما سبقها من التهويل والإنذار، وفيه نداء للتنبيه، يُشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء لسماعه، وهو موجه لكل من يسمعه بقصد أو بغير قصد. ²	ما دلالة أسلوب النداء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟
إنكار وتعجب من الإشراف بالله وإنكار البعث، وعتاب للإنسان المقصر في حق ربه، المتجرئ على مسأخطه، وتهديد للإنسان المُقَدِّم على معصية ربه، لمقابلته بما لا يليق، وفيه إشارة للجواب، وهو أن الذي غرَّ الإنسان كرم الله - عز وجل - وإمهاله وحلمه. ³	ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟
في الربوبية تظهر معاني الملك والرعاية والرفق التي تناسب تذكير الإنسان بنعم الله واستحقاقه تعالى لطاعة مربييه، وفيه مزيد من العتاب والذم لهذا الإنسان الذي اغتر بجيائه وترك طاعة ربه الذي خلقه ورباه. ⁴	ما مناسبة تخصيص الربوبية في الآية؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (582 / 1)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (173 / 30)، بتصرف

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (342 / 8)، بتصرف، تفسير الكرم الرحمن، السعدي، (ص: 914)، بتصرف، التحرير والتنوير، ابن عاشور (174 / 30)، بتصرف، تفسير العنيمين، ابن عثيمين (88)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (175 / 30)

ما مناسبة ختم الآية باسم
الله الكريم؟

للدلالة على أن الكريم حقيق بالشكر والطاعة، وأنه عظيم الشأن، فلا يليق معصيته، ولا ينبغي مقابلة كرمه بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور.¹

كْرَمَ اللهُ - عز وجل - ابن
آدم وأعطاه عطاءً واسعاً
وفضله، هات شواهد من
القرآن على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: 70].

ما دلالة تتابع الأفعال في
قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾؟

تذكير بنعمة الله - تعالى - على الإنسان بخلقه على أحسن الهيئات والأشكال مع اعتدال القامة وانتصابها، وتحذير من جحود إحسان المحسن.²

من قدرة الله - تعالى - ولطفه وحلمه بعباده يخلقهم على شكل حسن مستقيم معتدل تام.³

ما الحكمة من ذكر التعديل
بعد التسوية؟

للدلالة على أن التسوية غير التعديل، فالتسوية: جعل الشيء قويمًا سليمًا، أي ليست يد أطول من يد، ولا رجل أطول من رجل، أما التعديل: جعله مستقيم القامة ليس كالبهائم.⁴

فخلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة الكاملة يستحق التدبير الطويل، والشكر العميق، والأدب الجم لربه الكريم الذي أكرمه بهذه الخلقة.

ما فائدة تذكير الله - تعالى -
للإنسان بنعمه عليه؟

تذكير الإنسان بفضل ربه - تعالى - عليه فيه حض على طاعته وشكره، وتوبيخه على تقصيره وجحوده، وتحذيره بسوء المصير إذا ما استمر في غفلته وغروره.

عاجلت السورة قضية
الاغترار بنعم الله - تعالى -
وحلمه، وضح ذلك.

- التذكير بمشاهد القيامة فهي يقين، توقظ القلب الغافل، الذي اغترَّ بالدينا واغترَّ بكرم الله - تعالى - ناسيًا الحساب، في هذا اليوم ينصب المولى - سبحانه - ميزان العدل، فلا شفاعاة ولا وساطة لمن أشرك به وكذَّب بهذا اليوم.
- عتاب المولى - سبحانه - الإنسان لتمنيته على ربه دون أن يكَلِّل تلك الأمانى بالعمل، ودون المبادرة في الطاعات.
- تذكيره بأنه مخلوق خلقه الله - تعالى - وأحسن في خلقه، ومنحه من النعم والهيئات ما يقدر به على تنفيذ ما كلفه الله من الطاعات.

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 342)، بتصرف، تفسير العثيمين، ابن عثيمين (53)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 175)

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 342)، تفسير الكرم الرحمن، السعدي، (ص: 914)

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 344)، بتصرف

4 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (88)، بتصرف

- دعوة من الله - تعالى - للإنسان؛ لكي ينظر في نفسه، ويستخرج منها الكنوز التي منحة الله إيّاها؛ ليستخدمها فيما يرضي ربه ويبعد عن معاصيه.
- كما يؤكّد المولى - سبحانه - أنّ الجزاء في الآخرة، فالأمر جدّ خطير، إمّا إلى جنة أو إلى نار، ولا ثالث لهما.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿كَلَّا بَلْ تُكَدِّبُونَ بِالذِّينِ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

9. ﴿كَلَّا بَلْ تُكَدِّبُونَ بِالذِّينِ﴾ ليس الأمر كما تصورت - أيها المغترون - بل أنتم تكذبون بيوم الجزاء فلا تعملون له.
10. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ وإن عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم.
11. ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ كرامًا عند الله، كاتبين يكتبون أعمالكم.
12. ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعلمون ما تفعلون من فعل فيكتبونه.¹

تدبر وتركية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرية
<ul style="list-style-type: none"> • ردع وزجر لهذا الإنسان الذي اغترّ مع كل هذا الوعظ والتذكير وترك الاستعداد للقاء الله - سبحانه -². • إن هذا الاغترار سببه التكذيب بهذا اليوم. 	<p>ما مناسبة قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾</p> <p>بَلْ تُكَدِّبُونَ بِالذِّينِ ﴿١٠﴾ لما قبلها؟</p>
<p>تكذيب الكفار واقع بالدين نفسه، وبالجزاء أيضًا³ فالتكذيب شامل للتكذيب باليوم الآخر، والتكذيب بما جاء في هذا الدين القويم.</p>	<p>ما دلالة التعبير ﴿بِالذِّينِ﴾ دون غيره؟</p>

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 582)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 914)، بتصرف

3 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (88)، بتصرف

- ما دلالة عطف قوله تعالى: • تأكيد لثبوت الجزاء على الأعمال.
- (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ) على • الملائكة مُحْصُونَ غير مضيعون لشيء من أعمال الإنسان.¹
- ما قبلها؟ • من علم أن عليه ملائكة تحصى الأعمال، تَبَيَّنَ من يوم يحاسب فيه عليها.

ما دلالة إطلاق وصف الملائكة (حَافِظِينَ) مع الحفظ بهذا الإطلاق يجمع معنى الرعاية والقيام على ما يوكل إلى الحفيظ، والأمانة التأكيد بعدة مؤكدات والتعددية بحرف الجر (على) في الآية؟

- الإنسان عليه حفظة من الملائكة تحفظه بأمر الله، وكذلك منها ما يحصى أعماله ويكتب كل ما عمل، اذكر شواهد من القرآن على ذلك.
- شاهد على إحصاء الملائكة لأعمال العباد، قال تعالى: ﴿إِذِ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: 17-18].
- شاهد على الملائكة الموكلين بحفظ العباد حتى يأني أمر الله - عز وجل -، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61].

- ما أثر معرفتك بالملائكة الحفظة؟
- استشعار عظمة الله - تعالى - وقوته وسلطانه، فإنَّ عظمة المخلوق من عظمة الخالق.
- شكر الله - تعالى - على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.
- محبة الملائكة.
- مراقبة النفس حذرًا من المعاصي، عارفًا بأن كل ما تلفظ به أو تعمله فإنه مكتوب عليك وستراه يوم القيامة.
- الحياء من الملائكة من أن تراني على معصية، وقبله الحياء من الله - عز وجل -.

علام يدل وصف الملائكة بالكرم في قوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾؟

للدلالة على أن الملائكة ذوي منزلة عالية رفيعة عند الله - تعالى -، وأن اللائق بنا أن نكرمهم ونُجَلِّهم ونُحْتَرِمهم، فقد أقامهم الله علينا يكتبون الأقوال والأفعال، وعندهم من الكرم ما يناهز أن يظلموا أحدًا.³

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (179 / 30)، بتصرف

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (180 / 30)

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 914)، بتصرف، تفسير العثيمين، ابن عثيمين (89)، بتصرف

ما دلالة التعبير **(تَفْعَلُونَ)** في قوله تعالى: **(يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)**؟

ليُعْمَ كل شيء يفعلُه الناس وتدخل فيه الخواطر القلبية؛ لأنّها من عمل القلب أي العقل، فإن الإنسان يُعمل عقله ويعزم ويتردد.¹

الحفظ، والكرم، والكتابة، والعلم بما يعلمه الناس.

• الحفظ: الرعاية والمراقبة والإحصاء الدقيق.

• الكرم: صفة جامعة للكمال في المعاملة، وما يصدر عنهم من الأعمال.

• الكتابة: ضبط ما وكلوا حفظه، ضبطاً لا يتعرض للنسيان، ولا للإجحاف، ولا للزيادة.

• العلم بما يعلمه الناس: الإحاطة بما يصدر عن الناس من أعمال، وما يخاطر بها من خير أو شر.²

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ

صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤَكِّلِينَ

بِإِحْصَاءِ الْأَعْمَالِ، وَضَحْهَا.

• حب الملائكة وتوقيرهم، فلا تفرّق في ذلك بين ملك وملك؛ لأنهم جميعاً عباد الله.

• الإيمان بهم تمام الإيمان، وأن نراعي حق صحبتهم، وحفظهم لنا، وتعاقبهم علينا، ومراقبتهم لنا.

• البعد عن الذنوب والمعاصي؛ لأنّ الملائكة - غير المؤكّلة بحفظ الإنسان - لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله - تعالى -، أو التي يوجد فيها ما يكرهه الله ويبغضه، كالأنصاب والتماثيل والصور، ولا تقرب من تلبّس بمعضية كالسكران.

• العناية بأحوالنا ولو كنا بمفردنا؛ لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، والأقذار والأوساخ، عن جابر بن عبد الله، عن النبي - ﷺ - قال: "من أكل من هذه البقلة، الثوم، وقال مرة: من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجداً؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".³

أَتَى اللهُ - تَعَالَى - عَلِيَّ

الْمَلَائِكَةَ الْحَفِظَةَ وَعَظَمَ

شَأْنَهُمْ، فَمَا وَاجِبُنَا لِحُجَّتِهِمْ؟

تَجَاهَهُمْ؟

تلاوة

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿٣٧﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٣٨﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤١﴾)

الآية (الآيات)

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (180 / 30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (179 / 30)، بتصرف

3 صحيح مسلم (1 / 395)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

13. ﴿إِنَّ الْأُبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ إن كثري فعل الخير والطاعة لفي نعيم دائم يوم القيامة.
14. ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ وإن أصحاب الفجور لفي نار تستعر عليهم.
15. ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يدخلونها يوم الجزاء يعانون حرّها.
16. ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ وليسوا عنها بغائبين أبداً، بل هم خالدون فيها.
17. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الدين؟!.
18. ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ثم ما أعلمك ما يوم الدين؟!¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة الآيات لما قبلها؟	لما ذكر الله - سبحانه وتعالى - أن كل ما يعمله الإنسان محصى ومكتوب له أو عليه ذكر منازل المطيعين ومنازل العاصين. ²
ما دلالة التعبير بلفظ ﴿الْأُبْرَارَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأُبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾؟	للدلالة على أنهم ملازمون للبر، وأنهم قاثمون بحقوق الله وحقوق عباده، وليشمل أفعال قلوبهم، وجوارحهم. ³ وسمي التقى براً؛ لأنه بر ربه، أي صدقه ووفى له بما عهد له من الأمر بالتقوى. ⁴ والبر يدل على كثرة وجوه الخير نوعاً وكثراً.
علام يدل التعبير بـ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ في الآية؟	للدلالة على أن هذا النعيم محيط بهم من كل جانب وهم منغمسون فيه، وأنه نعيم في القلب والروح والبدن، وأنهم في نعيم في دُورهم الثلاث، دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار. ⁵
ما دلالة التعبير بلفظ ﴿الْفُجَّارَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾؟	لأنهم قصروا في حقوق الله - تعالى - وحقوق عباده، وفجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم. ⁶ وليدل على أن من ضيع حقوق الله فهو لحقوق العباد أضيع، ومن كذب بالله وباليوم الآخر، وترك الاستعداد للحساب فجر في ظلمه لنفسه وغيره.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 587)

2 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 54)، بتصرف

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 914)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 182)

5 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 914)، بتصرف

6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 914)

ما دلالة الجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾؟
 لإفادة الاسمية الثبات سواء في الإثبات أو النفي، فهم يَصْلُونَ حَرَّهَا ولا يفارقونها، لا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة، ولو يوماً واحداً، وزيادة الباء لتأكيد النفي.¹

علام يدل أسلوب الاستفهام وتكراره في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾؟
 تعظيماً لشأن يوم القيامة، وتوبيلاً لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان، والتكرير يدل على زيادة التهويل حتى تجاوز حد الوصف والتعبير.²
 وتُسمى بيوم الدين؛ مناسبة لبيان تكذيبهم بهذا اليوم، وتُسمى الدين؛ لأنه تُدان فيه الخلائق ولا يجد إلا ما قدم من عمل فلا يظلم شيئاً؛ إنما هو دين على عمله جزاء وفاقاً.

ما الفائدة في استعمال حرف العطف (ثم) في الآية؟
 واستعمال ثم، فيها تراخٍ زُثِّي، وهي في هذا المقام زيادة في العظمة والتهويل، فالتراخي فيها هو الزيادة.³

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

19. ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ يوم لا يستطيع أحد أن ينفع أحداً، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده، يتصرف بما يشاء، لا لأحد غيره.⁴

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لما قبلها؟	في هذا بيان للتهويل العظيم المجل الذي أفادته الآيات التي سبقتها، فبزيادة التهويل مع التأييس من وجدانٍ تصيرٍ أو مُعينٍ. ⁵

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 345)، بتصرف. التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 183)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 184). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 914)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 184)، بتصرف

4 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 587)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 184)

ماذا يفيد تنكير (شَيْئًا) في
الآية؟
يفيد تأييد المشركين من أن تنفعهم أصنامهم يومئذ،¹ أو أن يكون لهم شفيع أو نصير أو معين ممن اتبعوهم أو غيرهم.

علام يدل تعريف (وَالْأَمْرُ) في
في الآية؟
تعريف (الأمر) للتعميم، فيعم ملك الله - عز وجل - لكل الأمور، فليس ثم أحد يومئذ يقضي شيئًا، ولا يصنع شيئًا إلا رب العالمين.²

ما مناسبة ختم السورة بهذه
الآية (يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ
لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ
لِلَّهِ)؟
اختتمت السورة الكريمة كما بُدئت بالتهويل من شأن يوم القيامة؛ ليزداد العقلاء استعدادًا له، عن طريق الإيمان والعمل الصالح الذي يرضي الله - تعالى -³ فبدأت السورة بمول القيامة، وختمت بأن الأمر فيه لله يقضي به متى شاء، وكيف شاء، ولا اعتراض على حكمه ولا فضائه.

”في هذا اليوم لا يجد المرء ما يعول عليه سوى ما قدمت يده، فيجفوه الأولياء، ويغذله الشفعاء، ويتبرأ منه الأقرباء، فلا شفيع ولا نصير، ولا وزير ولا مشير، والحكم لله وحده، وهو المهيمن على عباده، ويده تصريف أمورهم، وهو الصادق في وعده، العدل الحكيم في وعيده، فلا مهزَّب لعامل مما أعد له من الجزاء على عمله.“⁴

قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4].
قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48].
قال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: 26].
قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].
قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ وَصَلْبَتِهِ وَنَبِيِّهِ ۖ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ﴾ [عبس: 34-37].

في يوم القيامة لا تغني نفس
عن نفس شيئًا، والملك كله
لله تعالى، هات شواهد على
ذلك.

- دعوتهم إلى تأمل السماء الحكمة البناء، وأنه ستأتي يوم تتشقق فيها وتخرب، وكل ما في الكون مهما بلغ جماله وعظم بناؤه فهو إلى خراب وفناء.
- تربيتهم على مراقبة الله - عز وجل - وأن لكل إنسان ملكين يحفظان عمله، فلا يقدم إلا ما يسره رؤيته يوم الحساب.
- تعظيم شأن الوقت واستحضار أهميته واستغلاله قبل انقطاعه.

كيف نغرس قيمة التعلق
بالدار الآخرة في أبنائنا من
خلال سورة الانفطار؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/185)
2 جامع البيان، الطبري (24/272)
3 التفسير الوسيط، الططاوي (15/314)
4 تفسير المراغي، المراغي (30/68)

- أن نكون لهم قدوة بالمسارعة إلى الأعمال الصالحة.
- تعويدهم على استثمار ما يملكون من ميزات ومواهب في طاعة الله تعالى.
- تذكيرهم باليوم الآخر وأن كل إنسان مصيره إما إلى جنة وإما إلى نار.
- ربطهم بالله الواحد، فلا نافع إلا الله فهو من بيده الأمر من قبل ومن بعد.

- هل تفكرنا في لطف الله - سبحانه وتعالى - وكرمه وحلمه على عباده فلا يجعل لهم العقوبة؟
- نعمة الخلق والتسوية نعمة عظيمة، هل استشعرناها وشكرنا الله عليها؟
- هل استشعرنا حفظ الملائكة لنا ولأعمالنا؟
- هل استشعرنا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾؟

- زيارة القبور والدعاء لأهلها وتذكر الآخرة.
- الحرص على قيام الليل ومصاحبة القرآن؛ لتكون قبورنا روضة من رياض الجنة.
- الإيمان بأن مآل كل من في القبور هو البعث ومن ثمَّ الجزاء.
- شكر الله - تعالى - على نعمه واستخدامها في طاعته.
- الرضا بالهيئة والشكل الذي خلقنا عليه، وتدعو الله أن يحسن خُلُقنا كما حسَّن خُلُقنا.

ما الأعمال التي يمكن
تطبيقها من خلال السورة؟

- الاستعداد للبعث بالعمل الصالح.
- الإيمان بالملائكة وحبهم وإكرامهم والحياء منهم.
- سؤال الله - تعالى - الجنة والعمل بأعمال الأبرار.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- وصف أهوال القيامة بمشهد انقلاب الكون، وتبعثر المخلوقات، والبعث من القبور في دعوة إلى الاستعداد لها.
- التحذير من الاغترار بحلم الله - عز وجل - وإكرامه لعباده.
- يقابلها دعوة إلى شكر الله - عز وجل - على نعمة الخلق والتسوية.
- دعوة إلى التفكير في قدرة الله - عز وجل -.
- تنبيه العبد إلى حفظ الله له، وحفظ عمله.
- التحذير من التكذيب بالبعث والجزاء؛ فإنه أكبر عامل من عوامل الشر والفساد في الدنيا وموجب للعذاب يوم القيامة.
- بيان عاقبة كلا الفريقين الأبرار والفجار، والتنبيه إلى عدل الله في ذلك، فالجزاء من جنس العمل.
- بيان عظم شأن يوم الدين، والدعوة إلى الاستعداد له، وعدم الغفلة عنه.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له.
- شكر الله - عز وجل - على نعمه واستعمالها فيما يرضيه.
- حب الملائكة الكرام والإيمان بهم.
- الإكثار والتوسع في عمل الصالحات، وأعمال البر التي تقرنا من الله - عز وجل -.
- المبادرة إلى التوبة مع صدق النية والإخلاص.
- محاسبة النفس، وتذكيرها وعتابها وموعظتها.

فوائد تربوية من السورة

- نأخذ من السورة أسلوب الترغيب والترهيب.
- من القضايا التي تعالجها السورة التعلق بالدنيا ومتاعها؛ بيان هوانها وزوالها وتعظيم شأن الآخرة.
- تغرس السورة الرضا بقضاء الله - عز وجل - وقدره؛ بيان تكليف الملائكة بحفظ الإنسان إلى أن يأتي أمر الله - عز وجل - وقدره.
- تغرس السورة علو الهمة والترفع عن سفاسف الأمور.
- تغرس السورة قيمة الآخرة والاستعداد لها.
- تغرس السورة قيمة حب الملائكة والاقترناء بهم.
- تغرس السورة قيمة المراقبة الذاتية ومحاسبة النفس.
- تغرس السورة قيمة الحياء والشكر.

رسائل

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) ربنا الكريم أغدق علينا من كرمه وفضله وبره، ونحن مقصرون في حقه منهاونون في أمره، ينادينا نداء عتاب على غفلتنا، عتاب يلمس قلوبنا، ويذكرنا بنعمة الخلق السوي، فهلا استجبنا؟!)

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) منغمسون في النعيم كما انغمسوا في أعمال البر والصلاح؛ الجزء من جنس العمل. (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۗ) استحضر وجودهم رادع عن المعصية خوفاً وحياءً، فلا تغفل عنهم، فكيف باستحضارك رقابة الله - عز وجل -.

083. سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة عظيمة، تنبهنا على أهمية حسن الخلق، وتحثنا على العدل، وتحذرننا من هضم حقوق الناس بغير حق وأكل أموالهم بالباطل، وتذكرننا بما أعد الله - عز وجل - للبر والفاجر.

سورة تنبهنا على أهمية الإيمان باليوم الآخر في بناء الإنسان المستقيم في عباداته ومعاملاته، تعرفنا بقبح الذنب وأثره على العبد في الدنيا والآخرة. سورة تمثل منهاجاً كاملاً، وميزاناً عدلاً للمؤمن والكافر. هي سورة المطففين.

تهينة:

تعريف السورة:

اسم السورة: سورة «المطففين»، سورة «ويل المطففين»، سورة «التطفيف»¹.

اختلف المفسرون في كونها مكية أو مدنية أو بعضها مكى وبعضها مدني، وعن ابن عباس في رواية عنه وقتادة: هي مدنية إلا ثماني آيات من آخرها من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرُمُوا﴾ [المطففين: 29] إلى آخرها،² وقد حصل من اختلافهم أنها: إما آخر ما أنزل بمكة، وإما أول ما أنزل بالمدينة، والقول بأنها نزلت بين مكة والمدينة قول حسن.³

نوع السورة:

وهي ثلاثون وست آيات في جميع العَدَدِ لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ وَلَا يَمَّا يَشْبَهُ الْفَوَاصِلِ شَيْءٌ.⁴

عدد آياتها:

• عن ابن عباس قال: لما قدم النبي - ﷺ - المدينة كانوا من أخبث الناس كيبلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

• قال السدي: قدم رسول الله - ﷺ - المدينة وبها رجل يُقال له: أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية.⁵

سبب نزولها:

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (315/15)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (188/30)

3 التحرير والتنوير (187/30)

4 البيان في عد أي القرآن، (ص: 267)

5 أسباب النزول، الواحددي، (ص: 452)

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

إنها من المُصَّصَل، عن وائلة بن الأسقع، قال: قال النبي - ﷺ -: ”أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل“¹.

المناسبة بين سورة المطففين وسورة الانفطار:

تتعلق هذه السورة بما قبلها [سورة الانفطار] من وجوه أربعة:

- قال الله - تعالى - في آخر السورة المتقدمة واصفًا يوم القيامة: (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۗ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) [الانفطار: 17]، وذلك يقتضي تهديدًا عظيمًا للعصاة، فلهذا أتبعه هنا بقوله: وَيُلِّقُ لِلْمُطَفِّفِينَ والمراد: الزجر عن التطفيف، والبخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية، أما الكثير فيظهر، فيمنع منه.

- في كل من السورتين توضيح أحوال يوم القيامة.

- ذكر الله - تعالى - في السورة السابقة: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۗ كِرَامًا كَاتِبِينَ) [الانفطار: 11]، وذكر هنا ما يكتبه الحافظون: (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) [المطففين: 20] يجعل في عليين، أو في سجين.

مناسبة السورة لما قبلها:

- ذكر الله - تعالى - تصنيف الناس إلى فريقين: أبرار وفجار في كل من السورتين، وذكر مآل كل فريق، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، قال أبو حيان: لما ذكر - تعالى - السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظم شأن يومه، ذكر ما أعد لبعض العصاة، وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية، وهو التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئًا في تدمير المال وتمميته.²

- يُمكن أن يقال: إن سورة المطففين كأنها إيضاح لسورة الانفطار، أو متفرعة عنها، وتفصيل لبعض ما أجمل فيها.

المناسبة بين سورة المطففين وسورة الانشقاق:

- مناسبة السورة لما قبلها وهي «المطففين» وما بعدها وهي «البروج» واضحة بارزة فكلها في الوعد والوعيد، بوصف جزء من مشاهد وأحوال يوم القيامة والحساب والجزاء.

مناسبة السورة لما بعدها:

- في سورة الانفطار التعريف بالحفظة في قوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۗ كِرَامًا كَاتِبِينَ) وفي سورة المطففين مقرر كتبهم: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ) (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) وفي سورة الانشقاق عرض

1 رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (469/3)

2 التفسير المنير، الزحيلي، (ص: 109)

الكتب يوم القيامة (فَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ بِبَيْمِينِهِ ﴿٧﴾) (وَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿٨﴾) ¹.

مقصد السورة: تركز على بيان حال الناس في الموازين والمنازل الأخروية، تحديداً للمطففين والمكذابين، وتأسيساً للمؤمنين المستضعفين. ²

- وعيد المطففين وأهمية الأخلاق في الإسلام (1-6).
- وعيد الفجار بالعقاب الأليم (7-17).
- وعد الأبرار بالثواب العظيم (18-28).
- سوء خلق الكافر مع المؤمن وجزائه (29-36).

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

(الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ هلاك وخسار للمطففين.
2. ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ وهم الذين إذا اكتالوا من غيرهم يستوفون حقهم كاملاً دون نقص.
3. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون الكيل والميزان، وكان ذلك حال أهل المدينة عند هجرة النبي - ﷺ - إليهم.
4. ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ألا يتيقن هؤلاء الذين يفعلون هذا المنكر أنهم مبعوثون إلى الله؟!.
5. ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ للحساب والجزاء في يوم عظيم لما فيه من الميخن والأهوال.
6. ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يوم يقوم الناس لرب الخلائق كلها؛ للحساب. ³

1 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (47/9)، بتصرف

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 587)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 587)

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
فيه تهديد شديد، ووعيد أليم لمن يفعل ذلك، ¹ ودلالة على شدة قبح هذا العمل وهو فعلاً خطير؛ لأنه مقياس اقتصاد العالم وميزان التعامل، ² فإذا اختل الميزان كثر الظلم والبغي.	ما دلالة افتتاح السورة بالويل للمطففين في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾؟
التطفيف: النقص عن حق المقدار في الموزون أو المكيل، ويكون شيئاً قليلاً زائداً على ما ملأ الإناء. وفي صيغة التفعيل معنى التكلف والمحاولة؛ لأن المطفف يحاول أن ينقص الكيل دون أن يشعر به المكتال، ويقابله الوفاء، ففيه تحذير للمسلمين من التساهل في التطفيف؛ لأن وجوده كان فاشياً في المدينة أول هجرتهم. ³	ما التطفيف، وعلام يدل التعبير بصيغة التفعيل؟
تجنباً لفعل «اتزنوا»؛ لقلّة دورانه في الكلام فكان فيه شيء من الثقل، ولأنهم يأخذون السلع من الجالبين في الغالب بالكيل، فهم يبيعون الأشياء كميلاً ويقبضون الأثمان وزناً. ⁴	ما وجه الاختصار على قوله تعالى: (إذا أكتالوا) دون أن يقول: (وإذا اتزنوا) كما قال: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾؟
للإشارة إلى ما في عملهم المنكر من الاستيلاء والقهر والظلم، ولإفادة الخصوصية، بأنهم يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها. ⁵	ما دلالة التعبير بـ(على) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾؟
دلالة على حرصهم الشديد فيما يتعلق بحقوقهم، وإهمالهم الشنيع لحقوق غيرهم؛ إذ استيفاء الشيء أخذه وإفياً تاماً، فالسين والتاء فيه للمبالغة. ⁶	ما دلالة التعبير بـ(يَسْتَوْفُونَ)، (يُحْسِرُونَ) في الآيات؟

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (318/15)

2 أضواء البيان، الشنقيطي (8/454)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/189)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/191)

5 التفسير الوسيط، الطنطاوي (318/15)

6 التفسير الوسيط، الطنطاوي (319/15)

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُلْتُمْ وَرَنُوا بِالْقُسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 33].
وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: 152].

حثَّ القرآن على إفاء الكيل، ونهى عن تطفيفه في عدة آيات اذكر بعضها.

عن ابن عمر - رضي الله عنه - أنه كان يَمْزُّ بالبائع فيقول: «اتق الله - تعالى - وأوف الكيل، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن، حتى إنَّ العرق ليلجهم»¹.
عن ابن مسعود: «يقومون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برَّهم وفأجرهم»².

اذكر بعض الآثار الواردة في عقوبة المطففين يوم القيامة؟

- أعمال الإنسان التي يتعبد بها لله - عز وجل - كالصلاة مثلاً، فإنَّ بعض الناس قد يطفف بمعنى ينقص من الصلاة الواجبة قدرًا ولو كان قليلاً، فإنَّ هذا من التطفيف الذي يُذمَّ الإنسان عليه.
- من التطفيف تطفيف المعلم والمعلِّمة في حقوق العمل، ومن ذلك التأخُّر عن دخول الحصَّة والخروج في أثنائها من غير حاجة.
- من التطفيف تطفيف الموظَّف في عمله، سواء كان حكوميًّا أو خاصًّا، فيتأخَّر في الحضور ويخرج مبكرًا، يجعل ذلك عادة له.
- ومن التطفيف ما يقوم به بعضهم من استئجار عامل يعمل عنده، ثمَّ يبخسه حقه كلاًه أو بعضه، فخاب وخسر من هذا فعله؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثمَّ غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»³.
- من التطفيف تطفيف الأب مع أولاده - ذكورًا وإناثًا -، فيجب على الأب أن يعدل بين أولاده في كلِّ ما يستطبعه من: مأكَلٍ ومشربٍ وملبسٍ ومسكنٍ ومركبٍ، ويحرم أن يفضِّل بعضهم على بعض من غير سبب.
- عدم العدل مع الأشخاص؛ بحيث يُقال في الشخص ما ليس فيه، فهذا من الظلم والتطفيف.
- من أوجه التطفيف كذلك معاملة الناس بغير ما يرغب أن يعاملوه، فيطلب مثلاً منهم حسن الظن فيه ويسيء الظن فيهم.

اذكر بعضًا من صور التطفيف في واقعنا الحالي؟

1 تفسير المراغي، المراغي (74/30)

2 مختصر تفسير ابن كثير، ابن كثير (614/2)

3 صحيح البخاري (83/3)

بيان أن الذي جرأهم على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، بحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه،¹ وفيه زيادة توبيخ وإنكار، حتى لكأنَّ سوء عاقبة التطفيف لا تخطر لهم على بال.²

علام يدل الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَنْظُرُ أَوْلَيْكَ أَتَهُمْ مَبْعُوثُونَ؟﴾

لعظم ما يقع فيه من الأهوال،³ ولشدة هذا اليوم الذي لا ينبغي أن يُكذَّب به ولا أن يُغفل عنه، وفيه تنبيه للمؤمنين بهذا اليوم أن هذا العمل السيئ والخلق الذميمة ما كان ينبغي أن يتصف به مؤمن بالله واليوم الآخر، وهو أبلغ في النهي عنه.

ما دلالة وصف الله تعالى يوم القيامة باليوم العظيم في قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ؟﴾

لأن المطفف خان الله الذي لا تحفى عليه خافية - سبحانه -، والمطلع على فعله، فهو الذي سيحاسبه ويناقشه.⁴ وتذكير أن الناس في ذلك اليوم سواسية؛ لا فضل لغني على فقير، ولا لعربي على أعجمي، ولا لذكر على أنثى، فليس للإنسان إلا ما قدَّم من عمل صالح أو سيئ، ورب العالمين هو الذي يحاسبهم فردًا فردًا.

ما مناسبة ذكر قيام الناس بين يدي الله - عز وجل - في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رغم أن التطفيف تعدي على حقوق الناس بعضها على بعض؟

لاستحضار عظمته بأنه مالك أصناف المخلوقات، وفيه بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف.⁵ وللتنبية أن من تعدى على أحد من الخلق فقد تعدى على عبد من عباد الله - عز وجل -، وفي هذا اليوم يأخذ الله حق من ظلم من عباده.

علام يدل التعبير عن الله - عز وجل - بوصف ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في الآية؟

- إنَّ من تماون في الصغير فقد يتهاون في ذنب أكبر منه.
- للتنبيه على خطورة التعدي على حقوق الناس المادية والمعنوية وإن بدا للظالم صغيرًا.
- لبيان أن حساب يوم القيامة لا يتجاوز صغيرة ولا كبيرة، قال الله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.
- إنَّ ما نراه صغيرًا يكون عند آخرين كبيرًا.

ما دلالة الوعيد الشديد لهذا الذنب الذي قد يبدو لبعض الناس صغيرًا؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 915)
2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 319)
3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (193/30)
4 أضواء البيان، الشنقيطي (461/8)
5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (193/30)

- إن الجبال من أصغر الحصى؛ فالصغيرة مع الصغيرة تجتمع حتى تكبر وتتعاظم.
- يدل على أهمية الأخلاق في الإسلام.

عن ابن عمر أن النبي - ﷺ - قال: "يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"¹.

عن المقداد بن الأسود، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل - قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين - فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبته، ومنهم من يكون إلى جفونيه، ومنهم من يُلجئُهُ العرق إلجامًا"².

(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) اذكر شواهد على عظمة هذا اليوم كما ورد في السنة.

هل استشعرنا وقوفنا بين يدي الله - تعالى - في هذا اليوم العظيم وماذا أعددتنا لهذا الوقوف؟

هل عرفنا أهمية الأخلاق في الإسلام فحرصنا على التحلي بها؟

كيف حالنا في معاملاتنا مع الناس؟ من حسن الظن والمسامحة والعفو والتغافل؟ ألا نرغب أن يكون الناس

معنا كذلك؟!

- المراقبة؛ وذلك أن المظلوم قد لا يشعر بمن ظف له في المكبال أو الميزان أو غيره، وقد لا يعلم هذا الذنب إلا الله - عز وجل - ومع ذلك استحق فاعله هذا الوعيد الشديد، فلا نجاة إلا بمراقبة الله - سبحانه - وعدم التهاون في حقوق الناس.

اذكر بعض القيم التي تغرسها هذه الآيات.

- تعظيم شأن حقوق الآخرين.
- قيمة الدار الآخرة والتهيؤ لها بما نرضى أن نجاهه في كتابنا.

- تذكر الآخرة وما سيقام فيها من موازين العدل يحمل الإنسان على تحري العدل في الدنيا، والحرص على إنصاف إخوانه قبل نفسه.

- تذكر أن هذه الدنيا فانية ومتاعها زائل مهما حصل منها الإنسان فإنه تاركه وملاقي حسابه عند ربه.

- تذكر الوقوف أمام الله - عز وجل - يوم القيامة، وتطير الصحف وما يعرض على الملأ من الأعمال.

كيف نربي أنفسنا وأبناءنا على مراقبة الله - عز وجل - في أعمالنا ومعاملاتنا؟

1 صحيح البخاري (6/ 167)

2 صحيح مسلم (4/ 2196)

تلاوة

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكذِّبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يُكذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

7. ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ليس الأمر كما تصوّرت من أنه لا بعث بعد الموت، إن كتاب أهل الفجور من الكفار والمنافقين لفي خسار في الأرض السفلى.
8. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما سِجِّين؟!
9. ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا يُراد فيه ولا يُنقص.
10. ﴿وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ هلاك وخسار في ذلك اليوم للمكذبين.
11. ﴿الَّذِينَ يُكذِّبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ الذين يكذبون بيوم الجزاء الذي يجازي فيه الله عباده على أعمالهم في الدنيا.
12. ﴿وَمَا يُكذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ وما يكذب بذلك اليوم إلا كل متجاوز لحدود الله، كثير الآثام.
13. ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ إذا تُقرأ عليه آياتنا المبرزة على رسولنا قال: هي أقاصيص الأمم الأولى، وليست من عند الله.
14. ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ليس الأمر كما تصور هؤلاء المكذبون، بل غلب على عقولهم وغطاها ما كانوا يكسبون من المعاصي، فلم يبصروا الحق بقلوبهم.
15. ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ حقاً إنهم عن رؤية ربهم يوم القيامة لمنوعون.
16. ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ثم إنهم لداخلون النار، يعانون حرّها.
17. ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ثم يقال لهم يوم القيامة تقرّباً لهم: هذا العذاب الذي لقيتموه هو ما كنتم تكذبون به في الدنيا عندما يخبركم به رسولكم.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات

الأسئلة التدرجية

ما مناسبة الآيات لما قبلها؟ استئناف ابتدائي بمناسبة ذكر يوم القيامة، وهو تعريض بالتهديد للمطففين بأن

يكون عملهم موجباً كتبه في كتاب الفجار.¹

<p>مبالغة في هتكهم حرمت الله، وشقهم لستر الشريعة، دون خوف أو وجل.²</p>	<p>ما دلالة التعبير بالفجار في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾؟</p>
<p>شامل لكل فاجر من أنواع الكفرة والمنافقين، والفاسقين، فيعم المطففين وغير المطففين.³</p>	<p>ما وجه تعريف لفظ الفجار في الآية؟</p>
<p>سجين: مأخوذ من السَّجَن، وهو الضيق على أصح الأقوال.⁴ وصفه بسجين يؤذن بتحقيقه؛ أي تحقير ما احتوى عليه من أعمالهم المكتوبة فيه.⁵</p>	<p>ما المراد بسجين؟ وما دلالة وصفه بهذا الوصف في الآية؟</p>
<p>لتعظيم أمر هذا السجين، وفيه تهويل وتفضيع لهذا الشيء الضيق الذي يؤدي إلى القذف بهم في أعماق جهنم.⁶</p>	<p>ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِينٍ﴾؟</p>
<p>المرقوم: المكتوب كتابة بيّنة تشبه الرقم في الثوب المنسوج، لا يزداد فيه ولا ينقص ولا يبدل ولا يغير، بل هذا مألم ومقرهم.⁷</p>	<p>ما الفائدة من وصف الكتاب بأنه مرقوم في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾؟</p>
<p>للتهديد وتحذير المطففين المسلمين من أن يستخفوا بالتطفيف فيكونوا بمنزلة المكذبين بالجزاء عليه، فالتكذيب بيوم الجزاء هو منشأ الإقدام على السيئات والجرائم.⁸ ومن كذب به فلا يمكن أن يعمل له أبداً؛ لأن العمل مبني على عقيدة، فإذا لم يكن هناك عقيدة فلا عمل.⁹</p>	<p>علام يدل وصفهم بالمكذبين مع تفصيل متعلق بالتكذيب في قوله تعالى: ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾؟</p>

1 التحريم والتنوير، ابن عاشور (194/30)
 2 التفسير الوسيط، الططاوي (321/15)
 3 التحريم والتنوير، ابن عاشور (194/30)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 915)
 4 التفسير الوسيط، الططاوي (321/15)
 5 التحريم والتنوير، ابن عاشور (195/30)
 6 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 98)، التفسير الوسيط، الططاوي (323/15)
 7 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 98)، التحريم والتنوير، ابن عاشور (196/30)، بتصرف
 8 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (346/8)، التحريم والتنوير، ابن عاشور (196/30)
 9 تفسير العثيمين: جزء عم، (ص: 99)

معتد أئيم؛ أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجاوزة، فيتناول المباح، والأئيم في أقواله إن حدّث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر.¹ والباعث على اعتدائه واقترافه الآثام هو تكذيبه بيوم الدين، فهو لا يخشى حساباً ولا يرجو ثواباً، يعظم شأن الدنيا ويتبع هوى النفس، فإن تمكّن من الاعتداء، وظنّ النجاة من الأحكام الوضعية ما ردّعه شيء عن إثمه.

ما وجه وصف المكذّب بالملتد الأئيم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَئِيمٍ﴾؟

قد وصفهم الله - تعالى - بثلاث صفات هي:

- صفات المكذبين كما جاءت في الآيات؟
- الاعتداء على الحق.
- المبالغة في ارتكاب الآثام.
- الجرأة في الافتراء والكذب، حيث وصفوا القرآن بأنه ليس من عند الله تعالى.²

يدل على أن هذا الرجل لا يُفكر أن يقرأ آيات الله، وكلّما سمعها من غيره بادر بالإنكار والتكذيب ووصفها بأساطير الأولين، التي يتكلم بها العجائز، وليس لها أي حقيقة وليس فيها أي جد.³ فهو لا يترك لنفسه مجالاً؛ لتعقلها وتدبرها.

ما دلالة التعبير بـ(تتلى) دون يتلو في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ﴾؟

كلا اعتراض بالردع وبيان له؛ لأن «كلا» ردع لقولهم أساطير الأولين، وحرف «بل» للإبطال تأكيداً لمضمون «كلا» وبيانا وكشفاً لما حملهم على أن يقولوا في القرآن ما قالوا، وأنه ما أعمى بصائرهم من الرّين.⁴

ما دلالة (كلا) و(بل) في قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا بَلًا رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؟

الرّان يلبس القلوب من كثرة الذنوب والخطايا،⁵ فالذنوب ترين على القلب وتغطيها شيئاً فشيئاً، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، وهذا من بعض عقوبات الذنوب.⁶ العلاج: عن أبي هريرة، أن رسول الله - ﷺ - قال: "إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: ﴿كَأَلَّا بَلًا رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾".⁷

ما سبب الرّان؟ وما علاجه كما بينه رسول الله - ﷺ -؟

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 346)
2 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 323)
3 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 99)
4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 198-199)
5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 346)
6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 916)
7 صحيح مسلم (حديث: 231)

لأنهم كما حجبوا عن رؤية شريعته وآياته في الدنيا، حجبهم الله - عز وجل - عن رؤيته يوم القيامة.¹
فكان الجزء من جنس العمل، من أعمى بصيرته عن رؤية الحق وما فيه من خير ليس أهلاً ليرى وجه الكريم - سبحانه - .

ما سبب حجب المكذبين
والفجار عن رؤية ربهم يوم
القيامة؟

بمذه الآية استدلل أهل السنة والجماعة على ثبوت رؤية الله - عز وجل -، ووجه الدلالة ظاهر فإنه ما حجب هؤلاء في حال السخط إلا وقد مُكِّن للأبرار من رؤيته - تعالى - في حال الرضا، فإذا كان هؤلاء محبوبون فإن الأبرار غير محبوبين، ولو كان الحجب للفريقين لم يكن لتخصيصه بالفجار فائدة إطلاقاً، ورؤية الله - عز وجل - ثابتة بالكتاب، ومتواتر السنة، وإجماع الصحابة والأئمة، لا إشكال في أنه - تعالى - يُرى حقاً بالعين.²
قال مالك بن أنس: «لما حجب أعداءه فلم يَرَوْهُ بَحَلَّى لأوليائه حتى رأوه».³

(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) هذه الآية من الأدلة الصريحة على رؤية المؤمنين ربهم وخالقهم - سبحانه وتعالى - في الجنة في الآخرة، وضح ذلك.

• قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة: 23].
• عن عبد الله بن جرير - رضي الله عنه - قال: خرج علينا رسول الله - ﷺ - ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا، لا تَضَامُونَ في رؤيته».⁴

هات شواهد من القرآن
والسنة على ثبوت رؤية
المؤمنين لله - عز وجل -
يوم القيامة.

ما دلالة عطف قوله تعالى:
﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾
على ما قبلها بحرف العطف
من خزى الإهانة.⁵
(ثم)؟

ما دلالة عطف قوله تعالى:
﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾
على ما قبلها بحرف العطف
من خزى الإهانة.⁵
(ثم)؟

للتقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير،⁶ وليذكروا تكذيبهم به في الدنيا تديماً لهم
وتحزناً.⁷

ما دلالة اسم الإشارة (هذا)
واسم الموصول (الذي) في
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْدِبُونَ﴾؟

1 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 100)
2 المرجع السابق
3 زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (4/ 416)
4 صحيح البخاري (296/180)
5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 201)
6 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 348)
7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 202)

اشتملت على أشد ألوان الإهانة؛ لأنها أخبرت أن هؤلاء المكذبين: محبوبون عن ربهم، وأنهم مقاسون حرَّ جهنم، وأنهم لا يقابلون من خزنتها إلا بالتيئيس من الخروج منها، وبالتأنيب والتقرير.¹

”فاجتمع لهم ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب التويخ، واللوم، وعذاب الحجب عن رؤية رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار.“²

اشتملت الآيات على ثلاثة أنواع من العذاب هؤلاء المكذبين وضح ذلك، وما دلالة؟

- تذكر عاقبة الفجار ومآلهم يوم القيامة.
- التصديق واليقين باليوم الآخر، وزيادة ذلك من تدبر الآيات والتعرف إلى الأحاديث الصحيحة من السنة.
- تذكر أعظم النعيم في الآخرة وهو رؤية الله - عز وجل -، وأعظم الحسرات الحرمان من ذلك.
- المسارعة إلى التوبة بعد الذنب وفي كل وقت ودعاء الله - عز وجل - أن يرزقنا توبة نصحًا قبل الممات، وأن يهدينا إلى صالح الأعمال التي تجعلنا من الأبرار.
- عدم استصغار الذنب مهما كان، فإن الجبل من أصغر الحصى.

كيف نستعد لليوم الآخر من خلال الآيات؟

- التربية على الانتباه إلى صغائر الذنوب وكبارها.
- التأدب في الاستماع إلى الحق من أي أحدٍ، وعدم الاستعجال بالحكم قبل الفهم والتعقل.
- تدبر آيات الله - عز وجل - ورؤية الحق فيها، وبيانها إلى الناس بالأسلوب المناسب فإما يهتدوا أو تقام الحجة عليهم.
- لا نخزن إن سارع الناس إلى تكذيبنا ما دنا على الحق، ونعتز بديننا وانتمائنا.

ما الفوائد التربوية لهذه الآيات؟

تلاوة

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٢﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿١٣﴾ يُشَاهِدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٥﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٦﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿١٧﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿١٨﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿١٩﴾ وَمَرَجَهُ مِنْ نَسِيمٍ ﴿٢٠﴾ عَيْتَا كَيْشْرُبَ بِهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾﴾

الآية (الآيات)

1 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 324)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 916)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

18. ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلْيَيْنَ﴾ ليس الأمر كما تصورتم من أنه لا حساب ولا جزاء، إن كتاب أصحاب الطاعة لفي عِلْيَيْنَ.
19. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيُونَ﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما عِلْيُونَ؟!
20. ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ﴾ إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا يُرَاد فيه ولا يُتَقَص.
21. ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يحضر هذا الكتاب مقربو كل سماء من الملائكة.
22. ﴿إِنَّ الْأَنْبَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ إن المكتوبين من الطاعات لفي نعيم دائم يوم القيامة.
23. ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ يَنْظُرُونَ﴾ على الأسرة المزيّنة ينظرون إلى ربهم، وإلى كل ما يُبهِج نفوسهم وَيُسْرِّهُم.
24. ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ إذا رأيتهم رأيت في وجوههم أثر النعم حُسْنًا وبهاء.
25. ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ يسقيهم خدمهم من خمر مختوم على إنائها.
26. ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ نفوح رائحة المسك منه إلى نحايته، وفي هذا الجزاء الكريم يجب أن يتسابق المتسابقون، بالعمل بما يرضي الله، وترك ما يسخطه.
27. ﴿وَمِمَّا جَاءَهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ مُخْلَط هذا الشراب المختوم من عين تَسْنِيم.
28. ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ وهي عين في أعلى الجنة، يشرب منها المقربون صافية خالصة، ويشرب سائر المؤمنين منها، مخلوطة بغيرها.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التندبية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التندبية
بعد أن ذكر مال كتاب الفجار وعذابهم وسبب وعيدهم، ذكر مال المؤمنين المصدقين الذي عملوا صالحًا ونوعوا في وجوه البر، وناسب البدء بالوعيد سياق السورة الذي يغلب عليه الترهيب وبه افتتحت.	ما مناسبة الآيات لما قبلها؟
الأبرار: جمع برّ، وهو الذي يعمل البرّ، ² وكلمة البر تدل على اتساع ومنها كلمة البرّ.	علام يدل وصف المؤمنين بالأبرار في قوله تعالى:
ووصفوا بذلك للدلالة على أنهم في غاية الاتساع في شرح صدورهم، واتساع عقولهم، وكثرة أعمالهم وزكائهم، وغير ذلك من محاسن أمورهم. ³	﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلْيَيْنَ﴾؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 588)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (203/30)

3 نظم الدرر، البقاعي (21/ 325)

ما دلالة ذكر أن كتاب "عليين": مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، فهو كذلك الأبرار في عليين في الآية؟
علو اعتباري، أي رفعة في مراتب الشرف والفضل.¹

ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ؟﴾
تفخيماً وتعظيماً لشأن (عليين)،² فإن وصفه لا تسعه العقول، ويلزمه لعلوه فضاء مطلق واتساع مُبين.³

ما وجه ذكر شهادة المقربين على كتاب الأبرار في قوله تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ؟﴾
إشهاراً له وإظهاراً لمكانتهم بين خواص خلقه، وهذا نوع من صلاة الله - سبحانه وتعالى - وملائكته على عبده،⁴ فلما عظم كتاب الأبرار في نفسه وفي مكانه، عظمه في حصّاره.⁵

علام يدل وصف الملائكة بـ(الْمُقَرَّبُونَ) في الآية؟
ليكون هذا الاطلاع شهادة لهؤلاء الأبرار، بأنهم محل رضا الله - تعالى - وتكريمه وثوابه.⁶

ما وجه وصف نعيم الأبرار بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾
للدلالة على أن هذا النعيم محيط بهم ضد ما فيه الفجار من الجحيم،⁷ فناسب شدة الوعيد للمكذبين تعظيم الوعد للمؤمنين.

في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْأْسِ يَنْظُرُونَ﴾ أثبت النظر، ولم يبين المنظور إليه فما سبب ذلك؟
لاختلاف المنظور إليه من قبل الأبرار، فمنهم من ينظر إلى قصوره، ومنهم من ينظر إلى حوره، ومنهم من ينظر إلى جمال الجنة وبهائها، ومنهم من ينظر إلى وجه الله الكريم وغير ذلك مما ينظر إليه.⁸

ما دلالة إضافة النظرة إلى النعيم في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾
إضافة نظرة إلى النعيم من إضافة المسبب إلى السبب، أي النظرة والبهجة التي تكون في وجه المسرور الراضي إذ تبدو على وجهه ملامح السرور.⁹
فالنظرة على وجوههم من أثر ما هم فيه من السرور.
أليس تعرفهم بسيماهم في الدنيا من العبادة والرضا وغير ذلك، وكذلك في الآخرة

1 التحريم والتنوير، ابن عاشور (203/30)

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/348)

3 نظم الدرر، البقاعي (21/326)

4 بدائع التفسير، ابن القيم (565)

5 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (103)

6 التفسير الوسيط، الططاوي (15/325)

7 نظم الدرر، البقاعي (21/327)

8 نظم الدرر، البقاعي (21/327)، بتصرف

9 التحريم والتنوير، ابن عاشور (205/30)

يظهر هذا النعيم على وجوههم.

عن صهيب، عن النبي - ﷺ - قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم نُبَيِّضْ وجوهنا؟ ألم تُدْخِلْنَا الجنة، وَتُخْرِجَنَا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربحم - عز وجل -، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26].¹

من أعظم النعيم النظر إلى الله - عز وجل - يوم القيامة، اذكر شواهد من القرآن والسنة على ذلك.

للدلالة على أنهم مخدومون، تخدمهم مخلوقات من أجل ذلك في الجنة، وذلك من تمام الترفه ولذة الراحة.²

ما دلالة قوله: (يُسْقَوْنَ) في قوله تعالى: (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ)؟

الختم لا يكون إلا لما عظمت رتبته وعزت نفاسته، وهو مع نفاسته سالم من الغبار وجميع الأقداء والأقدار.³

علام يدل وصف الرحيق بأنه مختوم في الآية؟

ذلك الشراب (خِتَامُهُ مِسْكٌ) يحتمل أن المراد مختوم عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه، وذلك الختام - الذي ختم به - مسك. ويحتمل أن المراد أنه [الذي] يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق خثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه، الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المنزلة.⁴ وهذا كله من كمال نعيم أهل الجنة.

ما مناسبة قوله تعالى: (خِتَامُهُ مِسْكٌ) بعد قوله تعالى: "يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ"؟

في هذه الآية الكريمة لَفَتْ إلى أول السورة، إذا كان أولئك يسعون إلى جمع المال بالتطفيف، فلهم الويل يوم القيامة، فمحل المنافسة إنما يكون في نعيم الجنة وما أعدّه الله للأبرار فيها، لا في التطفيف وجمع المال.⁵

ما وجه الربط بين قوله: (وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) مع موضوع التطفيف في السورة؟

1 صحيح مسلم (1/163)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (205/30)

3 نظم الدرر، البقاعي (21/329)

4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (916)

5 أضواء البيان، الشقيقطي (8/463)

ما دلالة اسم الإشارة في

الآية (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)؟

ليدل على صلاح بالهم، وحسن أحوالهم.¹

ما دلالة التعبير بـ(التنافس) في الآية؟

التنافس من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس وتتعالى فيه، والمنافسة في مثل هذا بكثرة الأعمال الصالحات والنيات الخالصة،² فيه تحريض الناس وحضهم على تقديم العمل الصالح، الذي يوصلهم يوم القيامة إلى أعلى الدرجات.³

هات أدلة من القرآن الكريم على أن التنافس يكون في الدين والخيرات.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48].
قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].
قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: 21].

- تشجيعهم على التنافس في الخير؛ كتسجيلهم مع صحبة صالحة في دار قرآن يتنافسون في حفظه، أو في دراستهم، أو في نادٍ للقراءة، أو في جمعية تطوعية، والخيارات كثيرة بحسب ميول كل واحد.
- رفع قيمة الجنة، ورفع همتهم في البحث عن المراتب العليا فيها.
- تحريك روح التنافس في الأسرة على المبادرة بالأعمال الصالحة والتذكير بها والبحث عن سبل مضاعفة الأجور.
- البحث عن الصديق الصالح الذي يتنافس معك على الخير وتدفعه ويدفعك.
- للتدريب على المسابقات يُبحث عن المنافسين الأقوياء؛ حتى يرفعوا من مستوى المتسابق، فما بالناس لا نبحت عنهم في مسابقتنا إلى الله - عز وجل -؟

ما دلالة تسمية العين بتسنيهم في قوله تعالى: ﴿وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾؟

تسنيهم من مصدر سئم الشيء إذا جعله كهيئة السنام، وشميت هذه العين بهذا الاسم؛ لأنها تنبع من مكان مرتفع، أو لعلو مكانتها، فالشراب ينزل من العلو.⁴

1 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 326)

2 نظم الدرر، البقاعي (21/ 330)

3 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 327)

4 تفسير الوسيط، الططاوي (15/ 327)، نظم الدرر، البقاعي (21/ 330)، بتصرف

تعددت عيون الجنة في
القرآن الكريم، اذكر بعضها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: 5].
قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الإنسان: 18].

إن الفعل (يشرب) ضمّن معنى أعلى من الشرب وهو الرّي، فكم من إنسان يشرب ولا يروي، لكن إذا روي فقد شرب، وعلى هذا فالوجه الثاني أحسن وهو أن يضمّن الفعل (يشرب) بمعنى يروي،¹ وفي هذا بيان كمال النعيم؛ فهم لا يكتفون بالشرب فقط بل يرتوون مما يشربون.
وقيل: بل يتضمن معنى التلذذ، فهم يشربون منها ويتلذذون بها، فهو ليس لريّ العطش، بل للتلذذ به، وهذا أبلغ في وصف النعيم.

علام يدل تعدية فعل
الشرب بالباء في قوله تعالى:
﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾؟

- بشرتهم بأن صحائف أعمالهم في أعلى عليين.
 - إهم في نعيم مقيم.
 - ينظرون إلى كل ما يشرح صدورهم.
 - إن الناظر إليهم يرى آثار النعمة والرفاهية والنضارة على وجوههم.
 - شراهم من خمر طيبة لذيدة الطعم والرائحة.²
 - بشرهم الله بالراحة التامة وهم على الأرائك.
- في الآيات بشارات متعددة
للأبرار، بينها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿يُوفُونَ بِالْكَذِبِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَمًا عَلَىٰ حَيْبِهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: 5-10].

ذكر بعض أعمال الأبرار في
القرآن، اذكر شواهد عليها.

- كيف نربي أنفسنا وأبناءنا
- على التحلي بصفات
- الأبرار؟
- قراءة سيرة النبي ﷺ وأصحابه والتابعين من بعده.
- تذكر النعيم المقيم الذي يناله الأبرار يوم القيامة.
- مصاحبة الصالحين الذين يذكرون بالآخرة ويזהدون في الدنيا.

- ما القيم التي تفرسها
- الآيات؟
- قيمة الجنة ونيعيمها والسعي للفوز بها.
- تصحيح مفهوم التنافس وفيما يكون.
- علو الهمة في السعي إلى الجنة.
- هوان الدنيا وملذاتها الفانية.

1 تفسير العنيمين، ابن عثيمين (106/1)
2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (327/15)

تلاوة

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٤﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٥﴾ عَلَىٰ الْأَرَابِكِ يُنظُرُونَ ﴿٣٦﴾ هَلْ نُؤِيبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

29. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ إن الذين أجروا بما كانوا عليه من الكفر كانوا من الذين آمنوا يضحكون استهزاء بهم.
30. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ وإذا مروا بالمؤمنين غمز بعضهم إلى بعض سخرية وتندراً.
31. ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا فرحين بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بالمؤمنين.
32. ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ وإذا شاهدوا المسلمين قالوا: إن هؤلاء لضالون عن طريق الحق، حيث تركوا دين آبائهم.
33. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ وما وكلهم الله على حفظ أعمالهم حتى يقولوا قولهم هذا.
34. ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ فيوم القيامة الذين آمنوا بالله يضحكون من الكفار كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا.
35. ﴿عَلَىٰ الْأَرَابِكِ يُنظُرُونَ﴾ على الأسرة المزينة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم الدائم.
36. ﴿هَلْ نُؤِيبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ لقد جوزي الكفار على أعمالهم التي عملوها في الدنيا بالعذاب المهين.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
------------------	----------

بعدما بيّن - تعالى - حال الأبرار في دار الأبرار، وذكر ما شاء الله أن يذكر من نعيمهم ترغيباً وتعليماً بعد أن ذكر في الآيات قبلها حال المجرمين، وما أعد لهم من عذاب في دار العذاب، ناسب ذلك أن يذكر هنا في خاتمة السورة ما أوجب للمجرمين «النار»، وما أوجب للمؤمنين «الجنة»، فذكر طرفاً من سلوك المجرمين

ما مناسبة الآيات لما قبلها؟

مقابل سلوك آخر من المؤمنين.¹

ما دلالة افتتاح الكلام بالتأكييد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾؟
افتتحت الآية بصورة الكلام المؤكد؛ لإفادة الاهتمام بالكلام، ليتوجه استماع السامعين إليه والإشعار بأنه خبر مهم.²
كذلك ليناسب ما ذكر من وعيد؛ تأكيداً على قبح عملهم وسوء خلقهم.

علام يدل وصف الكفار بالذين أجمروا في الآية؟
الإجرام: ارتكاب الجرم وهو الإثم العظيم، وأعظم الإجرام الكفر.³
فهم كفروا وصدوا عن سبيل الله - عز وجل - باستهزائهم من المؤمنين، فقد أجمروا في حق أنفسهم بكفرهم، وفي حق المسلمين بالاستهزاء بهم وفي حق الآخرين بصددهم عن الإيمان.

ما الفائدة من التعبير بصيغة المضارع (يضحكون) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾؟
للدلالة على تكرار ذلك منهم وأنه ديدن لهم، فكان المشركون لبطرهم يهزؤون بالمؤمنين ومعظمهم ضعاف أهل مكة،⁴ فبين الفعل المضارع تكرار الفعل واستمرارهم عليه.

بين أهمية الأخلاق في الإسلام، وقبح الغمز والهمز من الآخرين.
لم تفتتح بكلمة الويل إلا سورتان تحدثتا عن وعيد سيئ الخلق، سواء كان المطفف في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1]، أو الهماز اللماز في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1].
وقال - ﷺ -: (ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسنٍ، فإنَّ الله تعالى لِيُبْعِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ).⁵

ما الانقلاب؟ وعلام يدل تكراره قوله تعالى: ﴿وَأِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾؟
الانقلاب: الرجوع إلى الموضع الذي جيء منه، وفي إعادة الفعل زيادة تقرير معناه في ذهن السامع؛ لأنه مما ينبغي الاعتناء به، ولزيادة تقرير ما في الفعل من إفادة التجدد حتى يكون فيه استحضر الحالة.⁶

1 أيسر التفاسير، الجزائري (1/ 1457)

2 انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (208/30)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (210/30)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (210/30)

5 صحيح الترمذي 2002

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (212/30)

يتغامزون من دون إعلان السخرية بهم اتقاءً لتطاول المؤمنين عليهم بالسب؛ لأن المؤمنين قد كانوا أكثرًا بمكة حين نزول هذه السورة، فكان هذا دأب المشركين في معاملتهم وهو الذي يقرعون به يوم القيامة،¹ كما يدل على الاستهزاء بهم بغمزهم في حضرتهم - وهذا دليل جنبهم - وغيبتهم في غياهم.

علام يدل ذكر التغامز
على مرأى الناس، وحديث
الفكاهة عنهم مع أهلهم؟

يدل على أنه من أعظم ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجروا على القول عليه من دون علم،² وبذلك يكون الذين أجمروا جمعوا بين الأذى بالإشارات وبالهيئة، وبسوء القول في غيبة المؤمنين، وسوء القول - أبيضاً - إعلاناً به على مسامع المؤمنين.³

ما دلالة ذكر قول المشركين
عن المؤمنين في قوله تعالى:
(وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ
لَضَالُّونَ)؟

الحفظ هنا الرقابة، وعدي بحرف الجر (على)؛ ليطسلسل النفي على الإرسال والحفظ، ومعنى الاستعلاء.⁴

ما وجه التعبير بالحفظ
والتعدية بحرف (على) في
الآية؟

لتهكم بالمشركين، فهم لم يكونوا مقيضين للرقابة عليهم والاعتناء بصلاحتهم.⁵ كما يدل على مراقبتهم لأحوال المسلمين وتحكمهم من التزامهم بدينهم.

علام يدل التعقيب بقوله
تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
خَافِظِينَ)؟

يدل على انعدام دليل المجرمين على ضلال المؤمنين وعدم القدرة على الحاجة، فلاستهزاء بالمخالفين دليل جبن وبطلان الحجة؛ قوي الحجة لا يحتاج إلى الاستهزاء بل يبسط حجته ويغلب مخالفه.

ما دلالة حديث المجرمين
عن المؤمنين وليس الحديث
إليهم؟

قالوا للرسول - عليهم الصلاة والسلام - إنهم سحرة أو مجانين، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنٍ﴾ [الذاريات: 52].

من صفات المجرمين السخرية
بالرسول والمؤمنين، هات
شواهد على ذلك.

وقال تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْرَءُونَ ﴿٥٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: 14-15].

- 1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (211/30)
- 2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (916/1)
- 3 انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور (213/30)
- 4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (214/30)
- 5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (214/30)

وقال الكفار في شأن الرسول - ﷺ - في قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: 4].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ 31 أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ 32﴾ [الزخرف: 31-32].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: 10].

جاء في الآيات مقابلة جزاء المؤمنين يوم القيامة بموقف الكفار منهم في الدنيا، ففي يوم القيامة الذين آمنوا من الكفار يضحكون، في مقابلة ما ضحك منهم المجرمون في الدنيا. وقوله: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، فأصبحوا على الأرائك، فهم ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته.

ما دلالة التعقيب بقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ؟

تسليية المؤمنين، وتبشيرهم بأنهم سيأخذون بثأرهم من المشركين عسًا قريب، وأنهم سيكونون يوم القيامة على سُرُرٍ فرشت بأجل الفراش، وأنهم لا ينظرون إلا إلى ما يسرهم ويهيج نفوسهم.¹

ما مناسبة ذكر حال المؤمنين في الجنة في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ للآيات؟

في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ 54 فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ 55﴾ قَالَ تَأَلَّاهُ إِنْ كِدَتْ لِتَزِيدِينَ 56 وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ 57﴾ [الصفات: 54-57].

يبين الآيات أن المؤمنين ينظرون إلى الكفار، وهم في العذاب، هات شواهد من القرآن على ذلك.

الاستفهام هنا للتقرير أي أن الله - تعالى - قد ثوب الكفار وجازاهم جزاء فعلهم في الدنيا؛² فدخولهم النار كان عدلاً من الله - عز وجل - جزاءً وفاً.

علام يدل الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟

إن الجزاء من جنس العمل عدل من الله وحكمة، فجوؤوا من جنس عملهم، فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، ورأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال، وهذا الجزاء من الله

ما دلالة ختم الآيات بقوله تعالى: ﴿هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟

1 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 329)
2 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (108)

بما كانوا يفعلونه، عدلاً منه وحكمة، والله عليم حكيم.¹
أنه مهما طال التمكين للكفار، فإنَّ النصر للمؤمنين، وإنَّ النصر مع الصبر.
وقد افتتحت السورة بإعلان الحرب على المطففين ثم ختمت بقوله: ﴿أهل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ فذلك لما حُكِيَ من اعتداء المشركين على المؤمنين وما ترتب عليه من الجزاء يوم القيامة، فالمعنى: فقد جُوزِيَ الكفار بما كانوا يفعلون... وفي هذه الجملة حسن براعة المقطع؛ لأنها جامع لما اشتملت عليه السورة.²

• بيان أنَّ السخرية من أهل الدين صفة من صفات الكفار، وأنَّ الاستهزاء بالعلماء والصالحين يضاد محبتهم وإجلالهم، فلاستهزاء بهم يعني الاستخفاف بهم، وعدم احترامهم.

• بيان حرص أعداء الدين من اليهود والنصارى والمنافقين على تشويه سمعة أهل العلم والمتزمين بدينهم والنيل منهم؛ لإسقاط هذه الأمة بإسقاط القدوات فيها.

• بيان أنَّ الاستهزاء دليل ضعف وبرهان على بطلان فكر المخالف.

• بيان خطورة الاستهزاء بالدين وأهله، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفْ عَن ظَلَمِكُمْ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ ظَالِمَهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: 65-66].

من أشنع أنواع السخرية

السخرية بأهل الدين،

كيف نعالج هذه المشكلة في

مجتمعنا؟

• تربيتهم على مراقبة الله - عز وجل - واستحضار أن الإنسان مسؤول على كل ما يلفظ من قول أو همس أو إشارة.

• التنبيه على أن السخرية دليل ضعف وجبن، والغالب ما يكره الأطفال والشباب هذا النعت.

• الابتعاد عن مجالس الضحك والهزل والسخرية من أصدقاء السوء، واتخاذ أصدقاء في الله بدلا منهم يعينون بعضهم بعضاً على الخير وينهون بعضهم عن المنكر.

• تنبيههم إلى أن صديق السوء الذي يستهزئ بالناس وهذا ديدنه، سيأتي اليوم الذي يستهزئ فيه منهم.

• التعليم بالقدوة، وذلك ببيان الموقف الأمثل حال وجود مجلس به استهزاء، وهو إما الإنكار بلسانه إن استطاع ذلك أو بقلبه ويترك المجلس.

• تعليم الأبناء أن من الإيمان أن يجب المرء لأخيه ما يجب لنفسه، وكما يكره الاستهزاء به لا يرضاه لغيره.

كيف نعالج السخرية من

الآخرين خاصة في الأطفال

والشباب؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (1/ 917)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (215/30-216)

- غرس قيمة الخلق الحسن والكلمة الطيبة.
- معالجة أمراض القلوب خاصة داء الكبر والحسد، فكثيراً ما يكون الاستهزاء بسببهما.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- حرمة التطفيف سواء في الكيل والوزن أو في المعاملات أو غيرها.
- التذكير بالبعث والجزاء وتقديرهما، وعظم يوم القيامة حيث يجازى كل بعمله خيراً أو شراً.
- الوعيد الشديد للمكذبين بالله وبآياته ولقائه، والتنبيه عن الغفلة عنه.
- التحذير من تراكم الذنوب وعدم التوبة منها.
- تقرير رؤية المؤمنين لله - تعالى - في الآخرة، وحجب أهل النار عنه.
- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- الترغيب في العمل الصالح؛ للحصول على نعيم الجنة، والتنديد بالإجرام والمجرمين.
- بيان ما كان عليه المشركون في مكة إبان الدعوة وما لقيه المؤمنون منهم، وهذا الأمر باقٍ إلى يوم القيامة، وما على المؤمن إلا الصبر وانتظار الفرج من الله - عز وجل -.
- بيان أن المؤمنين سيرون المشركين في الجحيم، ويضحكون منهم، وهم في نعيمهم، والمشركون في جحيمهم.
- بيان إكرام الله لأوليائه، وإهانتة تعالى لأعدائه.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الحذر من التطفيف في كل أنواع المعاملات.
- الاستعداد لليوم الآخر بالإيمان والعمل الصالح.
- المبادرة بالتوبة قبل أن تغطي القلب ويحدث الرآن.
- دعاء الله - عز وجل - أن يجعلنا من الأبرار، وأن يرزقنا خير النعيم في الجنة وهو رؤية وجهه الكريم.
- تربية الأبناء بالترغيب بما عند الله من النعيم لأوليائه، والترهيب بما أعدّه للفساد من عذاب وجحيم.
- الحذر من الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين.

من الفوائد التربوية

- غرس قيمة الأخلاق وأهميته في الإسلام.
- التربية على أن الإيمان قول وعمل، وأن تصديق الإيمان باليوم الآخر هو السعي له والتنبيه من الغفلة عنه.

- جمعت السورة بين الترغيب والترهيب.
- تُرِيّ السورة على قيمة التوبة ومحو الذنوب.
- تُرِيّ السورة على العزة بالدين واليقين بنصر الله - عز وجل - ولو بعد حين، فإن لم نحضره في الدنيا فسنحضره عند رب كريم.
- تربي السورة على المسؤولية في اختيار الصديق الصالح، والحذر من مجالس اللهو والاستهزاء.
- تربي السورة على أهمية الكلمة والنظرة والإشارة.
- تربي السورة على الاهتمام بالنفس، وعدم الحكم على الآخرين بجهل.

رسائل

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ إذا كان التهديد العظيم لمن يُطفف في حبات القمح والذرة، فكيف بمن يطفف في حقوق الأهل والزوج والأولاد.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أزع ركام الذنوب عن قلبك؛ لينتفع بالمواعظ، فإن الذنب على الذنب يعمي القلب!

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ﴾ من ران على قلبه كسبه السيئ، وغطته معاصيه وذنوبه، حجب عن الحق في الدنيا، وعن رؤية الله في الآخرة، فإن الجزء من جنس العمل، فأبي خسران!!

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ عَلَى الْأَرَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ فهل بعد هذا من تكريم؟ جعلنا الله من أهل هذا النعيم.

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ميدان التنافس الحقيقي ليس على حطام الدنيا، إنما هو في السبق إلى الدار الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ديدن الكفار دائماً الضحك والاستهزاء من أهل الحق، وهذا دليل ضعفهم ووهن حججهم، وهذا لا يصد المؤمن عن طريق الحق، بل يُبَيِّتُ وَيُصَيِّرُ فَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

084. سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورتنا تتحدث عن انقراط عقد الكون ونظامه البديع؛ إيداناً بقيام الساعة. سورة قال عنها النبي ﷺ: إن من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأها. تعرض مشهداً مهيباً من انقياد السماء والأرض واستسلامها لأمر الله - عز وجل -
تهيئة:
-
سورتنا هي سورة الانشقاق.

تعريف السورة:

اسم السورة:	سورة «الانشقاق»، سورة «إذا السماء انشقت»، سورة «انشقت» ¹ .
نوع السورة:	مكية ² .
عدد آياتها:	عشرون وثلاث آيات (23) في البصري، والشامي وخمس في عدد الباقيين (25) ³ .
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

• عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾"⁴.

• عن أبي رافع قال: «صليت مع أبي هريرة العتمة العشاء فقراً: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد، فقلت له، فقال: سجدت خلف أبي القاسم - ﷺ -، فلا أزال أسجد بها، حتى ألقاه"⁵.

المناسبة بين سورة الانشقاق وسورة المطففين:

• في وصف جزء من مشاهد وأحوال يوم القيامة والوعيد به.

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30-217)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد أي القرآن، (ص: 268)

4 مسند أحمد (20/7)، إسناده صحيح

5 صحيح البخاري (1-351)، رقم الحديث: (766)

- في سورة الانفطار التعريف بالحفظة في قوله تعالى: ﴿وَرَأَى عَلَيْكُمْ كَفَّارًا كَفَّارًا كَفَّارًا﴾ وفي سورة المطفين مقر كتبهم: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَسِىَ سَجِينَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَسِىَ عِلِّيِّينَ﴾ وفي سورة الانشقاق عرض الكتب يوم القيامة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾¹.

المناسبة بين سورة الانشقاق والبروج:

اختتمت سورة الانشقاق ببيان حالي المؤمنين والكافرين، وأن الله - تعالى - يعلم ما يصدر عن الكافرين، وأنه توعدهم بعذاب أليم، وأن المؤمنين لهم أجر غير منقطع، وكل هذا لا يقدر عليه إلا الله - تعالى - صاحب القسم بما في هذه السورة من عظام الأمور، وهذا وجه اتصال مفتتح سورة البروج بختام سورة الانشقاق.²

مناسبة السورة لما بعدها:

تصوير القيامة باستسلام الكون وخضوعه لربه في أمره، إلزامًا بالاستسلام، واستنكارًا للجهود.³

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (5): أهوال القيامة، وانقياد السماء والأرض لله - عز وجل -
من الآية (6) إلى الآية (15): انقسام الإنسان في العمل والجزاء.
من الآية (16) إلى الآية (19): القسم على وقوع القيامة.
من الآية (20) إلى الآية (25): توبيخ المكذبين بالبعث وتوعدهم والترغيب في الإيمان.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ إذا السماء تصدعت لنزول الملائكة منها.
2. ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ واستمعت لربها منقاداً، وحق لها ذلك.

1 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (47/9)، بتصرف

2 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (88/9)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (589/1)

3. ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ وإذا الأرض مدّها الله كما بمد الأديم.
 4. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ وألقت ما فيها من الكنوز والأموات، وتخلّت عنهم.
 5. ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ واستمعت لربها منقادة، وحق لها ذلك.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات).

الأسئلة التدرية	الهدايات
<p>علام يدل افتتاح السورة بالظرف في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾؟</p>	<p>للتهويل والتشويق إلى الخبر.²</p>
<p>ما دلالة الأفعال "انْشَقَّتْ، أَذْنَتْ، حُقَّتْ، مُدَّتْ، أَلْقَتْ" في وصف السماء والأرض يوم القيامة؟</p>	<p>دلّت الأفعال على أن السماء والأرض مسخرتان مديرتان تحت ملك عظيم، لا يعصى أمره، ولا يخالف حكمه،³ وصياغة الفعل بالماضي؛ للتنبيه على تحقق وقوع هذا الأمر.⁴</p>
<p>ما دلالة التعبير بلفظ ﴿مُدَّتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾؟</p>	<ul style="list-style-type: none"> • امتداد الأرض وتسويتها بعد أن كانت كروية. • اختلال نظام الكون وتغير الجاذبية يعقبه زوال العالم. • اتساع الأرض لأهل الموقف على كثرتهم.⁵
<p>ما وجه التعبير بالإلقاء والتخلي في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾؟</p>	<p>﴿أَلْقَتْ﴾: أخرجته إخراجاً سريعاً كأنها تقذفه قذفاً، ﴿تَخَلَّتْ﴾ يدل على قوة الخلوّ عن شيء لما في مادة التفعّل من الدلالة على تكلف الفعل؛ للدلالة على عظم الأمر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة. وهذا ما يزيد من رهبة الموقف وشدته والتضييق على العباد، وألا ملجأ لهم ولا منجى إلا إلى الله.⁶</p>
<p>ما دلالة الإضافة للرب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾؟</p>	<p>التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلّة الحكم، دلالة على أنّها مجبولة على أن ذلك حق عليها ثابت لها، فهي حقيقة به؛ لأنها مربوبة له -</p>

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 589)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (218/30)

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (917)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (218/30)، بتصرف

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (220/30)

6 تفسير القرطبي (270/19)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (220/30)، أضواء البيان، الشقفي (468/8)

سبحانه -، وكل مرئوب فهو حقيق بالانقياد لربه، وهي لم تزل مطيعة له في ابتدائها وانتهائها، وذكر الربوبية هنا؛ لأن الرب يتصف بالملك والتدبير.¹

الأولى كانت لبيان طواعية السماء، والثانية بيان لطواعية الأرض، تأكيداً لاستماع السماء والأرض لربها وطاعتها له؛ لأنه العظيم الذي لا يُمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء وذلَّ له كل شيء، وللتبني على أن ذلك تحت سلطان الجلال الإلهي وقهره ومشيتته في الكون.²

علام يدل التكرار في قوله تعالى: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ؟﴾

• تغيّر معالم الأرض، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48].

• انشقاق السماء وتشبيهاها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: 37].

• تغيّر حال الشمس والنجوم، قال تعالى: ﴿وَاللَّشَّمِيسُ وَضَحْنَهَا ۖ وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا ۖ وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا ۖ وَاللَّيْلَ إِذَا بَغَّسَهَا ۖ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَدَهَا ۖ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَنَهَا ۖ﴾ [الشمس: 1-6].

• تغيّر حال الجبال، قال تعالى: ﴿وَمُحِلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: 14]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ﴾ [طه: 105-107]

تعددت أوصاف التغيرات الكونية يوم القيامة، اذكر بعضها.

هذا المشهد المهيّب يبعث في النفس الخوف من الله - عز وجل - والاستسلام لأمره وحكمه، فإن كان هذا حال هذه المخلوقات العظيمة، السماء والأرض في انقيادها وخضوعها لبارئها، فكيف بي أنا المخلوق الضعيف المكلف الذي ينتظره حساب وسؤال وعرض على الرحمن، فإما جنة - نسأل الله أن نكون من أهلها - وإما نار - اللهم أجزنا منها -.

ماذا يبعث في النفس مشهد خضوع السماوات والأرض لله - عز وجل -؟

• استشعار عظم هذا الموقف وهوله وعظيم قدرته - سبحانه - .
• التأمل في الآيات التي تذكر بمهذه الأحوال؛ ليزداد الإيمان في قلبي.
• مراقبة الله - تعالى - والاستعداد لذلك اليوم؛ لنكون ممن يُثبِّتُه الله - تعالى - .
• التخلي عن التعلُّق بما في الأرض والتعلُّق بالله - تعالى - وحده قبل أن تتخلى عنّا.
• غرس مفهوم الإيمان بالغيب في نفوسنا ونفوس أبنائنا.

أهوال عظام، وأمور جسام، وتبدُّل للأحوال المألوفة في يوم القيامة، فما أثر معرفة ذلك؟

1 التحزير والتنوير، ابن عاشور (219/30). نظم الدرر، البقاعي (338/21). روح المعاني، الأنوسي (287/15)
2 مختصر تفسير ابن كثير (618/2). محاسن التأويل، القاسمي (440/9). أضواء البيان، الشنقيطي (466/8)

- هو ان الدنيا بكل ما فيها، فهي إلى زوال وهي ممر إلى دار البقاء.

تلاوة

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿١﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ
بِئَمِينَةٍ ﴿٢﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٣﴾ وَتَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٤﴾ وَأَمَّا مَنْ
أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿٥﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿٦﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿٧﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي
أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٨﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يُجُوزَ ﴿٩﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٠﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ يا أيها الإنسان، إنك عامل إما خيراً وإما شراً، فملاقية يوم القيامة؛ ليجازيك الله عليه. ولما ذكر عمل الإنسان مجملًا فضل حال العاملين يوم القيامة، فقال:
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينَةٍ﴾ فأما من أعطي صحيفة أعماله بيده اليمنى.
- ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فسوف يحاسبه الله حسابًا سهلاً، يعرض عليه عمله دون مؤاخذه به.
- ﴿وَتَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ويرجع إلى أهله مسروراً.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ وأما من أعطي كتابه بشماله من وراء ظهره.
- ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ فسنادي بالهلاك على نفسه.
- ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ ويدخل نار جهنم يقاسي حرها.
- ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ إنه كان في الدنيا في أهله فرحاً بما هو عليه من الكفر والمعاصي.
- ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يُجُوزَ﴾ إنه ظن أنه لن يرجع إلى الحياة بعد موته.
- ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ بلى، ليحييته الله كما خلقه أول مرة، إن ربه كان بحاله بصيراً، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيه على عمله.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرية والهدايات).

الهدايات	الأسئلة التدرية
	ما دلالة النداء بأداة البعيد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ...؟﴾
عموم الخطاب لكل إنسان مؤمن وكافر، ² فهذا هو حال كل إنسان شاء أم أبي.	علام يدل النداء للإنسان في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ؟﴾
تعليق مجروره في هذه الآية بحرف ﴿إِلَى﴾ يؤذن بأن المراد به عمل ينتهي إلى لقاء الله، كدحًا يوصل إلى الله لا مفرّ لك من لقاء الله، ولذلك أكد الخبر بـ﴿إِنَّ﴾. ³	ما دلالة حرف الغاية ﴿إِلَى﴾ في قوله ﴿إِلَى رَبِّكَ؟﴾
أعمال بني آدم تختلف بين الخير والشر، وكل على حسب كدحه سيحاسب. ⁴	ما وجه تنكير الكدح في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ؟﴾
لبيان حتمية لقاء الإنسان ربه، وكل إنسان مكلف هو كاسب وعامل لا محالة إلى أن يلقى ربه، هذا دافع إلى الإخلاص والإحسان في العمل. ⁵	ما فائدة التعقيب بعد الكدح مباشرة؟ وعلى من يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿فَمُلَاقِيهِ؟﴾
والضمير يعود إما إلى الكدح والجزاء عليه، أو إلى الله - تعالى - ولقائه ومجازاته على العمل، وكلا القولين متلازم، والفاء تدل على الترتيب والتعقيب، فأنت ملاقيه عن قريب. ⁶	
فكل إنسان سيلقى عمله ويحاسب عليه أمام ربه.	
الإنسان مخلوق في كبد ولا بد من الكدح، وديننا حثٌّ على السعي والعمل، فيحسن به استحضار نية العمل لله - عز وجل - في كل ما يقوم به، وإن كان من كيف نستثمره في طاعة الله؟	

1 التفسير الموضوعي (77/9)

2 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (112)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (221/30)، تفسير العثيمين، ابن عثيمين (112)

4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (356/8)، بتصرف

5 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (112)، بتصرف

6 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (356/8)، بتصرف، تفسير العثيمين، ابن عثيمين (112)

المباحات حتى تتحول العادة إلى عبادة والمباح إلى طاعة وعمل صالح.

علام يدل تخصيص إتيان
جری العرف بأن اليمين فيها الخير والبركة، «إشعارًا للسعادة لما هو متعارف من
الكتاب يوم القيامة باليمين؟ أُنَّ اليد اليمى تتناول الأشياء الزكية وهذا في غريزة البشر»¹.

ما دلالة الحرف سوف؟
حرف سوف أصله حصول الفعل في المستقبل البعيد، ويُقصد به تحقق حصول
الفعل واستمراره.²

وصف الحساب باليسير في
تجاوز الله - عز وجل - عنه ونجاته في الآخرة؛ لأنه يحاسب حسابًا سهلًا دون
قوله تعالى: ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾،
علام يدل ذلك؟
تفسير وهو العرض، الحساب اليسير يظهر فيه منة الله على العبد، وفرحه بذلك
واستبشاره.³

ما دلالة التعبير بالفعل
والانقلاب الرجوع إلى المكان الذي جيء منه، وهذا تمثيل لحال المحاسب حسابًا
ينقلب في قوله تعالى:
﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾؟
يسيرًا في المسرة والفوز والنجاة بعد العمل الصالح في الدنيا، بحال المسافر لتجارة
حين يرجع إلى أهله سالمًا.⁴

من هم الأهل وما وجه
تخصيص الانقلاب إليهم؟
من أحب أهله وصحبه الذين كانوا معه في الدنيا أو أهله الذين أعددهم الله - تعالى -
- له في الجنة من الحور.⁵
إنَّ الإنسان يرغب في مشاركة أهله ومن يحب فرحته واستبشاره أنسًا بهم، وأي فرحة
أعظم من فوزه يوم الحساب.

علام يدل الوصف
"مسرورًا"؟
أي سرور أعظم من سرور ذلك اليوم، سرور بالنجاة من النار وسرور بالفوز بالجنة،
الهمم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

أذكر بعض ما ورد من كيفية
حساب المؤمن الصالح.
جاء في هذه الآية عن عائشة، قالت: «إن رسول الله - ﷺ - قال "ليس أحد
يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ
أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال رسول الله - ﷺ -: إنما
ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّبَ".⁶

إنَّ الله - عز وجل - يخلو بعبده المؤمن، ويقرره بذنوبه، فيقول: عملت كذا،
عملت كذا، عملت كذا، ويقر بذلك ولا ينكر، فيقول الله - تعالى - : «قد سترتها

1 التحري والتنوير، ابن عاشور (222/30)

2 التحري والتنوير، ابن عاشور (30/222)

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (351/8). تفسير العليمين، ابن عثيمين (114)

4 التحري والتنوير، ابن عاشور (223/30)

5 تفسير جامع البيان، الطبري (239/24)، بتصرف

6 صحيح البخاري (6537)

عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»¹.

كيف بنا من الحياء ذلك اليوم وذنوبنا تعرض أمام الله - عز وجل -، أفلا نستحي منها الآن؟!

تعليق القلوب بالخالق - سبحانه - ورجاء ما عنده من الثواب والوقوف على ما أعده الله - عز وجل - من النعيم في الآخرة كما جاءت به النصوص. مقارنة ما يحصله الإنسان من مكاسب دنيوية بنعيم الجنة، فالدنيا دار كرب وبلاء، متقلبة بين شدة ورخاء، فكل فوز زائل، وكل لذة ناقصة، والفوز الحقيقي في الحصول على السعادة الأبدية في الآخرة والنعيم المقيم رضا الله - عز وجل - ولذة النظر إلى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: 64]، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وِزْيَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ [الحديد: 20].

الفوز الحقيقي هو الفوز في الآخرة، كيف نُعَزِّزُ هذا المعنى في النفوس في ضوء قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مُسْرُورًا؟﴾

ذكر الطبري صفة من أُعْطِيَ كتابه وراء ظهره، فقال: وذلك أن جعل يده اليمنى إلى عنقه وجعل الشمال من يديه وراء ظهره، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، ولذلك وصفهم جلّ ثناؤه أحياناً أنهم يؤتون كتبهم بشمالهم، وأحياناً أنهم يؤتونها من وراء ظهورهم.² وفيه زيادة في إذلال الذي لم يعمل لهذا اللقاء.

ما صفة أخذ الكافر لكتابه، وكيف الجمع بين أخذه من وراء ظهره وأخذه بشماله؟ وما دلالة هذه الصفة؟

الثبور: الهلاك وهو جامع لأنواع المكاره.³

الدعاء هنا مستعمل في التحسر والتوجع، وفي طلبه للهلاك وتفضيله على ما هو فيه دلالة على أنه وصل به الحال السيئ إلى أقصى مداه، حتى لقد أصبح الهلاك نهاية أمانيه.

ما دلالة التعبير بالفعل ﴿يَدْعُو﴾ وما وجه تخصيص الدعاء بالثبور في قوله تعالى: ﴿يَدْعُو ثُبُورًا؟﴾

لما كان دعاؤه لا يكون إلا لبلاء كبير، أتبعه ما يُمكن أن يكون علّة له، وهو أنه يغمس في النار التي هي في غاية الاتقاد ويقاسي حرّها وهي محيطة به؛ لأنه كان تابعاً لشهواته التي هي محفوفة بها فأوصلته إليها وأحاطت به.⁴

ما دلالة التعقيب بقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ سَعِيرًا؟﴾

1 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (113-114)

2 تفسير الطبري - جامع البيان، ت: شاکر (24/315)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/224)، روح المعاني، الألوسي (15/289). ال تفسير الوسيط، الطنطاوي (15/336)

4 نظم الدرر، البقاعي (21/344)

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (13) ولا يتفكر في العواقب ولم يكن حزينًا متفكرًا في حاله ومآله، فأعقبه ذلك الفرح البشير الحزن الطويل، بطرًا بالمال والجاه فارغًا عن الآخرة، ولم يخطر البعث على قلبه؟

ما دلالة التعبير بالفعل ﴿ظَنَّ﴾ دون اليقين مثلًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ﴾؟ ومع ذلك ركن إلى ظنِّه ولم يبحث عن الحق.

ما وجه التعبير بالخور دون الرجوع؟ حار بمعنى رجع إلى المكان الذي كان فيه، وأطلق على الرجوع إلى حالة كان فيها بعد أن فارقتها وهو المراد هنا، وفيه إشارة إلى الحيرة والقلق والاضطراب، وهكذا مسيرة الإنسان في الحياة، يتحرك فيها على طريق دائري، ينتهي من حيث بدأ ويبدأ من حيث انتهى.²

اذكر شواهد على ندم الكافر ودعائه على نفسه بالهلاك. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمُرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: 40]. قال تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: 77].

علام يدل ختم الآية باسم الله البصير في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾؟ فيه إشارة إلى حكمة البعث؛ للجزاء؛ لأن رب الناس عليم بأحوالهم فمنهم المصلح ومنهم المفسد، فلا يحسن أن يتركه سدى، لا يؤمر ولا يُنهى، ولا يُثاب ولا يُعاقب.³

- حب الله - عز وجل - البصير بنا والعالم بأحوالنا، ولم يكلنا إلى غيره سبحانه.
- مراقبة الله - عز وجل - والخوف منه جلّ في علاه.
- الحياء من الله - عز وجل - الرادع عن الوقوع في المعاصي.
- الإخلاص لله - تعالى - في جميع الأعمال.
- الطمأنينة والصبر والاحتساب.

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 353). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (5/ 298). روح المعاني، الألوسي (15/ 289). تيسير الكريم الرحمن، السعدي (917)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 225). التفسير القرآني للقرآن، الخطيب (17-1505)، بتصريف

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 225). تيسير القرآن الكريم، السعدي (917)

جُبلت النفس على حب العوض، كما جبلت على شهوات وهواء، فالبواعث على العمل لمن يكذب بالبعث والحساب إما العوض المادي، مثل: المال والمنصب، أو العوض المعنوي، مثل: التقدير والشكر، أو إرضاء لشهوة أو هوى نفس، وإن كانت في معصية أو تعدد على حقوق الآخرين.

أما من يؤمن بالله واليوم الآخر، فيضاف إلى ما ذكر من أنواع العوض الأجر على العمل في الآخرة، وكلما عظم الأجر في نفسه عظم تعلقه به، وهانت عليه مشقة العمل أو ما يلاقه بسببه، فالتحمل على قدر الأجر الذي ينتظره، وكذلك حجز نفسه وهواه عن المعاصي، والتعدي على الآخرين على قدر ما يخشاه من عقوبة على ذلك.

ولذلك كثيراً ما نجد أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم بوصف نعيم الجنة وعذاب جهنم، ذلك أن الترغيب حافز على العمل الصالح ومنشبط له، والترغيب حافز على ترك المعاصي والتوبة منها.

من أهم البواعث على
العمل الصالح: الإيمان باليوم
الآخر، وضح ذلك.

• التفكير في الموت، فكفى بالموت واعظاً، وهو أول منازل الآخرة، فلا نراها بعيدة.

• التفكير في عظم نعيمها وشدة عذابها حتى تهون كل مشقة في طاعة، وكل لذة في معصية.

• التفكير في الحكمة من البعث والجزاء والحساب.

• التفكير في عظيم قدرة الله - عز وجل - .

• الاعتبار بدورة حياة النبات وهو نموذج مرئي للموت والبعث، فمن أماته وأحياء قادر على أن يميتني ويحييني.

• التفكير في أسماء الله وصفاته؛ لزيادة حبه ورجاء في نعيمه والخوف من عقابه.

• الإكثار من دعاء أن يجيرنا الله - عز وجل - من النار، وأن يدخلنا الجنة بما ورد من أحاديث، وبما يخرج من القلب رغبة ورهبة.

كيف نغرس قيمة الإيمان
بالدار الآخرة والاستعداد
بالعمل للفوز فيها؟

• الإخلاص لله - سبحانه وتعالى - في كل عمل؛ فإنَّ النية قد تبلغ بالعبد أعلى المنازل، وقد تهوي به للأسفل سافلين، فجدد نيتك.

• القراءة في سيرة الرسول - ﷺ - والافتداء به، فمع أنه عُفِّر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، إلا أنه كان عابداً لله - سبحانه - يقوم حتى تنفطر قدماه.

• سهم الدعاء بأن يسددنا الله لأحسن الأقوال والأعمال، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقى الله.

• المسارعة في فعل الخيرات وذلك بحث النفس وترغيبها.

من خلال الآيات تبين لنا أن
المرء إما شقي وإما سعيد،
كيف نبني لدار السعادة؟

- الخلاصة: «عن قتادة، قال: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْ قَبِيهَ﴾ إِنَّ كَدْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل، ولا قوّة إلا بالله».¹

النفس لا بد أن تكون بين جنبي الرجاء والخوف فتحتاج ترغيباً وترهيباً. فإن قوي داعي الشر لا بد أن يُقرع القلب بالترهيب، وتذكر عذاب الله - عز وجل -، وضيقه القبر وظلمته، والصراط ورهبته، والنار وهيبها. وإن تقاعست النفس عن الخيرات رُغبت بالجنان العالية، والمسكن الراقية، والأنهار الجارية، والسرر المرفوعة.

من خلال الآيات نأخذ أسلوب التربية بالترغيب والترهيب، كيف يمكن أن نطبقه في جانب من حياتنا؟

لا يناسب أسلوب الترهيب الأطفال في سن مبكرة، والأولى ترغيبهم فيما عند الله - عز وجل -، قد يُشكّل على بعضهم الحديث عن الجنة والنار للأطفال، وهذا من الوسائل المعينة:

- التفصيل في نعيم الجنة والحث على تقرب المعاني إلى الطفل حتى تدخل في مخيلته، كأن نقول له مثلاً إذا رأى مشهداً طبيعياً جميلاً: إِنَّ هذا في الدنيا فكيف بمشهد الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهذا يجعله يتفكر ويتخيل هذا النعيم، ونبين له أنّ كل ما تحيله فالجنة أفضل منه، ومثله إذا تلذذ بالطعام أو الشراب... حتى يتعلق قلبه به، وهذا من حين إلى آخر حتى يبقى أثره ولا يمل.
- مساعدته على التفكير في دورة النبات، وربطها بالبعث والجزاء.
- الإجمال في الحديث عن العذاب، وتقديمه أن من فضل الله علينا ورحمته بنا أن يبين لنا عذاب جهنم؛ حتى نتقيه ولا ندخلها.
- نحدثه عن أهوال القيامة ببيان نهاية الكون على هيئته الحالية، وبداية حالة جديدة حتى لا يتعلق بالدنيا، فكلها إلى زوال.
- الحديث عن الموت بشكل إيجابي، وهو انتقال من دار العمل إلى دار الجزاء والنعيم الذي لا ينفذ بإذن الله - تعالى -، وما علينا إلا التهيؤ له.
- ...

كيف نعلق قلوب أطفالنا باليوم الآخر دون أن ندخل في نفوسهم الرعب من النار وعذابها؟

تلاوة

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقِ ﴿ۛ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقِ ﴿ۛ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقِ ﴿ۛ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ۛ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿ۛ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿ۛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿ۛ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ۛ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿ۛ﴾

(الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

16. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ أقسم الله بالشفرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس.
17. ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقِ﴾ أقسم بالليل وما جُمع فيه.
18. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقِ﴾ والقمر إذا اجتمع وتم وصار بدرًا.
19. ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقِ﴾ لتركبن - أيها الناس - حائلًا بعد حال من نُظِّفَ فَعَلَقَةً فَمُضْغَةً، فحياة فموت فبعث.
20. ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فما هؤلاء الكفار لا يؤمنون بالله، واليوم الآخر!؟
21. ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ وإذا قُرِئَ عليهم القرآن لا يسجدون لرهم!؟
22. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ بل الذين كفروا يكذبون بما جاءهم به رسولهم.
23. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ والله أعلم بما تحويه صدورهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.
24. ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فأخبرهم - أيها الرسول - بما ينتظرهم من عذاب مُوجِع.
25. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ إلا الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم ثواب غير مقطوع؛ وهو الجنة¹.

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة الآيات لما قبلها؟	بعد أن ذكر - سبحانه - أن الإنسان راجع إلى ربه فملاقيه ومحاسبه، أقسم بآيات له في الكائنات، ظاهرات باهرات، إن البعث كائن لا محالة، وإن الناس يلقون شدائد الأهوال حتى يفرغوا من حسابهم، فيصير كل أحد إلى ما أعد له من جنة أو نار. ²

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 589)

2 تفسير المراغي، المراغي (30/ 94)

ما دلالة ابتداء القسم بـ
«لا» في قوله تعالى: ﴿فَلَا
أُقْسِمُ بِالْشَّفَقِ﴾؟

(لا) للتنبه على القسم وإثباته وتوكيد معناه، فهي زائدة لفظاً، مزيادة في المعنى لتوكيد القسم.¹

ما مناسبة تعاقب هذه
الأقسام في السورة؟

- القسم يتضمن إدبار النهار، وإقبال الليل، وكلاهما آية من آيات الله - عز وجل -، والشفق جامع للأمرين؛ فتعاقبهما لمصالح الخلق.
- كما أن في القسم برهان على قدرة الله وتصرفه في ملكه، وهذا دالٌّ على البعث.²
- في ذكر الشفق إيماء إلى أنه يشبه حالة انتهاء الدنيا؛ لأن غروب الشمس مثل حالة الموت.
- في ذكر الليل إيماء إلى شدة هول يوم الحساب.
- في ذكر القمر إيماء إلى حصول الرحمة للمؤمنين.³

ما دلالة التعبير بقوله تعالى:
﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾؟

الناس في الدنيا متقلبة أحوالهم بين طفولة وشباب وشيخوخة، بين فقر وغنى، قوة وضعف، حياة وموت وبعث، رخاء وشدة، إلى كل ما تحتمله الكلمة، إلى أن ينتهي إلى جنة أو نار.⁴

ما مناسبة الأقسام للمقسم
عليه؟

الشفق والليل والقمر تخالط أحوالاً بين الظلمة وظهور النور معها، أو في خلالها، وذلك مناسب لما في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ من تفاوت الأحوال التي يختبئ فيها الناس يوم القيامة أو في حياتهم الدنيا، بتغير أحوال الزمان، والمكان، وأحوال الأبدان، وأحوال القلوب.⁵

اذكر أمثلة لسنة التغير من
حال إلى حال، وثمرة معرفة
ذلك.

الأول: أحوال الزمان تنتقل ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140]، فيوم يكون فيه السرور والانشراح وانبساط النفس، ويوم آخر يكون العكس.

الثاني: الأمكنة، ينزل الإنسان هذا اليوم منزلًا، وفي اليوم التالي ينزل منزلًا آخر، وثالث ورابع إلى أن تنتهي به المنازل في الآخرة، وما قبل الآخرة وهي القبور التي هي منازل مؤقتة.

الثالث: الأبدان، يركب الإنسان فيها طبقًا عن طبق، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ

1 ينظر: تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده، عبد المحسن العسكر (122)

2 تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده، عبد المحسن العسكر (125)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (226/30)، بتصرف

4 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (473/8). أيسر التفاسير، الجزائري (547/5)، بتصرف

5 أضواء البيان، الشنقيطي (473/8)

صَعْفًا وَسَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: 54].

فأول ما يخلق الإنسان: طفلاً صغيراً ضعيفاً، ثم لا يزال يقوى رويداً رويداً حتى يكون شاباً جلدًا قويًا، ثم إذا استكمل القوة عاد فرجع إلى الضعف، وقد شبه بعض العلماء حال البدن بحال القمر يبدو هلالاً ضعيفاً، ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يمتلئ نوراً، ثم يعود فينقص شيئاً فشيئاً حتى يضمحل.

الرابع: حال القلوب، القلوب هي النعمة وهي النعمة، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فإن شاء أزاغ القلب وإن شاء هداه، ولما حدث النبي - عليه الصلاة والسلام - في هذا الحديث قال: (اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، فالقلوب لها أحوال عجيبة، فتارة يتعلق القلب بالدنيا، وتارة يتعلق بشيء من الدنيا، وتارة يتعلق بالمال ويكون المال أكبر همه، وتارة يتعلق بالنساء وتكون النساء أكبر همه، وتارة يتعلق بالقصور والمنازل ويكون ذلك أكبر همه، وتارة يكون مع الله، وهذه أعلى أحواله¹ وهذا ما ينبغي أن يكون.

وحرِيٌّ بالإنسان المؤمن التفكير في تغير الأحوال، وعدم دوامها؛ حتى لا يتعلق قلبه بغير الله، فكلُّ إلى زوال، وأن يجعل همه أن يستقيم على ما يرضي الله، ثم يسأل الله الثبات على ذلك، حتى لا تضيره التغيرات ولا التبدلات.

التعجب والإنكار من عدم إيمان المشركين مع كل ما ظهر من دلائل عظيم قدرة الله - تعالى - وتفرد به بالإلهية.²

تعجب من أمرهم، مع كل الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته وجبروته، وخضوع المخلوقات له، إذ بهذا المخلوق الضعيف يرفض الانقياد والسجود، وهو الأولى بذلك، فهو الذي ينتظر الجزاء والحساب، وهو الذي ما أمر إلا بما فيه مصلحته وفوزه في الدنيا والآخرة، وما تكبر وأدبر إلا خسر وخاب في الدارين معاً.

ما دلالة الاستفهام في قوله

تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ؟﴾

التعلق بالآخرة وتفريغ القلب من شواغل الدنيا، فتفرغ القلب لله يجعله خاشعاً له. التضرع إلى الله - تعالى - بالدعاء والإخلاص، والإلحاح في الدعاء، والتعود بالله من قسوة القلب ف«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن - عز وجل - كقلب واحد يصرفه حيث يشاء».³

كيف نتعظ بمواعظ القرآن

ونخشع له!؟

- الإكثار من تلاوة القرآن مع التدبر لمعانيه، والعمل بما؛ فإن قراءة القرآن من أقوى الأسباب الجالبة لخشوع القلب ورقته.

1 تفسير العنيمين، ابن عثيمين (117-118-119)، بنصرف

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 231)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (19/ 280)

3 صحيح مسلم (4/ 2045)

- دلالة على حدوث التكذيب منهم وتجدده، أي بل هم مستمرين في التكذيب عنادًا وليس ذلك اعتقادًا، فكما نفى عنهم تجدد الإيمان وتجدد الخضوع عند قراءة القرآن، أثبت لهم تجدد التكذيب.¹
- إِنَّ الْكُفَّارَ يَكْذِبُونَ تكذيب الجحود، مع أن في قلوبهم التصديق الذي لا ينفعهم مع الجحد، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33].²

ما وجه التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾؟

- دلالة التعقيب بذكر علم الله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾؟

ما دلالة التعقيب بذكر علم الله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾؟

- يشعر بمحاولتهم الإخفاء.⁴

علام يدل التعبير بلفظ ﴿يُوعُونَ﴾؟

- معرفة الله - عز وجل - والتعلق به.
- معرفة أمراض القلوب وعلاجها وعبادات القلوب وأسبابها.
- المبادرة إلى التوبة والاستغفار عند وقوع الذنب أو المعصية.
- غذاء القلب قراءة القرآن وتدبره ونوافل الطاعات.
- الزهد في الدنيا وتخليص القلب من التعلق بها، ولا نقصد بالزهد ترك ما أباح الله - عز وجل - والورع عنه، إنما عدم تعلق القلب بها والسعي من أجلها دون الآخرة، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ القلب محل نظر الله، فما وسائل إصلاحه؟

- إنذار ووعيد للكافرين على طريقة التهكم؛ لأن حقيقة التبشير: الإخبار بما يسرُّ وينفع؛ فلما علق بالعذاب الأليم كانت قرينة التهكم كَنَارٍ على علم.⁵

ما فائدة التعبير بالبشارة دون النذارة في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مع أن المبشر به عذاب؟

- ما شمل الخطاب الجميع: المؤمن والكافر، استثنى من الوعيد من حقق شرط النجاة من هذا الوعيد، وهو الإيمان والعمل الصالح.

ما دلالة الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 233)

2 تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده، العسكر (125)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 234). تفسير الكريم الرحمن، السعدي (917)، بتصرف

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 234). تفسير الكريم الرحمن، السعدي (917)، بتصرف

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 234)

عطف الخاص وهو العمل الصالح على العام وهو الإيمان؛ للتأكيد على أهمية العمل، وأنه مصدق للإيمان، فالإيمان ليس ادعاء باللسان، فلا بد من اتباعه بالعمل.

شروط العمل الصالح:

- الإخلاص لله - عز وجل -.
- ما يرضي الله - عز وجل - مما أمر به على الوجوب أو الاستحباب.
- ما أباح الله - عز وجل - إن قصد الأجر منه - عز وجل -.
- ما حرم الله - عز وجل - على وجه الكراهة أو التحريم إن تركه الله - سبحانه -.

شروط العمل الصالح في العبادات (بالمفهوم الفقهي):

- الأول: الإخلاص لله - تعالى - بألا يريد بعمله إلا وجهه الله - عز وجل - وابتغاء مرضاته.
- الثاني: أن يكون متبعاً فيه رسول الله - ﷺ -.

ما دلالة عطف العمل الصالح على الإيمان مع أنه يشمله في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وما شروط العمل الصالح؟

بشارة المؤمنين بعدم انقطاع أجرهم مما يحملهم على الاستمسك بدينهم حتى لو فعلت بهم الأفاعيل، فإنهم لا محالة الراجحون.¹

بم يوحى وصف الأجر بأنه غير ممنون في قوله تعالى: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؟

- دلت الآيات على أن القادر على تغيير أفلاك السماء من حال إلى حال قادر أن يُعَيِّرَ الأحوال من حال إلى حال.
- إن دوام الحال من المحال، فالإنسان إن كان في شدة فهو لا محالة إلى فرج بإذن الله - تعالى -.
- مهما ساء حال الإنسان في هذه الدنيا فإن له نهاية؛ إما بتغير وإما بموت، ولذلك كان من أعظم عذاب أهل النار أن لا موت.
- إذا تفكَّر العبد في نعيم الجنة هانت كل ابتلاءات الدنيا مهما بلغت.
- التفكير في قدرة الله - عز وجل - من أنه لا يعجزه شيء، وإكثار السجود والتضرع لله - عز وجل - ودعاؤه بالفرج.

في السورة غرس لقيمة التفاؤل، وأنه مهما ساءت الأحوال، فما زال في الأمل ببقية، وضح ذلك.

ما أجمل الأنس بوعد الله - تعالى - والتذكير برحمته، حين يجد الإنسان بعد إشاعة جو العذاب والتهديد والوعيد غرس الأمل بالرحمة؛ لذا كان الأسلوب القرآني في غاية الروعة والبيان، حين يقرن الكلام عن العذاب، بالكلام عن النعيم والرحمة والإحسان، إما قبل أخبار العذاب، أو بعد الإخبار به، فترتاح النفوس وتطمئن

ما الفائدة من تعاقب الترغيب والترهيب؟

القلوب، وتفتح أبواب الأمل في فكر الإنسان وتذكيره بضرورة العودة إلى جادة الاستقامة والإيمان، والتزام العمل الصالح.¹

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- افتتحت السورة بأهوال يوم القيامة؛ انشقاق السماء ومد الأرض؛ استعدادًا ليوم الحساب.
- بينت لنا الآيات خضوع السماوات والأرض وطاعتها لربهما لبداء الحساب.
- بينت السورة توزيع الصحف وتقسيم الناس بين متلقٍ لكتابه يمينه وهم أهل السعادة، ومتلقٍ لكتابه من وراء ظهره وهم أهل الشقاء.
- أقسم الله بالشفق والليل والقمر على علمه بما يعي الإنسان في قلبه وما يحمل في نفسه، وهذا يستدعي الخشية منه سبحانه، فلا يعي في قلبه إلا الإيمان، ولا يحمل في نفسه إلا الخير، فلا غلٍّ ولا حسد ولا شك ولا عداً ولا بغضاء.
- إنَّ الإنسان مقبل على أحوال وأهوال حالاً بعد حال وهولاً بعد هول إلى أن ينتهي إلى جنة أو نار.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الاستسلام لله - تعالى - .
- الاستعداد للحساب والجزاء.
- استماع القرآن بتدبر.
- الحرص على السجود عند موضع سجدة التلاوة.

فوائد تربوية من السورة

- نأخذ من السورة أسلوب الترغيب والترهيب.
- من القضايا التي تعالجها السورة التعلق بالدنيا ومتاعها، بيان هوانها وزوالها وتعظيم شأن الآخرة.
- تغرس السورة قيمة الآخرة والاستعداد لها.
- تغرس السورة الرضا بقضاء الله - عز وجل - وقدره.
- تغرس السورة قيمة التفاؤل وعدم اليأس.
- تغرس السورة قيمة حب الله - عز وجل - والحياء منه.
- تغرس السورة قيمة المراقبة الذاتية ومحاسبة النفس.

رسائل

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ كلُّ ملاقيِّ ربه، فكن ممن أحسن الوفادة عليه.

إذا كان لا بد من الكدح والنصب والتعب، فليكن فيما يرضي الله - عز وجل - ويسئرتنا أن نلقى الله به.

﴿وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ لمثل هذا الموقف نسعى.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالسَّمَاءِ﴾ كم في الكون من آيات وعظات تبصرنا بالحقائق الكبرى، فهلا تدبرنا؟!

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ هكذا الدنيا، فلنسأل الله - بكرمه - أن يجعل كل طبق نستقبله من أمر الدين والدنيا

خير مما استدبرنا.

﴿وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ما تُخفي من خافية يا ابن آدم إلا والله مطلع عليها، فاحرص على أن تُطَهَّر باطنك كما

تفعل بظاهرك.

﴿فَبَيِّنْ لَهُمْ يِعْدَابِ الْيُسْرِ﴾ القلب الحي يرتعد وجلاً من هذه البشارة المرعبة، فهلا تيقظت الأنفس الغافلة؟!

085. سُورَةُ الْبُرُوجِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورتنا لهذا اليوم سورة تعرض حقائق العقيدة، وقواعد التصور الإيماني، وثبتت لنا سنة الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل إلى قيام الساعة، وتظهر الوعد من رب الخلق والوجود، بأن العاقبة لمن آمن بالرب الودود، يعجل الله بما لمن يشاء في الدنيا أو يؤجلها لليوم الموعود.
سورتنا لهذا اليوم هي سورة البروج.

تعريف السورة:

اسم السورة:	سورة «البروج»، سورة «والسما ذات البروج». ¹
نوع السورة:	مكية. ²
عدد آياتها:	اثنتان وعشرون آية في جميع الأعد ليس فيها اختلاف. ³
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.
فضل السورة والآثار الواردة فيها:	في حديث جابر بن سمرة قال: إن رسول الله - ﷺ - كان يقرأ في الظهر والعصر بـ ”والسما والطارق“، ”والسما ذات البروج“ ونحوها من السور. ⁴

المناسبة بين سورة البروج وسورة الانشقاق:

اختتمت سورة الانشقاق ببيان حالي المؤمنين والكافرين، وأن الله - تعالى - يعلم ما يصدر عن الكافرين، وأنه توعدهم بعذاب أليم، وأن المؤمنين لهم أجر غير منقطع، وكل هذا لا يقدر عليه إلا الله - تعالى - صاحب القسم بما في هذه السورة من عظام الأمور، وهذا وجه اتصال مفتتح سورة البروج بختام سورة الانشقاق.⁵

مناسبة السورة لما بعدها: المناسبة بين سورة البروج وسورة الطارق:

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (236/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد أي القرآن (ص: 269)

4 أخرجه النسائي وأبو داود وصححه الألباني

5 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (88/9)

لما حُتِمت سورة البروج بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ وجاء في مقدمة هذه السورة: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الْقَائِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾، وبين هذه البداية وتلك النهاية نوع صلة، وحفظ اللوح مرتبط بحفظ السماء، وحفظ اللوح من مظاهر قدرة الله التي من مظاهرها البارزة حفظ كل نفس أو حفظ عملها.¹

مقصد السورة:

إظهار قوة الله وإحاطته الشاملة، وتوعده للمتربصين بالمؤمنين بالعذاب الشديد.²

مواضيع السورة:

من الآية (1) إلى الآية (11): قصة أصحاب الأخدود وحقيقة الفوز والخسارة.
من الآية (12) إلى الآية (22): مشيئة الله تعالى ونفاذ قدرته.

تلاوة

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالنُّجُومِ الْمُنِيرِ ﴿٢﴾ وَالسَّمَاءِ الْمُدْحِقِ ﴿٣﴾ وَالسَّمَاءِ الْمُرْسَاتِ ﴿٤﴾ وَالنَّارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَزَاءٌ فَتَنَهُمْ وَعَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَزَاءٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

1. ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أقسم الله بالسماء المشتعلة على منازل الشمس والقمر وغيرها.
2. ﴿وَالنُّجُومِ الْمُنِيرِ﴾ وأقسم بيوم القيامة الذي وعد أن يجمع فيه الخلائق.
3. ﴿وَالسَّمَاءِ الْمُدْحِقِ﴾ وأقسم بكل شاهد كالنبي يشهد على أمته، وكل مشهود كالأمة تشهد على نبيها.
4. ﴿وَالسَّمَاءِ الْمُرْسَاتِ﴾ لعن الذين شققوا في الأرض شقاً عظيماً.
5. ﴿وَالنَّارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ﴾ وأوقدوا فيه النار، وألقوا المؤمنين فيه أحياء.
6. ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ إذ هم قعود على ذلك الشق المملوء نارا.
7. ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب والتنكيل شهود؛ لحضورهم ذلك.
8. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ وما لهؤلاء الكفار على المؤمنين شيئاً إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في كل شيء.

1 التفسير الموضوعي، بإشراف مصطفى مسلم (100/9)

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 590)

9. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الَّذِي له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وهو مُطَّلِعٌ على كل شيء، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده.
10. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ عَذَّبُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالنَّارِ؛ ليصرفهم عن الإيمان بالله وحده، ثم لم يتوبوا إلى الله من ذنوبهم، فلهم يوم القيامة عذاب جهنم، و لهم عذاب النار التي تحرقهم؛ جزاءً على ما فعلوه بالمؤمنين من الإحراق بالنار.
11. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وعملوا الأعمال الصالحات، هم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ذلك الجزاء الذي أعد لهم هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات).

الهدايات	الأسئلة التدرجية
تشويق لما يرد بعده، وإشعار بأهمية المقسم عليه، وللفت انتباه السامعين إلى الأمور المقسم بها ² وبيان كمال قدرة الله - تعالى - وحكمته في خلقه، مما يدعونا إلى التفكير في آيات الله وتعظيمه وتحجيدته. ³	ما دلالة افتتاح السورة بهذا المقسم العظيم؟
والمقسم بالسماء بوصف ذات البروج يتضمن قسمًا بالأمرين معًا؛ لتلتفت أفكار المتدبرين إلى ما في هذه المخلوقات وهذه الأحوال من دلالة على عظيم القدرة وسعة العلم الإلهي، إذ خلقها على تلك المقادير المضبوطة لينتفع بها الناس في مواقيت الأشهر والفصل. ⁴	ما دلالة القسم بالسماء بوصف ذات البروج في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾؟
لأن الله - تعالى - وعد عباده أن يجمعهم فيه لجزاة كلا الفريقين على عملهم، وفيه تقرير لعقيدة البعث والجزاء يوم القيامة. ⁵ ويتضمن وعيدًا للمكذابين بزيادة تقريره بالمقسم عليه.	ما دلالة وصف يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 590)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 237) بتصرف

3 تفسير الكريم الرحمن، السعدي (918)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 238)

5 أضواء البيان، الشنقيطي (8/ 477) بتصرف، أيسر التفاسير للجزائري (5/ 548)

كل مخلوق سيشهد يوم القيامة من مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراي ومرئي، فشمّل هذا كل من اتصف بهذا الوصف.¹

فمن الشهود:

• الله عز وجل؛ شهادته على الجميع، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: 9].

• الملائكة يشهدون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21].

• الرسل يشهدون على أقوامهم، ومنهم محمد - ﷺ -، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: 89].

• أمة محمد ﷺ شهداء على الناس، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

• أعضاء الإنسان تشهد له بما عمل من خير أو شر يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24].

• الأرض تشهد على الإنسان بما عمل عليها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْذُرُ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: 4].

وفي هذا القسم ترغيب وترهيب؛ ترغيب للمؤمن ووعيد للكافر بحضور الشهود على جرمته.

من الشهود؟ وما دلالة القسم بهم وبالمشهود في قوله تعالى: ﴿وَشَهِيدٌ وَمَشْهُودٌ؟﴾

دعاء عليهم، وشتم، وخزي، وغضب يستلزم العقاب على الفعل، وللدلالة على غاية محاربة الكفار لله - تعالى - ولحزبه المؤمنين.²

ما وجه التعبير بلفظ ﴿قُتِلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ؟﴾

دعاء على الخراصين وهم الكذابون الذين يقولون بالحرص والكذب، في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: 10].

دعاء على الإنسان الجاحد لله - عز وجل - في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: 17].

جاء لفظ القتل في القرآن بمعنى الدعاء، اذكر شواهد على ذلك.

ليُعَمَّ الأمرين يجعل الأخدود والمباشرين لحفره وتسعيره، والقائمين على إلقاء المؤمنين فيه، ولأن الأمر بالفعل كفاعله في الجزاء؛ حيث إن كلمة أصحاب تدل على الملازمة.³

ما دلالة الإتيان بكلمة أصحاب في الآية؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (918)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (239/30)، بتصرف، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (918)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (241/30)

ما دلالة وصف النار بأنها ذات الوقود في قوله تعالى: (النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ)؟

أنه لا يحمد لهبها؛ لأن لها وقودًا يلقي فيها كلما خبت.¹ شدة هذه النار وأنها عميقة، ومحرقه، ومؤذية.

ما دلالة وصف حالهم وهم يُعَذَّبُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَهْمِ قَعُودٍ وشهود، في قوله تعالى: (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ)؟

التعجب من حالهم وقبح عملهم، وبيان لشدة جبروتهم وطغيانهم؛ لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، فمن الجبروت أن يرى الإنسان البشر تلتهمه النار وهو جالس على سريره يَتَفَكَّهُ بِالْحَدِيثِ وَلَا يِيَالِي².

ما دلالة مجيء فعل يؤمنوا بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾؟

ثبات هؤلاء المؤمنين وإصرارهم على الإيمان³، واستمرارهم فيه مع ما بهم من شدة وتعذيب. وهذا درس لنا وعبرة في الثبات على الدين مهما بلغنا من الأذى فيه.

الإتيان هنا بصفتي الله تعالى: «العزیز الحمید» إشعار بأنه - سبحانه - قادر على نصره المؤمنين والانتقام من الكافرين، إذ العزیز هو الغالب... ولكن جاء وصفه بالحمید ليشعر بأمرين:

الأول: أن المؤمنين آمنوا رغبة ورهبة، رغبة في الحميد على ما يأتي: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾، ورهبة من العزیز كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، وهذا كمال الإيمان رغبة ورهبة وأحسن حالات المؤمن.

ما مناسبة ختم الآية باسمي الله العزیز الحمید في الآية؟

والأمر الثاني: حتى لا ييأس أولئك الكفار من فضله ورحمته، كما قال: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾، إذ أعطاهم المهلة من آثار صفته الحميد سبحانه.⁴

كما أن صفة الحميد تشير إلى أن ما حصل للمؤمنين من قتل وحرق إنما هو خير يحمد الله - عز وجل - عليه، فهو للمؤمنين انتقال من دار فانية إلى دار البقاء، وهو شهادة في سبيل الله - عز وجل - ودخول للجنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾⁵ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (242/30)

2 أضواء البيان، الشنقيطي (484/8)، تفسير العثيمين، ابن عثيمين (126)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (485/8)

4 أضواء البيان، الشنقيطي (486/8)

مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَتَبِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ [آل عمران: 169-170].

اختصاص الله - عز وجل - بالملك وحده وكل ما سواه خلق وعبيد له، يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه، جميعهم ممالك لله تعالى.¹ وتأکید وبيان للعزيز الحميد، إذ لا يخرج عن سلطانه أحد، فهو القاهر فوق عباده، وهو المدبر أمر ملكه سبحانه وتعالى.²

ما دلالة تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؟

العزيز، الحميد، الذي له ملك السماوات والأرض:

هذه الصفات تُوجِبُ الإيمان بالله وطاعته ومحبته وخشيته، وهي كونه - سبحانه وتعالى - عزيزًا في انتقامه لأوليائه، حميدًا يحمده لآلائه ونعمه سائر خلقه، مالكًا لكل ما في السماوات والأرض، ليس لغيره ملك في شيء معه، وعلمه الذي أحاط بكل شيء دَلٌّ عليه قوله: وهو على كل شيء شهيد.³

يثمر الإيمان بهذا الاسم: العزة في قلب المؤمن، فمهما ابتغى العبد العزة عند غير الله تعالى وفي غير دينه فلن يجدها، ولن يجد إلا الضعف والهوان.

كما يُثمر هذا الشعور عدم الركون إلى شيء من هذه الدنيا، وجعلها مصدر العزة والقوة.

والحميد: هو الحمود في ذاته وفي أفعاله وصفاته، فإذا علم العبد أن الله - سبحانه - الحميد، استلزم ذلك محبته سبحانه محبة صادقة، لا يشاركه فيها أحد من الخلق، وهذه المحبة بدورها تثمر عبوديات أخرى في القلب كالإخلاص لله، والحياء والأدب مع الله، وكثرة ذكره سبحانه وشكره، كما أن الإيمان بهذا الاسم يستلزم اليقين بأن الله - عز وجل - هو المستحق للحمد كله على الإطلاق.⁴ فمن آمن بأسمائه وصفاته وفقه معانيها، ازداد محبة وخشية ورجاء وطاعة له سبحانه.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ربط بأول السورة: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾،

فهو سبحانه على كل شيء شهيد، ومن ذلك فعل أولئك. وفيه شدة تخويف أولئك وتحذيرهم ومن على شاكلتهم، بأن الله - تعالى - شهيد على أفعالهم فلن تخفى عليه خافية.⁵

ما مناسبة ختم القصة بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (918)
2 أضواء البيان، الشنقيطي (486/8)
3 أبسر التفاسير، الجزائري (549/5)
4 والله الأسماء الحسنى، الجليل
5 أضواء البيان، الشنقيطي (486/8)

وفيه وعد وطمأنة للمسلمين المضطهدين، أن الله شهيد على ما يحصل لهم، وسيجازيهم على صبرهم، ويهلك عدوهم، وينصر المؤمنين ولو بعد حين.

لفظ المؤمنين في القرآن يُعْمُ
المؤمنين والمؤمنات، فعلام
يدل العطف بينهما في قوله
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَمْ
يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ
وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾؟

للتنويه بشأهنَّ لئلا يُظن أن هذه المزيّة خاصة بالرجال، ولزيادة تفتيح فعل الفاتنين بأنهم اعتدوا على النساء والشأن ألا يُعرض لهنَّ بالغلظة.¹

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ
يَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ
وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ تظهر
رحمته وحلمه سبحانه، بين
ذلك.

• ترغيب بالتوبة وأنها تخدم ما قبلها.
قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه وأهل
طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة.²
• إنَّ العبد مهما بلغت ذنوبه إن تاب تاب الله عليه، فلا يبأس من رحمة الله عز
وجل.

التوبة لا تكون توبة نصوحًا إلا إذا اشتملت على عدة شروط:

- الأول: الإخلاص لله - عز وجل - بأن يكون الحامل للإنسان على التوبة
خوف الله - عز وجل - ورجاء ثوابه.
- الثاني: الندم على ما حصل من الذنب، فإذا ذكر عظمة الله ندم، كيف أعصي
ربي وهو الذي خلقتني ورزقني وهداني، فيندم.
- الثالث: أن يقلع عن الذنب فلا تصح التوبة مع الإصرار على الذنب، لأن
النائب هو الراجع.
- الرابع: أن يعزم عزمًا تامًا ألا يعود إلى الذنب.
- الخامس: أن تكون التوبة في وقت تقبل فيه التوبة³ وذلك قبل الغرغرة، وقبل
طلوع الشمس من مغربها.

في الآيات إشارة إلى أن
التوبة تخدم ما قبلها، فما هي
شروط التوبة النصوح؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (246/30)

2 تفسير الكرم الرحمن، السعدي (918) بتصرف

3 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (131-133) بتصرف

ما مناسبة ذكر عذاب الحريق فيه المقابلة بالفعل، كما كانوا قعوداً على النار وشهوداً على إحراق أولياء الله تعالى، فإنه سبحانه سيعاملهم بالمثل؛ إذ يحرقهم وهو عليهم شهيد.¹ مع أن عذاب الحريق من عذاب جهنم؟ الجزء من جنس العمل.²

قد ينظر الإنسان إلى حال المؤمنين في زماننا الحاضر فيرى اضطهاداً وقتلاً وتعدياً في كثير من بلاد العالم، انتهاك الأعراض، وإتلاف الأموال، وتجويع الصغار، وقتل الكبار والصغار، ويرى ضعف المسلمين وهوانهم، فقد يجد في نفسه، ويُفتن في دينه ظناً منه أنهم ما اضطهدوا إلا لأنهم على باطل، فتأتي هذه الآيات تُبَيِّنُ أن سُنةَ الله نافذة، وأن فتنة المسلمين من السنن الإلهية، وكذلك الإملاء للظالمين، وأن للنصر والتمكين أسبابه المادية والشرعية، وأن الله لا يجايي أحداً، فمتى ما تحققت الأسباب تحققت النتائج، ويعلم أن نصر الله قريب.

كيف نستفيد من قصة أصحاب الأعداء في واقعنا الحالي؟

فالله - سبحانه وتعالى - قد يُسَلِّطُ أعداءه على أوليائه، حتى يرجعوا إلى بارئهم، ويتوكلوا عليه، ويجدوا أن لا ملجأ ولا عزة إلا به، ويفضح أعداءه من الكافرين والمنافقين، ويُقيم الحجة، ويُبطل الباطل، ويُحق الحق كيف شاء سبحانه ومتى شاء، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

ما مناسبة قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) لما قبلها؟

عقَّب بذكر الثواب بعد العقاب تسليةً للمؤمنين على ما أصابهم، وتخفيفاً لهم على مزيد من الصبر على طاعة الله عز وجل.³

ما دلالة عطف (وَعَمِلُوا)

الصَّالِحَاتِ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا؟

للدلالة على أنه لن يصحَّ الإيمان دون العمل الصالح.⁴

ما دلالة التعبير عن جزاء

المؤمنين بالفوز في قوله تعالى: (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)؟

لأن الفوز هو عبارة عن حصول المطلوب وزوال المكروه، والجنة فيها كل مطلوب، وقد زال عنها كل مرهوب، فلا يذوقون فيها الموت، ولا المرض، ولا الهم، ولا النصب.⁵

1 أضواء البيان، الشنقيطي (487/8)

2 مختصر تفسير ابن كثير، ابن كثير (625/2)

3 التفسير الموضوعي (94/9) بتصرف

4 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (134)

5 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (137)، بتصرف

ورداً على ما قد يظنُّ البعض أن المؤمنين قد خسروا بموتهم، والكفار فازوا بغلبتهم وقتلهم للمؤمنين.

ما مناسبة اختصاص (ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) بالذكر في
مقابل القصة؟

لأنه يصغر عنده الفوز بالدنيا وما فيها من الرغائب. ¹

ورد الفوز في القرآن الكريم 29 مرة، كلها متعلقة بالفوز بالجنة أو بالنجاة من النار وهذه حقيقة الفوز:

أولاً: ورد فوز عظيم 18 مرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 72].

ثانياً: ورد الفوز المبين مرتين؛ منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: 15، 16]

بماذا وُصف الفوز في القرآن
الكريم؟ وبماذا تعلق؟

ثالثاً: الفوز الكبير؛ ولم يرد إلا في هذه السورة.

وكلها جاءت مرتبطة بالفوز في الآخرة؛ فوز بالجنة أو نجاة من النار، وهو الفوز الحقيقي الكبير.

من الفوائد التربوية التي نأخذها من هذه الآية هو تصحيح مفهوم الفوز، وتعميقه، وغرسه في النفوس.

فقد يظن البعض أن الفوز هو النصر والتمكين والغلبة، ويتضح لنا من خلال هذه القصة أن الفائزين هم من أحرقوا أحياءً من غير رحمة ولا شفقة من أعدائهم؛ لنعم هوان الدنيا على الله - عز وجل - وعلى المؤمن، فهو انتقال لهم من دار التعب والشقاء إلى دار الفلاح والهناء، وفوز بالجنة ونجاة من النار، ولم يُقتلوا حتى استوفوا أعمارهم، كذلك لو عاشوا لعلَّ منهم من يُفتمن في دينه، ومن يعصي الله عز وجل، فما حصل لهؤلاء الشهداء هو اصطفاء من الله - عز وجل - لهذه المنزلة العظيمة في الجنة وهي منزلة الشهداء، وأي فوز أفضل منه، فهنيئاً لهم ولن مائلهم.

كذلك في تصحيح معنى الفوز تنبيه لمن تعلق بالمسابقات الرياضية والإلكترونية وغيرها، وأشغل نفسه ووقته بها، أن هذا الفوز لا يُعد شيئاً، بل قد يكون من خطوات الشيطان ليلهي الشباب خاصة عن ذكر الله - عز وجل - وعن العبادات، ويوقع بينهم العداوة؛ بسبب فوز فريق أو خسارته.

ما الفوائد التربوية التي
نأخذها من هذه الآية؟

- الإيمان بالله واتباع رسله.
- الحرص على عمل الصالحات، وتحديد النوايا وتعددتها في كل عمل.
- البعد عن الظلم ورد المظالم لأهلها.
- تجديد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل.
- اتباع القرآن المجيد وما فيه من الهدى.
- الدعوة إلى الله، والصبر على الأذى في سبيله.
- الدعاء بيقين أنه - تعالى - فعال لما يريد.
- الثبات على الحق مهما هاجت الفتن...

كيف نفوز بالجنة؟

تلاوة

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ١٢ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْعَفْزُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾
 ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ ١٦ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾
 وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

12. ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ إن أخذ ربك - أيها الرسول - للظالم - وإن أمهله حيناً - لقوي.
13. ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ إنه هو يبدي الخلق والعذاب، ويعيدهما.
14. ﴿وَهُوَ الْعَفْزُ الْوَدُودُ﴾ وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، وإنه يحب أوليائه من المتقين.
15. ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ صاحب العرش الكريم.
16. ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ فعال لما يريد من العفو عن ذنوب من شاء، ومعاقبة من شاء، لا Mukر له سبحانه.
17. ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ هل جاءك - أيها الرسول - خبر الجنود الذين تجندوا لمحاربة الحق، والصد عنه؟!
18. ﴿فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ﴾ فرعون، وثمود أصحاب صالح عليه السلام.
19. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ ليس المانع من إيمان هؤلاء أنهم لم تأتهم أخبار الأمم المكذبة، وما حصل من إهلاكهم، بل هم يكذبون بما جاءهم به رسولهم اتباعاً لأهوائهم.
20. ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ والله محيط بأعمالهم محصيها، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.
21. ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ وليس القران شعراً ولا سجعاً كما يقول المكذبون، بل هو قرآن كريم.
22. ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ في لوح محفوظ من التبديل والتحريف، والنقص والزيادة.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<p>إن الله - سبحانه وتعالى - قد ساق من الأدلة والبيّنات ما يدل على نفاذ قدرته ومشيبته، ذلك أن من يعذب هذا التعذيب، ويغفر هذا الغفران، لا بد أن يكون موصوفاً بالأوصاف الجامعة، وهذه الآيات تحقق الطمأنينة والأمن في نفوس الطائعين، وتزيد الرهبة في نفوس المكذابين.¹</p>	<p>ما مناسبة الآيات لما قبلها؟</p>
<p>البطش هو الأخذ بعنف، وحيث أُكِّد ووُصِف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم، وهو بطشه بالجباورة والظلمة، وأخذَه إياهم بالعذاب والانتقام.²</p> <p>وهذا تحذير من الله - عز وجل - لقوم رسوله - ﷺ -، وكل من عادى أولياءه أن يُجَلَّ بهم من عذابه ونقمته ما حل بالأمم السابقة.</p> <p>نظير الذي حلّ بأصحاب الأخدود على كفرهم به، وتكذيبهم رسوله، وفتنتهم المؤمنين والمؤمنات منهم.³</p> <p>وفيه وعيد وتخويف للمكذابين، وترغيب المنذرين في الإيمان، وتثبيت للمؤمنين على ما يلاقونه من أذى المشركين.⁴</p>	<p>ما دلالة ابتداء الآية بالتأكيد ووصف البطش بالشديد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؟</p>
<p>• لأن بطش الله بالذين فتنوا المؤمنين فيه نصر للنبي - ﷺ - وتثبيت له.⁵</p> <p>• وفيه طمأننة للمؤمنين لمن سار على نصح النبي - ﷺ - أنه ربه ناصره ولن يترك أولياءه.</p>	<p>ما دلالة إضافة ضمير النبي - ﷺ - إلى الربوبية في ﴿رَبِّكَ﴾؟</p>
<p>دَلَّ على كمال قدرته واختصاصه، وانفراده بإبداء الخلق وإعادته، فلا مشارك له في ذلك، ولم يذكر ما الذي يبدؤه، فمعناه يبدئ كل شيء، ويعيد كل شيء، فكل الأمر بيده عز وجل.⁶</p>	<p>علام يدل التأكيد بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ﴾؟</p>

1 التفسير الموضوعي (95/9)، بتصريف يسير

2 حاسن التأويل، القاسمي (446/9)

3 جامع البيان، الطبري (345/24)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (247/30)، بتصريف

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (248/30)

6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (919). تفسير العثيمين: ابن عثيمين 138، نظم الدرر، البقاعي (362/21)

- تكررت شواهد كثيرة في القرآن تدل على قدرته - تعالى - على بدء الخلق وإعادته، اذكر بعضها منها؟
- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: 11].
 - قال تعالى: ﴿أَمْزَنَ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [النمل: 64].
 - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: 19].

ما مناسبة ذكر اسمي الله - تعالى - (الْغُفُورُ الْوَدُودُ) في السياق؟ وما دلالة اقتزان الودود بالغفور؟

لما ذكر سبحانه بطشه، بيّن أنه - تعالى - قادر على اللطف، وقادر على محو الذنوب أعيانها وآثارها على كل أحد بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب ولا عتاب من أحد إلا من كان قادرًا على كل شيء. ¹ وقرن الودود بالغفور؛ ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم. ²

الله - عز وجل - غفور رحيم ودود يفرح بالتائبين ويحبهم، هات شواهد على ذلك من القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: 222].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: "قال الله - عز وجل - أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهول". ³

الغفور:

- محبة الله عز وجل.
- فتح باب الرجاء والمغفرة.
- الإكثار من الأعمال الصالحة التي هي من أسباب المغفرة.
- سؤال الله باسمه الكريم أن يغفر الذنوب.
- مجاهدة النفس على التخلص بخلق العفو والصفح.

الودود:

- محبة الله - تعالى - محبة حقيقية، وتقديمه على ما سواه.
- الرجاء وحسن الظن بالله، وعدم اليأس من روحه ورحمته.
- الأنس بالله، والطمأنينة إلى ذكره.
- إتباع ما جاء به الرسول؛ لأن هذا من علامة حب العبد لربه.

ما الأثر الإيماني والعملية لاسمي الله الغفور الودود؟

1 نظم الدرر، البقاعي (362 / 21)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (919)

3 صحيح مسلم (91 / 8)

- جمعت الآيات بين الترغيب
- قال تعالى: ﴿اغْلُظُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 98].
 - قال تعالى: ﴿تَسْبِي عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿﴾ [الحجر: 49، 50].
 - قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِيهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: 3].
- في مغفرة الله، والترهيب من عذابه، اذكر شواهد أخرى من القرآن على هذا الأسلوب.

ماذا نتعلم من هذا الاستخدام للترغيب والترهيب؟

نتعلم هذا الأسلوب التربوي في تربية أبنائنا: فالله الذي خلق هذه الأنفس هو الأعلم بما يصلح به حالها، وهو يوجهنا لذلك؛ لأنَّ من أمور الطفل ما يقومه الترغيب والتلطف، ومنها ما لا يستقيم إلا بالتأديب والرَّجْر.

- أذكر بعضاً من الأعمال التي تقربنا من الله تعالى، ونستجلب بها محبته؟
- أداء الفرائض ثم التقرب إلى الله بالنوافل.
 - قراءة القرآن بتدبر.
 - دوام ذكره بالقلب واللسان.
 - إظهار محابته تعالى على محابك.
 - التعرف على الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته ومخلوقاته وأفعاله.
 - التفكير في آلائه وإحسانه ونعمه.
 - انكسار القلب بين يديه سبحانه.
 - الخلوَّة بالله ومناجاته.
 - مبادعة كل سبب يحول بين القلب وبين الله من المعاصي وغيرها.

أضف سبحانه العرش لذاته في قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، فما دلالة ذلك؟

علو الله - تعالى - على جميع خلقه، ولعظمته وبيان سلطانه، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى.¹

- وصف الله - تعالى - عرشه وذاته بالجد، فما الأثر الإيماني والعملي لذلك؟
- تعظيم الله جل جلاله.
 - تمجيده سبحانه والتهليل والثناء عليه بالتهليل والتحميد والتسبيح وتمجيد كل ما مجده الله تعالى.
 - التقرب إلى الله - تعالى - والتماس مرضاته.

للمجيد قراءتان، ما هما وما دلالة كل منهما؟

﴿المجيد﴾ فيه قراءتان: الرفع ﴿المجيد﴾ على أنه صفة للرب سبحانه، عز وجل. والجر ﴿المجيد﴾ على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح، فالعرش مجيد، وكذلك الرب عز وجل مجيد.²

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 372)، تفسير الكريم الرحمن، السعدي (919)، تفسير العنبرين: ابن عثيمين (141)

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 372)، تفسير العنبرين: ابن عثيمين (141)

كل ما أَرَادَهُ - سبحانه - فهو يفعلُه، ولا يمنعه من فعله مانع، ولا يسأل عما يفعل؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدله، وفيه إثبات إرادة الله التامة الكاملة في خلقه، وفيما يتعلق بأفعال الخلق.

وأنه ليس أحد فعلاً لما يريد إلا الله - عز وجل -، فلا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد.¹

ما دلالة مجيء (فَعَالٌ) بصيغة المبالغة؟

- قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27].
- قال تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47].
- قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۗ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 28، 29].
- قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253].

الله - عز وجل - يفعل ما يريد، أما أفعال العباد فلا تكون إلا بإرادة الله - عز وجل - استشهد على ذلك من كتاب الله تعالى.

متصل بقوله: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٍ، فالخطاب للنبي - ﷺ - للاستدلال على كون بطشه - تعالى - شديداً ببطشين بطشهما بفرعون وثمود.²

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ لما قبلها؟

تقرير لشدة بطشه - تعالى - بالظلمة العصاة، والكفرة العتاة.³

ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾؟

لأنَّ ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين، وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين في الهلاك، ولما بينهما من المشاكلة والمشاهدة، وفيه تَسْلِيَةٌ للنبي - ﷺ - وتَقْوِيَةٌ، وتهديد ووعيد للمشركين.⁴

خص سبحانه (فِرْعَوْنَ) و(ثَمُودَ) بالذكر دون غيرهم من الأمم، ما مناسبة ذلك؟

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (372/8)، تفسير الكرم الرحمن، السعدي (918)، تفسير العثيمين، ابن عثيمين (141)، بتصرف يسير
2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (250/30)، بتصرف
3 تفسير القاسمي = محاسن التأويل (447/9)، إرشاد العقل، أبو السعود (139/9)
4 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (298/19)، أضواء البيان، الشنقيطي (488/8)، تفسير العثيمين، ابن عثيمين (141)

ذكر الله - تعالى - في القرآن إهلاكه لقوم فرعون وثمود في مواضع متعددة، اذكر بعضاً منها؟

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١٠﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿١١﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿١٢﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿١٣﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١٥﴾﴾ [الفجر: 6-11].

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ [الحاقة: 5].

ما مناسبة تعقيب حديث

الجنود بقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾؟

عناد الكفار وتكذيبهم مهما جاءهم من الآيات والعضات.¹

ما دلالة مجيء الظرفية والتكثير في قوله تعالى: ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾؟

حرف الجر ﴿فِي﴾ دلالة على أنهم مستمررون على التكذيب منغمسون فيه، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العضات، والتكثير للدلالة على تعظيم تكذيبهم وقويله.²

ما مناسبة مجيء لفظ الجلالة

الله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾؟

الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدييره.³

في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ

وَورَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ خص الورا دون الأمام ما دلالة ذلك؟

لأن الإنسان يحمي ما وراه، ولأنه جهة الفرار من المصائب.⁴

ما دلالة وصفه - تعالى - بالإحاطة؟

قدرة الله - تعالى - على الكفار فهم لا يفوتونه ولا يعجزونه⁵، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59].

الله سبحانه وتعالى أحاط

بالعباد علماً وقدرة ذلك على ذلك؟

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255].

قال تعالى: ﴿رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: 126].

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (919)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (919)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (252/30)، محاسن التأويل، القاسمي (447/9)

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (919)

4 نظم الدرر، البقاعي (366/21)

5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (373/8)

- ما الأثر الإيماني الذي ينبعث
- عدل الله - تعالى - مع عباده وأنه سبحانه يمهّل ولا يهمل.
- في نفوسنا عند تأمل اسم الله
- أَسْتَشْعِرُ أَنَّ الْقُدْرَةَ التَّامَةَ لِلَّهِ - تعالى - وحده.
- أَلْحِيطُ إِلَى أَقْدَارِهِ.

- أعمال العباد لا تخفى على
- الخوف من الله - تعالى - والحياء منه.
- الله - تعالى - وهو مجازيهم
- زرع رقابة الله في نفوسنا ونفوس أبنائنا.
- عليها، فإلى ماذا يدفعنا
- البعد عن ظلم العباد والاعتداء.
- ذلك ؟
- طاعة الله وعمل ما يرضيه.
- محاسبة النفس باستمرار.

وصف الله تعالى كتابه بالجيد، وصفه بالجيد فيه دلالة على أنه عظيم كريم، وأنه واسع المعاني، كثير الخير والعلم، وعلى عظمه وشرفه وبركته.¹ فما دلالة ذلك؟

ما المراد باللوح المحفوظ وما دلالته في الآية؟
الوح المحفوظ هو الذي قد أثبت الله فيه كل شيء، وهذا يدل على جلالته القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، ووصف بالمحفوظ؛ لأن الله تكفل بحفظ القرآن من التحريف والتبديل، ووصول الشياطين إليه.²
من أراد المجد فلا يجده إلا باتباعه الكتاب المجيد من رب مجيد.

قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾³
إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 139، 140].

- من خلال السورة كيف
- الحق لا يرتفع على قلوب ضعيفة أو واهية، يرتفع بالقلوب الثابتة المستقيمة على
- نعالج الشعور باليأس والهزيمة
- طريق الحق التي لا يههما نيران من يضرم النيران، ولا يههما هذا الطاغية أو ذاك
- النفسية الذي يشعر به بعض
- وإن تبدلت واختلفت الصور؛ لأنها معتزة بالله منتصرة به.
- المسلمين في هذه الأيام؛
- السُّلْبِيَّةِ بما أصاب المستضعفين من الأقوام السابقة، فبعض أصحاب النبي -
- سبب تسلط الكافرين
- وغيهم على المسلمين؟
- - جاؤوا يشكون إليه ما وصل إليه حالهم من تعذيب وتشريد وقع عليهم من
- المشركين، وهكذا حال المؤمنين في كل زمان ومكان، فعن قيس عن خباب بن
- الأري، قال: شَكُونًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا
- لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي
- الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (373/8)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (298/19)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (919)، بتصرف

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (373/8)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (298/19)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (919)، بتصرف

ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَتُمْشِطُ بِأَمْشِطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُبَيِّنَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءِ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الدِّئِبِ عَلَى عَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»¹

• ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ معرفة أن الله - عز وجل - محيط بالكافرين، لا يفوتونه ولا يعجزونه سبحانه، فمهما أوتي البشر من قوة وقدرة على الإهلاك والتعذيب، فذاك مغمور أمام قدرة الله وبطشه المخيف المزلزل للقلوب والحناجر بل للأمم والممالك!

• الله سبحانه له في كل شيء حكمة، وسنن الله ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وما يمر بالمسلمين من محنة أو ابتلاء هو من ذلك؛ لذلك فهو لا يزيد المؤمن الموجد إلا ثباتاً وقيماً، فالعاقبة للمحسنين الثابتين على الحق.

• من الذي أهلك فرعون وثمود؟ من الذي اقتدر عليهم غير القادر الفعال لما يريد؟! فالمهم أن نموت ونحن على الطريق الصحيح حتى لو لم نشاهد من نصر الله - عز وجل - ما تقر به أعيننا ويشفي صدورنا، ولكن في نهاية الأمر لن يفلت الطغاة من الله، أحاط بكل طغيانهم وظلمهم وجبروتهم، أحصى عليهم عدد النفوس التي أزهقت، أحصى عليهم عدد البيوت التي هُدمت، أحصى عليهم عدد الأعراس التي انتهكت، أحصى عليهم كل شيء، إنما بمهلهم ليوم خسر فيه الخاسرون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42].

• القرآن المجيد هو المصدر الأساسي للتربية: فعلينا حفظه، وتخفيفه لأبنائنا، واتباعه، والعمل بما فيه.

• التنوع في أسلوب الخطاب: للتشويق ودفع الملل.

• الترغيب في مغفرة الغفور الودود، والترهيب من عذابه، فبطشه سبحانه شديد: للجمع بين الخوف والرجاء، فكل في موضعه يؤتي ثماره.

• ذكر عاقبة كلا الفريقين: فبضدها تتميز الأشياء.

• القصص: وفائدتها الموعظة التي تحصل للعبد، وهو أسلوب مُشَوِّقٌ وَيُثَبِّتُ المعاني في الذهن.

• الأمثلة والنماذج: تُرْسِخُ المعاني.

• باب التوبة مفتوح: فلا يأس أبداً من رحمة الله عز وجل.

في الآيات أكثر من منهج رباني في التربية، ما هي؟ وكيف نربي أنفسنا وأبنائنا عليها؟

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- الاعتبار بأحوال الأمم السابقة، وثبات من آمن منهم على الدين مع ما تعرضوا له من الأذى، فكيف بنا ونحن خير الأمم؟!.
- قسوة قلب الكافر في عداوته للمسلمين، فلا نستغرب ما نشاهده اليوم.
- باب التوبة مفتوح مهما عظم الذنب.
- إيثار سلامة الإيمان على سلامة الأبدان من علامات النجاة يوم القيامة.
- الترهيب والترغيب في ذكر جزاء الكافرين والمؤمنين الصالحين.
- على المؤمنين ألا يياسوا من إيمان الكفار، وليبدلوا قصارى ما عندهم في سبيل هدايتهم.
- فتنة المؤمنين في الأرض سنة كونية يتمحص فيها أصحاب الإيمان الحق القوي من الضعيف.
- عظم ذنب فتنة المؤمنين والمؤمنات، سواء بالإكراه أو بالدعوات الباطلة، وتمييع المبادئ، وكل ما يسبغ الإثم.
- البشارة لكل من آمن، وعمل صالحًا، ومات على ذلك.
- تهديد الظلمة بالعذاب عقوبة في الدنيا وفي الآخرة.
- إن الله - تعالى - لكرمه ودود لأوليائه من عباده.
- بيان إحاطة الله - تعالى - بعباده وأنهم في قبضته وتحت سلطانه.
- شرف القرآن الكريم، وإثبات اللوح المحفوظ وتقريره.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الثبات على الحق مهما بلغ الأذى.
- الحذر من الوقوع في الظلم أو معاونة الظالمين.
- مراقبة الله - عز وجل - في السر والعلانية.
- الالتزام بالعدل والإنصاف مع من خالفنا.
- تجنب الوقوع في الفتن والحذر منها.
- تجديد التوبة دائما والإقبال عليها.
- تعظيم القرآن في نفوسنا ونفوس أبنائنا بحفظه وتدبره والعمل بما فيه.

فوائد تربوية من الآيات

- الجمع بين أسلوب الترغيب والترهيب.
- طمأنة المتربي.
- تصحيح مفهوم الفوز، وأن الفوز الحقيقي هو الفوز بالجنة.

- تنويع أساليب الخطاب.
- استثمار أسلوب القصص وما فيه من عظة وعبرة...

رسائل

(فَتِلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) من عاون الظالم ولو بفكرة كان من أهل العبرة، فلا تكن نصيراً للظلم وأهله.
 (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَزَاءٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) عند الله تلتقي الخصوم،
 ويجمع الظالم مع المظلوم، فالحذر الحذر من ظلم مكنون، يوم لا ينفع مال ولا بنون.
 (وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) الضالون من كل أمة يحاربون المؤمنين فقط؛ لأنهم أهل الحق
 والدعاة إليه، مهما لبسوا الباطل بالحق، وزينوا مسميات ذلك.
 (وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) اطمنن بالله ليس بغافل عن الظالمين ولا يعجزونه، ولكن مشيئة الله نافذة.
 (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) سكينه وطمأنة للمظلومين.. وزلزلة وتهديد للظالمين.
 سادت أمم ثم بادت وكأها لم تكن! سبب ذلك الكفر والظلم، فُلْتَبِعَظُ.
 (وَهُوَ الْعَفُورُ الْوُدُودُ) رب ودود يغفر لمن عذب بالأخدود، فما بالناس عن التوبة قعود.
 (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) خذ القرآن بحقه، تنل العزة والمجد والسؤدد.

086. سُورَةُ الطَّارِقِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

قال عثمان رضي الله عنه: «ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلاَّ أظهرها الله على صفحات وجهه، وفتلت لسانه». ¹ وقال ابن المبارك: «ما رأيتُ أحدًا ارتفع مثل مالك، ليس له كثيرُ صلاة ولا صيام، إلاَّ أن تكون له سريرة». ²

قد نخب بيان بعض سرائرنا ونكره انكشاف أكثرها، فكيف بنا يوم تكشف كلها
تهينة: ولا يبقى من خافية؟!
سورتنا تنبهنا إلى هذا المعنى.

سنتدارس اليوم - بإذن الله - سورة الطارق.

تعريف السورة:

اسم السورة:	سورة «الطارق»، «والسما والطارق». ³
نوع السورة:	سورة مكية. ⁴
عدد آياتها:	ست عشرة آية في المديني الأول (قالون) وسبع عشرة في عدد الباقيين. ⁵
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.
فضل السورة والآثار الواردة فيها:	في حديث جابر بن سمرة قال: إنَّ رسول الله - ﷺ - كان يقرأ في الظهر والعصر بـ والسما والطارق، والسما ذات البروج ونحوها من السور. ⁶

المناسبة بين سورة الطارق وسورة البروج:

لما ختمت سورة البروج بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢﴾﴾
وجاء في مقدمة هذه السورة: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾
الْتَجَمُ الْقَاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾، وبين هذه البداية وتلك

مناسبة السورة لما قبلها:

1 الأادب الشرعية لابن مفلح (136/1)
2 سير أعلام النبلاء ل محمد الذهبي (48/8)
3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (257/30)
4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (367/8)
5 البيان في عد آي القرآن (ص: 270)
6 أخرجه النسائي وأبو داود وصححه الألباني

النهاية نوع صلة، فحفظ اللوح مرتبط بحفظ السماء، وحفظ اللوح من مظاهر قدرة الله التي من مظاهرها البارزة حفظ كل نفس أو حفظ عملها.¹

المناسبة بين سورة الطارق وسورة الأعلى:

في سورة الطارق ذكر خلق الإنسان، في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝﴾، وبدء خلق النبات، في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ دَاتٍ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝﴾، وسورة الأعلى تحدثت بما هو أعم وأشمل من خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ فَسَوَّى ۝﴾، وخلق النبات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝﴾ [الأعلى: 4، 5].²

مناسبة السورة لما بعدها:

إظهار رقابة الله النافذة وقدرته البالغة.³

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (10): القسم على قدرة الله البارعة في خلق الإنسان وحفظه.

مواضيع السورة:

من الآية (11) إلى الآية (14): القسم على صدق القرآن.

من الآية (15) إلى الآية (17): وعيد المكذابين.

تلاوة

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ النَّاقِبُ ۝ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

1. ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أقسم الله بالسماء، وأقسم بالنجم الذي يَطْرُق ليلاً.
2. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - شأن هذا النجم العظيم!؟
3. ﴿النَّجْمُ النَّاقِبُ﴾ هو النجم يتقب السماء بضيائه المتوهج.
4. ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ما من نفس إلا وكلَّ الله بها ملكاً يحفظ عليها أعمالها للحساب يوم القيامة.
5. ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ فليتأمل الإنسان ممَّ خلقه الله؛ لتتضح له قدرة الله وعجز الإنسان.

1 التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم (100/9)

2 التفسير المنير، الزحيلي (185 /30)

3 المختصر في التفسير (591 /1)

6. ﴿خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ خلقه الله من ماء ذي اندفاق يُصَبُّ في الرحم.
7. ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يخرج هذا الماء من بين العمود العظمي الفقري للرجل، وعظام الصدر.
8. ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ إنه سبحانه - إذ خلقه من ذلك الماء المهين - قادر على بعثه بعد موته حيًّا للحساب والجزاء.
9. ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم تُختبر السرائر فيُكشَف عما كانت تضمهر القلوب من النيات والعقائد وغيرها، فيتميز الصالح منها والفاسد.
10. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ فما للإنسان في ذلك اليوم من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا معين يعينه.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التنبؤية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التنبؤية
<ul style="list-style-type: none"> • تحقيق لما يقسم عليه وتشويق إليه.² • لعظم أمرها، وكبر خلقهما.³ <p>فالقسم بمخلوقات الله العظيمة تنبيه على عظمة خالقها سبحانه.</p>	<p>ما دلالة افتتاح السورة بالقسم بالسماء وبالطارق؟</p>
<p>تعظيم الأمر؛ ليحصل من ذلك تقرير لأهمية المقسم به، وهو أنه من جنس النجوم.⁴</p>	<p>ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ؟﴾</p>
<p>إثبات البعث فهو كالدليل على إثباته.⁵</p> <p>عظمة المخلوقات دليل على عظمة الله وقدرته البالغة في حفظ الإنسان.</p>	<p>ما المناسبة بين المقسم به (السَّمَاءِ وَالتَّارِقِ) والمقسم عليه (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ؟)</p>

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 591)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 258)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (8/ 492)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 258)

5 المرجع السابق

- ما دلالة التعبير بـ (حَافِظٌ)؟ وما دلالة زيادة المؤكدات في قوله تعالى: (إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)؟
- دلالة على إثبات البعث، فإن إقامة الحافظ تستلزم شيئاً يحفظه وهو الأعمال خيرها وشرها، وذلك يستلزم إرادة المحاسبة عليها، والجزاء بما تقتضيه جزاءً مُؤَخَّرًا بعد الحياة الدنيا لثلاث تذهب أعمال العاملين سُدى. ¹
- إنذار للمشركين بأن الله يعلم اعتقادهم وأفعالهم وأنه سيجازيهم على ذلك. ²

- حفظ الإنسان: في قوله تعالى: (لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) [الرعد: 11].
- حفظ عمله: قوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَذِبِينَ) [الأنفطار: 10-12].
- حفظ أقواله وأفعاله: قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) [الذِّكْرِ: 1-3] إِذْ يَتَلَكَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: 19-16].

- ما المراد بالنظر في قوله تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) وعلام يدل؟
- نظر الاعتبار وهو النظر بالبصيرة، يعني ليتفكر الإنسان مم خلق؟ ³
- الحث والحض على التفكير والتدبر. ⁴
- تبيين للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاده إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر على البداء فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى. ⁵

- ما دلالة التفصيل في وصف مكان خروج الماء، في قوله تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)؟
- بيان قدرة الله - سبحانه وتعالى - ودقة خلقه، وبديع صنعه؛ إذ إن الماء يخرج من مكان عميق مكين في الجسد. ⁶
- بيان سعة علم الله - عز وجل -، فمن خلق وعلم ورزق، قادر على الإعادة والبعث.

- ينبغي للإنسان أن يلتفت إلى نفسه فيرى بديع صنع الله فيها، هات شواهد من القرآن تصف مراحل خلق الإنسان.
- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) [الحج: 5]

1 المرجع السابق

2 المرجع السابق

3 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (ص: 148)

4 التفسير الوسيط، طنطاوي (354 / 15)

5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8 / 375)

6 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (148/1)

- قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: 6-7].
- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون: 12-14].
- قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمسَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: 37-39].

- بالتفكر في أصل الحلقة، يكون أصل الحلقة نطفة من ماء مهين، فأصبحت دماً جامداً في الرحم، ثم قطعة لحم صغيرة، ثم يتنقل الإنسان في مراحل دون تدخل منه حتى يكون خلقاً تاماً كاملاً، ثم يسترجع الله هذا الخلق متى شاء وكيف يشاء، لا دخل ولا سيطرة للإنسان في ذلك.
- من تأمل هذا كله عرف أصله، واعترف بضعفه، وتواضع لربه وخلقته.
- وعلم أن التكبر ليس له مكان في قلب مخلوق ضعيف مثله.
- ولو استشعر المتكبر على خلق الله أن الله - عز وجل - سوى بينه وبينهم في الحلقة، لم يجد للتكبر فسحة في نفسه.

كيف نعالج آفة الكبر من خلال السورة؟

- الاستدلال بأصل الحلقة على إعادة الحلقة بأسباب أخرى.¹
- الذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادة له للبعث والنشور والجزاء.²

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ لما قبلها؟

- السرائر: جمع سريرة وهي ما يسرُّه الإنسان ويخفيه من نواياه وعقائده.
- في الدنيا، تتكتم كثير من الأمور، ولا تظهر عبائاً للناس، وأما في القيامة، فيظهر بُرُّ الأبرار، وفجور الفجار، وتصير الأمور علانية.³
- ومن بلو السرائر، اختبارها وتمييز الصالح منها عن الفاسد، وهو كناية عن الحساب عليها والجزاء، وبلو الأعمال الظاهرة والأقوال مستفاد بدلالة الفحوى من بلو السرائر.⁴
- الحساب يوم القيامة على صلاح القلوب، والحساب في الدنيا على صلاح

ما دلالة تخصيص السرائر بالذكر في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (265/30)
 2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 920)
 3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 920)
 4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (265/30)

الجوارح.¹

- الإيمان إذا قر في القلب حمل الإنسان على العمل، لكن العمل الظاهر قد لا يحمل الإنسان على إصلاح قلبه.²

- بالتعرف على الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته.
- بتحقيق التقوى.
- بتعظيم الله - عز وجل - في قلوبنا ودوام مراقبته.
- باستحضار الوقوف بين يدي الله - عز وجل - واستحضار العرض والحساب.
- بالاهتمام بأعمال القلوب والإكثار من عبادات السرِّ والخلوَّة والخفاء.
- بتخليئة القلب من كل ما يفسد عليه محبته وإخلاصه وتوكله وخوفه ورجاءه، وتخليصه من شوائب الشرك والبدع، والحقد والبغضاء.
- بدعاء الله - سبحانه وتعالى - والإلحاح عليه.

كيف نُصلح سرائرنا؟

أعمالنا الظاهرة هي نتيجة لسرائرنا الباطنة التي سنختبر فيها يوم القيامة، فهلأ أصلحنا سرائرنا.

- ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ﴾ يقصد بها القوة الذاتية ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ وهي القوة الخارجية، فلا يستطيع أن يُدافع عن نفسه، ولا أحد يستطيع أن يدافع عنه.³
- وفيه تحديد للمشركين.⁴
- الإنسان ضعيف لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك.⁵

ما وجه نفي القوة والناصر في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾؟

- قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: 43، 44].
- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 19].
- وقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101، 102].

عند الحساب ليس للإنسان قوة يدافع فيها عن نفسه ولا نصير يحامي عنه، هات شواهد أخرى من القرآن تدل على ذلك.

هل استشعرنا عظمة هذا اليوم الذي تنكشف فيه الخفايا فأصلحنا سرائرنا؟! هل استشعرنا أن كل أعمالنا محصاة علينا، فعملنا بما يسرنا أن نجده؟!

1 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (149/1) بتصرف
2 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (150/1)
3 تفسير القرآن العظيم، ابن عثيمين (150/1)
4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (265 /30)
5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (376 /8)

هل استشعرنا ضعفنا، فتواضعنا لله - عز وجل - ولخالقه؟!

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

11. ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أقسم الله بالسماء ذات المطر؛ لأنه ينزل من جهتها مرة بعد مرة.
12. ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ وأقسم بالأرض التي تتشقق عما فيها من النبات والتمر والشجر.
13. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ إنَّ هذا القرآن المنزل على محمد - ﷺ - لقولٌ يفصل بين الحق والباطل، والصدق والكذب.
14. ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ وليس باللعب والباطل، بل هو الجدل والحق. ¹

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة الآيات لما قبلها؟	بعد أن تبين الدليل على إمكان البعث، أعقب بتحقيق أن القرآن حق، وأن ما فيه قول فصل؛ إبطالاً لما مؤه عليهم من أن أخباره غير صادقة؛ إذ قد أخبرهم بإحياء الرِّمَمِ البالية. ²
ما المناسبة بين القسمين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾؟	أقسم بالمطر الذي هو سبب خروج النبات، وبالتشقق الذي يخرج منه النبات، وكله إشارة إلى حياة الأرض بعد موتها. ³ وفي هذين الحالين إيماء إلى دليل آخر من دلائل إحياء الناس للبعث، فكان في هذا القسم دليلان. ⁴

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 591)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 266)

3 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (1/ 151)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 266)

ما مناسبة القسم بالمقسم

عليه في قوله تعالى:

- كما أن المطر حياة للأرض بعد موتها، كذلك القرآن حياة للقلوب بعد موتها.¹
 - الغيث فيه صلاح الناس، وكذلك القرآن فيه إصلاح لهم كالمطر.²
- (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (13))؟

القرآن منهج حياة، فأين العاملون به؟

ما دلالة تخصيص الرجوع

للسماء، في قوله تعالى:

الرجوع وهو المطر المعاقب لمطر آخر، وهو مناسب لمعنى البعث في قوله: (إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) فإن البعث حياة معاقبة بحياة سابقة.³

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)؟

ما المناسبة بين القسمين:

(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ)؟

القسم الأول فيه الإشارة إلى ما يحفظ به هذا القرآن حال إنزاله، وفي القسم الثاني الإشارة إلى أن القرآن حياة.⁴

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)؟

ما دلالة وصف القرآن

بالقول الفصل؟

يفصل بين الحق والباطل، وبين المتقين والظالمين، بل إنه فصل قاطع لكل من نأوأه وعاداه⁵، وقد بلغ النهاية في ذلك حتى لكأنه نفس الفصل.⁶

بعد الثناء على القرآن بأنه

(إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ) عطف

رداً على المشركين؛ إذ كانوا يزعمون أن النبي - ﷺ - جاء يهزل؛ إذ يخبر بأن الموتى سيُحيون.⁷

عليه: (وَمَا هُوَ بِهَازِلٍ)؟ ما

دلالة ذلك؟

من صور الاستهانة:

- ترك العمل بأحكامه وتنزيل أحكامه في غير موضعها.
- القول فيه بلا علم.
- هجر قراءته.
- وضعه في أماكن مهانة.

اذكر صوراً من الواقع على

الاستهانة بالقرآن، وكيف

نربي في أنفسنا تعظيم كتاب

الله؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (266/30)، بتصرف

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (266 /30)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (266 /30)

4 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (ص: 151)

5 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (1/152)، بتصرف

6 التفسير الوسيط، الططاوي (15/357)

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (267 /30)

- وضعه للزينة ...
- وتعظيمه من خلال اتخاذه منهجاً للحياة وذلك:
- الإيمان بما جاء به من أخبار وبأنه حق.
- تلاوته التلاوة الصحيحة بأحكامه دون تكلف ولا تنطع.
- تدبره بفهمه والعمل به.
- تعلمه وتعليمه.
- تعظيم أحكامه والاستسلام لشرعه.
- الوقوف عند حدوده.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ١٥ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ١٦ ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُهُمْ رُؤِيدًا﴾ ١٧

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

15. ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ إِنَّ المكذبين بما جاءهم رسولهم يكيدون كيداً كثيراً؛ ليردوا دعوته ويبطلوا.
16. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وأكيد أنا كيداً؛ لإظهار الدين ودحض الباطل.
17. ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُهُمْ رُؤِيدًا﴾ فأهل - أيها الرسول - هؤلاء الكافرين، أمهلهم قليلاً، ولا تستعجل عذابهم وإهلاكهم.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
الأولى: موجهة إلى رسول الله - ﷺ - تَسْلِيَةً له على أقوالهم في القرآن الراجعة إلى تكذيب من جاء بالقرآن.	ما دلالة المقابلة بين كيد المشركين وكيد الله - عز وجل - في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (15) و﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾؟
الثانية: تثبيت للرسول - ﷺ - ووعد بالنصر. وكرّر كيداً للتأكيد، وجاء نكرة للتعظيم. ²	

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 591)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 267)

- استدراج الله - عز وجل - للكفار من حيث لا يعلمون.¹
- إظهار الحق، ولو كره الكافرون، ودفع ما جاؤوا به من الباطل.²
- تثبيت للرسول - ﷺ - ووعد بالنصر.³
- أَنَّ الْأَدْمِيَّ أضعف وأحقر من أن يغالب القوي العليم في كيده.⁴
- من الكيد أن يجعل الله - سبحانه وتعالى - كيدهم سبباً في هلاكهم، مثل ما كان من خروج أبي جهل وجيشه لقتال الصحابة في بدر، فكان هذا سبباً في هزيمتهم، وقتل صناديد قريش.

ما دلالة قوله تعالى: (وَأَكِيدُ كَيْدًا)؟

- فيه تصريح، وتعريض، وتبيين، ووعد بالنصر، وفي التكرار تأكيد لزيادة التسكين،⁵ وفيه دعوة إلى عدم استعجال المسلمين للنصر، وعدم أمن الظالمين من تأجيل العقوبة، وأن الله يمهّل ولا يهمل.

علام يدل تَكَرَّرُ الأمر بالإمهال في نهاية السورة؟

- للدلالة على التقليل، أي مهلة غير طويلة حتى لو استغرق عمر الحياة الدنيا، وأنَّ العقاب حالٌّ بهم لا محالة.⁶

ما دلالة التصغير في قوله تعالى: (أَمْهَلُهُمْ رُؤُودًا)؟

- في نهاية السورة تثبيت ووعد من الله بالنصر، وتسليية للنبي وأتباعه، والذي نصر النبي في سابق الزمن هو من سينصر دينه في هذا الزمن، ومهما كاد أهل الكفر فكيد الله لهم أكبر، ومهما قويتْ شُوكْتُهُمْ ففوّة الله أعظم (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [آل عمران: 54]، والذي خلقهم من ماء دافق قادر على أن يقضي عليهم، وإن طال ظلمة الليل فالصبح مقبل، وإن اشتد البلاء قَرَّبَ الفرج، والذي حفظ النبي - ﷺ - في الغار، وحفظه وقت الهجرة سيحفظ دينه وشرعه ووحيه (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) [النساء: 141].

يكيد أهل الكفر والضلال للإسلام والمسلمين، ودين الله منصور لا محالة، كيف نغرس اليقين بالنصر من خلال السورة؟

- وزيادة إمهالهم زيادة استدراجهم حتى يأتي نصر الله - عز وجل - فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ووعد الله حق لا محالة.

- التفكير في عظيم خلق الله في السماء.
- نعمة حفظ الله - تعالى - لخلقه.
- التفكير في خلق الله - تعالى - للإنسان.
- التواضع وعدم الكبر.

اذكر بعض القضايا والقيم الواردة في السورة؟

1 تفسير البغوي، البغوي (240/5)
 2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 919)
 3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (269/30)
 4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 919)
 5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (268/30)
 6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (269/30)

- تصديق ما جاء في القرآن.
- عاقبة المكذابين.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- افتتحت السورة بالقسم بالسماء والطارق على أن الإنسان له حفظة موكلون بحفظ عمله.
- في السورة دعوة الإنسان إلى التفكير في خلقه، وأنَّ الذي خلقه من ضعف قادر على بعثه مرةً أخرى في يوم تختبر فيه السرائر، ويتخلَّى عنه أعوانه وأنصاره؛ ليجازي كلاً بعمله.
- في السورة استدلال على البعث ببدء الخلق؛ الذي خلق الإنسان من العدم قادر على بعثه بعد تفتته.
- في السورة دعوة لإصلاح السرائر.
- في السورة بيان لعظمة القرآن بالقسم بالسماء ومطرها، والأرض وثمرها على أن القرآن قول حق واضح ليس فيه من الهزل واللعب شيئاً.
- اختتمت السورة بتهديد المكذابين بالنبي - ﷺ - وما جاء به، بأنَّ كيدهم إلى زوال، وأنَّ العقاب حالٌ بهم وإن طال زمانهم.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- التفكير في عظيم خلق السماء وما فيها من النجوم والكواكب.
- مراقبة الله - تعالى - في نياتنا وأعمالنا في السر والعلن.
- الاجتهاد في الطاعات والاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله عند الوقوع في الذنوب.
- النظر والتفكير والتأمل في عظمة خلق الإنسان.
- التواضع وعدم التكبر على الخلق، فأصل الإنسان ما هو إلا ماء مهين.
- الإيمان الجازم بصدق القرآن، وأنه منزل من عند الله.
- مراقبة الله في أعمال القلوب كما في أعمال الجوارح الظاهرة.
- مجاهدة النفس على إخلاص النية، والعناية بسلامة القلب موضع السريرة.
- الاستعانة بقوة الله - عز وجل - وحده في جميع أمورنا.
- سؤال الله - عز وجل - النصر في الدنيا والآخرة.
- على الإنسان ألا يعترَّ بقوته أو أي قوة غير قوة الله.
- الدفاع عن الدين، والذبُّ عن رسول الله - ﷺ - بكل ما نستطيع لرد كيد الكائدين.
- عدم الاغترار بنفسحة الوقت التي هو فيها.

من الفوائد التربوية

- تعرض السورة منهجاً تربوياً في الاستدلال والإقناع.
- تغرس السورة قيمة التفكير والنظر.
- تُعالج السورة قضية الكبر بمعرفة أصل الخلق، وبكشف السرائر.
- التربية على الوضوح والصدق مع النفس بمراقبة السرائر كما نراقب الظواهر.
- تغرس تعظيم الله - عز وجل - وتعظيم كتابه وما جاء به.
- تُعَلِّق القلب بالله - عز وجل - وتُغْرِس اليقين في النصر.
- تغرس هوان الكافر مهما بلغ من التقدم العلمي والعسكري، فهم لا يعجزون الله عز وجل.
- تغرس التَّأَنِّي وعدم العجلة من الأمر، وتُعَوِّد الحلم والصبر.

رسائل

﴿يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾

الذي أخرجنا من مضائق الأصلاب والترائب قادر على إخراجنا من كل ضيق وهم، فلنُحَسِّن الظن به سبحانه وتعالى.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾

ترتبط الخاتمة حسناً وسوءاً بصلاح السريرة أو فسادها، وكم أَقْضَى حسن الخاتمة وسوؤها مضاجع السلف.¹ قال المزني رحمه الله: (ما فاق أبو بكر - رضي الله عنه - أصحاب محمد - ﷺ - بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه).

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾

تبرؤ من الحول والقوة.. والتَّجَاءُ إِلَى الرَّبِّ الْقَوِيِّ النَّاصِرِ.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۗ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۗ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْمِلُهُمْ رُؤِيدًا ۗ﴾

إثبات صفة الكيد بالمقابلة لله - تعالى - على الوجه الذي يليق بجلاله، ومن كيد الله بالظالمين إهمالهم والإنعام عليهم؛ لِيَسْتَنْدِرْهُمْ فَإِذَا أَخَذَهُمْ لَمْ يَفْلِتْهُمْ.²

1 فوائد من كتاب يوم تبلى السرائر

2 موقع دروس علمية، تأملات في سورة الطارق

087. سُورَةُ الْأَعْلَى: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

قال الرسول -ﷺ-: "من هاله الليل أن يكابده، أو بخل بالمال أن ينفقه، أو جبن عن العدو أن يقاتله، فليكثر من "سبحان الله وبحمده" فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله -ﷻ-".¹

سورة كريمة من المسبحات، تبيّن لنا معاني جليلة يحتاجها كلُّ مسلم ومسلمة؛ ليفهم وظيفته في هذه الدنيا، تلخص في التزكية والابتعاد عن الأعمال المسيئة للشقاوة.

سورةٌ تحمل بشرى عظيمة لرسول الله -ﷺ- وأُمَّته من ورائه، يطمئن بها إلى أصل هذه العقيدة.

سورةٌ جاءت مؤكدةً على أن الفلاح والنجاح لمن تزكى، والخسران والهلاك لمن أثر الحياة الدنيا.

سورة كان يقرأها النبي -ﷺ- في صلاة العيدين، والجمعة، والوتر.

هي سورة الأعلى.

تهيئة:

تعريف السورة:

اسم السورة:	تسمى «سورة سبح» و«سورة الأعلى» و«سورة سبح اسم ربك الأعلى». ²
نوع السورة:	مكية في قول الجمهور. ³
عدد آياتها:	تسع عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف. ⁴
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

• عن جابر - رضي الله عنه - قال: قام معاذ فصلّى العشاء الآخرة فطول، فقال النبي -ﷺ-: "أفتان يا معاذ؟ أفتان يا معاذ؟ أين كنت عن ﴿سَبَّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿وَالضُّحَى﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾".⁵

• عَنِ الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي

1 رواه أبو أمامة في صحيح الترغيب (1541)، صححه الألباني

2 التحرير والتنوير (271/30)

3 المرجع السابق

4 البيان في عدد آي القرآن، (ص: 271)

5 سنن النسائي (باب القراءة في العشاء الآخرة بسبح اسم ربك: (172/2)، حكم الألباني: صحيح

- الْجُمُعَةِ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ»، قَالَ: «وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعَيْدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَتْرَأُ بِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ».¹
- عن أبي بن كعب، قال: كان رسول الله -ﷺ- يوتر بـ(سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)، و(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) و(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).²
 - عن موسى بن أيوب الغافقي، قال: سمعت عمي إياس بن عامر، قال: سمعت عقبه بن عامر الجهني يقول: لما نزلت (فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الواقعة: 74]، قال لنا رسول الله -ﷺ-: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: (سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) قال لنا رسول الله -ﷺ-: «اجعلوها في سجودكم».³
 - عن العرياض بن سارية أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- كَانَ يَقْرَأُ الْمَسْبُوحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرُقُدَ، يَقُولُ: «إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ»⁴، والمسبوحات هي السور التي في أوائلها سبحان، أو سبح بالماضي، أو يسبح، أو سبح بالأمر، وهي سبعة: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى) [الإسراء: 1] والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

المناسبة بين سورة الأعلى وسورة الطارق:

- المتأمل في آخر سورة الطارق وأول سورة الأعلى بعدها يشعر كأن السورتين قطعة واحدة، فقد جاء في آخر سورة الطارق قوله تعالى: (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا)، وجاء في أول سورة الأعلى قوله تعالى: (سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)، فكان الأمر بالتسبيح مسبب بالأمر بالإمهال، وهذا قريب إلى عقل المتدبر، فالاستعجال نقيضة والله - تعالى - منزه عن النقائص فسبحه لحلمه على المستحقين لعاجل عقوبته.⁵

مناسبة السورة لما قبلها:

- في سورة الطارق ذكر خلق الإنسان، في قوله تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (1) وبدء خلق النبات، في قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (2)، وسورة الأعلى تحدثت بما هو أعم وأشمل من خلق الإنسان في قوله تعالى: (خَلَقَ فَسَوَّى)، وخلق النبات في قوله تعالى: (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (3) [الأعلى: 4، 5].⁶

المناسبة بين سورة الأعلى وسورة العاشية:

- كانت خاتمة سورة الأعلى إقرارًا لفضل الآخرة على الحياة الدنيا، فجاءت فاتحة

مناسبة السورة لما بعدها:

1 صحيح مسلم، 878، (2/ 598)

2 سنن ابن ماجه، ت: الأرنؤوط، (باب ما جاء فيما يقرأ في الوتر: 246/2)، إسناده صحيح

3 سنن ابن ماجه، (باب التسبيح في الركوع والسجود: 57/2)، إسناده صحيح

4 صحيح الترمذي، 2921، وضعفه بعض أهل العلم

5 التفسير الموضوعي (494/109)

6 التفسير المنير، الزحيلي (185/30)

سورة الغاشية صورة حية من صور الآخرة بما فيها من مشاهد الخسارة والريح، الجحيم والنعيم.¹

• فيها تفصيل وتبسيط لما جاء في سورة الأعلى من أوصاف المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالاً، فلما قال تعالى في الأعلى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ [الذي يضلّي النَّارَ الْكُبْرَى] إلى قوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الآيات: 10 - 17] فصل ذلك في هذه السورة بقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [تضلي ناراً حامية] [الآيات: 2 - 7] ثم ذكر صفات المؤمنين وأحوالهم في الآيات [8 - 16]، ولما قال تعالى في الأعلى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أبان صفة الجنة في الآيات السابقة أكثر من صفة النار، تحقيقاً لمعنى الخيرية.²

تذكير النفوس بمئة الله الأعلى، وتعليقها بالحياة الأخرى، وتخليصها من التعلُّق بالدينا.³

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (5): تسيح لله -عز وجل- وبيان عظيم قدرته.
من الآية (6) إلى الآية (9): عناية الله -عز وجل- بنبيه وأمره بالتذكير.
من الآية (10) إلى الآية (17): أسباب الفلاح والخسران.
من الآية (18) إلى الآية (19): وحدانية الرسالة.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الذي خَلَقَ فَسَوَّى] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى] ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الآيات]

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

- ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [تَبَّهْ رَبُّكَ الَّذِي عَلَا عَلَى خَلْقِهِ، نَاطِقًا بِاسْمِهِ عِنْدَ ذِكْرِكَ إِيَّاهُ، وَتَعْظِيمِكَ لَهُ].
- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ سَوِيًّا، وَعَدَلَ قَامَتَهُ].
- ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [وَالَّذِي قَدَّرَ الْخَلَائِقَ أَجْنَاسَهَا وَأَنْوَعَهَا وَصَفَاتَهَا، وَهَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى مَا يَنْبَغِيهِ وَيُؤْتِيهِ].
- ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [وَالَّذِي أَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مَا تَرَعَاهُ دَوَابِكُمْ].

1 التفسير الموضوعي (116/9)

2 التفسير المنير، الزحيلي (202/30)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (591/1)

5. ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ فصيره هشيماً يابساً مائلاً للسواد، بعد أن كان أخضر غضاً.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرية والهدايات).

الهدايات	الأسئلة التدرية
<p>الأمر بتنزيه الله وتعظيمه،² دلالة على ما سيأتي بعد التسبيح من البشارة والخير للنبي - ﷺ -.³</p>	<p>ما دلالة افتتاح السورة بالأمر بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾؟</p>
<ul style="list-style-type: none"> • أجور عظيمة وحسنات مضاعفة: (وقال - ﷺ -): «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟! قَالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ حَطِيئَةٍ».⁴ • مغفرة الذنوب: (من قال: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مائة مرة غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).⁵ • غرس نخلة في الجنة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ».⁶ • أحب الكلام إلى الله - ﷻ -، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ».⁷ • أحب إلى النبي - ﷺ - مما طلعت عليه الشمس، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».⁸ 	<p>اذكر بعضاً من فضائل التسبيح، مع الشاهد.</p>

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 591)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (16 / 212)، جامع البيان، الطبري (24 / 367)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 274)، تصروف

4 صحيح مسلم (4/ 2698)

5 صحيح الترمذي، (3466)، صحيح

6 صحيح الجامع (5/ 531)

7 صحيح مسلم (3/ 2137)

8 صحيح مسلم (4/ 2695)

تخصيص الربوبية فيه إثبات لنا أنه - سبحانه - الخالق لهذا الكون المدبّر لأمره.¹
وجاءت الإضافة لتشريف المخاطب بما وأن يكون له حظ زائد على التكليف
بالتسبيح.²
وفيها تلطف بالمخاطب، فمن علم أن ربه هو الأعلى وأنه الخالق المدبر، نزهه عما
لا يليق به، حباً ورغبة.

ما دلالة تخصيص الربوبية
في الآية؟ وإضافته إلى كاف
المخاطب في قوله تعالى:
(رَبِّكَ؟)

إثبات صفة العلو لله - تبارك وتعالى -،³ التنويه بالقرآن والتثبيت على تلقيه، وما
تضمنه من التذكير ناسب أن يذكر اسم الله الأعلى إذ القرآن كلامه سبحانه.⁴

ما مناسبة إثبات وصفه تعالى
بالأعلى في هذه السورة؟

قد جعل من قوله تعالى: سبح اسم ربك الأعلى دعاء السجود في الصلاة؛ ليقرب
أثر التنزيه الفعلي بأثر التنزيه القولي.⁵

ما مناسبة جعل قوله تعالى:
(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)
دعاء السجود في الصلاة؟

- يورث في النفس خضوعاً لله وإحباتاً وتذلاً له.
- يورث في النفس حب الله - عَزَّوَجَلَّ - وتعظيمه وإجلاله.
- يورث في النفس العزة بعبادته سبحانه.
- ولا تطلب العزة إلا منه وحده سبحانه.
- الالتجاء إليه في كل حين، وقصده دون سواه.
- التواضع لله - سبحانه - ولما أنزل من الحق.
- والحذر من العلو في الأرض بغير الحق.
- تجنب ظلم العباد وقهرهم والتكبر عليهم.

ما أثر إيماننا باسم الله الأعلى
في النفس؟

لأنه لا خالق إلا الله - سبحانه وتعالى -، الذي أوجد كل المخلوقات جميعاً، قال
تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَكَيْلٌ﴾ [الأنعام: 102].

ما دلالة إطلاق الخلق في
قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ؟﴾

عطف التسوية على الخلق فيه دليل على قدرة الله - عَزَّوَجَلَّ - وإبداعه في خلقه،
وهو مناسب لتنزيه الله - عَزَّوَجَلَّ - في بداية السورة؛ فهو منزّه في ذاته ومنزه في خلقه
سبحانه، لا تجدد فيه عيباً ولا نقصاً، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا

ما مناسبة عطف التسوية
على الخلق في قوله تعالى:
(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى؟)

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (274/30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (274/30)، بتصرف

3 تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي (3 / 18)

4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (1 / 920)، بتصرف

5 التحرير والتنوير (30/275)

مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٥﴾ [الملك: 3-4].
فإنه سبحانه سوى الخلق تسويةً تلائم حاجات كل مخلوق وما خلق من أجله، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: 7].
فقد خلق الله - سبحانه وتعالى - الإنسان وأعطاه من وسائل الإدراك والمعرفة ما يحوله لعمارة الأرض وتقبل الوحي وحمل الرسالة.
وفيما سبق دليل على وحدانية الله وحكمته وقدرته على البعث والجزاء.

- شكر الله على كمال خلقه.
 - حفظ الجوارح عن معاصيه.
 - البعد عن تغيير خلق الله.
 - الرضا بالهيئة والخلقة التي نحن عليها.
 - عدم الاستهزاء بالآخرين بسبب لون أو هيئة.
- التفكير في بديع صنع الله - عَزَّوَجَلَّ - من خلال النظر إلى أنفسنا، واستقامة الخلقة ونحوه.

ما دلالة إطلاق التقدير في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ؟﴾ مقدر، ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]¹.

علام يدل عطف التقدير على الهداية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى؟﴾ عناية الله بخلقه بأن هداهم لما قدر لهم ولم يتركهم سدى، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50]، وهي الهداية العامة التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته.²

من مظاهر قدرة الله إخراج النبات وهداية الإنسان والحيوان إلى الانتفاع منه وهو مثال ينطلق بالمسيح من ملامسته للأرض التي يقف عليها إلى كل خلق وإلى كل تقدير، فمن لا يحس بالقرب أعجز من أن يستشعر الفضل بالبعيد.
وخص المرعى دون النبات؛ لأنه مثل ونموذج لهداية الإنسان والأنعام - غير العاقلة - لها، كل لحاجته بما.

ما دلالة تكرار اسم الموصول إن الخلق والتسوية والتقدير والهداية والإخراج كل صفة منها على حدة تكفي للدلالة على قدرة الله،³ فتكون الجملة مستقلة بذاتها، وكل واحدة منها آية من (الذي) في السورة؟

1 أعضاء البيان، الشنقيطي (8 / 502)

2 أعضاء البيان، الشنقيطي (8 / 502). تيسير الكريم الرحمن، السعدي (1 / 920). التحرير والتنوير، ابن عاشور (16 / 214)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (16 / 214)

آيات الله - ﷻ -

علام يدل التعقيب بالفناء
في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى؟﴾
ذهاب الدنيا بعد نضارتها وأنها فانية لا تدوم.¹
دليل على سرعة انقضاء الآجال، فكذلك حياة الإنسان شيخوخة وكبر بعد نضارة
وشباب.

ما وجه وصف الغناء
بالأحوى؟
لاستحضار تغير لونه بعد أن كان أخضر بانعًا، وذلك دليل على تصرفه - تعالى
- بالإنشاء والإنهاء.²

جملة ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ بما فيها من العبرة بتصاريف ما أودع الله في المخلوقات
من مختلف الأطوار من الشيء إلى ضده للتذكير بالفناء بعد الحياة، كما قال تعالى:
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِيفٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ جَعَلٍ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيمُ﴾ [الروم: 54]؛ للإشارة
قبلها من ذكر إنبات المرعى؟ إلى أن مدة نضارة الحياة للأشياء تشبه المدة القصيرة.
فدورة النبات هذه نموذج مصغر لدورة حياة الإنسان وسرعة انقضاء الآجال، وكل
هذا من تقدير الله - ﷻ -، ومن تسوية الخلقة.

الله تعالى مبدل الأحوال ومغيرها، فهل استشعرنا ضعفنا وافتقارنا له في رخائنا
وحاجتنا؟

تلاوة

﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾
﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

6. ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ سنقرئك - أيها الرسول - القرآن، ونجمعه في صدرك ولن تنساه، فلا تسابق جبريل في القراءة كما كنت تفعل حرصًا على ألا تنساه.
7. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ إلا ما شاء الله أن تنساه منه الحكمة، إنه سبحانه يعلم ما يُعلن وما يُخفي، لا يُخفي عليه شيء من ذلك.
8. ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ونهون عليك العمل بما يرضي الله من الأعمال التي تدخل الجنة.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (16 / 216)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (16 / 215)

9. ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ فعظ الناس بما نوحيه إليك من القرآن، وذكرهم ما دامت الذكرى مسموعة.

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)	
الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة الآيات لما قبلها؟	بعد أن ذكر سبحانه نعمه الدنيوية التي تضمنتها هدايته العامة في الآيات السابقة، ذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتنَّ الله بأصلها ومنشئها وهو القرآن. ¹
ما دلالة السين في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ؟﴾	البشرى للنبي -ﷺ- بالإقراء، والسين للدلالة على تأكيد حصول الإقراء واستمراره ² وعلى تَكَرُّره وتَجَدُّده على النبي -ﷺ-، وفي ذلك تسلية له.
علام يدل التعقيب بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَنْسَى؟﴾	نفي الكمال عن أي أحد؛ لأن كل إنسان معرض للنسيان، ووعد وضمان من الله لرسوله محمد -ﷺ- بإقراءه القرآن وعدم نسيانه. ³
ما دلالة الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ؟﴾	دال على أن الله - تعالى - يعرفه قدرة ربه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله وإحسانه، لا من قوته. ⁴
تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ؟﴾	وفيه إشارة إلى نسيان النبي -ﷺ- لبعض الآيات المنسوخة بقدر الله -ﷻ-، ويشهد له قوله تعالى: ﴿مَا نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 106]. وفيه إشارة إلى حفظ الله -ﷻ- لكتابه بحفظه ابتداء في صدر النبي -ﷺ-.
ما دلالة الجمع بين الجهر وما يخفى؟	إن علم الله بالجهر وما يخفى على حد سواء وكمال إحاطته بكل شيء، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7]. ومجيء الفعل المضارع يخفى؟ ومجيء الفعل المضارع يدل على تجدد الحدث، قد يخفى أحياناً ويظهر أخرى، لكن الله - سبحانه وتعالى - يعلم هذا الخفاء حتى لو تكرر؛ لأنه - سبحانه وتعالى - يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ⁵
ما آثار المعرفة بعلم الله -ﷻ- للجهر وما يخفى؟	• مراقبة الله -ﷻ- في السر والعلن. • مراقبة وساوس النفس ودفع ما يسوء منها.

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (1 / 920)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (280 / 30)، بتصرف

3 جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (24 / 371)، روح المعاني، الألوسي (22 / 367) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8 / 379)

4 حماس التأويل، القاسمي (9 / 458)

5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8 / 380). نظم الدرر، البقاعي (9 / 401)

- الحياء من الله - ﷻ - .
- الحذر من ذنوب الخلوات، فإن كنا نخفيها عن الناس فهي لا تخفى على الله - ﷻ - .
- غرس قيمة المراقبة في النفوس .
- مجاهدة النفس ومحاسبتها .
- المبادرة بالتوبة والاستغفار .
- الخشوع في الصلاة والحياء من أن نشغل بغيره ونحن نناجيه سبحانه .
- ...

البشارة الثانية للرسول - ﷺ - ولأمته من بعده، بأنه يسره لتلقي أعباء الرسالة، وأنه سبحانه يسر رسوله - ﷺ - لليسر في جميع أموره، وجعل شرعه ودينه يسراً، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، وبين الله - ﷻ - في كتابه العزيز أن النبي - ﷺ - حريص على المؤمنين من المشقة والعنت، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

ومجيء (الْيُسْرَى) على صيغة فعلى يدل على قوة الوصف واستقراره.¹

ما دلالة قوله تعالى:
(وَالْيُسْرَى لِيُسْرَى)؟

- من مظاهر التيسير في ديننا:
- وصية النبي - ﷺ - بالتيسير، عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال - ﷺ -:
”يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلَا تُنْقِرُوا“.²
- النهي عن التشدد والتنطع في الدين، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: ”إِنَّ الدِّينَ يَسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ أَحَدٌ الدِّينَ إِلَّا غَلَبَهُ...“.³
- اختبار النبي - ﷺ - للأيسر من كل أمر ما لم يكن إثمًا، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا حُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِشَيْءٍ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا اتَّقَمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تَنْتَهَكَ حُرْمَةَ اللَّهِ - ﷻ -».⁴
- الحثُّ على اللين في البيع والشراء، ففي غيرها من المعاملات من باب أولى، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «رَحِمَ اللَّهُ

ما مظاهر التيسير في ديننا؟

1 تيسير الكرم الرحمن، السعدي (920/1) التحرير والتنوير، ابن عاشور (16 / 219)

2 صحيح البخاري (6125). سکنوا من السكنة

3 صحيح البخاري (39)

4 صحيح مسلم 2327 (4 / 1813)

رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»¹.

- التخفيف في الأحكام الشرعية عند عدم القدرة، مثل: التخفيف في الصيام والكفارات وغيرها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامٌ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَلْكَ حُدُودَ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ [المجادلة: 3-4]، وقال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184].
- الأمر بفعل المستطاع من الدين، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شِحْهُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 16].
- وقال -ﷺ-: «فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا تَهَيَّأْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»².

الناس بالنسبة للتيسير ثلاثة مناهج:

المنهج الأول: منهج شدد في الدين وبالغ في التحريم بحجة سد الذرائع والأخذ بالعزم، حتى نفر كثير من الناس، ورأوا صعوبة في التطبيق، ومن علامات هؤلاء المبالغة في الاحتياط عند كل خلاف، والفتيا بالتحريم في أغلب النوازل، ورفض من خالفهم في أحكام فرعية وتضليله والشدة في الطباع.

المنهج الثاني: وهو منهج التساهل والانحلال، والتوسع الزائد بدعوى عدم التشديد، ومن أبرز ملامح هذا المنهج الإفراط في العمل بالمصلحة ولو عارضت النصوص، والمبالغة في تتبع الرخص والتلفيق بين المذاهب، والمبالغة في الأخذ بالحيل الفقهيّة، والبحث عن الآراء الشاذة، ومن علاماتهم ترك الدليل ونعت من خالفهم بالمتشدد مع انحلال أخلاقي ومبوعة.

ما مناهج الناس اليوم حول التيسير في الدين؟

المنهج الثالث: وهو منهج الاعتدال المبني على الدليل، فلا تشديد ولا تساهل إلا فيما شددت فيه الشريعة مع النظر إلى الأصول والقواعد الشرعية، والنظر في مقاصد الشريعة، قال الشاطبي - رحمه الله -: «المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على الوسط المعهود فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال»³. وهو المنهج المستقيم الذي كان عليه النبي -ﷺ-، قالت عائشة - رضي الله عنها

1 صحیح البخاری (2076)

2 صحیح مسلم (1337 /2) (975)

3 انظر دورة قضايا فقهية معاصرة، الشيخ س عد الختلان

-: «مَا حَيَّرَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَحَدَهُمَا أَيْسَرُهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ».¹

• دعاء الله -ﷻ- أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

• الاستعانة بالله -ﷻ- والاستخارة.

• اتباع المنهج وليس الأشخاص، فإن ضل العالم فلا تتبعه في ضلاله، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: 90].

• نعلم أن كل أحد يؤخذ ويرد عليه إلا النبي -ﷺ-، فلا تتبع أخطاءهم ولا تضلل الناس وإن خالفناهم.

• اتباع الدليل حيث وجد، قال -ﷺ- في حجة الوداع: ”وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ“²، فمن تمسك بكتاب الله -ﷻ- وسنة النبي -ﷺ- ما ضلَّ بإذن الله -ﷻ-.

• نسأل الله الثبات على الحق، ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8]، والإكثار من دعاء (يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ) وقد كان النبي -ﷺ- يكثر منه.

كيف نتبع الحق دون تشدد ولا انحلال؟

تلاوة

﴿سَيِّدٌ كَرَّمَ مَنْ يَخْشَى ﴿١﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿٢﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿٣﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٤﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿٥﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٦﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٨﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

10. ﴿سَيِّدٌ كَرَّمَ مَنْ يَخْشَى﴾ سيتعظ بمواعظك من يخاف الله؛ لأنه الذي ينتفع بالموعظة.
11. ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ ويتعد عن الموعظة وينفر منها الكافر؛ لأنه أشد الناس شقاءً في الآخرة لدخوله النار.
12. ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ الذي يدخل نار الآخرة الكبرى يقاسي حرها ويعانها أبدًا.
13. ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ثم يخلد في النار بحيث لا يموت فيها فيستريح مما يقاسيه من العذاب، ولا يحيا حياة طيبة كريمة.
14. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قد فاز بالمطلوب من تطهر من الشرك والمعاصي.

1 صحيح مسلم 2327 (4/1813)

2 صحيح مسلم 1218 (2/890)

15. ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ وذكر ربه بما شرع من أنواع الذكر، وأدى الصلاة بالصفة المطلوبة لأدائها.
16. ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بل تقدمون الحياة الدنيا، وتفضلونها على الآخرة على ما بينهما من تفاوت عظيم.
17. ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ولآخرة خير وأفضل من الدنيا وما فيها من متع ولذات وأدوم؛ لأن ما فيها من نعيم لا ينقطع أبداً.¹

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
------------------	----------

ما دلالة قوله تعالى: (سَيَذَكَّرُكَ) خشية الله تعالى، وعلمه بأنه سيجازيه على أعماله، توجب للعبد الكفّ عن مَنْ يَخْشَى؟ المعاصي والسعي في الخيرات.²

يدل على تعمده تجنب الهداية والتذكرة، ويدل على حدوث هذا الاجتناب وتجده منه، فحيث سمع الذكرى اجتنبها.

وهذا حال المعرض عن دين الله - ﷻ - في كل زمان، فهو لانعدام حجته يتجنب سماع الحق، قال تعالى عن مشركي قريش: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26].

علام يدل قوله تعالى: (وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى؟) وقال عن قوم نوح - عليه السلام - : ﴿وَإِنِّي كُنَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْأِبَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 7].

وفي هذا تسلية للداعية، بأن عليه التذكرة وبيان الحق دون حمل الناس عليه جبراً.

ما الحكمة من مقابلة قوله تعالى: (مَنْ يَخْشَى بِالْأَشْقَى؟) لأن الأشقى من شأنه ألا يخشى؛ لانغماسه في هوه،³ فلو خشي الله - ﷻ - وخاف عقابه ما أعرض عن الحق. (بِالْأَشْقَى؟)

الاشقى: هو الكافر، وصف بذلك؛ لأنه أشد الناس شقاء في الآخرة لخلوده في النار.⁴

علام يدل وصف الله -

تعالى - المعرض عن الحق: (بِالْأَشْقَى؟) وقد قال النبي - ﷺ -: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل، توضع في أخصص قدميه جهرة، يغلي منها دماغه»،⁵ فهل تراه يرى أن هناك من هو أشد منه

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 591)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 921)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 285)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 286)

5 صحيح البخاري 6561 (8/ 115)

عذاباً؟

اللهم أجرنا من النار.. اللهم أجرنا من النار.. اللهم أجرنا من النار..

- الإيمان الراسخ بالله - عَجَلِكْ -.
- العلم بالله، فمن كان بالله أعلم كان له أخشى وأتقى.
- نقاء القلب من العجب والكبر.
- تدبر القرآن الكريم.
- التفكُّر في خلق الله وآلائه علينا.
- التفكُّر في سنن الله - عَجَلِكْ -.
- حب الله - عَجَلِكْ -.
- الصحبة الصالحة الناصحة.

ما الأعمال التي تعين على
التذكر والحشية؟

ما مناسبة وصف النار
بالكبرى؟

وصف النار بالكبرى تحويل للنار والإنذار منها.¹

ما دلالة نفي الضدين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾؟

دلالة على شدة العذاب، فإن تردد حاله بين الحياة والموت وهو عذاب الاحتراق من غير راحة ولا استراحة، حتى إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم.²

(ثم) للتفاوت الرتبى، إشارة إلى أن خلوده أفضع من دخوله النار، وصلبه.³

نفي سببانه وتعالى ضدان وهما الموت والحياة فما دلالة ذلك؟

نفي الضدين؛ دليل على عدم تمتعه بأبسط أسباب الحياة الهنيئة، ولا هو ميت فيستريح من العذاب، ولذلك يطلب أهل النار الموت ولا يجدونه، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ﴾ [الزخرف: 77].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: 36].

وقال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: 17].

ما الفوائد التربوية التي نأخذها من هذه الآيات؟

• الاستماع إلى الحق وعدم الإعراض عنه.

• إنزال الأمور منازلها، فمثل هذا الشأن لا يقبل الظن أو التسوييف، فلا بد من اليقين الراسخ والدليل القاطع، والبراهين الواضحة، ولا يكون هذا إلا في ديننا الحنيف وكتاب الله المعجز.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (286/30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (286/30). تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 921)

3 محاسن التأويل، القاسمي (458/9)

• مع ما في هذه الآيات من الرهبة، فهي تغرس حب الله -ﷻ- أن نبهنا ونوع الأساليب؛ لإقناعنا وهدايتنا إلى معرفة الحق واتباعه.

كيف نغفل عن نار كهذه؟ وكيف لا نخشى الله -ﷻ-؟

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ لما قبلها؟
لما وفي حق المعظمة والترهيب استأنف الكلام لبيان المثوبة والترغيب،¹ ولما بين طريق الخسران والخيبة بين هنا طريق الفلاح.

ما دلالة التعبير بالفلاح ومجيبته بالفعل الماضي مع دخول ﴿قَدْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾؟
دلالة على تحقق وقوع الفلاح في الآخرة، وقد جمعت أنواع الخير في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، فإن الفلاح نجاح المرء فيما يطمح إليه فهو يجمع معني الفوز والنفع.²

ما دلالة عدم تقييد الفلاح؟
دلّ السياق ابتداء على أن الفلاح حاصل ومحقق في الآخرة، وعدم تقييده دل على حصوله كذلك في الدنيا، ويشهد له قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحل: 97].
فإما فلاح في الدارين أو خيبة كذلك في الدارين، فاختر العاقبة قبل السعي في الطريق.

ما دلالة التعبير بـ﴿تَزَكَّى﴾ في الآية؟
أنه بذل استطاعته في تطهير نفسه وتركبتها؛ فتزكية النفس تحتاج إلى مجاهدة وصبر.³ كما أن التزكية طهارة وثناء، فشملت طهارة النفس من الرذائل والبعد عن المعاصي والآثام، وزيادة الخير بفعل الطاعات ومحاسن الأخلاق وزيادة القربات. ومجيء الفعل تزكَّى على وزن تَفَعَّلَ دلّ على أنها عملية مستمرة ومجاهدة للنفس لحملها على التزكية.

ما وجه تقديم التزكي على ذكر الله -ﷻ- والصلاة؟
لأن التزكية أصل العمل؛ لأنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية.⁴

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (287/30)
2 المرجع السابق
3 المرجع السابق
4 المرجع السابق

علام يدل تعقيب الذكر
بالصلاة بالفاء في قوله تعالى:
(وَذَكَرْ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلِّ)؟
انصبغ القلب بذكر الله تعالى يوجب للعبد العمل بما يرضي الله خصوصاً الصلاة،¹
والذكر بمعنييه يعث الذاكِر على تعظيم الله - تعالى - والتقرب إليه بالصلاة التي
هي خضوع وثناء.²

ما مناسبة قوله تعالى: (بَلْ
تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) لما
قبلها؟
بعد أن بيّن الطريقين وعاقبتهما، بيّن سبب اتباع طريق الخسران والندامة وهي إثثار
الحياة الدنيا، فمن هذا حاله لا يزال يلهمث خلف ملذاته العاجلة ومتعه الزائلة دون
تحصيل سعادة كاملة ولا قدم لآخرته الدائمة.

ما مناسبة التعبير بالإيثار بعد
حرف (بَلْ) في قوله تعالى:
(بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)؟
شدة التويخ والذم،³ على من قدم نعيم الدنيا المنغص المكدر الزائل على نعيم
الآخرة؛⁴ ليين حال الإنسان أنه مؤثر للحياة الدنيا؛ لأنها عاجلة، والإنسان خلق
من عَجَل، ويحب ما فيه العجلة، فتجده يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة.⁵

ما دلالة المخالفة في قوله
تعالى: (بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا)؟
دلّ قوله تعالى: (بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) - بمفهوم المخالفة - على أن تذكر
الآخرة والسعي للفوز فيها هي علاج الطغيان والغفلة والشقاء، وقد ورد عديد من
الآيات في هذا المعنى، قال تعالى: (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٣٥﴾ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٣٦﴾)
[القيامة: 20، 21].

هل المطلوب هو ترك كل
ملذات الدنيا والانقطاع
للآخرة؟
قال تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ
قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ
وَالنَّبْئِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾) [الأعراف: 32-33]، بينت هذه الآيات أنه ليس المذموم هو
التمتع بملذات الدنيا، وإنما لهث خلفها وأخذ طيبها وخبيثها.
فديننا دين يسر كما بينت الآيات في بداية السورة، وما حرم الله - ﷻ - علينا إلا
الخبيث الضار.

قال رسول الله - ﷺ -: "من كانت الآخرة همّة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله
وأنته الدنيا وهي راعمة، ومن كانت الدنيا همّة جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه
شمله، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قُدِرَ له".⁶

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 921)
2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 288)
3 محاسن التأويل، القاسمي (9/ 459)
4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 921)
5 تفسير العنمين، ابن عثيمين، (ص: 169)
6 صحيح الترمذي 2465

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٥﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٦﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

18. ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ وَالْأَخْبَارِ لَفِي الصُّحُفِ الْمُنزَلَةِ مِنْ قِبَلِكِ.
19. ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ هي الصحف المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
بعد أن بيّن محاسن الدين وطريق الفلاح والخسران وأسباب كل منها، بيّن أن هذا هو ما جاء في بقية الرسالات، وفي ذلك دليل على صدق رسالة محمد ﷺ - ووحدة الدين.	ما مناسبة هذه الآيات لما قبلها؟
للدلالة على أن الأوامر الحسنة والأخبار المستحسنة الواردة في السورة مذكورة في الكتب السابقة، ولأنه مسوق إلى المنكرين، وقصد به الإبلاغ للمشركين الذين كانوا يعرفون رسالة إبراهيم وموسى. ²	ما دلالة التأكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾؟
اسم الإشارة راجع إلى السورة كلها؛ لتضمنها معنى التوحيد والمعاد، والذكر، والعبادات. ³	ما مناسبة ورود اسم الإشارة: ﴿هَذَا﴾؟
جمع الصحف دليل على أنها ليست صحيفة واحدة بل هي صحفٌ متعددة، ووصفها بالأولى ليس شرطاً أن يكون الدليل على أنه لم يسبقها شيء، بل المقصود السبق الزمني. ⁴	ما دلالة جمع الصحف ووصفها بالأولى؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 592)

2 تفسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 921). التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 290)

3 أعضاء البيان، الشنقيطي (8/ 506)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 291، 292)، بتصرف

أولاً: لأنهم أولوا العزم من الرسل.
ثانياً: لأن السورة من أوائل السور نزولاً، ولم يسبقها ذكر لبقية الأنبياء، فناسبت ذكر إبراهيم وموسى دون غيرهما.
ثالثاً: إن المشركين يدعون نسبتهم إلى دين إبراهيم - عليه السلام -، واليهود يدعون نسبتهم إلى دين موسى - عليه السلام -، وشريعة عيسى مكملة لشريعة موسى - عليه السلام -، فبين بهذه الآيات وحدة دين محمد - ﷺ - مع دين إبراهيم وموسى، ومخالفة المشركين وأهل الكتاب لمن يدعون انتسابهم إليهم.

ما دلالة تعيين إبراهيم وموسى بالذكر دون غيرهما من الأنبياء؟

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تنزيه الله - تعالى - وتقرير وحدانيته؛ لانفراده بالخلق والتدبير.
- تأييد النبي - ﷺ - وتبئته على تلقي الوحي.
- الأمر بالتذكير بالقرآن؛ لإصلاح النفوس وتهذيب الطباع.
- الخشية سبيل الفلاح، والإعراض عن التذكرة سبيل الخسران والشقاء.
- شدة عذاب الكافر حتى إنه بئس بئس، لا ميت ولا حي.
- إيثار الدنيا سبب للإعراض عن الحق وعلاجه تذكر الآخرة.
- توافق الكتب السماوية دليل على أنها وحي من الله - ﷻ - وكتب أنزلها على رسله - عليهم السلام -.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- تسبيح الله - ﷻ -.
- عبادة التفكير في مخلوقات الله - ﷻ -، في حكمة الله سبحانه وغيرها.
- حب النبي - ﷺ - وحب اتباعه.
- تعظيم نعمة القرآن في النفس وتدبره والانعاط به.
- خشية الله - ﷻ -.
- مراقبة الله - ﷻ -.
- ذكر الله سبحانه وتعالى.
- المحافظة على الصلاة.
- تزكية النفس ومجاهدة النفس على ذلك.
- الدعوة إلى الله - ﷻ - بالحسنى وعدم تكلف هداية الناس فالله هو الهادي سبحانه.
- تذكر الآخرة والسعي لها.

من الفوائد التربوية

- من الأساليب التربوية:
 - الإقناع.
 - المحاجة بالمنطق.
 - الاستدلال.
 - وضوح الرؤيا.
 - الأسباب تؤدي إلى النتائج.
- التيسير على المتربي ما لم يكن إثمًا.
- العزة بالانتماء إلى دين الأنبياء جميعًا.
- بناء المسؤولية الفردية.

رسائل

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه «فَتَبَشَّعَ عَنَ الْخُلُوعِ رِمَا تَلْتَقِي بِدَمْعَتِكَ الْخَالِدَةَ يَوْمًا».

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ حب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ هنا يكمن الداء، وهناك العافية ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ هناك لكلمة النجاح معنى.

088. سُورَةُ الْغَاشِيَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تسمى باسم من أسماء يوم القيامة.
سورة تذكر بأحوال أهل النار وأحوال أهل الجنة.
تدعو إلى التفكّر والتأمل في مخلوقات الله - عَزَّوَجَلَّ - وبديع صنعه الدال على وحدانيته وقدرته على البعث والجزاء.
تأمر بالتذكير وتتوعد من عزف الحق ولم يتبعه.
هي سورة الغاشية.

تهئية:

تعريف السورة:

اسم السورة:	تسمى: سورة «الغاشية» وسورة «هل أتاك حديث الغاشية» وسورة «هل أتاك». ¹
نوع السورة:	مكية. ²
عدد آياتها:	ست وعشرون آية في جميع العدّ ليس فيها اختلاف. ³
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.
فضل السورة والآثار الواردة فيها:	عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يُقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»، قَالَ: «وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يُقْرَأُ بِحَمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ». ⁴

المناسبة بين سورة الغاشية وسورة الأعلى:
كانت خاتمة سورة الأعلى إقرارًا لفضل الآخرة على الحياة الدنيا، فجاءت فاتحة سورة الغاشية صورة حيّة من صور الآخرة بما فيها من مشاهد الخسارة والريح، والجحيم والنعيم.⁵
فيها تفصيل وتبسيط لما جاء في سورة الأعلى من أوصاف المؤمن والكافر والجنة والنار

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (293/30)
2 المرجع السابق
3 البيان في عد أي القرآن، (ص: 272)
4 صحيح مسلم 878 (2/598)
5 التفسير الموضوعي (116/9)

إجمالاً، فلما قال تعالى في الأعلى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ إلى قوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الآيات: 10 - 17] فصل ذلك في هذه السورة بقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ تَصِلُ نَارًا حَامِيَةً ﴿[الآيات: 2 - 7] ثم ذكر صفات المؤمنين وأحوالهم في الآيات: [8 - 16]. ولما قال تعالى في الأعلى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أبان صفة الجنة في الآيات السابقة أكثر من صفة النار، تحقيقاً لمعنى الخيرية.¹

المناسبة بين سورة الغاشية وسورة الفجر:²
القسم الصادر في أول سورة الفجر كالدليل على صحة ما ختمت به سورة الغاشية من قوله - جلَّ جلاله -: «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ». في سورة الغاشية حثُّ على التفكير في خلق الله - ﷻ - في قوله تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"، وفي سورة الفجر حثُّ على التفكير في مصير الغابرين في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَرُّكَ بِعَادٍ"، وكلها بأسلوب السؤال نفسه، وكلاهما استدلال على وحدانية الله - ﷻ - والبعث والحساب.

مناسبة السورة لما بعدها:

تذكير النفوس بمشاهد القدرة الإلهية في العذاب والنعيم، ودلائل ذلك في الآيات الحاضرة؛ لتمتلي النفوس رغبة ورهبة.³

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (16): تحويل القيامة وأحوال المؤمن والمكذب.
من الآية (17) إلى الآية (20): التفكير في الآيات الكونية الدالة على القدرة والبعث.
من الآية (21) إلى الآية (26): مهمة النبي - ﷺ - التبليغ والتذكير.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَدِشَةً ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لَسَعِيَهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

الآية (الآيات)

1 التفسير المنير، الزحيلي (202/30)

2 التفسير المنير، الزحيلي (219/30)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (592/1)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ هل أتاك - أيها الرسول - حديث القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟!
 2. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ فالناس في يوم القيامة إما أشقياء وإما سعداء، فوجوه الأشقياء ذليلة خاضعة.
 3. ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ متعبة مجهدة بالسلاسل التي تُسحب بها، والأغلال التي تُغَلُّ بها.
 4. ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ تدخل تلك الوجوه نارًا حارة تقاسي حرها.
 5. ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آبِيَةٍ﴾ تُسقى من عين ماؤها شديد الحرارة.
 6. ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ ليس لهم طعام يتغذون به إلا من أخبث الطعام وأنته من نبات يسمّى الشَّبْرَقُ إذا يبس صار مسمومًا.
 7. ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ لا يُسمن أكله، ولا يسدّ جوعته.
 8. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ووجوه السعداء في ذلك اليوم ذات نعمة وبهجة وسرور؛ لما لاقوه من النعيم.
 9. ﴿لَيْسَ لَهَا رَاضِيَةٌ﴾ لعملها الصالح الذي عملته في الدنيا راضية، فقد وجدت ثواب عملها مدخرًا لها مضاعفًا.
 10. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ في جنة مرتفعة المكان والمكانة.
 11. ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِغَيْبٍ﴾ لا تسمع في الجنة كلمة باطل ولغو، فضلًا عن سماع كلمة محرمة.
 12. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ في هذه الجنة عيون جارية يفجرونها، ويصرفونها كيف شاؤوا.
 13. ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ فيها أسرة عالية.
 14. ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ وأكواب مطروحة مهيأة للشرب.
 15. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وفيها وسائد مرصوص بعضها إلى بعض.
 16. ﴿وَزَرَارِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ وفيها بسط مبسوطة هنا وهناك.
- ولما ذكر الله تفاوت أحوال الأشقياء والسعداء في الآخرة، وَجَّهَ أنظار الكفار إلى ما يدهم على قدرة الخالق وحسن خلقه؛ ليستدلوا بذلك على الإيمان؛ ليدخلوا الجنة فيكونوا من السعداء.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
علام يدل افتتاح السورة	افتتاح السورة بهذا السؤال فيه تشويق إلى معرفة هذا الخبر لما له من الأهمية ولما
بالاستفهام في قوله تعالى:	يترتب عليه من الموعظة، وأنه من الأخبار التي ينبغي الاستعداد بها؛ لما اشتملت
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ؟﴾	عليه من معانٍ لا يصح التغافل عنها. ²

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 592)

2 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 373). والتحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 294)

علام يدل التعبير بالفعل أتى استعمال فعل الإتيان دلالة على فشو الحديث وانتشاره،¹ أو على أنه من الأحاديث التي يجب ذكرها وتداولها وعدم الغفلة عنها.

(الْغَاشِيَّةُ) هي الداهية العظيمة التي تغشى الناس،² بدواهيها وشدايدها العظام وزواجرها ونواهيها، فإن الغشي لا يكون إلا فيما يكره.³ وتسمية يوم القيامة بالغاشية في هذه السورة مناسب لجوِّ السورة العام في افتتاحها واختتامها بالحديث عن عذاب الكافر. فمن أول آية فيها تهويل للقيامة وتنبية للغافل وهزّة للقلب الحي حتى يتفكر ويتعظ.

ما المراد بالغاشية؟ وما مناسبة تسمية يوم القيامة بذلك؟

- افتتاح السورة بالاستفهام للتشويق ولفت الانتباه.
- توجيه الكلام بصيغة الخطاب؛ لأن ذلك أعظم في تحريك النفوس لتلقي الخبر بالقبول.⁴
- التعبير بالفعل أتى دلالة على انتشار هذا الحديث بين الناس.
- التعبير بـ(حديث) لوصف الخبر الذي يتحدث به الناس ويتنشر في مجالسهم.
- مجيء الصفة (الغاشية) دون الموصوف زيادة في التشويق بما تحمله هذه الكلمة من دلالة الغشيان والتمكن،⁵ تعظيمًا لهذا الخبر، وهيئة للنفوس لما تحمله هذه السورة من معانٍ.

تعددت أساليب التشويق في مطلع هذه السورة العظيمة، عددها. علام يدل ذلك؟

ما مناسبة البدء بالحديث عن أهل النار قبل الحديث عن أهل الجنة؟

ذكر حال الوجه من باب التعبير بالبعض عن الكل. وخصّت الوجه بالذكر؛ لأنه أشرف أعضاء الإنسان، وهو الذي ينبئ عن حال صاحبه من ذل وشقاء أو عز ونعيم، وهي التي تظهر عليها الآثار المختلفة من حزن أو فرح.

ما دلالة تخصيص الوجه بالذكر في قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ)؟

1 التحريز والتنوير، ابن عاشور (294/30)
 2 تفسير ابن العثيمين: جزء عم (171)
 3 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (22/2)
 4 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (22/2)
 5 التحريز والتنوير، ابن عاشور (294/30)، بتصرف
 6 التفسير الوسيط، الطنطاوي (375/15)

علام يدل التقييد بظرف الزمان (يَوْمِيذٍ)؟
الصفات المذكورة هي أحوال الكفار يوم تأتي الغاشية، وهذا لا يكون إلا يوم القيامة،¹ وقدم (يَوْمِيذٍ) على متعلقه للاهتمام بذلك اليوم.²

ما أوصاف وجوه الكفار في السورة؟ وما دلالتها؟
خاشعة من الذل والفضيحة والخزي،³ وخصّ بذلك تحكّمًا منهم؛ لرفضهم الخشوع لذكر الله في الدنيا، فورثهم سبحانه الذل والصغار في الآخرة.⁴
عاملة ناصبة دلالة على العمل الشاق دون توقف فهي تعمل دائمًا أعمالًا صعبة تتعب فيها، كالهوي في دركات النار، والارتقاء في عقابها، ويكلفون بجر السلاسل والأغلال، والخوض في نار جهنم، فهو عمل دائم لا يتوقف عمل عذاب وعقاب.⁵
وفي هذه الصفات زيادة توبيخ لأهل النار؛ لأنهم تركوا في الدنيا الخشوع لله تعالى والعمل بما أمر به والنصب في القيام بطاعته، فكان جزاؤهم في الآخرة خشوع مذلة، وعمل مشقة، ونصب إرهاق.⁶

علام يدل التعبير بالصلي في قوله تعالى: (تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً)؟
الصلي يقال للوقود وللشواء،⁷ دلالة على دخول النار ومعاناة حرها وشدها.

كل نار حامية، فما دلالة وصف نار جهنم بهذا الوصف؟
وصف النار بـ(حَامِيَةً)؛ لإفادة تجاوز حرها المقدار المعروف فدل ذلك على شدة الحمى،⁸ ومبالغة في شدة الانتقام فهي دائمة الحمى وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بإطفائها،⁹ بل هي أشد وأحمى من نار الدنيا بسبعين مرة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها».¹⁰

1 تيسر الكريم الرحمن، السعدي (921). تفسير العنمين: جزء عم (173)، بتصرف

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (295/30)

3 تيسر الكريم الرحمن، السعدي (921)

4 التفسير الموضوعي (118/9)

5 تفسير القاسمي = محاسن التأويل (460/9) تفسير العنمين: جزء عم (172)

6 التفسير الوسيط، الططاوي (373/15). التحرير والتنوير، ابن عاشور (296/30)

7 المفردات في غريب القرآن (490)

8 التحرير والتنوير، ابن عاشور (296/30)

9 تفسير النكت والعيون، الماوردي مختصرًا (259/6)

10 صحيح البخاري 3265 (121/4)

لأن ذكر الاحتراق بالنار يُحضر في الذهن تطلب إطفاء حرارتها فناسب ذلك الشراب بعدها،¹ وقدم المشروب على المطعوم؛ لأن الماء لأهل النار أهم، إذ يغلب عليهم العطش مع ما هم فيه من الحر.²

ما مناسبة قوله تعالى:
(تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ) لما
قبلها وما بعدها؟

الآتي الذي قد انتهى حره من الإناء وهو التأخير، فهذه العين حاضرة قد بلغت إناءها وحن شربها، أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، وتناهى حرها فلو وقعت نقطة منها على جبال الدنيا لذابت.³

ما دلالة وصف العين بآتية؟

• ماء كالمهل من شدة حره يشوي الوجه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوْا يُعْأَثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوْهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29].
• ماء حميم من شدة حره يقطع الأمعاء، قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيْمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].
اللهم أجزنا.. اللهم أجزنا.. اللهم أجزنا..

تنوعت أوصاف شراب أهل
النار وطعامهم في كتاب الله،
اذكر بعضاً منها مع الشاهد؟

ما مناسبة محي الحديث

ذكر السقي يُخطر في الذهن تطلب معرفة ما يُطعمونه فجيء به.⁴

عن الطعام بعد الشراب في
السورة؟

لأنه طعام يضرعون عنده ويدلون، ويتضرعون منه إلى الله تعالى؛ طلباً للخلاص منه، ولأن أكله يضرع في أن يعفى منه، لكرهته وخشونته.⁵

علام تدل تسمية الطعام
بالضريع؟

دلَّت الآية على نفي كل نفع قد يحصل من هذا الأكل، فقد يكون الأكل في الدنيا رديماً وحامضاً وله من المنافع كثير، لكن طعام أهل النار - اللهم أجزنا - لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور.
فهو شر محض، لا مكان لأي فائدة معه، سواء سد جوع صاحبه وإزالة ألمه عنه، أو يسمن بدنه من الهزال، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة.⁶

من اسمه دل على كراهته،
فما دلالة التعقيب بقوله
تعالى: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي
مِنْ جُوعٍ﴾؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (296/30)، بتصرف

2 التفسير المنير، الزحيلي (205/30)، بتصرف

3 تفسير القرطبي (29/20)، بتصرف. تفسير النكت والعيون، لماوردي (259/6)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (297/30)

5 تفسير القرطبي (30/20)

6 التفسير الوسيط، الططاوي (375/15). تفسير الكريم الرحمن، السعدي (921)

إنها نعمت بما عاينت من عاقبة أمرها وعملها الصالح،¹ قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبادئهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور.²

ما وجه وصف الوجوه
بالناعمة في قوله تعالى:
(وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ)؟

قال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ) [آل عمران: 107].

قال تعالى: (وَلَا يَرَهُقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ) [يونس: 26].

قال تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) [القيامة: 22].

قال تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) [عيس: 38].

قال تعالى: (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) [المطففين: 24].

نسأل الله أن نكون من أهلها، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

وردت آيات متعددة في

القرآن تصف وجوه المؤمنين

في الآخرة، هات بعضاً منها؟

قدم السعي للاعتناء بشأنه،³ وهو العمل الذي قدمه في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى عباد الله،⁴ من أجل الحصول على رضا خالقه، ووصف به (رَاضِيَةً) إذ وجد ثوابه مدخراً مضاعفاً، فحمد عقباه، وحصل له كل ما يتمناه.⁵

ما دلالة تقديم السعي

على الرضى في قوله تعالى:

(لَسَعْوِيهَا رَاضِيَةً)؟

قدم لنفسك ما يرضيك رؤيته يوم القيامة.

لزيادة الحسن؛ لأن أحسن الجنات ما كان في المرتفعات، قال تعالى: (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ) [البقرة: 265]، فذلك يزيد حسن باطنها بحسن ما يشاهده الكائن فيها من مناظر، وهذا وصف شامل لحسن موقع الجنة.⁶

ما دلالة وصف الجنة بأنها

عالية (في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)؟

اللغو: الكلام الذي لا فائدة له، وهذا تنبيه على أن الجنة دار جد وحقيقة، فلا كلام فيها إلا لفائدة؛ لأن النفوس فيها تخلصت من النقائص كلها فلا يلد لها إلا الحقائق والسمو العقلي والخلقي، ولا ينطقون إلا ما يزيد النفوس تزكية.⁷

ما اللغو؟ وما مناسبة نفي

سماع اللغو في سياق تعداد

أوصاف الجنة؟

1 تفسير القرطبي (32 / 20)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (922)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (375 / 15)

4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (923)

5 التفسير الوسيط، الطنطاوي (375 / 15)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (299 / 30)

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (300 / 30)

ابتدىء في تعداد صفات الجنة بصفتها الذاتية وهو كونها عالية، وثني بصفة تنزيهها عما يعد من نقائص مجامع الناس ومسكن الجماعات وهو الغوغاء واللغو... وهذا وصف للجنة بحسن سكانها.¹

ما دلالة ذكر عدم سماعهم اللغو في الجنة بعد وصفها بأنها عالية؟

قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: 62].
وقال تعالى: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ [الطور: 23].
وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيمًا﴾ [إلا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: 25-26].

من نعيم الجنة خلوها من اللغو، هات شواهد على ذلك.

- أن نستحضر رقابة الله علينا.
- الإعراض عن مجالس اللغو ما أمكن؛ لتجنب ما فيها من باطل وغيبة وسخرية وتضييع للأوقات بما لا ينفع، وإلا فالنصح لأهلها، وشغلهم بما ينفع.
- تعويد اللسان على الذكر والتسبيح والاستعاانة بالله على ذلك.
- تذكر النار وحال أهلها عندما يقولون: ﴿وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْحَاطِئِينَ﴾ [المدثر: 45].

من نعيم أهل الجنة ترفعهم عن اللغو، كيف نربي أنفسنا على ذلك في هذه الحياة الدنيا؟

للدلالة على تفردا بهذا الجري؛ حيث يتدفق الماء وأنواع الأشربة اللذيذة من تلك العيون على وجه الأرض بشدة وبكثرة لا تنقطع.²

في قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ وصفت العين بأنها جارية مع أن الأصل في العيون الجريان، علام يدل ذلك؟

علو مكانة أهل الجنة، وحسن مكانهم، فمجالسهم مرتفعة في ذاتها، مرتفعة بما عليها من الفرش اللينة، عليها الحور العين، فإذا أراد أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها؛ ليرى ما حوِّله ربه من النعيم.³

الجنة عالية ومع ذلك السرر مرفوعة، فما دلالة ذلك؟

للدلالة على أنها لا ترفع من بين أيديهم كما ترفع آنية الشراب في الدنيا إذا بلغ الشاربون حد الاستطاعة من تناولها، وللدلالة - أيضاً - على عدم انقطاع لذة

وصف الأكواب بأنها موضوعة في قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ فعلام يدل ذلك؟

1 التحرير والتنوير (300/30)

2 تفسير القرطبي (33/20)، بتصرف. نظم الدرر، البقاعي (10/22)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (302/30). تيسير الكريم الرحمن، السعدي (912). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/386)

الشراب طعمًا ونشوة.¹

للدلالة على أنها مصفوفة على أحسن وجه تتلذذ العين بها قبل البدن بالانتكاء عليها.²

ما دلالة وصف النمارق بمصفوفة في قوله تعالى: ﴿وَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ﴾؟

للدلالة على كثرتها وتفرقتها وامتلاء مجالسهم بها من كل جانب.³

ما وجه التعبير عن البسط بأنها مبثوثة في قوله تعالى: ﴿وَرَزَائِي مَبْثُوثَةٌ﴾؟

الأرواح ترتاح بمألوفاتها فتتعاطاها، فيكون نعيم أرواح الناس في كل عصر ومن كل مصر في الدرجة القصوى مما ألفوه ولا سيما ما هو مألوف لجميع أهل الحضارة والترفة وكانوا يتمنونونه في الدنيا، ثم يزدادون من النعيم: «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».⁴

ما دلالة وصف نعيم الجنة بما يعرفونه في الدنيا؟

قال ابن القيم: وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن من أثر الراحة فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً، وإذا تحمّل مشقة الصبر ساعة فاده حياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة.⁵

تلاوة

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٣٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٣٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٣٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٤٠﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

17. ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ أفلا ينظرون نظر تأمل إلى الإبل كيف خلقها الله، وسخرها لبني آدم؟!

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (302 / 30)

2 تفسير العثيمين، جزء عم (176)

3 تفسير القرطبي (34 / 20). تفسير الكريم الرحمن، السعدي (923)

4 التحرير والتنوير (303 / 30)

5 مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (15 / 2)

18. ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ وينظرون إلى السماء كيف رفعها حتى صارت فوقهم سقفاً محفوظاً، لا يسقط عليهم؟!
 19. ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ وينظرون إلى الجبال كيف نصبها، وثبتت بها الأرض أن تضطرب بالناس؟!
 20. ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ وينظرون إلى الأرض كيف بسطها، وجعلها مهيأة؛ لاستقرار الناس عليها؟! ولما وجههم إلى النظر إلى ما يدل على قدرته تعالى وَجَّهَ رسوله.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة الآيات لما قبلها؟	بعد أن حكم الله - تعالى - بمجيء يوم القيامة، وقسم الناس فيها إلى فريقين: أشقياء وسعداء، ووصف أحوال الفريقين، أقام الدليل على وجوده ووحدانيته وقدرته بما يشاهدونه من مخلوقات. ²
ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا﴾ وما دلالاته؟	نوعه: إنكاري توبيخي، دلالاته: الإنكار عليهم؛ لإهالمهم النظر في صنع الله، وتوبيخ لمن يُنكر ما أخبر الله به عن يوم القيامة، وحثُّ على التفكُّر والتأمل في مخلوقات الله الدالة على توحيده. ³
عدي الفعل ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بل (إلى) فما دلالة ذلك، وعلام يدل تقييده بالكيفيات؟	﴿إلى﴾ تفيد معنى الانتهاء والتمكن والاستقرار، فجاءت تنبيهاً على إمعان النظر بما في المنظور من دقائق وقيد بالكيفيات؛ لزيادة التنبيه على إنكار هذا الإهمال، أي لم ينظروا إلى دقائق هبات خلقها. ⁴
ما دلالة اختصاص ﴿الإبل﴾ بالذكر دون غيرها من الحيوانات؟	لأنها أقرب المعلومات إلى العرب، ⁵ ولكثرتها عندهم، وهي معظم أمواهم، وهم من أعرف الناس بها، والإبل أجمع للمنافع من سائر الحيوان؛ لأن ضرورها أربعة: حلوبة، وركوبة، وأكولة، وحمولة. والإبل تجمع هذه الخلال الأربع، فكانت النعمة بها أعم، وظهور القدرة فيها أتم، ⁶ هي في غاية القوة والشدة، ومع ذلك تنقاد للقائد الضعيف. ⁷

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (592 / 1)

2 التفسير المنير، الزحيلي (213 / 30)، بتصرف

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (304 / 30). وتيسر الكريم الرحمن، السعدي (922)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (304 / 30)

5 أضواء البيان، الشنقيطي (516 / 8)

6 تفسير القرطبي (36،35/20)

7 مختصر تفسير، ابن كثير (633 / 2)

ذكر السماء؛ لأنها محط أنظارهم، وملتقى طلباتهم في سُقيا أنعامهم، وقيّدت بالرفع لرفعتها في خلقها.¹ والأرض؛ لأنها مدت مدداً واسعاً، وسهلت غاية التسهيل؛ ليستقر الخلائق على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والنبان فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها.²

ما دلالة ذكر (السَّمَاءِ) و(الأَرْضِ)؟

لأنها مما يميلأ عيونهم في كل وقت، ويشغل تفكيرهم في كل حين، لقرابها من حياتهم والرهبة والعظمة في تطاولها وثباتها في مكانها.³ وكانوا ينزلون سفوحها؛ ليكونوا أقرب إلى الاعتصام بها عند الخوف، ويتخذون فيها مراقب للحراسة.⁴

علام يدل لفت الأنظار إلى الجبال؟

خصص - سبحانه وتعالى - توجيه الأنظار إلى تلك المذكورات الأربعة، فما دلالة ذلك؟

لما فيها من عظيم الدلائل على القدرة، وعلى البعث، ثم الإقرار لله - تعالى - بالوحدانية والألوهية، نتيجة لإثبات ربييته تعالى لجميع خلقه.⁵

السؤال، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلًا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: 71].

ذم الإعراض عن رؤية الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 32].

الحديث عن وصف المخلوقات، مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَنُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47].

مدح المتفكرين، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3].

اذكر بعض الأساليب الواردة في كتاب الله - ﷻ - التي تحث على التفكير.

الحث على التفكير لعلهم يتفكرون، قال الله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176].

الأمر بالنظر، نظر تفكر: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ

1 التحريم والتنوير، ابن عاشور (306/30)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (922)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (517/8)

4 التحريم والتنوير، ابن عاشور (306/30)

5 أضواء البيان، الشنقيطي (516/8)

مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿الرُّومُ: 42﴾.
وغير ذلك من الأساليب.

علام يدل تقييد فعل

(يَنْظُرُونَ) بِ(كَيْفَ خُلِقْتُ، كَيْفَ رُفِعْتُ، كَيْفَ نُصِبْتُ، كَيْفَ سَطَحْتُ)؟
لزيادة التنبيه على إنكار هذا الإهمال؛ أي لم ينظروا إلى دقائق هيئات خلقها،¹
وكذلك لتعليم طريقة التفكير في المخلوقات.

وسيلتا التفكير:

- النظر والتأمل أو الاستحضار في الذهن.
- السؤال.
- مثال للأسئلة:
- كيف خُلِقَت السماء؟
- كيف رُفِعَت من غير عمد، ونحن نحتاج إلى كميات هائلة من الحديد لرفع سقف لبناء؟
- كيف جمعت كل هذه المنافع لنا؟
- لماذا رُزِيتَ؟ مَنْ رَزَيْتَها؟
- هل فيها اعوجاج أو شقوق؟ مَنْ أَتَقْنَهَا؟
- ماذا يحدث لنا لو أن السماء لم تحمل الكواكب والنجوم وسقطت؟
- من سخرها؟
- ...

كيف نتفكر في مخلوقات الله
- عَجَلٌ -

- ما العمل الذي يمكننا تطبيقه
- في حياتنا وواقعنا من خلال
- التأمل والتفكير في الكون وفي مخلوقات الله - تعالى - وتربية الأبناء على ذلك.
- شكر الله - تعالى - على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.
- حب الله - عَجَلٌ - والحياء منه.

تلاوة

﴿قَدْ كَرِهَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ أَنْ تَذُكَّرَ ۗ أَنْتَ مُذَكَّرٌ ۗ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ ۗ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۗ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ
الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۗ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ۗ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۗ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

21. ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ فعظ - أيها الرسول - هؤلاء، وخوفهم من عذاب الله، إنما أنت مذكر، لا يطلب منك إلا تذكيرهم، وأما توفيقهم للإيمان فهو بيد الله وحده.
22. ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ﴾ لست عليهم مسلطاً حتى تكرهم على الإيمان.
23. ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ لكن من تولى منهم عن الإيمان، وكفر بالله وبرسوله.
24. ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ فيعذبه الله يوم القيامة العذاب الأعظم بأن يدخله جهنم خالدًا فيها.
25. ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَتُهُمْ﴾ إن إلينا وحدنا رجوعهم بعد موتهم.
26. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ثم إن علينا وحدنا حسابهم على أعمالهم، وليس لك ولا لأحد غيرك ذلك.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
بعد أن حكم الله - تعالى - بمجيء يوم القيامة، وقسم الناس فيها إلى فريقين: أشقياء وسعداء، ووصف أحوال الفريقين وأقام الدليل على وجوده ووحدانيته وقدرته بما يشاهدونه من مخلوقات.	ما مناسبة الآيات لما قبلها؟
أمر نبيه - ﷺ - أن يذكّرهم بهذه الأدلة والبراهين وأمتاها؛ لينظروا فيها، وليبصر على معارضتهم، فإنما بعث لذلك دون غيره. ²	

ما دلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾؟

الأمر في هذه الآية مستعمل في طلب الاستمرار والدوام، وقد أمر الله رسوله - ﷺ - بدوام تذكيرهم وأنه لا يؤسسه إصرارهم على الإعراض وعدم انتفاعهم بما ألقى إليهم من المواعظ.

ما الذي أفاده النفي في قوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ﴾؟

تسلية للنبي - ﷺ - ولأن سار على نهجه أن لا تبعة عليه من عدم إصغائهم؛ إذ لم يبعث مجبراً لهم على الإيمان. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: 40]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 272]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ] [فاطر: 22-23].

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (597/1-593)

2 التفسير المنير، الزحيلي (30/213)، بتصرف

يجب أن يستحضر الداعية معنى كونه مذكراً وليس بمتسلط على الناس أو متفوق عليهم ولا يقهرهم ولا يأخذهم، وإنما يدعوهم إلى الله - تعالى - فإن الدعوة إلى الله - تعالى - ليست قهراً وإلزاماً إنما أصلها قائم على الحرية في الاختيار ثم الاختيار له عواقب إما جزاء أو حساب، ذكرت في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29].

إذا كانت الذكرى لا تنفع كل الناس فلم تقوم بما؟
الذكرى تنفع المؤمن، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَتَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55].

أما غيره فلا تنفعه في شيء ويكون ببلاغها ثلاث فوائد:
للداعية: أجر ورفعة.

للمدعو: إقامة الحجة على الضال.

للمدعو: قد تكون سبباً في هدايته، ولو بعد حين فنحن لا نعلم العواقب، فمع علم الله - ﷻ - بكفر فرعون وموته على ذلك أرسل إليه الرسل بالآيات.
احذر من معرفة الحق وعدم اتباعه كبراً على من جاء به أو عناداً، فالحق أحق أن يُسمع، حتى ولو وصل إلينا بطريقة خاطئة.

أصل المخاطبة بالإيمان لا يقوم على أساس القهر والإلزام وإنما يقوم على أساس التذكير والإفناع، وضح ذلك.

- الأكبر: بلغ الغاية في الكبر والمشقة والإهانة، وكل من تولى وكفر فإن الله يعذبه العذاب الأكبر.
- وفي هذا تحويل العذاب بعد ما جاءته التذكرة والأدلة ثم أعرض وتولى عناداً وكبراً.

ما دلالة التعبير بلفظ ﴿الْأَكْبَرِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾؟

بعد بيان عاقبة الفريقين، وإقامة الأدلة على وحدانية الله - ﷻ - وتذكيرهم بما هو أحسن، ختمت السورة بتهديدهم بتأكيد البعث والحساب من الله - ﷻ -.
فيها تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - وللداعية من بعده.

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ﴿25﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ختم السورة؟

الإياب بمعنى الرجوع ويراد به البعث، وعبرَ بالإياب تنبيهاً على إمكانه بأنه رجوع إلى الذي أنشأهم أول مرة.¹

ما دلالة التعبير بالإياب وتقديم خبر إن على اسمها في الآيتين؟

ما الفائدة التي أضافها حرف العطف لإفادة التراخي الرتي، فإن حسابهم هو الغرض من إياهم، وهو أوقع في تهديدهم على التولي. ¹

العطف «ثم» في قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)؟

- تذكر الموت والحساب.
 - المبادرة بالتوبة والطاعات.
 - الحذر من مظالم الناس والتحلل منها.
 - هوان الدنيا وتعظيم الآخرة في النفس والسعي لها.
 - مراقبة النفس ومحاسبتها باستمرار.
 - ...
- مهما طال الحياة بالإنسان واغتر بذلك، فإنه راجع إلى ربه - ﷻ -، فكيف نستعد لهذا الرجوع؟

في السورة منهج تربوي، بينه، ووضح كيف نربي أبناءنا عليه؟

- الدعوة إلى محاسبة النفس، ونزرع في نفوسهم مراقبة الله لهم في كل قول وعمل.
- الترغيب والترهيب في الآيات، نتخذه كأسلوب في التربية بالتنويع بينهما حسب الموقف.
- التذكير بيوم القيامة وأنهم مجازون على كل صغيرة وكبيرة.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر عرض سريع لها.
- من أسماء القيامة الغاشية؛ لأنها تغطي الناس بأهوالها.
- التعب في عبادة الله - ﷻ - في الدنيا سبيل للراحة الأبدية يوم القيامة.
- ترك العبادة في الدنيا تعب وكدّ وعذاب أبدي.
- بيان شدة عذاب أهل النار النفسي والجسدي، مقابل عظمة نعيم أهل الجنة النفسي والجسدي.
- من مؤلمات النفس البشرية لغو الكلام وكذبه وباطله وهو ما يُنَزُّ عنه المؤمنون أنفسهم.
- مخلوقات الله - ﷻ - المشاهدة دليل على وحدانيته وقدرته على البعث والجزاء.
- بيان أن الداعي إلى الله - تعالى - مهمته الدعوة دون هداية القلوب فإنها إلى الله - تعالى - وحده.
- قبح من عرف الحق وأعرض عنه كبيراً وعناداً وتوعددهم بالحساب.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الاستعداد لليوم الآخر بالعمل الصالح.
- الإخلاص لله -عز وجل- والاجتهاد في العبادة.
- تذكر الآخرة وما فيها من حساب وجزاء.
- الابتعاد عن مجالس اللغو في الدنيا، فهي من النعيم العاجل والدائم للمؤمن.
- النظر إلى مخلوقات الله - تعالى - نظر تفكر في خلقه المتقن الدال على خالقه.
- التزام آداب الدعوة إلى الله تعالى.

من الفوائد التربوية

- تزواج أسلوب (الترهيب والترغيب).
- منهج الاستدلال.
- غرس قيمة التفكير.
- غرس قيمة المسؤولية الفردية.
- غرس قيمة المراقبة.
- أهمية اتباع الحق حين ظهوره.
- خطورة الكبر والعناد.

رسائل

- (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) بعد هذا الوصف ألا تستحق الجنة الجد والعمل وحسن الطلب!!!
- (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ) جنة... طيبة.. لا تسمع فيها إلا طيب، فلنطيب ألسنتنا وسمعنا بذكر الله وكل قول جميل.
- (أَفَلَا يَنْظُرُونَ) التفكير طريق لمعرفة الحق. فهي للكافر سبيل للإيمان، وللمؤمن سبيل لترسيخه.
- (وَأِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) الأرض وما فيها مُسَخَّرَةٌ لك بأمر ربك... فهلاً شكرنا وأنبنا!
- (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿١١﴾ إلى الله المآب وعليه الحساب، تسليمة للمؤمن ووعيد للكافر.

089. سُورَةُ الْفَجْرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة افتتحت بأقسام عظيمة، شملت الخالق والمخلوق، افتتحت بالأمل في فجر يشرق من جديد.
تحدثت عن الطغيان وعاقبته في الدنيا والآخرة.
تحدثت عن الابتلاء بالسراء والضراء.
واختتمت بكمال الطمأنينة والرضا مع صحبة الخير والأحبة، في جنة عند رب كريم.
سورة الفجر.

تهينة:

تعريف السورة:

اسم السورة:	«سورة الفجر» ¹
نوع السورة:	مكية. ²
عدد آياتها:	تسع وعشرون آية في البصري وثلاثون في الكوفي والشامي واثنان وثلاثون في المدنيين والمكي. ³
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.
فضل السورة والآثار الواردة فيها:	لم يرد فيها فضل خاص.

المناسبة بين سورة الفجر وسورة الغاشية:⁴

- القسم الصادر في أول سورة الفجر كالدليل على صحة ما حُتِمت به سورة الغاشية من قوله - جل جلاله - : «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ».
- في سورة الغاشية حث على التفكير في خلق الله - عَجَلًا - في قوله تعالى: "أَفَلَا

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التحرير والتنوير (311/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عدد آي القرآن، (ص: 273)

4 التفسير المنير، الزحيلي (219/30)

يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ“، وفي سورة الفجر حث على التفكير في مصير الغابرين في قوله تعالى: ”أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ“، وكلها بأسلوب السؤال نفسه، وكلاهما استدلال على وحدانية الله -عز وجل- والبعث والحساب.

المناسبة بين سورة الفجر وسورة البلد:

- لما ذم سبحانه في سورة الفجر من أحب المال وأكل التراث أكلاً لهما، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر - جل وعلا - في سورة البلد الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة وإطعام في يوم ذي مسغبة.
- وكذا لما ذكر - عز وجل - النفس المطمئنة في سورة الفجر ذكر سبحانه في سورة البلد بعض ما يحصل به الاطمئنان.¹

مناسبة السورة لما بعدها:

- افتتحت سورة البلد بالحديث عن مكابدة الإنسان في الدنيا، فمن جعله كبده ونصبه في مرضاة الله - عز وجل - كان حاله الاطمئنان في الآخرة ونودي ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، ومن جعل كبده في غير مرضاة الله - عز وجل - كانت عاقبته ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، فأنت مكابد لا محالة، فاختر لنفسك العاقبة قبل السعي.

تركز على عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية في الكون وأحوال الإنسان، وبيان عاقبة المغترين.²

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (14): تقرير القيامة والاعتبار بإهلاك الأمم السابقة.
من الآية (15) إلى الآية (20): تنبيه إلى الابتلاء بالخير والشر، وتوبيخ الإنسان على الانشغال بالدنيا عن الآخرة.
من الآية (21) إلى الآية (30): مشهد الحساب وندم الكافر وطمأنينة المؤمن.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ فِيهَا الْبَلَدُ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

الآية (الآيات)

1 التفسير الموضوعي، بإشراف: مصطفى مسلم (126/9)

2 المختصر في التفسير (593/1)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله سبحانه بالفجر.
2. ﴿وَلَيْالٍ عَشْرِ﴾ وأقسم بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة.
3. ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ وأقسم بالزوج والفرد من الأشياء.
4. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَمْسِرُ﴾ وأقسم بالليل إذا جاء، واستمرّ وأدبر وجواب هذه الأقسام: لتجاوزنّ على أعمالكم.
5. ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ هل في ذلك المذكور قَسَمٌ يقنع ذا عقل؟!.
6. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل ربك بعاد قوم هود لما كذبوا رسوله!.
7. ﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قبيلة عاد المنسوبة إلى جدّها إرم ذات الطول.
8. ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ التي لم يخلق الله مثلها في البلاد.
9. ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أوم تر كيف فعل ربك بتمود قوم صالح الذين شقّوا صخور الجبال، وجعلوا منها بيوتاً بالحجر.
10. ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأُوتَادِ﴾ أوم تر كيف فعل ربك بفرعون الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس؟.
11. ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ كل هؤلاء تجاوزوا الحدّ في الجبروت والظلم، كل تجاوزه في بلده.
12. ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ فأكثروا فيها الفساد بما نشره من الكفر والمعاصي.
13. ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ فأذقهم الله عذابه الشديد، واستأصلهم من الأرض.
14. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِغٌ رِصَادٍ﴾ إن ربك - أيها الرسول - ليرصد أعمال الناس ويراقبها؛ ليجازي من أحسن بالجنتّة، ومن أساء بالنار.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرّبية والهدايات)

هدايات	الأسئلة التدرّبية
افتتح - سبحانه - السورة الكريمة بالقسم بخمسة أشياء لشرفها وعظمتها، ولفوائدها الدنيوية والدنيوية، ولدلالاتها الواضحة على كمال قدرته - تعالى -، ² فهي من دلائل بديع صنع الله وسعة قدرته فيما أوجد من نظام يظاھر بعضه بعضاً. ³	ما دلالة افتتاح السورة بالقسم بهذه الأقسام الخمسة في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (1) و﴿لَيْالٍ عَشْرِ﴾ (2) و﴿الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ (3) و﴿اللَّيْلِ إِذَا يَمْسِرُ﴾ (4)؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 594)

2 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 382)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 312)

لما في النهار من اليقظة والاستعداد لجلب المنافع وتحقيق المصالح بالانتشار في الأرض وطلب الرزق من الإنسان والحيوان،¹ ولما في إدبار الليل وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له.² كما أن فيها إشارة إلى انتشار دين الله - عز وجل - كانتشار ضوء الفجر.

ما دلالة القسم بالفجر في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾؟

الليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة،³ وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام. قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء»⁴ وفي هذا دلالة على تعظيم هذا الأيام.

ما المقصود بالليالي العشر وما دلالة القسم بها في قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾؟

رَجَّحَ بعض العلماء أن المراد بالشفع: جميع المخلوقات، وبالوتر: الله تعالى الواحد الصمد؛ للحديث: «إن الله وتر يحب الوتر»⁵، وما سواه شفع، فمن كل شيء خلق الله الزوج، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49].

ما المراد بالشفع والوتر في قوله تعالى: ﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ﴾؟

القسم بالشفع والوتر شمل كل الوجود؛ الخالق والمخلوق، ومثله القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝﴾ [الحاقة: 38-39]. ليدل على تعظيم المقسم عليه.

لماذا اختص القسم بالشفع والوتر؟

أقسم سبحانه بالليل؛ لأنه مظهر من مظاهر قدرة الله وبديع حكمته،⁶ ولما في الظلام من نفع، حيث تهدأ النفوس، وتستريح من عناء العمل، ثم في ذهابه نفع أيضاً؛ حيث يستعان بالراحة التي يرتاحها الجسم للعمل في النهار، ومجاهمة المتاعب والأعمال.⁷ قيد الليل بظرف إذا يسر؛ لأنه وقت تمكن ظلمة الليل فحينئذ يكون الناس أخذوا حظه من النوم فاستطاعوا التهجيد.⁸

ما دلالة القسم بالليل وتقييده بـ﴿إِذَا يَسِر﴾ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِر﴾؟

1 التفسير المنير، الزحيلي (223 / 30)

2 تفسير السعدي - تفسير الكرم الرحمن، السعدي (923 / 1)

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (390 / 8)

4 صحيح البخاري، برقم: (969)

5 صحيح البخاري (6410)، مسلم (2677)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (315 / 30)

7 التفسير المنير، الزحيلي (224 / 30)

8 التحرير والتنوير، ابن عاشور (319 / 16)

وفيه إشارة إلى قرب ذهابه ومجيء نور الشمس.

علام يدل تنكير (قَسَمَ) في قوله تعالى: (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ)؟

تنكير قسم للتعظيم؛ أي قسم كافٍ ومقنع للمقسم له، إذا كان عاقلاً أن يتدبر بعقله.¹

ما دلالة التعبير عن العقل بالحجر مع إضافة اللام في (لِذِي) في قوله تعالى: (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ)؟

واللام في قوله: (لِذِي حِجْرٍ) لام التعليل، أي قسم من أجل ذي عقل يمنعه من المكابرة فيعلم أن المقسم بهذا القسم صادق فيما أقسم عليه،² وسمي العقل حجراً؛ لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال.³ مما لا شك فيه أن كل ذي عقل سليم، يعلم تمام العلم، أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء حقيق أن يقسم به، لكونها أموراً جلية، خليقة بالإقسام بها لفخامة شأنها، كما أن كل ذي عقل سليم يعلم - أيضاً - أن المقسم بهذا القسم، وهو الله - عز وجل - صادق فيما أقسم عليه.⁴

قيل: جواب القسم محذوف، وتقديره: لتعذبن يا كفار مكة.

وقيل محذوف وتقديره: لنجازين كل أحد بعمله.

وقيل: هو مذكور وهو قوله: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ).⁵

وكلها يستقيم معها المعنى ولا تعارض بينها.

ما جواب القسم؟

فإن ربك لبالمرصاد، فيها تهديد لأهل مكة لمن بقي على كفره أنه سيعذب، وتتضمن معنى أن كلاً سيجازى على قدر عمله وأن الله ليس بغافل عن كفرهم وطغيانهم.

ما مناسبة الآيات لما بعدها؟

بعد أن أقسم سبحانه أنه سيعذب الكافرين جزاء كفرهم وإصرارهم على مخالفة أوامره، شرع يذكر بعض قصص الأمم السالفة ممن عاندوا الله ورسوله ولجوا في طغيانهم فأوقع بهم شديد العذاب وأخذهم أخذ العزيز الجبار؛ ليكون في ذلك زجر لهؤلاء المكذبين.⁶

علام يدل الاستفهام والرؤية في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ)؟

الاستفهام للتقرير، والرؤية: علمية، تشبيهاً للعلم اليقيني بالرؤية في الوضوح والانكشاف؛ لأن أخبار هذه الأمم كانت معلومة للمخاطبين، ويجوز أن تكون

1 التحزير والتنوير، ابن عاشور (16 / 319)

2 المرجع السابق

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8 / 394)

4 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15 / 384)

5 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15 / 385)

6 تفسير المراغي، المراغي (30 / 143)

الرؤية بصرية، لكل من شاهد آثار هؤلاء الأقبام البائدين،¹ ففيه تثبيت للنبي - ﷺ - ووعد بالنصر، وتعريض للمعاندين بالإندار بمثله،² وتطمين لقلوبهم بأن أعداءهم سيلقون ما يستحقون من الجزاء.³

ما الحكمة من التعبير بالربوبية مع إضافة ضمير المخاطب في قوله تعالى: ﴿رَبُّكَ﴾؟
لما في وصف الربوبية من الإشعار بالولاية والتأييد، ولما تؤذن به إضافته إلى ضمير المخاطب من إعزازه وتشريفه.⁴

زيادة تعريف بهم، فهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، للإشارة إلى أنهم كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشاً.⁵

ما المراد بذكر خلق قوم عاد بقوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾؟
إنهم كانوا طويلاً شداداً أقوياء، وكانوا أهل عقل وتدبير، والعرب تضرب المثل بأحلام عاد، ثم فسدت طباعهم بالترف فبطروا النعمة.⁶

علام يدل وصف ثمود بقوله تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾؟
في هذا دليل على ما أنعم الله به عليهم من القوة والعقل وحسن التدبير.⁷

ما دلالة وصف فرعون بقوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾؟
وصف ذي الأوتاد؛ لأن مملكته كانت تحتوي على الأهرام التي بناها أسلافه؛ لأن صورة الهرم على الأرض تشبه الوتد المدقوق، ويجوز أن يكون لفظ الأوتاد مستعاراً؛ للتمسك والثبات، أي ذي القوة.⁸

ما الجامع بين الأقبام الثلاثة (عاد وثمود وفرعون)؟
إن هؤلاء الأقبام استعملوا سلطانهم وقوتهم في هضم حقوق الناس، واغترتوا بعظيم قدرتهم، فكانوا سبباً في إفساد البلاد.⁹

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (385 / 15)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (317 / 30)

3 تفسير المراغي، المراغي (143 / 30)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (318 / 30)

5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (394 / 8)، بتصرف

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (319 / 30)

7 تفسير المراغي، المراغي (144 / 30)

8 التحرير والتنوير، ابن عاشور (321 / 30)

9 تفسير المراغي، المراغي (144 / 30)

فجمع هؤلاء الأقوام الثلاثة دون غيرهم القوة والجبروت، وهذا الصفة التي ذكرت لهم، فلم تغن عنهم من الله شيئاً حين نزل بهم العذاب.

لأن الطغيان يُجسِّدُ صاحبه على دحض حقوق الناس فهو قدوةٌ سوءٌ لأمثاله، فكل واحد منهم يطغى على من هو دونه، وذلك فساد عظيم، كما أنه يثير الضغائن والعداوات مما يضعف قوة الأمة وذلك يفضي إلى فساد عظيم، فلا جرم أن الطغيان سبب لكثرة الفساد.¹

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ ما دلالة اقتران الطغيان بالفساد؟

عادة ما يطغى الناس بسبب نعم الله تعالى عليهم التي من حقها الشكر، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنِطَغٍ (1) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَى (2) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْرُجْعَى (3)﴾ [العلق: 8 - 6].

إيثار الدنيا على الآخرة، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39)﴾ [النازعات: 37 - 39].
كفرهم بالبعث، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْحَقِيرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: 11].

ما سبب طغيان الناس؟

يتضح من الآيات أن أبرز أسباب الطغيان هو شعور الإنسان أنه مستغن عن ربه - عز وجل -، وعدم إيمانه بلقائه، والركون إلى الدنيا. ولذلك كلما انحرف الناس عن دين الله - عز وجل - تفشَّى الظلم والقهر والفساد في الأرض.

- الإيمان بالله - عز وجل - ومعرفته بأسمائه وصفاته.
- تذكر الحساب وعواقب الأعمال.
- محاسبة النفس.
- معرفة ضعف الإنسان وحاجته إلى ربه.
- الاعتبار بمصير الطغاة في الدنيا ووعيدهم في الآخرة.
- تدبر كتاب الله - عز وجل -.
- ...

اذكر بعض الوسائل التي تعيننا على تجنب الطغيان.

الصب: وهو الإفراغ لما في الظرف بقوة؛ للإيدان بكثرته وتتابعه،¹ وللدلالة على أن العذاب الذي أصاب هؤلاء عذاب مفاجئ قاض،² وهو كذلك بيان لعلو هذا العذاب الذي نزل عليهم من فوقهم.

ما دلالة التعبير بالصب في قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾؟

• للدلالة على أن هذا العذاب كالسوط في سرعته، وشدته وتتابعه، فهو تشبيهه بليغ.

• فيه إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به.³

ما دلالة التعبير بالسوط في الآية؟

• دلالة على أن الله - عز وجل - يرصد عمل كل إنسان، ويحصبه عليه، ويجازيه به، دون أن يخفى عليه - سبحانه - شيء في الأرض أو السماء، ويشهد له قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6]، وقال تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

• فيه تثبيت للنبي - ﷺ - بأن الله ناصره ومن اتبعه، ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51].

• فيه إثبات عدل الله تعالى وعدم ظلمه فيما أصابهم،⁴ ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: 59]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: 131].

• فيه بيان أن هذه سنة الله - عز وجل - وليست خاصة بهؤلاء، وإنما هم للذكر والاعتبار، ويشهد له قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الرُّسُلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يونس: 103-102].

ما دلالة التعقيب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾؟

• مراقبة الله تعالى في السر والعلن.

• عدم الاستهانة بشيء من العمل خيرًا أو شرًا ولو كان صغيرًا.

• الخشية من الله - عز وجل - والبعد عن معصيته.

ما أثر معرفتك برصد الله - عز وجل - للأعمال؟

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 388)
2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 322)
3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 388)
4 أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري (5/ 568)

- الحياء من الله تعالى أن يرصد ما يغضبه علينا.
- المسارعة في الطاعات والقربات لنري الله - تعالى - ما يحبه ويرضاه منا.
- محاسبة النفس قبل أن نحاسب.
- ...

تلاوة

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

15. ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ فإما الإنسان فمن طبعه أنه إذا اختبره ربه وأكرمه، وأنعم عليه بالمال والأولاد والجاه، ظن أن ذلك لكرامة له عند الله، فيقول: ربي أكرمني لاستحقاقي كرامته.
16. ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ وأما إذا اختبره وضيق عليه رزقه، فإنه يظن أن ذلك لهوانه على ربه فيقول: ربي أهانني.
17. ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ كلا، ليس الأمر كما تصور هذا الإنسان من أن النعم دليل على رضا الله عن عبده، وأن النقم دليل على هوان العبد عند ربه، بل الواقع أنكم لا تكرمون اليتيم مما أعطاكم الله من الرزق.
18. ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ولا بحث بضعكم بعضاً على إطعام الفقير الذي لا يجد ما يفتت به.
19. ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ وتأكلون حقوق الضعفاء من النساء واليتامى أكلاً شديداً دون مراعاة حليته.
20. ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ وتحبون المال كثيراً، فتبخلون بإنفاقه في سبيل الله حرصاً عليه.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

هدايات

الأسئلة التدرجية

بعد أن بين الله - تعالى - أنه برصد من أعمال بني آدم، يراقبهم ويجازيهم، عقبه بتوبيخ الإنسان على قلة اهتمامه بأمر الآخرة، وفرط تماديه في إصلاح المعاش ما مناسبة الآيات لما قبلها؟

الديوي، كأنه قيل: إن الله يؤثر الآخرة ويرغب فيها، وأما الإنسان فلا يهمله إلا الدنيا ولذاتها وشهواتها، فإذا صار في راحة قال: ربي أكرمني ورفعني، وإن فقد الراحة قال: ربي أهانني وأذلني.

وبعد بيان خطأ الإنسان في تصوره واعتقاده هذا، زجر الناس عن تقصيرهم وارتكابهم المنكرات، وتبه لما هو شرّ من ذلك، وهو أنه يكرمهم بكثرة المال، ثم لا يؤدون حق الله فيه، فلا يحسنون إلى اليتامى والمساكين، ويتناهبون الميراث دون إعطاء النساء والصبيان حقوقهم، ويحرصون على جمع المال حرصاً شديداً.¹

الفاء للتفريع مرتبطة بما قبلها.

وفيها تنبيه للإنسان الغافل المشغل بالدنيا ويتقدير خاطئ للأمور، كيف يغفل عن رصد الله - عز وجل - لأعماله!

ما دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾؟

الابتلاء: الاختبار ويكون بالخير وبالضر؛ لأنّ في كليهما اختباراً لثبات النفس وخلق الأناة والصبر، وبذكر الابتلاء ظهر أن إكرام الله إياه إكرام ابتلاء فيقع على حالين: حال مرضية وحال غير مرضية،² فدلت الآية على الحكمة الحقيقية من النعمة وهي الابتلاء والاختبار، فمن شكر الله عليها كانت له إكراماً ومن كفرها كانت له نقمة.

ما الحكمة من ذكر الابتلاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾؟

ما دلالة التصريح بإسناد

الإكرام والنعمة إلى الرب

سبحانه في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ وإصمارة حال الإقنار قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾؟

تأدياً مع الله - عز وجل - أن ينسب ما ظاهره شر إلى الله - عز وجل -، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: 10]، فنسب إرادة الرشاد لله - عز وجل -، وإرادة الشر لغير معلوم. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80]. لأن كل ما يقضيه الله - عز وجل - ويفعله خير وحكمة وإحسان.

1 التفسير المنير، الزحيلي (30/ 230)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 329)

- إن كلا التوسع والتضييق ابتلاء من الله - عز وجل - واختبار.
- إن هذا الاعتقاد يدل على ركون الإنسان لهذه الحياة الدنيا وتجاهل الأمانة التي حملها والغاية التي خلق من أجلها.
- كما يدل على غفلته عن الآخرة.
- ويدل عن فهم خاطئ لقيمة الحياة الدنيا، قال - ﷺ -: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)¹، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: 180].
- إن الأمر بيد الله - عز وجل -، يجره بحكمته سبحانه كيف شاء: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: 26].

- تبيينها لهم على أنهم إن أكرمهم الله فإنهم لم يكرموا عبيده شحاً بالنعمة إذ حرما أهل الحاجة من فضول أموالهم وإذ يستزيدون من المال ما لا يحتاجون إليه.²
- قال الألوسي: «انتقال وترقي من ذم هذا الإنسان على القبيح من القول، إلى الأقيح من الفعل، والالتفات إلى الخطاب؛ لتشديد التقرير، وتأکید التشنيع»³.

- ما دلالة التعقيب بقوله تعالى: ﴿بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾؟
- لأنه مظنة الحاجة؛ لفقد عائله، ولاستيلائهم على الأموال التي يتركها الآباء لأبنائهم الصغار، وقد كانت الأموال في الجاهلية يتداولها رؤساء العائلات، ولأنه مظنة انكسار الخاطر؛ لشعوره بفقد من يُدِلُّهُ هُوَ عَلَيْهِ.⁴
- وتبينها على الاهتمام بالضعفاء وذوي الحاجة المادية أو الجسدية أو النفسية، فالإحسان إليهم أولى. كما أن اليتيم ليس له عائل لرد الإحسان والمكافأة إليه إلا أن يكون طلباً لما عند الله - عز وجل -.

- ما دلالة التعبير بالحض في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَاضُوا عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾؟
- التعبير بالحض فيه دلالة على شدة حرصهم وقلة خيرهم، وذلك من أجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب.⁵
- نفي الحض على طعام المسكين نفي لإطعامه بطريق الأولى، وهي دلالة فحوى الخطاب، أي لقلة الاكتراث بالمساكين لا ينفعوهم ولو نفع وساطة.

1 صحیح الترمذی (2320)

2 التفسیر الوسیط، الطنطاوی (391/15)

3 التفسیر الوسیط، الطنطاوی (391/15)

4 التحریز والتنویر، ابن عاشور (332/30)

5 تفسیر السعدی - تیسیر الکریم الرحمن، السعدی، (ص: 924)

إلام يشير التعبير بصيغة الإتيان بصيغة الجمع يشير إلى أهمية التكافل الاجتماعي والعمل الجماعي، وإيجابية المسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ما الحكمة من إضافة الطعام إلى المسكين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحَاسُنْ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؟

إضافة الطعام إلى المسكين دلالة على استحقاقه هذا الطعام،¹ وإشارة إلى أنه شريك للغني في ماله بقدر الزكاة،² وأن هذا حق للمسكين في مال الغني ولا منة له في تقديمه، ويشهد له قوله تعالى: ﴿فَسَاءَ مَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لِّذَيْنَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الروم: 38)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: 24-25].

ما دلالة التعبير بالأكل وإعادته بالمصدر في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتُّفَ أَكَلًا لَّمًّا﴾؟

الأكل: مستعار للانتفاع بالشيء انتفاعاً لا يبقى منه شيئاً.³ وصف الأكل بالمصدر؛ للمبالغة، وخص الأكل بالذكر؛ لأنه يشمل معظم وجوه التصرفات المالية.⁴

الجم: الكثير، أي حباً كثيراً، وحب المال فطرة بشرية، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، أن رسول الله - ﷺ - قال: «لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».⁵ والدم خاص للحب المفرط، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: 16].

والذي يؤدي إلى جمعه من كل طريق، دون تفرقة بين ما يحل منه وما يحرم.⁶

تلاوة

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٣٥﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٣٦﴾ وَجِئْنَا بِبُيُوتِهِمْ بِجَهَنَّمَ ﴿٣٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٣٨﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٣٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٤٠﴾ وَلَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ أَحَدًا ﴿٤١﴾ يَتَأْتِيهَا الْتَفَسُّ الْمُظْمِئَةُ ﴿٤٢﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرَضِيَةً ﴿٤٣﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٤٤﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٤٥﴾﴾

الآية (الآيات)

- 1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 333)
- 2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (22/ 35)
- 3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 334)
- 4 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 390)
- 5 صحيح البخاري، 6439 (8/ 93)
- 6 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 391)، بتصرف

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

21. ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ لا ينبغي أن يكون هذا عملكم، واذكروا إذا حُرِّكَتِ الْأَرْضُ تحريكًا شديدًا ورُزِلَتْ.
22. ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وجاء ربك - أيها الرسول - للفصل بين عباده، وجاءت الملائكة مصطفين صفوفًا.
23. ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ وجيء في ذلك اليوم بمجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزونها، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما فرط في جنب الله، وأنى له أن ينفعه التذكر في ذلك اليوم؛ لأنه يوم جزاء لا يوم عمل.
24. ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يقول من شدة الندم: يا ليتني قدمت الأعمال الصالحة لحياتي الآخروية التي هي الحياة الحقيقية.
25. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ في ذلك اليوم لا يُعَذِّبُ أحد مثل عذاب الله؛ لأن عذاب الله أشد وأبقى.
26. ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾ ولا يُوثِقُ في السلاسل أحد مثل وثاقه للكافرين فيها. ولما ذكر الله جزاء الكفار ذكر جزاء المؤمنين فقال:
27. ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ﴾ وأما نفس المؤمن فيقال لها عند الموت ويوم القيامة: يا أيُّها النفس المظمئنة إلى الإيمان والعمل الصالح.
28. ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ ارجعي إلى ربك راضية عنه بما تنالين من الثواب الجزيل، مرضية عنده سبحانه بما كان لك من عمل صالح.
29. ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ فادخلي في جملة عبادي الصالحين.
30. ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ وادخلي معهم جنتي التي أعددتها لهم.¹

تدبر وتركية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	هدايات
ما مناسبة الآيات لما قبلها؟	بعد هذا الزجر والردع لهم؛ لسوء أقوالهم وأفعالهم، أخذت السورة الكريمة في زجرهم وردعهم عن طريق تذكيرهم بأهوال الآخرة. ²

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 594)

2 التفسير المنير، الزحيلي (30/ 230)

الدك هو الكسر والحطم والهدم، دكًا دكًا أي مرة بعد مرة، زلزلت فكسر بعضها بعضًا، فتكسّر كل شيء على ظهرها، فذهبت دورها وقصورها وجبالها وسائر أبنيتها حتى استوت،¹ ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿فَبَيَّمِمْزٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿[الحاقة: 14 - 15]﴾. والتكرار يدل على تحقيق وقوعه حقيقة دون مجاز ولا مبالغة،² وفيه زيادة في التهويل.

دلالة على خضوع وذل الملائكة للملك الجبار سبحانه، والتكرار يراد به الترتيب والتصنيف، أي صفًا بعد صفٍ، أو خلف صفٍ، أو صنفاً من الملائكة دون صنفاً.³ فإن كان هذا حال الملائكة غير المكلفين، فكيف بنا في هذا الموقف ونحن نتنظر الوقوف بين يدي الرحمن للحساب.

يجيء الله تعالى بعظمته وجلاله ليحاسبنا، فهل استشعرنا عظم هذا الموقف وعملنا ما يرضي الله عتًا؟! ما يرضي الله عتًا؟!!

عن عبد الله ابن مسعود، قال: قال رسول الله - ﷺ -: ”يؤتى مجهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها“.⁴ ما هذا المجيء المرعب، وهذه الشدة التي عليها جهنم حتى يجرها ملايين الملائكة مع عظمة خلقهم. اللهم أجزنا.. اللهم أجزنا.. اللهم أجزنا..

الأولى: دك الأرض، أي زلزلتها وتحريكها بشدة تحريكًا بعد تحريك، ومرة بعد مرة. الثانية: مجيء الله - عز وجل - مجيئًا يليق بجلاله واصطفاف الملائكة صفوفًا، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210]. الثالثة: بروز جهنم وانكشافها وظهورها للناس بعد احتجاجها عنهم. كما قال تعالى: ﴿وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَايِبِينَ﴾ [الشعراء: 91]، وقال أيضًا: ﴿وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: 36].

1 أحكام القرآن الكريم، القرطبي (20/54)
2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/336)
3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (337/30)
4 صحيح مسلم (2842)

ما الحكمة من تكرار يومئذ في قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى؟﴾¹ فاته الأوان. فقد انقضت أيام العمل، واليوم يوم دفع الثمن.

• تذكره ما جاءت به الرسل وتكذيبه لهم.
• تذكره لظلمه لنفسه بالكفر والمعاصي.
• تذكره لظلمه لغيره واعتدائه على الحقوق، خاصة حقوق الضعفاء.
• تذكره ما سَوَّفَ وَأَحْرَ من الأعمال الصالحة حتى مات عنها ولم يقم بها.
• تذكره لتسويفه التوبة حتى مات وهو مصر على المعاصي.
• تذكره لأكله المال وأخذه من حلاله وحرامه ثم تركه لورثته ينتفعون به وبجاسب هو عليه.
• تذكره لركونه للدنيا وعدم استعداده لهذا اللقاء.
• تذكره لإعراضه عن التذكرة في الدنيا.
﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾: فهل ينفعه هذا التذکر اليوم؟!؟

ما دلالة التعبير بقوله ﴿الْحَيَاتِي﴾ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ حَيَاتِي﴾؟
دلالة على أن الحياة التي ينبغي السعي لها وكما لها وتتميم لذاتها، هي حياة دار القرار،² قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَأَكْثَرُ نَفْسًا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64]، فكيف نقدم اللهو واللعب على الحياة الأبدية؟
فيزداد ألم الحسرة على ألم العذاب، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان: 27 - 28].

علام يعود ضمير عذابه ووثاقه، وما دلالته في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾؟
ضمير عذابه ووثاقه للكافر، فيه دلالة على أن الله - تعالى - لا يكِلُ عذاب الكفار يومئذ إلى أحد، وأن عذابه ووثاقه من الشدة في حيز لم يعذب قط أحد بمثله في الدنيا، وفي هذا ترهيب من الكفر والعصيان وعاقبته.³

1 تفسير العنيمين، جزء عم (202)

2 تفسير السعدي = تفسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 924)

3 التفسير الوسيط، الرجيلي (3/2876)، بتصرف

- الانشغال بالدنيا.
- كثرة الملذات والملهيات.
- الانشغال بوسائل التواصل الاجتماعي.
- الفراغ.
- أصحاب السوء.
- البعد عن تدبر كتاب الله - عز وجل -.
- قلة الزاد من العلم الشرعي.
- الجهل بالله - عز وجل -.
- الجهل بوصف النار وعذابها والجنة ونعيمها.
- طول الأمل وعدم ذكر الموت.
- ضعف الهمة في طلب الجنة.
- ...

ما أسباب غفلة المسلم
عن الدار الآخرة؟ وكيف
نعالجها؟

العلاج:

- العلم بالله - عز وجل - وآثار معرفته.
- الحديث عن الدنيا وهوائها.
- مجالس قصيرة للحديث عن وصف النار وعذابها والجنة ونعيمها.
- مجالس قصيرة في تدبر القرآن الكريم.
- التخطيط اليومي لإشغال وقت الفراغ.
- البحث عن صحبة سالحة.
- تذكر الموت وقصر الأمل.
- ...

النفس المطمئنة هي الموقنة بالإيمان والحق وتوحيد الله، التي لا يخالجهما شك في صدق عقيدتها، وقد رَضِيَتْ بقضاء الله وقدره، ووقفت عند حدود الشرع، فتجيء يوم القيامة مطمئنة بذكر الله، ثابتة لا تنزعزع، آمنة مؤمنة غير خائفة.¹ فتظهر هذه النفس المطمئنة في مقابلة هذه النفس المتحسرة على عدم إيمانها وتقديمها للأعمال الصالحة. فاخترت لنفسك العاقبة قبل العمل. وتبدأ الحسرة أو الاطمئنان من حين انقطاع العبد عن الدنيا وإقباله على الآخرة، ويشهد له حديث البراء بن عازب في حال الإنسان إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، قال: قال رسول الله - ﷺ -: قال: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، تَرَلَّ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، يَبْضُ الْوُجُوهَ،

ما دلالة وصف النفس
بالمطمئنة في قوله تعالى: ﴿يَا
أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾؟

كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَرٌ مِّنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَخُنُوطٌ مِّنْ خُنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ - وَفِي رِوَايَةٍ: الْمُطْمَئِنَّةُ - اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنَ فِي السَّمَاءِ (فِي مَقَابِلِ الْكَافِرِ، قَالَ: ((وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ - وَفِي رِوَايَةٍ: الْفَاجِرَ - إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مَنَازِلِهَا، وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، تَزَلُّ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ، سُودٌ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمَسُوحُ مِنَ النَّارِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَعَظَابٍ، قَالَ: فَتَفْرُقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَرِعُهَا كَمَا يُنْتَرِعُ السَّفُودُ الْكَثِيرُ الشُّعْبِ مِنَ الصُّوفِ الْمَيْتُولِ، فَتَقْطَعُ مَعَهَا الْعُرُوقَ وَالْعَصَبَ، فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَتُعَلَّقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهَمَّ يَدْعُونَ اللَّهَ أَلَّا تَعْرِجَ رُوحُهُ مِنْ قَبْلِهِمْ)).¹

فَشَتَّانَ بَيْنَ الْعَاقِبَتَيْنِ، نَعِيمٌ أَبَدِيٌّ أَوْ عَذَابٌ سَرْمَدِيٌّ.

ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ لِلنَّفْسِ:

النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يُوسُف: 53]، وَهِيَ النَّفْسُ الَّتِي تَأْمُرُ صَاحِبِهَا بِالْمَعَاصِي وَالْإِثْمِ وَاتِّبَاعِ الدَّوَاعِ الْغَرِيزِيَّةِ وَالرَّغْبَاتِ الْجَسَدِيَّةِ، وَجَاءَتْ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي كَلِمَةِ (أَمَّارَةٌ)؛ لِإِيَّانِ كَثْرَةِ أَمْرِهَا بِذَلِكَ لِمَلِيهَا لِلشَّهَوَاتِ وَرُكُوعِهَا إِلَى ذَلِكَ.

وَهَذَا حَالُ الْفَاجِرِ الَّذِي رُكِنَ إِلَى نَفْسِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهَا وَرَغْبَاتِهَا، وَيُضْيِ قَدَمًا لَا يُعَاتِبُهَا.

مَا أَنْوَاعُ الْأَنْفُسِ الَّتِي ذَكَرَهَا
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؟

النَّفْسُ اللَّوَامَةُ:

هِيَ الَّتِي أَقْسَمَ بِهَا اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالتُّفَيْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [الْقِيَامَةِ: 2]، فَهِيَ نَفْسٌ مَتَيْقِظَةٌ تَقِيَّةٌ خَائِفَةٌ مَتَوَجِّسَةٌ، تَنْدَمُ بَعْدَ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ فَتَلُومُ نَفْسَهَا وَتَحَاسِبُهَا، وَهَذِهِ حَالُ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ الْيَقِظِ، الَّذِي يَتَّبِعُهُ بَعْدَ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَيُبَادِرُ بِالنَّدَمِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

وَهَذِهِ كَرِيمَةٌ عَلَى اللَّهِ؛ لِذَلِكَ أَقْسَمَ بِهَا فِي الْقُرْآنِ، قَالَ عَنْهَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ؛ مَا أَرَدْتُ بِكَلِمَتِي؟ مَا أَرَدْتُ بِكَلِمَتِي؟ مَا أَرَدْتُ بِمَحْدِيثِي نَفْسِي؟ وَلَا أَرَاهُ إِلَّا يُعَاتِبُهَا، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يُضْيِ قَدَمًا لَا يُعَاتِبُ نَفْسَهُ»².

1 صحیح الترغیب 3558، أخرجه أبو داود (4753)، وأحمد (18558)، باختلاف يسير، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549) مختصراً
2 الدر المنثور في التفسير بالمأثور (343/8)

النفس المطمئنة:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٣٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٣٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي ﴿٣٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٤٠﴾﴾ [الفجر: 27 - 30]، هي التي اطمأنت إلى بارئها، وإلى دينه، رضيت بقدره وحكمه، ومنعه وعطائه، فوفقت عند حدوده واتبعت شرعه، هذه النفس التي لا تشعر باضطراب وقلق، فازت بالطمأنينة والسكينة والرضا والسعادة في الدنيا، فتجيء يوم القيامة مطمئنة بذكر الله، ثابتة لا تتزعزع، آمنة مؤمنة غير خائفة.

والمؤمن يتقلب في أحوال النفس الثلاث، فتأمره نفسه بالمعصية وترغبه فيها، فإن أطاعها تلقفته نفسه باللوم والندم، فيبادر بالتوبة والاستغفار، فتطمئن نفسه إلى رحمة الله - ﷻ - وفضله.

ما دلالة التعبير بلفظ الربوبية

مع إضافة كاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾؟ فيه تشريف واختصاص وكمال الإحسان لأوليائه، فهو الذي رباهم بنعمته، وأسدى إليهم من إحسانه ما صاروا به من أوليائه وأحبابه.¹

ما دلالة وصف النفس

المطمئنة بأنها راضية مرضية عنه من الهبات والعطايا فوق ما رضي به هو.²

ما دلالة النعيم بالدخول في

عباد الله الصالحين في قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾؟ وفيها إشارة إلى أهمية الصحبة الصالحة الناصحة، فالمرء مع من أحب يوم القيامة، عن أنس، أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله، متى الساعة قائمة؟ قال: «ويلك، وما أعددت لها» قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: «إنك مع من أحببت» فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: «نعم»،³ وقال تعالى: ﴿وَسَيَقُ الَّلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْحُجَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: 73]، وقال تعالى: ﴿وَسَيَقُ الَّلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: 71]، فاختر لنفسك الفريق الذي تدخل فيه وتدخل معه.

1 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 924)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/343)

3 ليدبروا آياته (661)

4 صحيح البخاري، 6167 (8/39)

- الصحبة في الله - عز وجل - لا لمصلحة دنيوية زائلة.
- الرفقة الصالحة هي التي تعين العبد على الطاعة.
- وتحجّزه عن ظلم نفسه وظلم الآخرين، عن أنس - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرايت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «تحجّزه، أو تمنعه، من الظلم فإن ذلك نصره»¹.
- الصحبة الصالحة لا تجامل، وتوصي بالحق أيًا كان.
- الصحبة الصالحة تذكّر بالله - عز وجل -.
- الصحبة الصالحة تعين على نواائب الدهر.
- الصحبة الصالحة تعين على الصبر.
- الصحبة الصالحة إذا رأيتهم ذكروك بالله واستحييت من المعصية.
- فمن ظفر بها ظفر بخير عظيم.

ما شروط الصحبة الصالحة حتى تكون نعيمًا في الدنيا؟

ما دلالة تكرار فعل الدخول في قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (29) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (30)؟

دلالة على شرفها وعناية الله بها، وهذا يوجب للإنسان أن يرغب فيها غاية الرغبة، كما أنه يرغب في بيوت الله (المساجد)؛ لأن الله أضافها إلى نفسه، فكذاك يرغب في هذه الدار التي أضافها الله إلى نفسه.³

ما دلالة إضافة الجنة إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾؟

عادة القرآن الكريم الجمع بين أسلوب الترهيب والترغيب. ختم الله تعالى هذه السورة بما يبهج القلب ويشرح الصدر مناسبًا لافتتاح السورة بالقسم بالفجر.

ما دلالة ختم السورة بالحديث عن النفس المطمئنة؟

- قيمة الوقت.
- الرضا بقضاء الله عز وجل.
- الطمأنينة وراحة البال.
- عدم الركون إلى الدنيا والتفكير في تغيير الأحوال والحكمة منها.
- التهيؤ للدار الآخرة.

1 صحيح البخاري، 6952 (9/22)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/344)

3 تفسير العثيمين، جزء عم، ابن عثيمين (208)

- تعالج قضية الطغيان والتكبر على الناس بضرب الأمثال من الأمم السابقة.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تعظيم وقت الفجر، وتعظيم الأيام العشر من ذي الحجة.
- قد تكون النعمة سبباً للطغيان.
- الله - تعالى - يرصد أعمال العباد ليجازيهم عليها.
- بيان سنة الله - تعالى - في ابتلاء العباد في هذه الحياة بالخير والشر والغنى والفقر وطبيعة الإنسان في حبه الشديد للمال.
- كثرة النعم على عبد ليست دليلاً على إكرام الله له، ولا الفقر وضيق العيش دليلاً على إهانته.
- شدة حسرة المفرطين طاعة الله - تعالى - وطاعة رسوله يوم القيامة.
- النفس المطمئنة لها البشارة بالأمن من الخوف والحزن، والكرامة بنيل رضا الله وحنته.
- الحياة الحقيقية تبدأ لحظة مفارقة الدنيا، فلنقدم الزاد قبل المعاد.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- أخذ العبرة والتفكر في مآل ومصير الأمم المكذبة التي أهلكها الله تعالى.
- مراقبة الله تعالى.
- العناية بالضعفاء وإعطاؤهم حقوقهم والحذر من التعدي عليهم.
- استثمار الوقت في العمل الصالح.
- محاسبة النفس وعدم الاستهانة بصغائر الذنوب ولا كبارها.

من الفوائد التربوية

- أسلوب القصة.
- أسلوب الترغيب والترهيب.
- قيمة المراقبة.
- قيمة التفكير والاعتبار والاتعاظ.

رسائل

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ كم من مُكْرِمٍ مُنْعَمٍ وهو في الحقيقة مبتلى .
 ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ هي الحياة الحقيقية التي تستحق العمل من أجلها، فلنستعد وندخر لها .
 ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ﴾ أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿﴾ إن قيل ذلك للإنسان عند موته وعند قيامه من قبره فذلك والله هو الفوز الحقيقي، فلنبادر لنكون منهم قبل فوات الأوان .

090. سُورَةُ الْبَلَدِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

لا يبرح الإنسان يعاني في هذه الحياة من المتاعب والشدائد والمصائب حتى يرحل إلى الدار الآخرة، ويستقر فيها إما في الجنة حيث النعيم الأبدى، وإما في النار حيث العذاب والنكال والجحيم.

سورتنا اليوم تحدثنا عن سنة من سنن الله ألا وهي سنة الابتلاء، أقسم فيها الله - تعالى - بأنه خلق الإنسان في مشقة وتعَب، فمن رضي واطمأن بحكمه فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

تهينة:

آياتنا اليوم توضح لنا طريق النجاة ففيها الدواء والعلاج، من اتبعه فاز، ومن تولى فقد خسر الدنيا والآخرة. سورة أقسم الله - ﷻ - فيه بأشرف بقاع الدنيا وحلول أشرف بني آدم فيها. سورتنا هي سورة البلد.

تعريف السورة

اسم السورة:	تسمى «سورة لا أقسم»، و«سورة البلد»، و«سورة لا أقسم بهذا البلد». ¹
نوع السورة:	مكية. ²
عدد آياتها:	عشرون آية في جميع العَدِّ ليس فيها اختلاف. ³
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.
فضل السورة والآثار الواردة فيها:	لم يرد فيه فضل خاص.

المناسبة بين سورة البلد وسورة الفجر:

مناسبة السورة لما قبلها: • ذم سبحانه في (سورة الفجر) من أحب المال وأكل التراب ولم يحضّ على طعام المسكين، وذكر في سورة البلد الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة،

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 345)

2 السابق

3 البيان في عد آي القرآن، (ص: 274)

والإطعام في يوم المسغبة.

- ذكر في سورة الفجر حال النفس مطمئنة، وذكر هنا بعض ما يحصل به الاطمئنان.¹
- افتتحت سورة البلد بالحديث عن مكابدة الإنسان في الدنيا، فمن جعله كده ونصبه في مرضاة الله - ﷻ - كان حاله الاطمئنان في الآخرة وتؤدي ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، ومن جعل كبده في غير مرضاة الله - ﷻ - كانت عاقبته ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، فأنت مكابد لا محالة، فاختر لنفسك العاقبة قبل السعي.

المناسبة بين سورة البلد وسورة الشمس:

ترتبط السورة بما قبلها من وجهين:

- في كلتا السورتين بيان لإلهام الله - ﷻ - للإنسان الهداية؛ إذ جعله يدرك الخير من الشر، فقال في سورة البلد: ﴿وَهَدَيْتَاهُ التَّجْدِيدِينَ﴾ وقال في سورة الشمس: ﴿قَالَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.
- ختم الله سبحانه سورة البلد بتعريف أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، ثم أوضح المراد من الفريقين في سورة الشمس بعمل كل منهما؛ حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿٥﴾.

مناسبة السورة لما بعدها:

تركز على الإنسان، بين كبد الكفر والعذاب، وبين الصعود إلى سلم الرحمة والإيمان في الدارين.²

مقصد السورة:

- من الآية (1) إلى الآية (4): سنة ابتلاء الإنسان بالشدائد.
- من الآية (5) إلى الآية (7): اغترار الإنسان بنعم الله عليه، وغفلته عن الآخرة.
- من الآية (8) إلى الآية (10): التفكير في وسائل إدراك الإنسان، وهدايته النجدين.
- من الآية (11) إلى الآية (20): سبيل الفلاح وجزاؤه، وسبيل الخسران وحسابه.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾

الآية (الآيات)

1 التفسير الموضوعي، إشراف مصطفى مسلم (126/9)، بتصرف

2 المختصر في التفسير (594)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أقسم الله بالبلد الحرام وهو مكة المكرمة.
2. ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وأنت - أيها الرسول - حلال لك ما تصنع فيها؛ من قتل من يستحق القتل، وأسّر من يستحق الأسر.
3. ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ وأقسم الله بوالد البشر، وأقسم بما تناسل منه من الولد.
4. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة؛ لما يعانيه من الشدائد في الدنيا.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	هدايات
ما دلالة افتتاح السورة بالقسم الطويل؟	ابتدئت هنا بالقسم؛ تشويقاً لما يرد بعده، وأطيلت جملة القسم؛ زيادة في التشويق. ²
ما مناسبة إضافة «لا» في قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾؟	(لا) للاستفتاح وليست نافية؛ لأن المراد إثبات القسم، فهي هنا للتنبية والتأكيد. ³
علام يدل اسم الإشارة (هذا) في الآية؟	للإشارة إلى حاضر - قريب - في أذهان السامعين كأنهم يرونه؛ لأن رؤيته متكررة لهم وهي مكة المكرمة، وفيه تمييز المقسم به أكمل تمييز لقصد التنويه به. ⁴
ما دلالة تخصيص مكة المكرمة في هذا القسم؟	أقسم الله بمكة المكرمة لشرفها وعظمتها، فهي أعظم بقاع الأرض حرمة، وأحب بقاع الأرض إلى الله - ﷻ -، وبعث منها سيد البشر - صلوات الله وسلامه عليه - ⁵ .
ما دلالة القسم في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾؟	<ul style="list-style-type: none"> • تأكيداً لشرف مكة؛ إذ هي - أولاً - فيها بيت الله وهو شرف عظيم، ثم فيها رسول الله - ﷺ - حال فيها بين أهلها.⁶ • تأكيداً لحرمة مكة وحرمة من يجلب بها، وتوبييخاً للكفار الذين آذوا رسول الله

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 594)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 346)

3 تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، جزء عم، (ص: 210)، بتصرف

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 346)، بتصرف

5 تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، جزء عم، (ص: 210)

6 أعضاء البيان، الشقيطي (8/ 350)

والمؤمنين في بلد الله الحرام،¹ الذي كان حقه تأمين من يدخله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: 96 - 97].

• بشارة للنبي - ﷺ - بأن الله - تعالى - سينصره على مشركي قريش، ويمكنه من رقايمهم، وقد أنجز له - سبحانه - ذلك يوم الفتح الأكبر،² وأنها ستكون حلالاً له مدّة، ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، عن النبي - ﷺ - قال: "حَرَّمَ اللَّهُ مَكَةَ فَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَحَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، لَا يَحْتَلِي خَلَاهَا وَلَا يَعْضُدُ شَجْرَهَا، وَلَا يَنْفِرُ صَيْدَهَا، وَلَا تَلْتَقِطُ لِقَطْعَتِهَا إِلَّا لِمَعْرِفٍ"³.

علام يدل تكرار لفظ البلد في القسم الثاني؟

تكرير لفظ «بهذا البلد» إظهار في مقام الإضمار؛ لقصد تجديد التعجب، ولقصد تأكيد فتح ذلك البلد العزيز عليه والشديد على المشركين أن يخرج عن حوزتهم.⁴

• تعظيمه في النفوس، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32].

• حبه وحب زيارته وشد الرحال إليه، قال - ﷺ -: "وَلَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى"⁵.

• الدفاع عنه والذود عن حرمة.

• الحرص على أداء مناسك الحج وإتباع العمرة إلى العمرة، قال - ﷺ -: "الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَيْمُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"⁶.

• التأدب داخله بأداب المساجد، وترك الانشغال بالتصوير والحديث ونحوه.

• الحرص على اجتناب المعصية وخاصة في الحرم، قال ابن رجب: «وكان جماعة من الصحابة يتقون سكنى الحرم خشية ارتكاب الذنوب» وقال: «روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لأن أخطئ سبعين خطيئة - يعني بغير مكة - أحب إلي من أن أخطئ واحدة بمكة»⁷.

• ...

ما واجبنا تجاه بيت الله الحرام؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/346)، بتصرف
2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/399)
3 صحيح البخاري (2/92)
4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/349)
5 صحيح البخاري (1864)
6 صحيح البخاري (1773)
7 جامع العلوم والحكم، ابن رجب (2/318)

- قيل: إنه قسم على «أبو البشر» وذريته، وفيها بيان أن الناس خلقوا من رجل واحد وهو آدم - عليه السلام -، ففيها تعريض للمشركين بأذاهم للنبي - ﷺ - والصحابة - رضوان الله عليهم -، خاصة الضعفاء منهم.
- وقيل: إنه قسم عام في كل والد وولده،¹ وهذا دليل على كمال قدرة الله - ﷻ - كيف يخرج هذا المولود حيًّا سويًّا سمعًا بصيرًا من نطفة من ماء.²
- فيه تعريض بتنبية المشركين من ذرية إبراهيم بأنهم حادوا عن طريقة أبيهم والتوحيد والإصلاح والدعوة إلى الحق وعمارة المسجد الحرام.³

ما الأقوال الواردة في القسم في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾؟ ما دلالتها؟

عدل عن (من)؛ لأن (ما) أشد إجمالًا، فأريد تفخيم أصحاب هذه الصلة،⁴ ولتشمل كل والد وكل مولود، عاقلًا أو غير عاقل.

ما الفائدة من استعمال الاسم الموصول (ما) في الآية؟

لما أقسم الله - تعالى - بأبى القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالسكن وهو آدم أبو البشر وولده.⁵ ومن اللطائف أن القسم شمل الأم والأب، أم القرى وأبو البشر.

ما المناسبة بين القسم بمكة المكرمة والقسم بالوالد وما ولد؟

لما جاء القسم بمكة وهي منطلق الرسالة الخاتمة، وبالإنسان المقصود بهذه الرسالة، ناسب أن يكون المقسم عليه هو خلق الإنسان في ابتلاء وامتحان دائمين، وهو مضمون هذه الرسالة الذي يلخصه التكليف.

ما مناسبة جواب القسم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ للقسم؟

دلّت "في" على أن الإنسان منغمس في التعب والنصب منذ تخلقه في بطن أمه إلى وفاته بانقضاء عمره، ثم يكابد شدائد الآخرة. فحياة الإنسان مراحل، من الجنين إلى الطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، لمن أطال الله في عمره، وكل فترة لها تعبها ونصبها، ولا يهنأ حتى يضع قدميه في الجنة.

ما دلالة حرف «في» الظرفية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾؟

1 جامع الأحكام، القرطبي (61/20)

2 تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، جزء عم، (ص: 210)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/349)

4 التحرير والتنوير (30/349)

5 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/392)

مع علم الإنسان ومشاهدته لحاله وحال كل من حوله أن حياة الإنسان في مكابدة ومشقة للحياة منذ الخلق حتى الممات، ولكنه كثيرًا ما يغفل عن ذلك ويهيناً للدين وملذاتاً المكدره.

ففي القسم والمؤكدات تنبيه للإنسان من غفلته، ومن سحر الدنيا له. ويتفكر في حاله، فلا توجد نعمة كاملة، ولا بد أن يصاحبها كدر.

فصاحب المال يبحث عن مشروعات لاستثمارها، ويتابع أرباحها وخسائرهما، ويخشى ضياعها وسرقتها، ويضيع وقته في عدّها، وقد ينافقه الناس من أجلها وطمعاً فيها.

وفاقد المال يتعبه ضنك العيش والبحث عنه.

وصاحب الذرية تؤرقه تربية أبنائه وصلاحيهم والعناية بهم وتوفير ما يلزمهم، وفاقدها يتمنى الولد.

وهكذا بقية النعم.

وهذا من حكمة الله -عز وجل-:

• حتى لا نركن إلى الدنيا، وننسى أننا في امتحان، وأنها مرحلة السعي والكّد وليس مرحلة الراحة والركون.

• حتى نتشوق للنعيم الكامل الذي لا كدر فيه ولا حزن في جنة الخلد.

• حتى نشعر بضعف الإنسان وحاجته إلى ربه فنناجيه.

• حتى يعيننا معرفة ذلك على الصبر والرضا بالحال، فالكدر مقسوم لكل الناس، كل في مجاله.

• حتى تحون علينا الدنيا بما فيها ونقدمها رخيصة لرضا رب العالمين.

• حتى نعلم أننا خلقنا لوظيفة، وما خلقتنا عبثاً، وأنها ليست دار القرار، وأنه لا بدّ بعد التعب راحة لمن أحسن في دار الكدر.

معرفة حتمية التعب والنصب للإنسان يهون على المؤمن ما يلاقه من أذى في دينه، فمن عرف طبيعة الحياة وأن لا سعادة كاملة بما:

• هان عليه كل تعب، وقلّ قلقه، وخفّت آلامه.

• علم أن لو لم يكن هذا الأذى لكان في كدر غيره، فلو لم يؤذى في دينه لكان في ابتلاء آخر؛ لأنها ليست دار راحة وقرار، فيرى ما به من الشدة نعمة، فيصبر ويرضى بقدر الله -عز وجل- حتى ينتهي هذا الأذى، وينال الأجر العظيم.

• علم أن من آذاه كذلك في كدر ومشقة وإن لم تظهر عليه، ويكفي من المشقة أنه في ضنك وضيق، وهذا حال كل الظالمين.

وما دلالة تأكيد الخبر
بالقسم واللام وقد في قوله
تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
فِي كِبَدٍ﴾ مع أنه لا يتوقع
إنكاره؛ لأنه من المشاهد في
حياة الإنسان؟

في هذه الآية تسليّة للمؤمن
لما يلاقه من الأذى في دينه،
وضح ذلك.

المؤمن راض بقضاء الله وقدره، صابر على ما يتعرض له من ابتلاء وشدة، ويعلم أنه خير له وإن كان ظاهره شر، كما يخفف عنه ما هو فيه علمه بأجر الصبر عليه وأنه لكل تعب نهاية، وأن الدنيا قصيرة كلها، وينتقل إلى دار السعادة والنعيم الأبدية. أما الكافر فيزيد من تبعه تعلقه بالدنيا وملذاتها وخوف فواتها، مع ما عليه من ضيق وذنك بسبب كفره.

هل يستوي حال المؤمن
والكافر تجاه المشقة والكبد؟

- توطين النفس على الصبر والرضا.
- الاطمئنان إلى حكمة الله في تدبير الأمور وراحة البال.
- الجهد في العمل للآخرة.
- السعي إلى دفع المشقة والكبد بالوسائل المشروعة المادية منها والشرعية.
- السعي إلى الحصول على الراحة والنعيم الأبدية بالفوز بالجنة.
- هوان الدنيا والتعلق بالآخرة.
- عدم الاغترار بنعم الدنيا.
- تهوين شأن المصائب والابتلاءات.
- التواضع ونبد الكبر والخيلاء.
- الاستعانة بالله والالتجاء إليه والتضرع إليه ومناجاته والفرار إليه.
- ...

ما أثر معرفتي بلزوم الكبد
للإنسان في حياته؟

تلاوة

﴿أَجْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيَّ أَحَدٌ ۖ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا ۗ أَجْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۗ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

5. ﴿أَجْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيَّ أَحَدٌ﴾ أيظنّ الإنسان أنّه إذا اقترف المعاصي لا يقدر عليه أحد، ولا ينتقم منه، ولو كان ربه الذي خلقه؟!
6. ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا﴾ يقول: أنفقت ما لا كثيرًا متراكمًا بعضه فوق بعض.
7. ﴿أَجْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أيظنّ هذا المتباهي بما ينفقه أن الله لا يراه؟! وأنه لا يحاسبه في ماله؛ من أين اكتسبه؟ وفيه أنفقه؟!

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

هدايات	الأسئلة التدرجية
هذا المقطع فيه توبيخ للإنسان على طغيانه وتكبره، وهو الضعيف الذي لا يملك دفع الكبد عنه.	ما مناسبة هذا المقطع لما قبله؟
توبيخ للإنسان الذي يرى في نفسه القوة والقدرة، فيظن أن لن يقدر عليه أحد، فكيف يغفل عن قدرة الله -ﷻ- من لا يستطيع دفع ضرر عنه ولا جلب نفع إلا بإذن الله -ﷻ-.	ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَخْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؟
أعقبت مساوئ نفسه بمذام أقواله، وهو التفاخر الكاذب والتمدح بإتلاف المال في غير صلاح، وقد كان أهل الجاهلية يتبححون بإتلاف المال ويعدونه منقبة؛ لإيدانه بقلة اكتراث صاحبه به. ¹ كما أعقب الكبر الإسراف والتفاخر فلا هو أحسن في حق الله -ﷻ- ولا أحسن في حق الناس.	ما مناسبة التعبير «يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا» لما قبلها؟
سمى الله - تعالى - الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا؛ لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلّة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف ما أنفق. ²	ما مناسبة التعبير بالإهلاك في قوله تعالى: «يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا»؟
البلدة: هو ما تلبد من صوف أو شعر؛ أي تجمع والتصق ببعضه ببعض، وعبر بالبلد؛ للدلالة على المال الكثير الذي تلبّد والتصق بعضه ببعض لكثرتة. ³ وهذا يدل على ركونه لماله والتفاخر بكثرتة وطغيانه به.	ما دلالة التعبير بـ(لُبَدًا) في الآية؟
طغى قارون بماله فخسف به وبما كسب، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّن قَوْمٍ مِّنْهُ قُوَّةٌ وَأَكْثَرٌ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 78]. طغى صاحب الجنتين بمهما فأحيط بشمرها وما ناله إلا الندم، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۖ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ	اذكر شواهد القرآن على نماذج من غطرسة الإنسان واغتراره بما عنده.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 352)

2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 403)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 403)

يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتُ بِأَلَدِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّيْتُكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾
[الكهف: 35-37].

والنماذج من الحياة كثيرة، ولو نظرنا إلى مَنْ حولنا لرأينا العديد من هؤلاء.

- تشويق النفس للأجر العظيم في الدنيا وفي الدار الآخرة.
- تذكُّر أن المال لله، وأن الإنسان مستخلف فيه.
- تذكُّر أن الإنفاق سبيل لنمائه وطهارته.
- تذكُّر أن بالشكر تزيد النعم، والكفران يحققها.
- تذكُّر الموت والحساب وأن المال مما يسأل عنه العبد مرتين، من أين جاء به، وفيه أنفق.
- معرفة أن الصدقة تدفع البلاء.
- معرفة أن حق الفقير في مال الغني، فالإنفاق ليس منة من المنفق.
- تذكُّر الدار الآخرة.

اذكر بعض الوسائل التي تُرغِب في الإنفاق في سبيل الله.

دَلَّ عَلَى أَنْ سَبَبَ طَعْيَانَهُ هُوَ غَفْلَتُهُ عَنِ مِرَاقِبَةِ اللَّهِ -عَبَّك- له وعن الشهود على أعماله، ومنها الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۗ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۗ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ نُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۗ ﴿٢٥﴾﴾ [الزلزلة: 2 - 4].
والملائكة الكتبة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۗ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۗ ﴿١٠﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۗ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: 10 - 12].
وجوارحه التي تشهد عليه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24].

ما مناسبة التعقيب بمراقبة الله للإنسان في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ؟﴾

في الاستفهام توبيخ لهذا المغرور إثر توبيخ، وتجهيل في أعقاب تجهيل؛ لغفلته عن مراقبة الله له.

ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ؟﴾

• غرس حب الله -عَبَّك- وحب مراقبته بل والشعور بالحاجة إليها، وهذا أَدْعَى لاستحضارها في كل وقت:

- تذكيرهم بمعية الله -عَبَّك- لهم، يمثل هذه العبارات: لا تخف إنَّ الله معك، أنت لست وحدك الله معك، ونحوها.
- تذكيرهم بحفظ الله -عَبَّك- لهم، يمثل هذه العبارات: الله حافظك، إذا أويت إلى فراشك وقرأت آية الكرسي فلا يزال عليك من الله

كيف نغرس في أبنائنا قيمة مراقبة الله -عَبَّك-؟

- حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح،¹ وغيرها من العبارات التي تقوّي استشعار حفظ الله للعبد.
- تذكيرهم بأن الله يرى عملهم الصالح ويشكره لهم بالأجر العظيم.
 - تذكيرهم بأن الله يراهم حين ظلموا ويدافع عنهم.
 - تعريفهم بالله -عَلَيْكَ-، وسعة علمه بالظواهر والبواطن.
 - تذكيرهم برؤية الله -عَلَيْكَ- لهم، فلا تجعله يراك وأنت على ما لا يُحِب.
 - قراءة قصص ونماذج عن استشعار مراقبة الله -عَلَيْكَ- مثل قصة عمر - رضي الله عنه - مع بائعة اللبن، وابن عمر - رضي الله عنهما - مع الراعي.
 - غرس قيمة الحياء من الله -عَلَيْكَ-.
 - غرس قيمة شكر الله -عَلَيْكَ-، فلا ينعم عليك بنعمة ثم تعصيه بها.
 - توجيههم إلى المبادرة بالتوبة من المعصية وعدم التسويف.
 - ...

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٥﴾ وَلِسَانًا وَشَفْتَيْنِ ﴿٦﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٧﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

8. ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟!
9. ﴿وَلِسَانًا وَشَفْتَيْنِ﴾ ولساناً وشفنتين يتحدث بها؟!
10. ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ وعرفناه طريق الخير، وطريق الباطل؟!²

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

هدايات

الأسئلة التدرجية

بعد توبيخ الإنسان وذمه على طبائع غريبة وعجيبة، أقام الله - تعالى - الدليل على كمال قدرته بخلق العين واللسان والشفنتين والعقل المميز بين الخير والشر، ومنحه الخيار للإنسان؛ ليثبت ذاتيته، ويتحرر من عبودية أهوائه وشهوته، ويعرف

1 انظر حديث أبي هريرة في حراسته للركاة، صحيح البخاري، 2311

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 594)

البشر أنه - تعالى - مصدر لأفضل ما يتمتعون به من البصر والنطق والعقل.¹

ما دلالة الاستفهام في قوله الاستفهام هنا للتقرير؛ لأن الله - تعالى - قد جعل له كل ذلك، ولكنه لم يشكر تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ؟﴾

ما مناسبة الابتداء بالتذكير بنعمة العينين في الآية؟

بدء تذكيره بنعمة العينين مناسب لتوبيخه عن غفلته عن مراقبة الله - عَزَّوَجَلَّ - له، ولأنهما من أهم وسائل الإدراك.

ما دلالة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ؟﴾

لأن الإبانة تحصل بما معًا، فلا ينطق اللسان من دون الشفتين، ولا تنطق الشفتان من دون اللسان،³ فحريٌّ به شكر المنعم بما عليه؛ بألا يعصى الله بما، ولا ينطق بما إلا بما يرضي خالقها. وكذلك لأنها من وسائل الإدراك والسؤال، وبها يحصل البيان.

ما دلالة التعبير بالهداية في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ؟﴾

الهداية هنا للإلهام الذي جعله الله في الإنسان، يدرك به الضار والنافع، وهو أصل التمدن الإنساني، وأصل العلوم والهداية بدين الإسلام إلى ما فيه الفوز.⁴

ما دلالة التعبير عن الطريق بالنجد في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ؟﴾

النَّجْدُ: الطَّرِيقُ الْعَالِي،⁵ وفي التعبير عن الطريق بالنجد (إشارة إلى أنهما واضحان كطريقين عاليتين يراهما ذوو الأبصار)،⁶ وأن في كل منهما وعورة يشق معها السلوك، ولا يصبر عليها إلا من جاهد نفسه، وليس سلوك طريق الشر بأهون من سلوك الخير، بل الغالب أن يكون طريق الشر، أشق وأصعب، وأحوج إلى الجهد.⁷

علام يدل تخصيص هذه النعم دون غيرها في الآيات؟

هي من أهم النعم وأجلها على الإنسان، وبها تميز عن بقية الحيوان، بالإدراك والعقل والبيان، بما يميز النافع من الضار، وبها يتعلم سائر العلوم والمعارف. وفي الآيات توجيه إلى استعمال هذه الحواس؛ للاستدلال على قدرة الله - عَزَّوَجَلَّ - ومراقبته لعباده، وكذلك على البعث والحساب. فهي نعم تقتضي شكر المنعم بما واستثمارها في معرفة الحق واتباعه.

1 التفسير المنير، الزحيلي (30 / 249)
 2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15 / 403)
 3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30 / 354)
 4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30 / 355)
 5 مقاييس اللغة (5 / 392)
 6 تفسير المراغي، المراغي (30 / 160)
 7 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15 / 403)

- العلم المبني على الكتاب والسنة.
 - موافقة العقل والفتوة البشرية.
- فالعقل والنقل لا يتعارضان مطلقاً، فكيف يتعارض ما جاء عن خالق العقل مع العقل.
- فإن وردت شبهة التعارض، فلا تخلو من 3 حالات:
- الحالة الأولى: التعارض يعود إلى عدم الفهم الصحيح للنقل.
- الحالة الثانية: التعارض يرجع إلى نظرية علمية غير صحيحة وغير مثبتة، إنما مجرد افتراضات كفرضية داروين.
- الحالة الثالثة: وهي خاصة بتعارض العقل مع الحديث، ويمكن أن يكون بسبب حديث لم يصح.

ما المنهج الذي نسير عليه
حتى نتبين طريق الحق من
طريق الباطل؟

- نعمة البلد الحرام الذي من دخله كان آمناً، وشكرها بتعظيمه وحفظ حرمانه.
- نعمة الإرشاد بإرسال الرسل والكتب، وشكرها باتباع ما جاؤوا به.
- نعمة العينين، وشكرها أن نستعين بها على طاعته سبحانه، وإدراك الحقائق بها، وألا نستعملها في معصية ولا ننظر إلى محرم.
- اللسان والشفتمان، وبهما يحصل البيان، وشكرهما بذكر الله -عز وجل- وطلب العلوم، وقراءة القرآن، وعدم التفاخر، وألا نقول إلا خيراً ولا نستعين بهما على معصية.
- نعمة الهداية، وشكرها باستحضار منة الله علينا أن هدانا للإسلام وبين لنا طريق النجاة، فلزمه.

ما عدد النعم التي امتنَّ الله
بها علينا من خلال الآيات،
وما السبل الموصلة إلى شكر
الله بها؟

تلاوة

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿٣٥﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿٣٦﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ
ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٣٧﴾ بَيِّمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٣٨﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٤٢﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٤٣﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

11. ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وهو مطالب بأن يتجاوز العقبة التي تفصله عن الجنة فيقطعها ويتجاوزها.
12. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما العقبة التي عليه أن يقطعها ليدخل الجنة!؟

13. ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾ هي إعتاق رقبة ذكراً كانت أو أنثى.
14. ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ﴾ أو أن يطعم في يوم جماعة يندر فيه وجود الطعام.
15. ﴿يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ طفلاً فقد أباه، له به قرابة.
16. ﴿أَوْ مُسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أو فقيراً ليس له شيء يملكه.
17. ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ ثم كان من الذين آمنوا بالله، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، وأوصى بعضهم بعضاً بالرحمة بعباد الله.
18. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم أصحاب اليمين.
19. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ والذين كفروا بآياتنا المنزلة على رسولنا هم أصحاب الشمال.
20. ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ عليهم نار مغلقة يوم القيامة يعذبون فيها.¹
فلا اقتحم: أي فهلا تجاوز.
العقبة: أي الطريق الصعب في الجبل، والمراد به النجاة من النار.²

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الأسئلة التدرية	هدايات
ما مناسبة هذه الآيات لما قبلها؟	بعد أن عدّد بعض النعم على الإنسان، ذكر ما تستوجه من شكر الله -ﷻ- عليها.
ما المراد من الاقتحام وما دلالة التعبير به في قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعُقَبَةَ﴾؟	الاقتحام: الدخول العسير في مكان أو جماعة كثيرين، يقال: اقتحم الصف، وهو افعال للدلالة على التكلف مثل اكتسب، فشبه تكلف الأعمال الصالحة باقتحام العقبة في شدته على النفس ومشقته. ³
ماذا أفاد نفي الاقتحام في قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعُقَبَةَ﴾، وتخيّر كلمة العقبة دون غيرها؟	التوبيخ على عدم اهتداء هؤلاء للأعمال الصالحة مع قيام أسباب الاهتداء من الإدراك والنطق، فنفي الاقتحام دلّ على أنه عدل عن الاهتداء؛ إيثاراً للعاجل على الأجل ولو عزم وصبر لاقتحم العقبة. ⁴ كما دلّ على دوام مقارعة العبد لما يمنعه من طاعة الله -ﷻ-، فإطلاق كلمة العقبة يدل على ما قد يجده العبد من مشقة في أعمال الخير ومقارعة هوى النفس، ولذلك كان من أهم أنواع الصبر الصبر على الطاعات.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 594)

2 أيسر التفاسير، الجزائري (5/ 574)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 356)

4 المرجع السابق

إنَّ المقصود بالآية ليس العقبة الحسية التي نتجاوزها سيرًا بالأقدام، إنما هي عقبة معنوية عظيمة تحول بين الإنسان وبين طاعة الله -ﷻ- ودخول الجنة...! وكل إنسانٍ منا عنده عقبات تخصه لو تخطاها وصل بإذن الله تعالى:

- هناك من تكون عقبته شهواته والشهوات مؤرقة.
- وهناك من تكون عقبته لسانه واللسان مخوف.
- وهناك من تكون عقبته كسله وكثرة أكله ونومه.
- ومن الناس من عقبته المال الحرام الذي انغمس فيه.
- وهناك من عقبته معصية الخلوات التي ابثلي بها.

والذي يجمع هذا كله أن تعرف أن أكبر عقبة يواجهها الإنسان هي نفسه الأمانة بالسوء.

فاحذر نفسك..! فما أصابك بلاءٌ قط إلا منها.

عَدِّدْ بعض العقبات التي قد

تحول بيننا وبين طاعة الله

-ﷻ-؟

ما دلالة الاستفهام في

قوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا

الْعَقَبَةُ؟)

لتفخيم شأنها، والتهويل من أمرها، والتشويق إلى معرفتها.¹

المعنى الأول: فكها من الرق، بحيث يعتق الإنسان العبيد المملوكين سواء كانوا في ملكه فيعتقهم، أو كانوا في ملك غيره فيشتريهم ويعتقهم.

المعنى الثاني: فك رقبة من الأسير، فإن فكك الأسير من أفضل الأعمال إلى الله -ﷻ-، والأسير ربما لا يفكه العدو إلا بفدية مالية، وربما تكون هذه الفدية فدية باهظة كثيرة لا يقتحمها إلا من كان عنده إيمان بالله -ﷻ- بأن يخلف عليه ما أنفق، وأن يثيبه على ما تصدق.²

وعبّر بالفك لمشاهدة تخلص الأمر العسير بالنزع من يد القابض الممتنع،³ وفيه دلالة على أن العقبة شديدة عليه.⁴

لقوله تعالى: (فَكُّ رَقَبَةٍ)

معنيان، وضحهما؟ وما دلالة

التعبير بالفك في الآية؟

عق الرقاب من أفضل

الأعمال الصالحة، اذكر

شاهدًا على ذلك من السنة.

عن أبي هريرة، عن النبي -ﷺ-، قال: "من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل إرب منها إربًا منه من النار".⁵

1 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 405)

2 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (220)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 358)

4 تفسير الكرمي الرحمن، السعدي (925)

5 صحيح مسلم (2/ 1147)

ما مناسبة تخصيص الإطعام
في يوم المسغبة في قوله
تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي
مَسْغَبَةٍ﴾؟

إنما قيّد الإطعام بيوم الجماعة؛ لأن إخراج المال فيه أثقل على النفس، وحاجة الناس فيه أشد، فالإطعام في ذلك الزمن أفضل وأوجب لجزيل الأجر،¹ ودليل على صدق الإيمان.

قال تعالى: ﴿بِتَيْمِّمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾
ما وجه التذكير بالإحسان
إلى اليتيم في الآية؟

وجه تخصيص اليتيم بالإطعام أنه مظنة قلة الشيع؛ لصغر سنه، وضعف عمله، وفقد من يعوله، ولحيائه من التعرض لطلب ما يحتاجه؛ فلذلك رغب في إطعامه وإن لم يصل حد المسكنة والفقير.²

لأنه في هذه الحالة يكون له حقان: حق القرابة، وحق اليتيم، ومن كان كذلك فهو أولى بالمساعدة من غيره.³

ما دلالة تقييد اليتيم بكونه
ذا مقربة في الآية؟

عن سلمان بن عامر، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "الْصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّجْمِ اثْنَانِ: صَدَقَةٌ، وَصَلَةٌ".⁴

علام يدل تقييد المسكين
بكونه ذا مترية في قوله تعالى:
﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؟

للدلالة على أنه قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة،⁵ وفيه مبالغة في وصفه بالضر،⁶ وبماجته إلى الطعام، خاصة وقت الجماعة.

ما وجه تخصيص عتق الرقبة
والإطعام في يوم جماعة
بالذكر دون غيرها من
الأعمال الصالحة؟

خص عتق الرقبة بالذكر؛ لأنه أعظم إحسان يقدمه الإنسان إلى الإنسان، ويشهد له حديث النبي -ﷺ- عن مكافأة الرجل أباه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»، وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: «وَلَدٌ وَالِدُهُ»،⁷ فدل على أن أعظم إحسان هو تحرير الإنسان من العبودية.

وخصّ الإطعام حال الجماعة بالذكر، لأنه أعظم حاجات الإنسان لاستمرار بقائه، فإطعام اليتيم الذي لا عائل له، والمسكين الذي لا طعام له فيها إنجاؤهم من الموت جوعاً وتمكينهم من الحاجيات الأساسية لاستمرار حياتهم.

ويظهر من خلال تخير هذه الأعمال قيمة الأخلاق والمعاملات في الإسلام، وكمال هذا المنهج الرباني في إصلاح حال الفرد والمجتمع.

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (406/15). التفسير المنير، الزحيلي (251/30)

2 المرجع السابق

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (406/15)

4 مسند أحمد، ط: الرسالة، (171/26)

5 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 925)

6 تفسير القاسمي = محاسن التأويل، القاسمي (478/9)

7 صحيح مسلم، 1510 (1148/2)

كما تظهر عناية الله -عز وجل- بالإنسان بتخصيص الإحسان إلى أضعف الناس، وبيان أكثر مظاهر الكرب التي يمر بها إنسان في الدنيا وهي الرق والأسر واليتيم والمسكنة حال المجاعة والفاقة العامة.

«ثم» هنا للتراخي الرتي؛ للدلالة على أن ما بعدها أصل لقبول ما قبلها؛¹ لأن القربات لا تقبل من دون شرط الإيمان، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَيْهِ شَيْئًا﴾ [إبراهيم: 18]، وعن عائشة قالت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافع؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».²

وقدمت الأعمال السابقة؛ للاهتمام بحقوق الناس والإحسان إليهم.

ما دلالة العطف بالحرف (ثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾؟

خص- سبحانه - من أوصاف المؤمنين توصيهم بالصبر، وتواصيهم بالمرحمة؛ لأن هاتين الصفتين على رأس الصفات الفاضلة بعد الإيمان بالله تعالى،³ فالصبر ملاك الأعمال الصالحة كلها إذ إما لا تخلو من كبح الشهوة النفسية، والمرحمة ملاك صلاح الجماعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، وفيه تعريض بأن أهل الشرك ليسوا من أهل الصبر ولا من أهل المرحمة.⁴

كما أنها مناسبة للأعمال المذكورة سابقاً، ففك الرقبة والإطعام في يوم مجاعة يحتاج صبراً على البذل وقت الحاجة، ويحتاج رحمة لهؤلاء الضعفاء: اليتيم والمسكين.

ما وجه تخصيص التواصي بالصبر وبالمرحمة من جملة أوصاف المؤمنين في الآية؟

باستحضار أجر الصبر وما ورد من النصوص في الحث عليه، ومنها:

- الصبر سبيل الفلاح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِظُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].
- معية الله -عز وجل- للصابرين، قال تعالى: ﴿وَاطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّزِعُوا فَتَنَسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأأنفال: 46].
- حب الله -عز وجل- للصابرين، قال تعالى: ﴿وَكَايَسُنَّ مِنْ نَجِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].
- البشارة من الله -عز وجل- للصابرين، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155].

كيف نربي أنفسنا وأبناءنا على الصبر على أقدار الله المؤلمة؟

1 التفسير الوسيط، الططاوي (406/15)
2 صحيح مسلم (196/1)
3 التفسير الوسيط، الططاوي (407/15)
4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (361/30)

أجر بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَوِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

- وقال -ﷺ-: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ".¹
- استحضر ثمرات الصبر في الدنيا، راحة البال وهدوء النفس، والتعقل وعدم الهلع، والحكمة وغيرها.

ما الحكمة من افتتاح الآية

باسم الإشارة "أُولَئِكَ" في قوله تعالى: "أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ"؟² وتمتعهم وتعظيم.

هم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم، قال تعالى عنهم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أَدْرَعُوا كِتَابِيَهُ ۗ إِنَّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ ۗ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٠﴾ فُطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴿٢١﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة: 19 - 24]، وقال أيضًا في سورة الانشقاق: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَتَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: 7 - 9].

من هم أصحاب اليمين؟

اللهم اجعلنا منهم ووفقنا للعمل بعملهم. الحق الركب، فما زلت في دار العمل.

ما مناسبة قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ لما قبلها؟

لما ذكر الإيمان والعمل الصالح وهما المنجيان من عذاب الله - تعالى - ذكر ضدهما وهما: الكفر والمعاصي وهما المهلكان؛ لأن الكفر بآيات الله لازمه البقاء على الشرك المنافي للتوحيد، والعصيان منافٍ للطاعة.³

أصحاب المشأمة؟

1 صحیح مسلم (2295/4)

2 التحرير والتنوير (362/30)، بتصرف يسير

3 أيسر التفاسير، الجزائري (575/5)

لأن المشأمة تدل على منزلة الإهانة والغضب،¹ والمشأمة خلاف الميمنة، وتدُل على الجانب اليسار،² وتطلق على ما يكره عاقبته.

وهم الذين يؤتون كتابهم بشماهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَهٗ ۖ وَلَمْ أَدْرُ مَا حِسَابِيَهٗ ۖ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ ۖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ ۗ خُدُوهُ فَغُلُّوهُ ۚ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۚ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۗ﴾ [الحاقة: 25 - 32]، وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۗ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۗ وَظِلٍّ مِّنْ تَحْمُومٍ ۗ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۗ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۗ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَبِئْنَا بِمَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۗ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۗ﴾ [الواقعة: 41 - 48].

اللهم أجرنا من النار.. اللهم أجرنا من النار.. اللهم أجرنا من النار.
الحق النبوة فما زال الباب مفتوحاً.

ما معنى المشأمة، وما دلالة وصف الكفار بهذا الوصف في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ؟﴾

للاهتمام بتعلق الغلق عليهم تعجيلاً للترهيب،³ ولبيان تمكنها منهم فلا يفتنون منها.

علام يدل تقديم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ؟﴾

عبر بأنها مؤصدة دلالة على أنها مغلقة مطبقة الأبواب، فلا فرج ولا خروج منها، جزء من كفر آيات الله - ﷻ - وعصى رسوله - ﷺ - زيادة في الضيق والهم والشدة،⁴ كل هذا؛ لشدة التعذيب فهم في حسرة عظيمة لا يمكن أن تماثلها حسرة.⁵

ما دلالة وصف النار بأنها ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ؟﴾

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- في السورة بيان شرف مكة وحرمتها، وعلو شأن الرسول - ﷺ - وسمو مقامه وهو فيها وقد أحلها الله - تعالى - له ولم يخلها لأحد سواه.
- في السورة بيان أن الإنسان لا يبرح يعاني من أتعاب الحياة حتى الممات.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (363/30)، بتصرف

2 مقاييس اللغة (شام)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (363/30)

4 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 926)، بتصرف

5 تفسير العثيمين، جزء عم، ابن عثيمين (317)

- في السورة تثبيت وتسلية للنبي - ﷺ - ولمن سار على نهجه.
- في السورة من من الله - ﷻ - على الإنسان بوسائل الإدراك التي تستوجب الشكر والاستدلال بما على طريق الخير من طريق الشر.
- في السورة تركيز على أكثر مظاهر الكرب التي يمر بها الناس، فأشد الناس كبدًا في الدنيا عبد وأسير ویتیم ومسكين أعدمه الفقر حتى التصق بالتراب.
- في السورة حث على مجاهدة النفس وعبور العقبة بالإنفاق في سبيل الله؛ ومنها فك الرقاب من مرارة الأسر، وإطعام المساكين في أيام المجاعة ووقت الشدة، ورعاية الیتیم، خاصة ذوي القرابة.
- في السورة بيان أن الإيمان شرط قبول الأعمال الصالحة.
- في السورة تخصيص أهم صفتين يتحلى بهما المؤمنون وهما الدواء؛ لتحمل كبد الحياة ومعاونة الغير في تفریح كروب العباد من حولنا، وهما: التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة.
- في السورة مدح من أنفق في سبيل الله وهو مؤمن بأنه من أصحاب الميمنة، وذم الكافرين المعرضين عن الله وعن شكر نعمه ووعيدهم بنار مؤصدة.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- تعظيم مكة المكرمة.
- الصبر على الشدائد.
- السعي إلى الأعمال التي تريحنا من هذه المكابدة والمشقة في الحياة الدنيا، وتوجب الفرح والسرور الدائم.
- مساعدة الآخرين خاصة وقت الحاجة.
- مراقبة الله - ﷻ - في جميع الأعمال.
- شكر نعم الله باستخدامها في طاعته.
- الإنفاق في سبيل الله - تعالى - على رعاية الیتیم والمسكين خاصة ذوي القرى، وغيرها من وجوه البر.
- إخلاص العمل لله وحده.
- التحلي بالصبر والتواصي به عند كل مكروب.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من الفوائد التربوية

- عناية المرابي بالمتربي وتوجيهه.
- عناية خاصة بضعفاء الحال.
- إيجابية الإنسان المسلم وإحسانه إلى الآخرين.
- قيمة الحرية.
- تقديم الضعفاء وذوي القرى في الإحسان على غيرهم يزيد في الروابط الأسرية واللحمة المجتمعية.

رسائل

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أشرف البقاع وأحبها إلى الله، فلتكن لك فيها بصمة خير.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ يصيرنا على هذا الكبد الوعد بطيب المقام في الآخرة، فأمن وأطع، واصبر واحتسب، فالعاقبة خير بإذن الله.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يُقَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ لا يعجز الله أحد، هم تتكبر يا من لا تستطيع دفع الضر عن نفسك؟

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ كم من قلوب تعافت حين تدبرت هذه الآية من ذنوب الحلوات، وبرأت من آثار المنكرات.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ولساناً وشفقتين ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بالشكر تدوم النعم فهلاً شكرنا خالقها.

﴿فَلَا أَفْتَحَمُ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿فَكُ رَقَبَةٌ﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿الأمور الصعبة تتجاوزها بالصدقة، وتفريج الكربة.

091. سُورَةُ الشَّمْسِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة أوردت أطول قسم في القرآن -إحدى عشر قصماً- على أحوال النفس البشرية واختيارها ومآلها.
سورة تحث على التفكير في خلق الله -عز وجل- وآلائه.
تبين مسؤولية الفرد في اختياره، وتعرس فيه الإيجابية وتنبذ التبعية السلبية.
تحدثت عن قوم هداهم الله -عز وجل- بآية عظيمة فأبوا إلا دس نفوسهم في الكفر والضلال، فحسروا الدنيا والآخرة.
سورتنا هي سورة الشمس.

تهينة:

تعريف السورة:

اسم السورة:	تسمى «سورة الشمس»، و«سورة والشمس وضحاها» ¹ .
نوع السورة:	مكية بالاتفاق ² .
عدد آياتها:	وهي ست عشرة آية في المدني الأول ويقال في المكي كذلك وخمس عشرة في عدد الباقين ³ .
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

فضل السورة والآثار الواردة فيها:
عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل، فوافق معاذاً يصلي، فترك ناضحة وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذاً نال منه فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فشكا إليه معاذاً فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «يا معاذ أفتان أنت؟ أو فاتن ثلاث مرار، فلولا صليت ب (سَبَّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا)، (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة»⁴.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (365/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد آي القرآن (ص: 275)

4 صحيح البخاري، (1/249) (673))، وصحيح مسلم (1/339) (465))

المناسبة بين سورة الشمس وسورة البلد:

• في كلا السورتين بيان للإلهام الله -عز وجل- للإنسان الهداية بجمعه يدرك الخير من الشر فقال في سورة البلد: ﴿وَهَدَيْنَاهَا النَّجْدَيْنِ﴾ وقال في سورة الشمس: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

مناسبة السورة لما قبلها:

• ختم الله سبحانه سورة البلد بتعريف أصحاب اليمين وأصحاب المشأمة، ثم أوضح المراد من الفريقين في سورة الشمس بعمل كل منهما حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

المناسبة بين سورة الشمس وسورة الليل:

ذكر في سورة الشمس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ذكر في سورة الليل من الأوصاف ما يحصل به الفلاح، وما تحصل به الخيبة، ثم حذر النار، وذكر من يصلها ومن يتجنبها، للحرص على أوصاف هذا والتحذير من أوصاف ذاك¹.

مناسبة السورة لما بعدها:

وقال السيوطي: «ونزيد في سورة الليل أنها تفصيل إجمال سورة الشمس فقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾، وما بعدها تفصيل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلْ وَاسْتَعْتَى﴾ تفصيل قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾².

تركز على إظهار آيات الله وآلائه في الآفاق والأنفس وأحوالها، تركبة للنفوس، وزجرًا عن العصيان³.

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (10): الإقسام بالمخلوقات الكونية العظيمة على فلاح من زكى نفسه وخسران من دسها في الكفر والمعاصي.

من الآية (11) إلى الآية (15): تهديد المشركين بإهلاكهم كما أهلك ثمود لما كذبت رسولها.

مواضيع السورة:

تلاوة

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّتْهَا﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَدَّهَا﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

الآية (الآيات)

1 البحر المحيط، لأبي حيان، تفسير سورة الليل (678/8)

2 أسرار ترتيب القرآن، السيوطي (155/1)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (595 /1)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

1. ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسم الله بالشمس، وأقسم بوقت ارتفاعها بعد طلوعها من مشرقها.
2. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ وأقسم بالقمر إذا تبع أثرها بعد كرونها.
3. ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ وأقسم بالنهار إذا كشف ما على وجه الأرض بضوئه.
4. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ وأقسم بالليل إذا يغشى وجه الأرض، فيصير مظلمًا.
5. ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ وأقسم بالسماء، وأقسم ببناؤها المتقن.
6. ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ وأقسم بالأرض، وأقسم ببسطها؛ ليسكن الناس عليها.
7. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ وأقسم بكل نفس، وأقسم بخلق الله لها سوية.
8. ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ فأفهمها من غير تعليم ما هو شرٌّ لتجنبه، وما هو خيرٌ لتأتيه.
9. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّهَا﴾ قد فاز بمطلوبه من طهر نفسه بتحللها بالفضائل، وتحليلها عن الرذائل.
10. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ وقد خسر من دسَّ نفسه مخفيًا إياها في المعاصي والآثام¹.

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات).

هدايات	الأسئلة التدرجية
افتتح الله سبحانه وتعالى هذه السورة الكريمة، بالقسم بكائنات عظيمة النفع، جليلة القدر، لها آثارها في حياة الناس والحيوان والنبات، ولها دلالتها الواضحة على وحدانيته -تعالى- وكمال قدرته، وبديع صنعه ² .	ما دلالة افتتاح السورة بالقسم بهذه المخلوقات؟ وما دلالة تطويله؟
وتطويل القسم زيادة في التشويق لجواب القسم وتأكيده له.	

- أقسم الله تعالى بالشمس نفسها ظهرت أو غابت لأنها خلق عظيم، وأقسم بضوئها لأنه مبعث الحياة ومحل الهداية³.
- ابتدئ بالشمس لمناسبة المقام إيماءً للتبويه بالإسلام؛ لأن هديه كنور الشمس لا يترك للضلال مسلكا، وفيه إشارة إلى الوعد بانتشاره في العالم كانتشار نور الشمس في الأفق.
- وأتبع بالقمر لأنه ينير في الظلام كما أثار الإسلام في ابتداء ظهوره في ظلمة الشرك.
- ثم ذكر النهار والليل معه لأنهما مثل لوضوح الإسلام بعد ضلالة الشرك⁴.

ما مناسبة ابتداء الأقسام بالشمس والترتيب في باقي الأقسام؟

1 المختصر في التفسير (596)
 2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (367/30)
 3 محاسن التأويل، القاسمي (480/9)
 4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (367/30)

- ثم ذكر السماء والأرض بيان على عظيم خلقه وقدرته سبحانه.
- ثم القسم الأخير بالنفس وعليه جواب القسم.

ما دلالة القسم بالضحى مع الشمس في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾؟

• جاء بوصف أثرها وهو: «ضحاهها»، لأنه من نعم الله تعالى انتشار ضوئها الذي يمد الأرض وسكانها بما يحتاجون إليه من وقود لغذائهم ومعايشهم المختلفة¹.

• وفيها إيماء إلى وضوح طريق الحق والهداية كوضوح الشمس وقت الضحى.

ما مناسبة التعبير بـ ﴿تَلَاهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾؟

• إما لأنه تال للشمس في ارتباط مصالح الناس، وتعلق منافع هذا العالم بحركته.

• أو لأنه يأخذ نوره من الشمس². وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ما الحكمة في تقييد القسم بالنهار بوقت التجلية، والليل بوقت النغشية؟

• أقسم بالنهار إذا جلى الشمس وكشفها وأظهر تمامها، ففي اكتمال النهار اكتمال وضوح الشمس وفي ذلك إظهار للمنة.

• وأقسم بالليل إذا يغشى الشمس ويغطي ضوءها بظلمته، فيزيل الضوء وتغيب الشمس تذكرها بالعبارة بالعبارة بحدوث الظلمة بعد النور.

• وفي الحالين أقسم سبحانه في الحالة الدالة على أعظم أحوال الشيء وأشدّها دلالة على عظيم صنع الله تعالى³.

تعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر، على هذا العالم، بانتظام وإتقان، وقيام لمصالح العباد، أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه فباطل⁴.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: 71-72].

كيف دلت هذه المخلوقات على الله سبحانه وتعالى؟

1 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (536/8)

2 تفسير الوسيط، طنطاوي (411/15)

3 الوسيط، للزحلي (2883/3)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (368/30)

4 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، السعدي (426)

بيان نعمة الله على خلقه بأن رفع السماء وسوى الأرض فجعلها مناسبة لهم وهذا دليل على كمال خلق الله تعالى وإحكام صنعه وقدرته ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: 41].

في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ علام يدل التعبير بقوله تعالى: ﴿بَنَاهَا﴾، ﴿طَحَاهَا﴾؟

يحتمل أن تكون بمعنى «من» فيكون معنى الآية والسماء ومن بناها ويحتمل أن تكون مصدرية فيكون معنى الآية والسماء وبنائها. فيتضمن هذا القسم الإقسام بالخالق والمخلوق فأقسم بالسماء وبانيتها والأرض وطاحيها والنفس ومسويها، أو الإقسام بنفس فعله تعالى فيكون قد أقسم بالمصنوع الدال عليه وبصنعه الدالة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده¹.

في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ما المعاني التي تفيدها "ما" في الآية؟

إذا تأملنا عظمة هذه المخلوقات ودقة صنعها وسباحتها في الفضاء، من يمسكها؟ ومن وضعها على تلك المسافة بحيث لو اقتربت الشمس من الأرض مقداراً صغيراً لأحرقتها ولو ابتعدت عنها لتجمدت؟

من جعل الإنسان بحاجة إلى ضوء الشمس حتى يمتص الجلد الفيتامين الذي به يحول الأكل إلى غذاء للجسد؟، ونقصه يسبب أمراضاً كثيرة كهشاشة العظام والأنيميا وغيرها؟

ألا يدل على أن الخالق واحد؟، وأن الخالق العظيم، وأنه عليم، وأنه قادر، وأنه حكيم، وأنه رزاق.

ألا يدل ذلك على أنه الله وحده سبحانه؟

كلما نظرنا وتأملنا طُرحت علينا أسئلة عن الخلق والإبداع والحكمة والعظمة والقدرة، فنعلم ونزداد يقيناً أنه الله سبحانه.

فندرك عظمة الخالق سبحانه وبيدق قدرته وعجيب صنعه وإتقانه، فلا فلتة ولا مصادفة ولا خلل ولا نقص كما قال سبحانه: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 88].

نزداد إيماناً ومعرفة بالله -عز وجل-،

ندرك أن الله ما خلق الخلق عبثاً، بل خلقه لأمر عظيم وهو عبادته وحده لا شريك له.

نعلم سخف من عبد غير الله -عز وجل- أو أشرك معه مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.

في الآيات دعوة للتفكير في مخلوقات الله تعالى. كيف نتفكر وما ثمراته؟

دلالة على التنوع والعموم، فيحتمل أن المراد بما نفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤكد هذا العموم، ويحتمل أن المراد بالإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده¹.
ففي القسم تنبيه على أهمية النفس وتسوية الله - ﷻ - لها.

في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ علام يدل تنكير "نفس" في الآية؟

النفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بما فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية، من أهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة².
وهي أعظم دلالة على قدرة الله سبحانه من تلك الجمادات، وفي مجيئها بعد الآيات الكونية؛ لفت إلى وجوب التأمل في تلك المخلوقات³.
والقسم بما استدلال على وجود الغيبات والذي لا يعلمه الإنسان بحال من الأحوال لكنه يؤمن به يقينا ولا ينكرها حتى الجاهل.

ما مناسبة ختم الأقسام بقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾؟

أقسم الله - ﷻ - بالنفس البشرية وبالذي أنشأها وأبدعها، وتسويتها وجعلها مستعدة لكمالها، وذلك بتعديل أعضائها، وقواها الظاهرة والباطنة، ومن تمام تسويتها أن وهبها العقل الذي تميز به بين الخير والشر، والتقوى والفجور.
ففي القسم تنبيه على أن الله - ﷻ - خلق النفس سوية على الفطرة السليمة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))⁴.

ما دلالة القسم بتسوية النفس، وبيان إلهامها فجورها وتقواها؟

فعرفها الحسن والقيح، والخير والشر، والتقوى والفجور، ووهبها العقل الذي تميز به ومكنها من اختيار أيهما شاءت، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3].
وحملها مسؤولية تخير طريق الفلاح أو الخسران، وبذلك تقام الحجة عليها وتحاسب على اختيارها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ إثبات للقدر بقوله أهمها، وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية،

1 تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن، السعدي (926)

2 المرجع السابق

3 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (540/8)

4 البخاري (1358)، مسلم (2658)

وإثبات للتفريق بين الحسن والقيح والأمر والنهي¹.

تقديم الفجور على التقوى مراعاة لأحوال المخاطبين بهذه السورة وهم المشركون، وأكثر أعمالهم فجور ولا تقوى لهم، والتقوى صفة أعمال المسلمين وهم قليل يومئذ². ولا يزال الكثرة هي الكافة والمؤمنون قليل وإن كثروا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17] وقيل تقدم الفجور على التقوى لأن إلهامه من مبادئ تجنبه وهو تخلية، والتخلية مقدمة على التحلية³.

جواب القسم قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁴. والبدء بالفلاح قبل الدس مناسب للقسم بالبدء بالشمس قبل الليل. كذلك مناسب لحال النفس البشرية وتأثرها بضوء الشمس وإشراقها وما يبعث من راحة للنفس واطمئنانها. ما هو جواب القسم في الآيات وما المناسبة بينه وبين القسم؟ وكذلك بيان مصيرين متقابلين (فلاح من زكا نفسه وخيبة من دساها) مناسب للمقابلات في القسم (الشمس والقمر، النهار والليل، والسماء والأرض، فجورها وتقواها). وكذلك مناسب للقسم بالنفس البشرية وإقامة الحجة ببيان خير والشر، فهي مسؤولة عن تركيبة نفسها أو دساها.

قدم الفلاح على الخيبة:

• لأنه هو المصير الذي يرضه الله -عز وجل- للعبد: قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر: 7]

• مناسباً لتقديم الشمس على القمر في القسم.

• لما كانت هي دعوة للإيمان وتركيب النفس قدم الترغيب على التهيب.

• لمناسبته للتقوى، وأردف بحجية من دسى نفسه لتهيئة الانتقال إلى الموعدة بما حصل لثمود من عقاب على ما هو أثر التدسية⁵.

ما مناسبة تقديم الفلاح على الخيبة في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾؟

1 مجموع الفتاوى، لابن تيمية (243/16)
2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (369/30)
3 روح المعاني، الألويسي (360/15)
4 إرشاد العقل السليم، أبو السعود (164/9)
5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (370/30)

التزكية: أصلها الزكاة النمو والزيادة، ومنه زكا الزرع إذا كثر¹.
المراد بالتزكية هنا: أن يزكي نفسه بالإيمان والعمل الصالح والبعد عن المعاصي
والرذائل.

ما المراد بالتزكية والتدسية في
الآية؟

والتدسية: أصلها دسها، من التدسيس، وهو إخفاء الشيء في الشيء.
والمراد بها في الآية: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها،
بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والافتراق للذنوب، وترك ما يكملها
وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها².

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ
الْمُعْفِرُ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: 32] وقال تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يظْلُمُونَ فِتْيَانًا﴾
[النساء: 49] وهذه الآيات واضحة في النهي عن تزكية النفس.

ولا وجود لتعارض مع قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ في سورة الشمس أو قوله
تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ [الأعلى: 14] أو غيرها من الآيات.

في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن
زَكَّاهَا﴾ بيان أن لا فلاح إلا

بل يدلنا على أن تزكية النفس نوعان:

أولاً: تزكية محمودة مأمورون بها، ولا فلاح للنفس بدونها وهي الواردة في سورة
الشمس ومثيلاًتها، وهي التزكية بالإيمان بالله -عز وجل- وفعل الطاعات والبعد عن
المعاصي والرذائل، ودل عليه قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّى﴾ [الليل: 17-18] وهي كذلك وظيفه الرسل، ودل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ
مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل
عمران: 164].

بتزكية النفس، ووردت آيات
تنهى عن تزكية النفس،
فكيف نجمع بينها؟

ثانياً: تزكية منهي عنها، وهي الواردة في سورة النجم وسورة النساء، وهي تزكية بمدح
النفس ورؤيتها على حق مع ضلالها.

تنقسم تزكية النفس المحمودة إلى قسمين؛ تحلية وتخليئة.

- فالتخليئة: يقصد بها تطهير النفس الشرك والكفر وأمراض القلوب ورذائل
الأخلاق.
- والتحلية: فهي ملؤها بالإيمان والإخلاص والتوكل وغيرها من عبادات القلوب
والأخلاق الفاضلة.

ما حقيقة التزكية، وما يعين
العبد عليها؟

1 فتح القدير، الشوكاني (546/5)
2 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، السعدي (926)

ومما يعينه على التزكية:

- توحيد الله سبحانه وإخلاص العبودية لله وحده.
- الصلاة: وهي من أعظم ما تزكو به النفوس؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤-15].
- الصدقة: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103].

- الدعاء: على العبد أن يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع؛ ليصلح له نفسه ويزكيها؛ ولذلك كان من دعاء نبينا - ﷺ -: ”اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها“¹.
- القرآن الكريم تلاوته وفهمه وتدبره؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].
- ترك المعاصي والمحرمات.
- العمل الصالح بأنواعها، بالإيمان يزيد وينقص، فكلما زادت الطاعة زاد الإيمان وبالتالي زكت النفس.
- التحلي بمحاسن الأخلاق.
- الاقتداء بالنبي - ﷺ -.
- التعلق بالآخرة وهوان الدنيا.
- محاسبة النفس ومخالفة هواها.
- ...

عدم تقييد وقت الفلاح يفيد العموم، فمن زكا نفسه أفلح في الدنيا والآخرة، ومن دسها فقد خاب وخسر في الدارين، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124].

ما دلالة عدم تقييد الفلاح في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها؟﴾

- ومن مظاهر الحياة الطيبة:
- راحة البال.
- انشراح الصدر.
- القناعة والرضا.

- التوكل على الله - عَيْلِكْ - مع الأخذ بالأسباب المشروعة.
- ومن مظاهر الضنك:
- ضيق الصدر.
- الهلع وعدم الرضا.
- التعلق الشديد بالأسباب.
- الخوف من زوال النعمة.
- اللهث في طلب الدنيا.

ذكر القرآن الكريم ثلاث أنواع للنفس:

النفس الأمارة بالسوء:

قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 53]. وهي النفس التي تأمر صاحبها بالمعاصي والآثام واتباع الدوافع الغريزية والرغبات الجسدية، وجاءت بصيغة المبالغة في كلمة (أمارة) لبيان كثرة أمرها بذلك لميلها للشهوات وركونها إلى ذلك.

وهذا حال الفاجر الذي ركن إلى نفسه واتبع هواها ورغباتها، وبمضيّ قدماً لا يُعَاتِبُهَا.

النفس اللوامة:

هي التي أقسم بها الله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 2]، فهي نفس متيقظة تقيّة خائفة متوجّسة، تندم بعد ارتكاب المعاصي والذنوب فتلوم نفسها وتحاسبها، وهذت حال الإنسان المؤمن اليقظ، الذي ينتبه بعد كل معصية ويبادر بالندم والتوبة والاستغفار.

ماهي أنواع الأنفس التي ذكرها القرآن الكريم؟

وهذه كريمة على الله، لذلك أقسم بها في القرآن. قال عنها الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه؛ ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي ما أردت بمحديتي نفسي ولا أراه إلا يعاتبها؟ وإن الفاجر بمضيّ قدماً لا يُعَاتِبُ نَفْسًا¹.

النفس المطمئنة:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ^{٧٧} أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً^{٧٨} فَادْخُلِي فِي عِبَادِي^{٧٩} وَأَدْخُلِي جَنَّتِي^{٨٠}﴾ [الفجر: 27 - 30]، هي التي اطمأنت إلى بارئها، وإلى دينه، رضيت بقدره وحكمه، ومنعه وعطائه، فوقفت عند حدوده واتبعت شرعه، هذه النفس التي لا تشعر باضطراب وقلق، فازت بالطمأنينة والسكينة والرضا والسعادة في الدنيا، فتجيء يوم القيامة مطمئنة بذكر الله، ثابتة لا تتزعزع، آمنة مؤمنة غير خائفة.

والمؤمن يتقلب في أحوال النفس الثلاث، فتأمره نفسه بالمعصية وترغبه فيها، فإن أطاعها تلقفته نفسه باللوم والندم، فيبادر بالتوبة والاستغفار، فتطمئن نفسه إلى رحمة الله -ﷻ- وفضله.

- التفكير في المخلوقات الكونية، وقدرة الله -ﷻ- وحكمته في خلقه.
- التفكير في عناية الله -ﷻ- بعبادة وتسخير المخلوقات لعيش هي على الأرض.
- التفكير في نعم الله -ﷻ- علينا.
- التفكير في سنن الله -ﷻ- في الاختلاف والمتقابلات والحكمة منها.
- التفكير في النفس البشرية وأحوالها وتقلباتها.
- تركية النفس بزيادة الخير فيها وطهارتها من الرذائل.
- مجاهدة النفس ومخالفة الهوى.
- المبادرة بالتوبة والاستغفار.
- ...

لا سبيل لسعادة الدارين إلا بتزكية النفس، فهل من مشمر؟
اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من ركاها.

تلاوة

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

11. ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ كذبت ثمود نبيها صالحًا بسبب مجاوزتها الحدّ في ارتكاب المعاصي، واقتراف الآثام.
12. ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ حين قام أشقاهم بعد انتداب قومه له.
13. ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: اتركوا ناقة الله، وشربها في يومها، فلا تتعرضوا لها بسوء.
14. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ فكذبوا رسولهم في شأن الناقة، فقتلها أشقاهم مع رضاهم بما فعل، فكانوا شركاء في الإثم، فأطبق الله عليهم عذابه، فأهلكهم بالصيحة بسبب ذنوبهم، وسوّاهم في العقوبة التي أهلكتهم بها.

15. ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ فعل الله بهم من العذاب ما أهلّكهم غير خائف سبحانه من تبعاته¹.

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات).	
الأسئلة التدرجية	هدايات
ما مناسبة الآيات لما سبقها؟	لما ذكر الله تعالى خسران من دَسَّ نفسه وأخفاها بالمعاصي ذكر ثمود مثلاً على ذلك وهم قوم صالح عليه السلام ² .
ما مناسبة ذكر قصة ثمود دون غيرها من الأمم في السورة؟	في تخصيص ثمود ههنا بالذكر دون غيرهم أنهم ردوا الهدى بعد ما تقينوه وكانوا مستبصرين به قد ثلجت له صدورهم واستيقظت له أنفسهم فاختاروا عليه العمى والضلالة كما قال تعالى في وصفهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: 17] ، وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: 59] أي موجبة لهم البصيرة واليقين وقد رأوا البينة عياناً وصارت لهم بمنزلة رؤية الشمس والقمر فردوا الهدى بعد تيقنه والبصيرة التامة فكان في تخصيصهم بالذكر تحذير لكل من عرف الحق ولم يتبعه وهذا داء أكثر المالكين وهو أعم الأدوية وأغلبها ³ .
ما دلالة الباء في قوله تعالى: ﴿يَطْعَوْهَا﴾؟	بيان أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما عليهم من طغيان وبغي بدلالة باء السببية ⁴ ، وفي ذلك وعظ لأمثالهم وتحذير للحاضرين الطاعين ⁵ .
ما دلالة «إذ» في قوله تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾؟	(إذ) ظرف للزمن الماضي يتعلق بـ ﴿يَطْعَوْهَا﴾ فيه دلالة أن وقت انبعث أشقاها لعقر الناقة هو الوقت الذي بدت فيه شدة طغيانهم فبعثوا أشقاها لعقر الناقة التي جعلت لهم آية، وذلك منتهى الجرأة ⁶ .
ما الحكمة من التعبير بالفعل ﴿انْبَعَثَ﴾ دون غيره، وما دلالة وصف الفاعل بأشقى القوم؟	عبر- سبحانه- بقوله: ﴿انْبَعَثَ﴾ للإشعار بأنه قام مسرعاً عندما أرسله قومه لقتل الناقة، ولم يتردد في ذلك لشدة كفره وجحوده ⁷ . وفيه دلالة أن انبعث أشقاها القوم؟

1 المختصر في التفسير (595)

2 المرجع السابق

3 التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (26)

4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (413/8)

5 التفسير الموضوعي، بإشراف مصطفى مسلم (161/9)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (373/30) بتصرف

7 تفسير الوسيط، الطنطاوي (415/15)

لعقر الناقة كان عن إغراء منهم إياه¹ ويشهد على ذلك قوله: ﴿فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: 29].

ووصفه بأشقى القوم مع أنهم هم الذين حرصوه لأنه هو الذي باشر الجريمة ويدل ذلك على شدة طغيانه وجرأته².

في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ هُمُ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ (فَقَالَ هُمُ) إضافة ناقة إلى اسم الجلالة لأنها آية جعلها الله على صدق رسالة صالح عليه السلام ولأن خروجها لهم كان خارقاً للعادة³.

علام يدل إضافة الناقة إلى اسم الجلالة؟

فكل النوق خلق لله -عز وجل-، ولكن هذه الناقة مختلفة، فهي ناقة آية من آيات الله -عز وجل-.

في قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أسند الفعل إليهم مع أن الفاعل واحد، فما الحكمة من ذلك؟

لأنهم أجمعوا على منعها الشرب، ورضوا بقتلها، وعن رضا جميعهم قتلها قاتلها، وعقرها من عقرها ولذلك نُسب التكذيب والعقر إلى جميعهم، فقال جل ثناؤه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾⁴.

شدة العذاب الذي نزل عليهم بدلالة قوله: ﴿فَدَمَدَمَ﴾ فهي بمعنى أطبق عليهم⁵، والدمدمة: إهلاك باستتصال⁶.

بيان أن الذنوب سبب للهلاك والدمار والفساد بدلالة قوله تعالى: ﴿يَذَنِّبُهُمْ﴾ أي بسبب ذنبهم.

بيان أن الله تعالى جعل العقوبة نازلة عليهم على السواء⁷ فلم يفلت منهم أحد، لا غني ولا فقير ولا تابع ولا متبوع، بدلالة قوله: ﴿فَسَوَّاهَا﴾.

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذَنِّبُهُمْ فَسَوَّاهَا﴾؟

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: 59].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ آصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165].

الذنوب سبب للهلاك، اذكر شواهد من القرآن على ذلك.

1 التحريم والتنوير، ابن عاشور (373/30)
 2 التحريم والتنوير (373/30)، تفسير ابن عثيمين (223)
 3 التحريم والتنوير، ابن عاشور (374/30)
 4 جامع البيان، الطبري (460/24)
 5 تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين = جزء عم (224)
 6 جامع الأحكام، القرطبي (79/20)
 7 تفسير ابن كثير (414/8)

ما المعنى الذي أفاده ختم
القصة بقوله تعالى: ﴿وَلَا
يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾؟

أن الله -ﷻ- عزيز لا يغالب فهو سبحانه لا يخاف من أحد تبعه¹، وكيف يخاف
من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاه وشرعه².

- الحذر من عاقبة الظلم والتعدي على حدود الله -ﷻ-.
- المسارعة باتباع الحق متى ظهر.
- الحذر من الكبر واتباع المستكبرين.
- الصبر على الأذى في الدين مثل ما كان من صالح عليه السلام.
- تسلية للداعية فليس عليه هداية الناس إنما بيان الحق.
- خطورة التجرئ على حرمان الله -ﷻ-، ولذلك سمي (أشقاها).
- الرضا بظلم الظالمين مشاركة لهم، ولذلك نسب التكذيب والعقر إلى جميعهم،
فقال جلّ ثناؤه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾، مع أن العاقر واحد.
- الحذر من استعجال عذاب الله -ﷻ- أو الاستهانة به.
- الحذر من التبعية السلبية للمجتمع، عن حذيفة بن اليمان قال: لا تكونوا إمعة؛
تقولون: إن أحسن الناس أحسنًا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم: إن
أحسن الناس أن تَحْسَنُوا، وإن أساءوا فلا تظلموا³.
- ...

اذكر بعضا من العبر التي
نأخذها من قصة إهلاك
ثمود.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- بينت السورة مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى في الآيات التي أقسم بها.
- في السورة بيان لقابلية النفس للخير والشر ومسؤوليتها حول اختيارها.
- في السورة بيان لإلهام الله عز وجل النفس معرفة الخير والشر.
- في السورة بيان أن نجاة العبد من النار ودخوله الجنة متوقف على زكاة نفسه وتطهيرها من الذنوب والمعاصي،
وأن شقاء العبد وخسرانه سببه تدنيسه نفسه بالشرك والمعاصي وكل هذا من سنن الله تعالى في الأسباب والمسببات.
- في السورة التحذير من الطغيان وهو الإسراف في الشر والفساد فإنه مهلك ومدمر في الدنيا وموجب للعذاب
في الآخرة.
- في السورة تسلية الرسول -ﷺ- والتخفيف عنه إذ كذبت قبل قريش ثمود وغيرها من الأمم السابقة.

1 محاسن التأويل، القاسمي (483/9)

2 تفسير السعدي=تيسير الكريم الرحمن، السعدي (926)

3 تخرّيج مشكاة المصابيح للألباني 5057 - صح موقوفا

- في السورة إنذار للظالمين بمصير من سبقهم.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- التأمل والتفكير في مخلوقات الله تعالى العظيمة.
- تزكية أنفسنا بالطاعات ومكارم الأخلاق، وحفظها من التدنيس بالمعاصي والآثام.
- تربية النفس على مكارم الأخلاق والابتعاد عن سيئها.
- التفكير في مال الأقوام المكذبة وأخذ العبرة من مصارعهم.

من الفوائد التربوية

- من الأساليب التربوية في السورة التأكيد ولفت الانتباه.
- الترغيب والترهيب.
- أسلوب القصة.
- حث على التفكير في مخلوقات الله -عَجَلًا-.
- حث على التفكير في العواقب.
- تحسيس بالمسؤولية الفردية.
- تحسيس بالمسؤولية المجتمعية ونبذ التبعية السلبية.
- بناء شخصية.

رسائل

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿الشمس والقمر من آيات الله الدالة على ربوبيته وكمال قدرته وتصرفه، فتأمل ذلك.

﴿وَتَنفَسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ لولا النفس لكان الجسد صورة لا فائدة منه، ولا حياة فيه، ولكن النفس آية من آيات الله فينا، فما أحرانا أن نصلحها ونزكيها¹.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قد علمت طريق الخير والشر فاختر لنفسك العاقبة قبل المسير.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن رَّكَبَهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّهَا ﴿فلاح في الدارين أو خسارة في الدارين، فاحذر.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ مهما عظمت الآيات فإنها لا تنفع الطغاة.

092. سُورَةُ اللَّيْلِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

يتفاوت الناس في مركب الحياة في همهم وعزائمهم، وأعمالهم وتصرفاتهم، بسبب اختلاف عقولهم وأفكارهم وأهوائهم، وتفاوتهم في الالتزام بالدين والأخلاق والآداب والأنظمة، وكل واحد يرصد لنفسه ما يلقاه في مستقبل عمره، وفي آخرته. سورتنا هتية: اليوم تبين اختلاف سعي الناس في هذه الحياة وما يترتب على هذا السعي. سورتنا هي سورة الليل.

تعريف السورة:

اسم السورة:	تسمى «سورة الليل»، و«سورة الليل»، و«سورة الليل إذا يغشى» ¹ .
نوع السورة:	مكية في قول الجمهور ² .
عدد آياتها:	وهي إحدى وعشرون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف ³ .
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

فضل السورة والآثار الواردة فيها: خص النبي -ﷺ- هذه السورة بالذكر مع سورة الشمس، كما في حديث جابر في الصحيح قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل، فوافق معاذًا يصلي، فترك ناضحة وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذًا نال منه فأتى النبي -ﷺ- فشكا إليه معاذًا فقال النبي -ﷺ-: "يا معاذ أفتان أنت؟ أو فاتن ثلاث مرار، فلولا صليت ب (سَيِّحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا)، (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغُشَى) فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة"⁴.

المناسبة بين سورة الليل وسورة الشمس:

• مناسبة السورة لما قبلها: لما ذكر في سورة الشمس (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا (١٥) ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الفلاح، وما تحصل به الخيبة، ثم حذر من

1 التحرير والتنوير (377/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد أي القرآن (ص: 276)

4 صحيح البخاري، (249/1) (673)، وصحيح مسلم (339/1) (465)

النار، وذكر من يصلها ومن يتجنبها، للحض على أوصاف هذا والتحذير من أوصاف ذاك¹.

• وقال السيوطي: «ونزيد في سورة الليل أنها تفصيل إجمال سورة الشمس فقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾، وما بعدها تفصيل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَجَلَّ وَأَسْتَعَى﴾ تفصيل قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾².

المناسبة بين سورة الضحى وسورة الليل:

• قال السيوطي: «ونزيد في سورة الضحى أنها متصلة بسورة الليل من وجهين، فإن فيها: ﴿وَإِن لَّنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، وفي الضحى قال: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾، وفي الليل قال: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، وفي سورة الضحى قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

مناسبة السورة لما بعدها:

• ولما كانت سورة الليل سورة أبي بكر -عني ماعدا قصة البخيل- وكانت سورة الضحى سورة محمد -ﷺ-، عقب بها ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم ألا واسطة بين محمد -ﷺ- وأبي بكر رضي الله عنه³.

بيان الاختلاف بين الآيات والأنفس وأعمالها، إظهاراً للتفاضل بين المؤمنين والكافرين⁴.

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (4): القسم على تباين سعي البشر.
من الآية (5) إلى الآية (7): الحض على الأوصاف التي يحصل بها الفلاح.
من الآية (8) إلى الآية (11): التحذير من الصفات التي يحصل بها الخسارة.
من الآية (12) إلى الآية (13): اختصاص الله -ﷻ- بالهداية وبملك الآخرة والأولى.
من الآية (14) إلى الآية (21): التهيب بمصير المكذب والترغيب بجزاء المؤمن.

مواضيع السورة:

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَىٰ ﴿٤﴾﴾

1 البحر المحيط، لأبي حيان، تفسير سورة الليل (678/8)

2 أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي (155/1)

3 المرجع السابق باختصار

4 المختصر في التفسير (595)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

1. ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ أقسم الله بالليل إذا يغطي ما بين السماء والأرض بظلمته.
2. ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ وأقسم بالنهار إذا تكشف وظهر.
3. ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ وأقسم بخلقه النوعين: الذكر والأنثى.
4. ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ إن عملكم -أيها الناس- لمختلف، فمنه الحسنات التي هي سبب دخول الجنة، والسيئات التي هي سبب دخول النار¹.

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات).

الأسئلة التدرية	هدايات
ما دلالة ابتداء السورة بالقسم؟	في الابتداء بالقسم تشويقاً لما يرد بعده ² . وتأكيدها له.
ما دلالة القسم بالليل والنهار في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾؟	يقسم الله تعالى بالليل والنهار وأثرهما على الكون، على أهما آيتان عظيمتان منه سبحانه وتعالى ³ ، واختير القسم بالليل والنهار في هذه السورة لمناسبتها للمقام لأن غرض السورة بيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة ⁴ . ولعل تقديم القسم بالليل على النهار مناسباً لتقديم الكثرة الكافرة على القلة المؤمنة، ومناسباً لختام السورة في تقديم عذاب الأشقى على جزاء الأتقى.
ما دلالة مجيء الفعل (يَغْشَى) بصيغة المضارع و(تَجَلَّى) بصيغة الماضي؟	أتى بصيغة المضارع مع الليل للدلالة على أنه يغشى شيئاً بعد شيء وخص أقوى حالات الليل وهي الغشيان التي تعم ظلمته كل شيء ويخفيه. وأتى بالماضي مع النهار لأنه إذا طلعت الشمس ظهر وجلى وهلة واحدة ⁵ .
أقسم الله سبحانه وتعالى بالليل والنهار وهو الزمان التي تقع فيه أعمال العباد، فكيف يمكن أن نستثمر الوقت فيهما؟	<ul style="list-style-type: none"> • استحضار أن كل ثانية من عمرنا تحمل إما حسرة الإفراط أو فرحة الالتزام. • استشعار قصر أعمارنا وتذكر الموت وأنه يأتي فجأة. • استفتاح يومنا بالقرآن فيركة القرآن واضحة في حياة أهلنا. • تنظيم الوقت وحصر ساعات الفراغ ثم جدولة الأعمال بحسب أهميتها. • البحث عن الأعمال التي يضيع بها الوقت ومحاوله الابتعاد عنها.

1 المختصر في التفسير (596/1)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (346/30)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (8/544)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (378/30)

5 بدائع التفسير، ابن القيم (316/3)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (378/30)

”ما“ هنا إما موصولة أو مصدرية:

- موصولة: فيكون إقساماً بذاته سبحانه الموصوفة بأنه خلق الذكور والإناث.
- أو مصدرية: فيكون القسم بخلقه سبحانه للذكر والأنثى وكمال حكمته في ذلك¹.

وفي كلا القولين فيها تنبيه على عملية الخلق وقدرة الله -عز وجل- وانفراده بالخلق، المستلزم انفراده بالعبودية سبحانه.

ما نوع «ما» في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) وما دلالتها؟

في اختصاص خلق الذكر والأنثى في هذا المقام لفت نظر إلى هذه الصفة، لما فيها من إعجاز البشر عنها، كما في الليل والنهار من الإعجاز²، كما أن فيها التنويه بنعمة التنوع في الجنس لتتم عمارة الأرض وتحقق مصلحة بقاء النوع الإنساني³. وبيان سنة التنوع والاختلاف وهي واضحة في سياق السورة من ورود عدد من المتقابلات.

ما دلالة القسم بخلق الذكر والأنثى بعد القسم بالليل والنهار في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى)؟

جواب القسم هو قوله تعالى: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى)

والمناسبة بينهم أن الله -عز وجل- أقسم بأشياء متقابلة: الليل والنهار، والذكر والأنثى⁴، وكذلك سعي الناس منه خير ومنه شر وهما يمثانان النور والظلمة وأن سعي الناس ينبثق عن نتائج منها النافع ومنها الضار كما ينتج الذكر والأنثى ذرية صالحة وغير صالحة⁵.

ما هو جواب القسم ، وما مناسيته للقسم ؟

جاءت الآية بتأكيد اختلاف عمل الإنسان لإثبات تباين الجزاء تبعاً لتنوع السعي فمنه ما يسعد به الساعي ومنه ما يشقى به⁶.

فتباين العمل دليل على حكمة الله -عز وجل- في الجزاء والحساب، قال تعالى: (أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ [القم: 35-36]، وقال تعالى: (أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) [ص: 28]

فليس من الحكمة أن يستووا في الحياة وينتهي الأمر على ذلك، قال تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [الجمانية: 21]،

جاءت الآية (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى) بأكثر من مؤكد مع أن الخبر معلوم. ما دلالة ذلك؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (926)
2 أضواء البيان، الشنقيطي (545/8)
3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (926)، باختصار
4 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (226)
5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (378/30)
6 محاسن التأويل، القاسمي (485/9) بتصرف

مادلالة التعبير بالسعي دون العمل في قوله تعالى ﴿إِنَّ السَّعْيَ مِنْ يَسْعَى فِي الْخَيْرِ وَيَجْتَهِدُ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى كَذَلِكَ فِي الشَّرِّ وَيَجْتَهِدُ فِيهِ.﴾¹ الإمكان.

في أي مجال كان سعينا؟ هل هو في خير أم في شر؟

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنبَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

5. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ فأما من أعطى ما يلزمه بذله؛ من زكاة ونفقة وكفارة، واتقى ما نحى الله عنه.
6. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ وصدق بما وعده الله به من الخلف.
7. ﴿فَسَنبَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ فسُنْسَهَلْ عليه العمل الصالح، والإنفاق في سبيل الله².

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات).

هدايات

الأسئلة التدرجية

لما بين الله سبحانه وتعالى تفاوت الخلائق، وتباين أعمالهم، ذكر هنا جزء كل صنف³ وفصل في السعي المذكور سابقا ببيان حال الساعين وصفاتهم⁴.

في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ

أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ما الحكمة من إتمام العطاء وعدم تقييده؟

- بمعرفة أن مجال العطاء واسع، حتى لمن ليس لديه مال، فهو لا يُعَدُّ نفعه للآخرين بالعطاء من العلم أو من الوقت أو من الجهد وغير ذلك..
- معرفة الاجر المتعلق بالعطاء عامة؛ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن

كيف نربي أنفسنا على العطاء؟

1 التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (6/1)، بتصرف يسير
2 المختصر في التفسير (596/1)
3 التفسير الموضوعي (175/9)
4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (381/30)
5 أضواء البيان، الشنقيطي (547/8)

النبي -ﷺ- قال: ((أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهُم للناس ، و أحبُّ الأعمال إلى الله -ﷻ- سُرُورٌ يَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، و لأنَّ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ اغْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، يعني مسجد المدينة شهرًا ، و مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، و مَنْ كَطَمَ عَيْطَهُ ، و لَوْ شَاءَ أَنْ يَمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، و مَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَرْوُلِ الْأَقْدَامِ ، [وإنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ ، كما يُفْسِدُ الْحُلُقُ الْعَسَلَ])¹.

- معرفة الاجر المتعلق بالإنفاق: قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]، والأدلة في ذلك كثيرة.
- تربية النفس على أن الله هو المعطي أولاً وأخيراً والفضل يعود منه إليه، قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: 7]
- معرفة أهمية العطاء في تربية النفس وتحديدها، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103]
- ...

- (الإعطاء، والتقوى، والتصديق بالحسن)، لما كان الدين يدور على ثلاث قواعد؛ فعل المأمور، وترك المحذور، وتصديق الخير، فالإعطاء فعل المأمور والتقوى ترك المحذور والتصديق بالحسن تصديق الخير².
- وأن هذه الصفات الثلاث المذكورة في الآيات هي أسباب التوفيق في الدنيا والآخرة، فما أجمل الحرص عليها والتمسك بها وسؤال الله التوفيق في العمل بما ودعوة الناس إليها ولهذا نجد في واقعنا أن أيسر الناس عملاً هو من اتقى الله -ﷻ-³.

ما المعاني المستفادة من ذكر الصفات الثلاث في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6)﴾

السين: للتحقيق، فهو وعد من الله -ﷻ- بتيسيره ليسرى محقق إذا تحققت الصفات الثلاث السابقة. والتيسير هنا دل على هدايته للأعمال الصالحة التي توصله إلى الجنة وتوفيقه فيها

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَسْتَبْسِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾؟

1 السلسلة الصحيحة 906
2 بدائع التفسير، ابن القيم (320/3)، بتصرف يسير
3 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (227)

وتخفيفها عليه، فلا يشعر بمشقتها.

والتييسير هنا تيسير الله له في أموره كلها، في أمور دينه وديناه، ولهذا تجد أيسر الناس عملاً هو من اتقى الله -عز وجل-، وكلما كان الإنسان أتقى الله كانت أموره أيسر له¹.

وفيها إشارة إلى صعوبة الطاعة على النفس إلا بتيسير من الله سبحانه وتعالى².

- من تيسير الأعمال الصالحة توفيق العبد لقيام الليل والمحافظة على الصلاة والنشاط لها.
- ومنها تيسر الإنفاق بأن يأتي السائل إلى بابه يسأله فيأخذ منه زاده للأخرة.
- ومنها أن ييسر الله -عز وجل- له الذكر ويطوع له لسانه وقلبه.
- ومنها تيسير حفظ القرآن وانشرح الصدر له.
- ومنها أن يجد من يقصده دون غيره في طلب الخواص وتفريج الكربات قال رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»³.
- ومنها أن يعتابه الناس ويستهزؤوا به فيعطوه حسنات لم يتعب في تحصيلها.
- ومنها رؤيته للمعاصي فيأمر وينهي ويؤذي في ذلك حتى يكون سائراً على نوح الأنبياء والدعاة.
- ومنها الابتلاء بصيبه فيصبر ويأخذ أجره بغير حساب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].
- ومنها أن يكون له جار سيء الجوار أو قريب قاطع فيصبر ويحسن إليهم فينال أجر واصل الرحم، ولو وصلوه ابتداء لما نال هذا الأجر.
- ومنها أن يعامله اللئيم بلؤم ويسيء إليه من أحسن هو إليه، فيكون بذلك من المحسنين، والله يحب المحسنين.
- ومنها أن يضيق صدره من الظلم والقهر فيناجي ربه ويعلم أن لا ملجأ إلا إليه.
- ومن التيسير أن يرى أحوال المسلمين، فيحسن الظن بالله ويدعو بتفريج الكربة عن الأمة، ويتعلق القلب بالله دون سواه.
- ومنها أن يفقد نعمة حتى لا يركن إلى الدنيا ويغفل عن الآخرة.
- ومنها أن يرزقه الله النعمة ويهيئ له أسباب استثمارها في ما يرضيه.
- ومنها أن يهون عليه المصائب ويجد من يُعينه على الصبر عليها.

اذكر أمثلة من تيسير
الأعمال الصالحة.

1 تفسير العنمين، ابن عثيمين (227)

2 نظم الدرر، البقاعي (90/22)

3 صحيح مسلم 2580 (4/1996)

- ومنها أن يجد من يذكره بالله - وَجَلَّ - .
 - ومنها أن يجد ضيقاً في المعصية، وأن يصعب الله له الوصول إليها حتى يكف عنها ويتوب.
 - ومنها شعور العبد بالرضا والطمأنينة والسعادة والنشاط للعبادة على أي حال كان فيها.
- قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مریم: 76].
- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17].

هل فقهننا معنى التيسير، وسعدنا بما نحن عليه من حال؟
هل سعدنا بمن طرق بابنا وقلنا الحمد لله الذي أرسل لنا من يحمل زادنا إلى الآخرة؟

تلاوة

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪﴾
الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

8. ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ وأما من بخل بماله فلم يبذله فيما يجب عليه بذله فيه، واستغنى بماله عن الله فلم يسأل الله من فضله شيئاً.
9. ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ وكذب بما وعده الله من الخلف ومن الثواب على إنفاق ماله في سبيل الله.
10. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فسُسهل عليه عمل الشرِّ، وتُعبِّر عليه فعل الخير.
11. ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ وما يغني عنه ماله الذي بخل به شيئاً إذا هلك، ودخل النار¹.

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات).

هدايات

الأسئلة التدرجية

ما مناسبة الآيات لما سبق؟ لما ذكر الله سبحانه وتعالى المزكى وثمرته أتبعه بذكر المدسى وشقوته².

1 المختصر في التفسير (596/1)

2 نظم الدرر، البقاعي (91/22)

هذا من أحسن المقابلة، فإن المتقي لما استشعر فقره وفاقته وشدة حاجته إلى ربه اتقاه، ولم يتعرض لسخطه وغضبه، فقابل التقوى بالاستغناء تبشعا لحال تارك التقوى، ومبالغة في ذمه بأن فَعَلَ فِعْلَ الْمُسْتَغْنِي عَنْ رَبِّهِ لَا فِعْلَ الْفَقِيرِ الْمَضْطَّرِّ¹. ففيها بيان أن النعم من أسباب التعدي على حرمان الله -عز وجل- لمن افتتن بها وركن إليها وتكبر بها.

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَوَى﴾، قابل البخل العطاء، فما وجه مقابلة التقوى للاستغناء في الآيات؟

ما المراد بالاستغناء في

يقصد فيها الاستغناء عن الله سبحانه والاستغناء بالدنيا عن الآخرة².

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾؟

بأن يرى العبد النعمة التي هو فيها، ويرى أنه مستحق لها وأنها إلى ثناء وازدياد وأنها قادرة على فتح الأبواب المغلقة، وخاصة المال والجاه والسلطة. فيظن عادم حاجته لربه، وينسى أن النعمة من الله -عز وجل- ومتى شاء زالت، وأنها لا تغني عنه من الله -عز وجل- شيئا، بل هي فتنة وامتحان.

كيف يكون استغناء العبد عن الله تعالى؟

التيسير للعسرى يكون بأمرين³:

- أن يحول بينه وبين أسباب الخير، فيجري الشر على قلبه ونيتة ولسانه وجوارحه.
- أن يحول بينه وبين الجزاء الأيسر، كما حال بينه وبين أسبابه.

كيف يكون تيسير الله -عز وجل- للإنسان للعسرى؟

- من التيسير للعسرى تيسير المعصية ووجد حلاوة لها.
- من التيسير للعسرى أن تتبع السيئة السيئة من غير توبة.
- من التيسير للعسرى ثقل الطاعة والصدود عنها.
- من التيسير للعسرى غلق أبواب الخير وفتح أبواب الشر.
- من التيسير للعسرى تسخير أصحاب السوء والغفلة.

اذكر أمثلة من تيسير الإنسان للعسرى، حتى نحذر منها.

دل هذا الترتيب على أن للإنسان مشيئة -تحت مشيئة الله -عز وجل- وأن هذا التيسير بسبب ما قدم من عمل:

- فمن أراد الخير وسعى له هداة الله -عز وجل- إلى الحق، ومما يشهد له قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]

ما دلالة ترتيب التيسير لليسرى أو للعسرى على سابق عمل الإنسان؟

1 بدائع التفسير، ابن القيم (321/3)

2 التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى (488/2)

3 بدائع التفسير، ابن القيم (321/3)

- وقوله تعالى ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مریم: 76].
 - ومن أراد الباطل وسعى له يسر الله له ما أراد، ومما يشهد له قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5] حتى لا يبقى حجة للإنسان على الله -ﷻ-.
- وهذا مصداق ما جاء عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع النبي -ﷺ- في بقیع الغرقد في جنازة، فقال: ”ما منكم من أحد إلا وقد كتبت مقعده من الجنة، ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: ”اعملوا فكل ميسر ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، إلى قوله تعالى: ﴿الْعُسْرَى﴾¹. فقد أمر النبي -ﷺ- بالعمل.
- وهذا لا ينافي علم الله -ﷻ- المسبق بمآل الإنسان إلى جنة أو إلى نار.

”ما“ هنا قد تكون نافية أو استفهامية²، ففي الاستفهام إنكار وتوبيخ³، وفي النفي دلالة على عدم فائدة مال هذا الشقي ولا جاهه ولا كل ما يملكه في الدنيا، إذا سقط يوم القيامة في النار⁴.

ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: 91] فلو كان له ملء الأرض ذهباً ما فدى نفسه من عذاب يوم القيامة.

ما دلالة «ما» في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾؟

التردي: من «تفعل» من الردى الذي هو الهلاك، أو الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم⁵، أو تردى في ضلاله أو هوى معصيته⁶، وفي التعبير به دلالة إلى أنه بما قدمه من أعماله الخبيثة، هو المهلك والموقع لنفسه⁷.

كما يدل على سفوفه وهوانه وهو يتردى في هذا العذاب المهين.

ما المراد بالتردي في الآية وما دلالة التعبير به؟

المتأمل في هذه الآيات الكريمة يراها، وقد وصفت المؤمنين الصادقين بثلاث صفات هي جماع كل خير، وأساس جميع الفضائل: وصفهم بالسخاء، وبالحوف من الله -تعالى-، وبالتصديق بكل ما يجب التصديق به، ورتب على ذلك توفيقهم

فائدة من الآيات السابقة

1 صحيح البخاري (4681)
 2 أضواء البيان، الشنقيطي (549/8)
 3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (381/30)
 4 التفسير الوسيط، طنطاوي (421/15)
 5 إرشاد العقل السليم، أبو السعود (167/9)
 6 موسوعة التفسير الموضوعي (183/9)
 7 تفسير محاسن التأويل، القاسمي (485/9)

للخصلة الحسنى.. التي تنتهي بهم إلى الفوز والسعادة. وبالمقابل وصف أهل الفسوق والفجور بثلاث صفات، هي أساس البلاء، ومنبع الفساد، ألا وهي: البخل، والغرور، والتكذيب بكل ما يجب الإيمان به، ورتب -سبحانه- على ذلك تهيئةهم للخصلة العسرى، التي توصلهم إلى سوء المصير، وشديد العقاب¹.

تلاوة

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

12. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ إن علينا أن نبين طريق الحق من الباطل.
13. ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ وإن لنا للحياة الآخرة ولنا الحياة الدنيا، تنصرف فيهما بما نشاء، وليس ذلك لأحد غيرنا².

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات).

الأسئلة التدرجية	هدايات
------------------	--------

استئناف مقرر لمضمون الكلام السابق، وذلك لإلقاء التبعة على من صار إلى العسرى بأن الله أعذر إليه إذ هداه بدعوة الإسلام إلى الخير فأعرض عن الاهتداء باختياره اكتساب السيئات³.

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ لما سبق؟

حرف (على) يُفيد معنى اللزوم أي لازم لنا هدى الناس وهذا التزام من الله اقتضاه فضله وحكمته فتولى إرشاد الناس إلى الخير قبل أن يؤاخذهم بسوء أعمالهم⁴، وفي هذا لا يكون للناس على الله حجة فلا يمكن للعقل البشري أن يستقل بمعرفة الهدى⁵ لولا إرشاد الله تعالى له.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ ما دلالة مجيء حرف "على" في الآية؟

1 التفسير الوسيط، طنطاوي (15/420)
2 المختصر في التفسير (596/1)
3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (388/30)
4 المرجع السابق
5 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (229)

وتدل «على» أيضا أن طريق الهدى عليه -عَلَيْكَ- وموصل إليه كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: 9] ¹.

أولاً: هدى التوفيق، فهذا لا يقدر عليه إلا الله -عَلَيْكَ-، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56].

ثانياً: هدى إرشاد ودلالة، فهذا يكون من الله -عَلَيْكَ- ابتداءً، ويكون من الخلق بمدية الله لهم: من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن العلماء والدعاة، يشهد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 181]. والهداية المرادة في هذه الآية هي هداية الإرشاد، فالله سبحانه وتعالى ضمن وصولها للناس حتى تقام عليهم الحجة، ولذلك يقول أهل النار يوم القيامة عن مجيء النذير بلى، قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ لَكِنَّا أَلْقَيْنَا فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٥٥﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٥٦﴾﴾ [الملك: 8-9].

للهداية نوعان، اذكرها، وأي النوعين هو المقصود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ؟﴾

الأولى متقدمة على الآخرة في الزمن، لكنه في هذه الآية آخرها لأكثر من فائدة:

- للاهتمام بالآخرة وللتنبية على السعي للفوز بها، وإشارة إلى وجوب تقديمها على الأولى في القصد والعمل.
- ولأن الآخرة يظهر فيها كمال ملك الله -عَلَيْكَ-، ففي الدنيا هناك رؤساء، وملوك، ومن يملك الأرض والمتاع -وإن كان ملكهم نسبي- فالملك الحقيقي لله -عَلَيْكَ- يؤتبه من يشاء؛ قال تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: 26]، لكن في الآخرة فالملك المطلق لله -عَلَيْكَ-، ولا ملك لأحد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ” يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيُّنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ؟، ويشهد له قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

ما دلالة تقديم الآخرة على الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ؟﴾

أولاً: أن من أراد الدنيا فعليه طلبها من الله -عَلَيْكَ- فهو مالِكها سبحانه، وكل من ملك شيئاً فهو ملك نسبي مما مَلَكَه الله -عَلَيْكَ- إياه.

ثانياً: أن العبد إما أن يفوز بها أو يخسرهما معاً، فمن اهتدى فقد ربح الدنيا

إلى ما يشير بيان ملك الله -عَلَيْكَ- للأولى؟

والآخرة؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]، ومن ضل وكفر فقد خسرها كذلك معاً؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْيَىٰ﴾ [طه: 124]

هلا طلبنا الدنيا من مالكها، وبرضاه.

المحرك للسعي والعمل هو الإيمان بملك الله -ﷻ- للدنيا والآخرة والسعي في الفوز بهما والنجاة من خسارتها.
فمتى أيقن العبد ذلك وانتبه من غفلته اجتهد في الطلب بكل ما يرضي الله -ﷻ- وينال به الرضوان الذي وعده سبحانه.
وكذلك أن الله -ﷻ- ملك الآخرة والأولى يتصرف في ملكه كيف شاء.

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ محور السورة. بين ذلك.

تلاوة

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ ١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ٢١﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

14. ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ - فحذرتكم -أيها الناس- من نار تتوقد إن أنتم عصيتم الله.
15. ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ لا يقاسي حرّ هذه النار إلا الأشقى وهو الكافر.
16. ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ الذي كذب بما جاء به الرسول -ﷺ-، وأعرض عن امتثال أمر الله.
17. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ - وسيبعد عنها أتقى الناس أبو بكر - رضي الله عنه -.
18. ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ الذي ينفق ماله في وجوه البر ليتطهر من الذنوب.
19. ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ ولا يبذل ما يبذل من ماله ليكافئ نعمة أنعم بها أحد عليه.
20. ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ لا يريد بما يبذله من ماله إلا وجه ربه العالي على خلقه.
21. ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ ولسوف يرضى بما يعطيه الله من الجزاء الكريم¹.

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدريبية والهدايات).

الأسئلة التدريبية	هدايات
-------------------	--------

مادلالة تنكير (نارا) ووصفها
بأنها تلظى قوله تعالى:
﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْتَظِّي﴾¹

تنكير (نارًا) للتحويل، ووصفها بتلظى دلالة على شدة اشتعالها ولهبها وتجده¹.

- قال رسول الله - ﷺ -: ”إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل توضع في أخصص قدميه جمرتان يغلي منها دماغه“².
- وقال رسول الله - ﷺ -: ”ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها“³.

بينت الآية شدة النار
واشتعالها، دللي على ذلك
المعنى من الأحاديث النبوية

إن كان هذا أهون عذاب أهل النار، فكيف بمن هو أشد منه؟ اللهم أجرنا.
اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار..

ما دلالة الاستثناء في
قوله تعالى ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا
الْأَشْقَى﴾⁴

أن هذه النار حصر عليه. فكأن النار ما أعدت إلا لذاك الأشقى⁴.

في قوله تعالى: ﴿الَّذِي كَذَّبَ
وَتَوَلَّى﴾ ما المراد بالتكذيب
والتولي؟

التكذيب يقابل الخير، والتولي يقابل الأمر والنهي، فالتكذيب باللسان ورفض الدين، والتولي بالفعل بأن يعرض عن طاعة الله وما جاءت به الرسل⁵.

علام يدل التعبير بالتجنب
وبناء الفعل لمن لم يسم فاعله
في قوله تعالى: ﴿وَسِيَّحْتَبُهَا
الْأَنْثَى (17)﴾⁶

يشعر بابتعاده عن النار تماما، بحيث يكون في جانب والنار في جانب آخر⁶،
ومجيء الفعل المبني للمفعول يدل على عناية الله - ﷻ - بأوليائه وإبعاده عن النار
بحيث لا يلفحهم حرها ولا يروعهم منظرها ولا يسمعون صوتها، ويشهد له قوله
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ

1 التحريم والتنوير، ابن عاشور (389/30)
2 رواه البخاري (6561)
3 رواه البخاري (3092)
4 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 551)
5 تفسير العنيمين، ابن عثيمين (231)
6 إرشاد العقل السليم، أبو السعود (168/9)، بصرف

حَسْبِيَ سَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ لَا يَخْزِيهِمْ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ
وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٤﴾ [الأنبياء: 101-103].
اللهم اجعلنا منهم.

- عناية وترغيب شديد في اللحاق بالتقي المنفق بدلالة الحصر، حصر «الأتقي» بالمنفق¹.
- دلالة على أن الانفاق برهان على صدق الإيمان وسبيل للنجاة، ويشهد لذلك ما جاء في الحديث الصحيح: «والصدقة برهان»².
- ودل الفعل المضارع على تكرار الإنفاق إخلاصا لله -عز وجل- وطلبا في زكاة نفسه، وهذا الأمر لا يكون إلا لمن رغب فيما عند الله -عز وجل- فأمن به وبما جاء على رسوله، وتبع الإيمان العمل، ولا يزال يطلب بعمله زكاة نفسه.
- وفيها إشارة أيضا إلى أهمية التكافل في الإسلام ونفع المسلم لغيره.

ما دلالة حصر عمل الأتقي
بالإنفاق في قوله تعالى:
(وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقِيُّ (17)
الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى
(18)) وما دلالة محي
الفعل المضارع يؤتي؟

دلالة على أن في الإنفاق زكاة للنفس وتطهير لها من الذنوب³، ويشهد له قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [التوبة: 103].
وإشارة إلى أن العبد مهما بلغ من التقوى لا يزال بحاجة لتزكية نفسها، وأن هذا هم للمؤمن، كلما زاد في السموم كلما اجتهد أكثر.

ما دلالة ختم الآية بقوله
تعالى: (يَتَزَكَّى)؟

دلالة على شدة الإخلاص لله تعالى، فهو ينفق ما ينفقه في سبيل الله خاصة وليس ما ينفقه من أجل أن عليه لأحد من الناس فضلا أو يداً فهو يكافئه بها⁴.
في الآية الإرشاد إلى أن صاحب التقوى لا ينبغي له أن يتحمل من الخلق ونعمتهم، وإن حمل منهم شيئا بادر إلى جزائهم عليه؛ لئلا يتبقى لأحد من الخلق عليه نعمة تجزى، فيكون بعد ذلك عمله كله لله وحده، ليس للمخلوق جزاء على نعمته⁵.

ما دلالة تعقيب وصف المتقي
بقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ
عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19)
إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾؟

اللام لام الابتداء لتأكيد الخبر، أو لام القسم، و«سوف» لتحقيق الوعد في المستقبل، تأكيداً لرضى الأتقي المنفق المخلص لله تعالى بما سيعطيه ربه من الكرامة والجزاء العظيم على أكمل الوجوه وأجملها إذ يتحقق بها الرضا⁶.
ولا يكون هذا العطاء إلا عن رضا رب العالمين عن العبد وهو أعظم من رضا العبد

ما دلالة اللام وسوف
في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ
يَرْضَى﴾؟

1 محاسن التأويل، القاسمي (487/4) بتصرف

2 أضواء البيان، الشنقيطي (552/8)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (390/30)

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (927)

4 أسير التفاسير للجزائري (584/5)

5 بدائع التفسير، ابن القيم (326/3)

6 روح المعاني، الألوسي (371/15) والتحرير والتنوير، ابن عاشور (392/30) بتصرف

عن الله -ﷻ-، مثل قواه تعالى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [البينة: 8]، ولكن جاء هنا رضا العبد عن الله -ﷻ- تكريماً لهذا العبد التقى الذي صدق بما جاءه عن الله -ﷻ- واتبع شرعه.

افتتحت السورة بالحديث عن سنة الاختلاف في الخلق وفي الأعمال لتختتم بالاختلاف في الجزاء،
فقابلت بين الليل والنهار، والذكر والأنثى.
وقابلت بين أعطى وبخل، واتقى واستغنى، وصدق وكذب، واليسرى والعسرى.
وقابلت بين الآخرة والأولى وكلاهما ملك لله -ﷻ-.
وقابلت بين الأتقى والأشقى.
لتكون ختام المقابلة في الجزاء بين من يصلى النار وهو منغمس فيها، وبين من يُجَنَّبُها، بين نار تلظى جزاء حتى الرضا.
فاختر لنفسك الجزاء قبل الطريق.

ما مناسبة ختم السورة بهذه الآية، وإلام يدفعنا؟

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- الليل والنهار آيتان من آيات الله -ﷻ- لله ودليل على قدرته وحكمته سبحانه وعلى سنة الاختلاف والتقابل.
- أوضحت السورة مسؤولية الإنسان في الهداية والضلال.
- تقرير القضاء والقدر وهو أن كل إنسان ميسر لما خلق له من سعادة أو شقاء.
- بينت السورة أهمية الإنفاق في تزكية النفس.
- أن الله تعالى متكفل بهداية البشر هداية إرشاد لتقوم عليهم الحجة.
- بيان ملك الله -ﷻ- للدنيا والآخرة فمن أرادهما أو إحداهما فليطلب ذلك من الله تعالى فالآخرة تطلب بالإيمان والتقوى والدنيا تطلب باتباع سنن الله تعالى في الحصول عليها.
- بيان ملك الله -ﷻ- للدنيا والآخرة فهو يتصرف في ملكه بما شاء.
- بيان أن للنار منازل ومنها ما لا يصلها إلى المكذب بالله -ﷻ- الكافر.
- بيان عظمة جزاء المؤمن التقى بالإنعام عليه حتى الرضا.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- التفكير والتأمل في مخلوقات الله تعالى ومنها الليل والنهار واختلافهما وتعاقبهما، والتذكير بنعمة الله تعالى علينا بهما.
- السعي والحرص على تحصيل الهداية والأخذ بأسبابها.

- المسارعة في الأعمال التي تيسرنا لليسرى، بالإففاق في سبيل الله، وتقواه في السر والعلن، والتصديق بما جاء به رسوله - ﷺ - من الحق والإقبال عليه.
- اجتناب كل ما يبعدنا عن رضا الله - ﷻ - من البخل بما رزقنا، والتكذيب والإعراض عن الحق.
- الإكثار من الخيرات والأعمال الصالحة التي تبعدنا عن النار وتقربنا من الرضا والرضوان.
- تحري الإخلاص في جميع أعمالنا ومن أهمها النفقة في سبيل الله.
- التوكل على من له ملك الآخرة والأولى، وانقطاع رجائنا عن المخلوقين.
- الإخلاص لله - ﷻ -.

من الفوائد التربوية

- غرس التفكير. ما فوائد ذكر المتقابلات في السورة؟ فيها دعوة للتفكير والاستدلال على البعث بعد الموت واختلاف الجزاء.
- غرس قيمة الإففاق في سبيل الله - ﷻ -.
- غرس قيمة الإخلاص والتزكية.
- أسلوب الترغيب والترهيب.
- تميزت السورة بأسلوب الإقناع والاستدلال.

رسائل

- (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) اختلاف السعي دليل على اختلاف الجزاء، فاسع بما يسعدك جزاؤه.
- (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى) ماذا فعلت بهداية الله لي؟ وما مدى اتبعي رضوانه؟
- (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) البشارة لكل مؤمن مخلص بنيل رضا رب العالمين ونيل ما يرضيه وتلك أسمى الأمانى وأرقى الغايات.
- (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) لا شيء يزكي النفس ويرتقي بها مثل الكرم والسخاء، واعتياد البذل والعطاء، ففيها قطع للنفس عن علائق الأرض ووصل لها بعوالي السماء¹.

093. سُورَةُ الضُّحَى: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

من رَحِمَ الظلام يتنفس الفجر، ومن رحم المعاناة يولد أمل التغيير، سورتنا اليوم تتحدث عن هذا التغيير، فعندما تأخر الوحي قليلاً عن رسول الله - ﷺ - شعر بالحزن والضييق، فنزلت عليه هذه السورة؛ لتماماً قلبه نوراً وإشراقاً، سورة تفيض بالود والرحمة والإناس والرضا والطمأنينة، فدعونا نتفكر في هذه السورة؛ لنعيش هذه المشاعر العظيمة.

سورتنا هي سورة الضحى.

تمهيد:

تعريف السورة

اسم السورة:	تسمى «سورة الضحى» وسورة «الضحى». ¹
نوع السورة:	مكية بالاتفاق. ²
عدد آياتها:	إحدى عشرة آية في جميع العدّ ليس فيها اختلاف. ³
سبب نزولها:	روى البخاري في صحيحه، ⁴ عن جندب بن سفيان - رضي الله عنه - قال: «اشتكى رسول الله - ﷺ -، فلم يقيم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أراه قريبك منذ ليلتين أو ثلاثة، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الضحى: 1 - 3].
	وفي لفظ لمسلم عن جندب - رضي الله عنه - قال أبطأ جبريل على رسول الله - ﷺ - فقال المشركون: قد ودع محمد فأنزل الله - عز وجل -: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾. ⁵⁶

1 التحريز والتنوير، ابن عاشور (4983)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد أي القرآن، (ص: 277)

4 أخرجه البخاري في صحيحه (4959)

5 أخرجه مسلم (1797)

6 المهر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (2/ 1079)

عن جابر قال: كان معاذ يصلي مع النبي - ﷺ - ثم يأتي فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي - ﷺ - العشاء ثم أتى قومه فأتمهم فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل فسلم، ثم صلى وحده وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ قال: لا والله ولأتين رسول الله - ﷺ - فلاخبرته، فأتى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله، إننا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة فأقبل رسول الله - ﷺ - على معاذ فقال: «يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ ب(والشمس وضحاها، والضحى، والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى)»،¹ فخصها بالذكر معهم.

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

المناسبة بين سورة الضحى وسورة الليل وسورة الشمس:

قال السيوطي عن سورة الشمس والليل والضحى: (هذه الثلاثة حسنة التناسق جداً، لما في مطالعها من المناسبة)²، وسورة الضحى متصلة بسورة الليل من وجهين: ففي الليل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾، وفي الضحى قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾، وفي الليل قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، وفي سورة الضحى قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.³

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة الضحى وسورة الشرح:

لما أمر الله - ﷻ - نبيه - ﷺ - آخر سورة الضحى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه فصلها في سورة الشرح، فهي شديدة الاتصال بما؛ لأن فيهما تعداد نعم الله - تعالى - على نبيه - ﷺ -.⁴

مناسبة السورة لما بعدها:

ذكر رعاية الله لنبيه - ﷺ - والامتنان عليه بنعمة الوحي ودوامها له، تأنيساً له، وتذكيراً للمؤمنين بالشكر.⁵

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (5): تأنيس وتسلية وتقوية للنبي - ﷺ -.

من الآية (6) إلى الآية (8): دلائل رعاية الله - سبحانه وتعالى - لنبيه - ﷺ -.

من الآية (9) إلى الآية (11): الأمر بمقابلة النعم بالشكر.

موضوعات السورة:

1 صحيح مسلم (1/339)

2 أسرار ترتيب القرآن، السيوطي (1/152)، باختصار

3 موسوعة التفسير الموضوعي (9/201)

4 نظم الدرر، البقاعي (22/115)

5 المختصر في التفسير (1/596)

تلاوة

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ أقسم الله بأول النهار.
2. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ وأقسم بالليل إذا أظلم وسكن الناس فيه عن الحركة.
3. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ما تركك - أيها الرسول - ربك، وما أبغضك كما قال المشركون لما فتر الوحي.
4. ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ وللدار الآخرة خير لك من الدنيا؛ لما فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع.
5. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ وسوف يعطيك من الثواب الجزيل لك ولأمتك حتى ترضى بما أعطاك وأعطى أمتك.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الأسئلة التدرية	الهدايات
ما مناسبة ابتداء السورة بالقسم؟	لتأكيد الخبر؛ ردًا على زعم المشركين بأن الوحي انقطع عن النبي - ﷺ -، وفي ذلك إبطال لمزاعمهم ودعواهم. ²
ما مناسبة القسم بالضحى والليل في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾؟	<ul style="list-style-type: none"> • إنَّ الضحى وقت انبثاق نور الشمس فهو إشارة إلى تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء به.³ • والليل وقت قيام النبي - ﷺ - بالقرآن، وهو الوقت الذي كان يسمع فيه المشركون قراءته من بيوتهم القريبة من بيته أو من المسجد الحرام.⁴

1 المختصر في التفسير (596/1)
 2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (394/30)
 3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (394/30)
 4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (395/30)

• أورد الصباح، كان ابن تيمية إذا صَلَّى الفجر يجلس في مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار ويرتفع، فسئل عن ذلك فقال: هذه غدوتي، لو لم أتعد هذه الغدوة سقطت قواي.

• صلاة الضحى، عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى"¹.

• قيام الليل، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل"².

• الدعاء، قال رسول الله - ﷺ -: "ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟"³.

أقسم الله بوقتي الضحى
والليل لعظهما وتشريفهما،
ما الأعمال الفاضلة التي
يَحْسُنُ أن نُؤدِّيها في هذين
الوقتين؟

• دعاء الله - ﷻ - بالتوفيق لهذه العبادة مع رياضة النفس على ذلك حتى تتأدّها، ثم تصبر عليها (الصبر على الطاعة).

• تذكر حلاوة المناجاة والوقوف بين يدي الله؛ فإنَّ لقيام الليل لذة في القلب، وحلاوة في النفس، ولا يشعر بهذه اللذة وتلك الحلاوة إلا من وفقه الله - عز وجل -.

• اجتناب المعاصي، فقد لا يُؤفَّق مقترف الذنوب لقيام الليل، ومن أحسن في نهاره، وُفِّق في ليله.

• عدم الإكثار من الأكل والشرب، فيغلبه النوم، ويتثقل عليه القيام.

• التخفيف من التعب الجسدي قدر الإمكان، فإنَّ التعب يضعف الجوارح، وتضعف بما الأعصاب، ويجلب النوم.

• الاستعانة بالقيولة، ولو لوقت قصير.

• قصر الأمل وتذكر الموت؛ فإنه يدفع إلى العمل، وإياك وطول الأمل؛ فإنه يدفع إلى الكسل.

• أن يستشعر فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار الواردة فيه.

من ذاق لذة القيام لم يتركه
أبدأ، اذكر بعض الأسباب
المعينة على قيام الليل؟

1 صحيح مسلم (720)

2 صحيح مسلم (1163)

3 صحيح البخاري (53/2)، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (758)

جواب القسم هو ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

وفي المناسبة بينه وبين القسم يقول ابن القيم - رحمه الله -¹:

- تأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه: وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبُّهُ.
- وأيضاً فإنَّ فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة، فهذان للحس وهذان للعقل.
- وأيضاً فإن الذي اقتضت رحمته ألا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدًا، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعاشهم، لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغنى، بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم.

ما جواب القسم؟ وما

المناسبة بينه وبين القسم؟

- ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ بيان لصلوة الله - سبحانه وتعالى - بنبيه - ﷺ - ومحبه وأنه سبحانه لن يتركه، وأن الوحي مستمر، وهذا فيه من اللطف والتعظيم ما لا يخفى؛ فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقتة ولمن يحب ويرجى عوده.²
- تضمن نفي التوديع نفي الترك وبيان حب الله - ﷻ - لنبيه - ﷺ -.

ما دلالة تخير لفظ التوديع

دون غيره من المرادفات في

قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَلَى؟﴾

- ﴿وَمَا قَلَى﴾ أي ما أبغضك منذ أحبك، فإنَّ نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحًا إلا إذا تضمن ثبوت كمال، فهذه حال الرسول ﷺ الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درجة الكمال، ودوام اعتناء الله به.³

ما دلالة نفي القلى في قوله

تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا
قَلَى؟﴾

ما دلالة عدم إضافة القلى

إلى المخاطب، فلم يقل

قلاك؟

لتشمل النبي - ﷺ - ومن سار على هديه، فتكون بذلك عامة للمسلمين.

- فيه بشارة للنبي - ﷺ - فلما نُفِيَ الْقَلَى عن النبي - ﷺ - بُشِّرَ بأن آخرته خير من أولاه، وأن عاقبته أحسن من بدآته، وفي هذا وعد من الله بأنَّ العاقبة له في الدنيا والآخرة.⁴

ما مناسبة قوله تعالى:

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ
الْأُولَى﴾ لما قبلها؟

1 بدائع التفسير، ابن القيم (327/3)

2 محاسن التأويل، القاسمي (490/9)

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (928)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (397/30)

- قبل المراد منهما الدار الآخرة والدنيا، فتكون بمعنى: إنَّ الحياة الآخرة خير له - ﷺ - من هذه الحياة العاجلة، وفي ذلك تبشير له - ﷺ - بالخيرات الأبدية.
- أو إنها تفيد أن كل حالة متأخرة من أحواله - ﷺ - فإن لها الفضل على الحالة السابقة لها، وهذا فيه إشارة إلى أنَّ عودة الوحي عليه هذه المرة خير من العودة التي سبقت، فيكون الله - تعالى - تكفَّل بعدم انقطاعه.¹

ما المراد بالآخرة والأولى في الآية؟

- للاختصاص، وفيها بيان أن هذا الخير مختص بك، وهو شامل لكل ما تعلق بنفس النبي - ﷺ - في ذاته ودينه وأمته، فهذا وعد من الله بأن ينشر دين الإسلام، وأن يُمكن أمته من الخيرات.²

ما دلالة اللام في قوله: "لك" في الآية؟

- قال تعالى: ﴿أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: 38].
- وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَسَلَاةٌ آخِرَةٌ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32].
- وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: 26].
- وقال رسول الله - ﷺ -: "يُؤْتَى بِأَتَمِّ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ".³
- والأدلة على ذلك كثيرة، فهل من معتبر؟

ما مكانة الدنيا في الآخرة؟

فلم نتعلق بدنيا فانية ونترك آخرة عامرة؟

- معرفة حقيقة الحياة الدنيا.
- تذكر الموت وقرب الأجل.
- تذكر الحساب والوقوف بين يدي الرحمن.
- تذكر الحسرة حين رؤية صحائف الأعمال.
- مصاحبة الصالحين المصلحين الناصحين.
- الدعوة إلى الله - ﷻ - وتذكير الغير.

كيف نعالج الانشغال بالدنيا والغفلة عن الآخرة؟

1 تيسير الكرم الرحمن، السعدي (928). التحرير والتنوير، ابن عاشور (397/30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (398/30)

3 رواه مسلم (2807)

- البعد عن مجالس اللهو واللغو والغيبة.
- التفكير في الجنة وملذاتها، والتعرف على صفتها ونعيمها.
- علو الهمة في طلب الفردوس الأعلى.
- ...

• استمرار العطاء الموعود به النبي - ﷺ - بدلالة بدء الآية بحرف الاستقبال ﴿وَلَسَوْفَ﴾.

- شمول عطائه للأموال المادية وغيرها بدلالة التعبير بالعطاء دون الإيتاء.
- عموم العطاء لكل ما يرجوه - ﷺ - من خير لنفسه ولأمته بدلالة حذف متعلق يعطيك.
- عناية الله برسوله وأفته ولطفه وتشريفه - ﷺ -، بدلالة اسم الله ﴿رَبُّكَ﴾ في الآية وإضافته إلى الضمير العائد عليه - ﷺ -.
- كون العطاء عاجل النفع بحيث يحصل به رضى المعطى من دون ترقب بدلالة فاء التعقيب في قوله: ﴿فَتَرَضَى﴾.¹

في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾
دلالات على عظم عطاء
الله لنبيه - ﷺ -، فكيف
نستوحىها من الآية؟

- المقام المحمود، قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]، وقال رسول الله - ﷺ -: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْبَدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّائِبَةِ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْقُسَيْلَةَ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتُهُ، إِلَّا حَلَّتْ لَهُ شِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"².
- الشفاعة العامة، كما في الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما: ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، اذْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ نَعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفِّعْ»³، وقيل هو المقام المحمود.
- الشفاعة في أمته.

عدد بعض عطاءات الله تعالى
لنبيه محمد - ﷺ -؟

- نهر الكوثر والحوض المورود، وما خصت به أمته غزراً مججلين، يردون عليه الحوض ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1].
- الوسيلة، وهي منزلة رفيعة عالية لا تنبغي إلا لعبد واحد، كما في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمَوْدِنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»⁴.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (398/30)
2 صحيح النسائي 679
3 صحيح مسلم (185 / 1)
4 صحيح مسلم (288 / 1)

- شهادته على الرسل، وشهادة أمته على الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41].
- كثرة الاتباع.
- رفع ذكره - ﷺ -.
- وغير ذلك من عطايا الله - عز وجل -.

من قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ نستشعر كرم الله - تعالى - وعظيم عطائه لنبينا - ﷺ -، فإلام يدفعنا هذا؟

تعظيم الرسول - ﷺ - ومحبته والدفاع عنه.
نحرص على اتباع سنته واقتفاء أثره وكثرة الصلاة عليه، عسى الله أن يحشرنا في زمرة، ويدخلنا في شفاعته ويسقينا من حوضه.
دعاء الله - سبحانه وتعالى - والطمع فيما عنده، ورجاؤه والتوسل إليه لا إلى غيره.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۗ﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

6. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ لقد وجدك صغيراً قد مات عنك أبوك، فجعل لك مأوى، حيث عطف عليك جدك عبد المطلب، ثم عمك أبو طالب.
7. ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك من ذلك ما لم تكن تعلم.
8. ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ ووجدك فقيراً فأغناك.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	هدايات
ما الغرض من تعداد النعم على النبي الكريم - ﷺ -؟	تعديده لما أفاض على الرسول - عليه الصلاة والسلام - من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المتزقب الموعود، فيطمئن قلبه وينشرح صدره. ²

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 596)
2 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (170/9)

الاستفهام للتقرير، وفيه مزيد تذكير للنبي - ﷺ - بما كان عليه قبل منة الله عليه لاستحضار عناية الله به، وما هو عليه من الفضل والمنة.¹

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ما دلالة الاستفهام؟

إنه لو كان التعبير (فآواك) لاختص الإيواء به - ﷺ - والأمر أوسع من ذلك، فإن الله - تعالى - آواه، وآوى به، آوى به المؤمنون فنصرهم وأيدهم، ودفع عنهم بل دافع عنهم - سبحانه وتعالى -.²

ما وجه إطلاق قوله تعالى: ﴿فَآوَى﴾ ولم يخصها للرسول - ﷺ -؟

يسر له من يكفله بعد موت أبيه وأمه، وهو لا يدبر نفسه، فآواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات جده كفله عمه أبو طالب، حتى أيده بنصره بالمؤمنين،³ والله - تعالى - أنشأه - ﷺ - على كمال الإدراك والاستقامة والتربية الكاملة مع أن شأن الأيتام أن ينشؤوا على نقائص؛ لأنهم لا يجدون من يعنى بتهديهم وتعهد أحوالهم الخلقية، فكان تكوين نفسه الزكية على الكمال خيرًا من تربية الأيتام.⁴

بين كيف كانت عناية الله - سبحانه وتعالى - بالنبي - ﷺ - وهو صغير.

ليس الضلال هنا اتباع الباطل؛ لأن النبي - ﷺ - في جاهليته وإن لم يكن عنده معرفة بالوحي ولا بالشريعة ولا بالإيمان ولا بالكتاب، إلا أنه كان يتمسك بالفطرة السليمة، فالضلال هنا إنما هو عبارة عن عدم التعليم أولاً، ثم منحه من العلم ما لم يكن يعلم، كقوله: ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: 52].⁵ ووصول الرسول - ﷺ - إلى هذه الغاية العظيمة إنما كان بالوحي الذي أنزله الله - ﷻ - عليه.

في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ما المقصود بالضلال في الآية؟

هداية الرسول - ﷺ - أشمل وأوسع فهي تشمل - ﷺ -، وتشمل هداية الله - تعالى - به الناس، فهو هادٍ مهديّ - عليه الصلاة والسلام - بدلالة التعبير بقوله: ﴿فَهَدَى﴾ مطلقة دون تخصيص.⁶ فشملت هداك وهدى بك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَوَكَّلْنَاكَ أُوحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

هل هداية الرسول - ﷺ - مقتصرة عليه فقط؟ وما أثر ذلك فينا؟

1 التحريز والتنوير، ابن عاشور (399/30)
2 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (236)
3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (928)
4 التحريز والتنوير، ابن عاشور (399/30)
5 أضواء البيان، الشنقيطي (563/8)
6 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (237)

- ”أغنى“ تعبير بالفعل، وهو يدل على التجدد والحدوث، فقد كان -ﷺ- من حيث المال حالاً فحلاً، والواقع أن غناه -ﷺ- كان قبل كل شيء، هو غنى النفس والاستغناء عن الناس، ويكفي أنه -ﷺ- أجود الناس.¹
- فالغنى شمل الغنى المعنوي: بوحيه وكتابه، وفي نفسه بالقناعة والكفاف، في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: ”ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس“،² وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله -ﷺ-: ”قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقّعه الله بما آتاه“.³
- والغنى الحسي بمال خديجة - رضي الله عنها -، وأغناه بعد ذلك بالفتوح والغنائم.
- وعدم تقييده دلّ على أنّ الله - سبحانه وتعالى - أغناه وأغنى به، فيكون ذلك أشمل وأوسع.⁴

في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ غَائِلًا فَاغْنَى﴾ ما دلالة الفعل فَاغْنَى؟ وما السر في عدم تقييده؟

- تذكيره بالغنى بعد الفقر؛ ليأنس برعاية الله - تعالى - ويستشعر منته فيطمئن قلبه؛ فتذكير الإنسان بما كان عليه من الضعف والفقر وما أنعم الله عليه بعده من الغنى يشعره بنعم الله وفضله تعالى عليه، ويمنعه من العجب ونسيان المنعم، ويدفعه إلى الإحسان.
- وهذا يشعرنا برعاية الله - تعالى - لأولئائه وأصفيائه، وأنّ الله إذا أراد لعبده أمرًا هيأه له ولو كان في حال ضعف وفقر، وكم من ضعيف فقير رفعه الله وأغناه.

ما دلالة تذكير النبي -ﷺ- بأنه أغناه بعد فقره؟ وم يشعرنا ذلك؟

- يدفعنا إلى بذل الأسباب في طلب الهداية، والحرص عليها، ودعاء الله -ﷻ- بالتوفيق والثبات عليها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَكَنَّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، فالهداية بيد الله -ﷻ- ووعدا لمن سعى وجاهد لنيلها.
- بذل الأسباب لهداية الآخرين مع العلم أننا لا نملك سوى هداية الإرشاد والدلالة.

الهداية منة من الله، ما أثر ذلك في النفس؟ وهل نتكل؟

تلاوة

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾

الآية (الآيات)

1 أضواء البيان، الشنقيطي (562/8)

2 صحيح بخاري (6446). صحيح مسلم (1051)

3 صحيح مسلم (1054)

4 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (237)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

9. ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تُسئِ معاملة من فقد أباه في الصغر، ولا تذله.
 10. ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ولا تجرح السائل المحتاج.
 11. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ واشكر نعم الله عليك وتحدث بما¹.

تدبر وتركبة: (الأسئلة التندرية والهدايات)

الأسئلة التندرية	هدايات
------------------	--------

- لما ذكره الله - سبحانه وتعالى - بما أنعم عليه به من هذه النعم الثلاث أوصاه بما يفعل في ثلاث مقابلة لها.²
- وجعل الله - سبحانه وتعالى - الشكر مناسباً للنعم المشكور عليها.³
- فقابل قوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ لقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾.
- وقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ مقابل ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾.
- وقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ مقابل ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾.

- تدل الآية على العناية المطلقة باليتيم والاهتمام بشأنه بدلالات:
- (أما) فهي تفيد شرطاً مقدراً تقديره: مهما يكن من شيء، ومهما يكن من أمر فلا تقهر اليتيم.⁴
- تقديم (اليتيم) في الآية؛⁵ للاهتمام بشأنه.
- عدم القهر يشمل النهي عن أذية اليتيم معنوياً وحسبياً، فالقهر يكون بالقول؛ كالسب والشتم، وبالفعل كأخذ المال، ويكون بالإشارة مثل الازدراء والتحقير.
- ونرى في هذه الآية عناية الله - ﷻ - بنفسية الإنسان.

- اهتم الدين الإسلامي باليتيم والعناية به، وضح ذلك مع ذكر الشواهد.
- الحث على النفقة عليه، قال تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة: 177].
- عدم مساءته في نفسه، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ؟ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: 3-1].
- الإحسان إليه، قال تعالى: ﴿لَا تُعْبُدُونِ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى

1 المختصر في التفسير (596/1)
 2 نظم الدرر، البقاعي (110/22)
 3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (400/30)
 4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (401/30)
 5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (401/30)

- واليتامى) [البقرة: 83]، فيحسن إليه كما يحسن إلى والديه ولذي القربى.
- حسن العشرة والمعاملة، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاخْوَئُكُمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: 220]، أي: تعاملوهم كما تعاملون الإخوان، وهذا أعلى درجات الإحسان والمعروف.
 - الترغيب بكفالة اليتيم، قال رسول الله -ﷺ-: "أنا وكافل اليتيم كهاتين" يشير إلى السبابة والوسطى وفرج بينهما"¹.
 - الشفقة عليه والاقتراب منه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً شكَا إلى رسول الله -ﷺ- قسوة قلبه، فقال: "امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين"².

السائل هنا عامة يدخل فيه كل سائل بدلالة التعريف،³ فيدخل فيه سائل المال، وسائل العلم، ولهذا كان المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكراماً لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد.⁴

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ
فَلَا تَنْهَرْ﴾ ما المراد بالسائل
في الآية؟

أمر بإعطاء السائل ما تيسر أو رده بمعروف وإحسان دل على ذلك النهي عن اغلاظ القول،⁵ ويستفاد من النهي عن القهر والنهر النهي عما هو أشد منها في الأذى، كالشتم والضرب والاستيلاء على المال وتركه محتاجاً، وليس من النهي نهي السائل عن مخالفة آداب السؤال في الإسلام.⁶

ما دلالة النهي في قوله تعالى:
﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾؟

- قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 19].
- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ائْتِعَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: 28].
- قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 263].
- قول الرسول -ﷺ- لأم مجيد لما قالت: يا رسول الله إن المسكين ليقوم على بابي فما أجد له شيئاً أعطيه إياه، فقال: "إن لم تجد شيئا تعطينه إياه إلا ظلماً محرماً فادفعه إليه في يده"⁷.
- وجاء في سائل العلم قول الرسول -ﷺ-: "يأتاكم رجال من قبل المشرق

1 رواه البخاري (4892)

2 رواه أحمد، (7566) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (1410)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (402/30)

4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (928)

5 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (928)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (403/30)

7 سنن الترمذي (44/3) صحيح الترمذي 665

يتعلمون فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً“، وفي رواية: ”فإذا رأيتموهم فقولوا مرحباً مرحباً بوصية رسول الله -ﷺ- واقتوهم (أي علموهم).¹

- كان -ﷺ- إذا لم يجد ما يعطي السائل يعده وعداً حسناً لحين ميسرة.
- ولم يبخل يوماً قط فقد جاء عن جابر - رضي الله عنه - قال: «ما سئل النبي -ﷺ- عن شيء قط فقال: لا».²
- وأتاه رجل فسأله، فأعطاه غنماً سدّت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه وقال: أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر.³
- وإذا أتاه سائل فإنه يكون شفيقاً رحيماً، كما في حادثة الأعرابي الذي بال في المسجد.

اذكر صوراً من سيرة
المصطفى -ﷺ- تبيّن
عطاءه للسائل وحسن خلقه
معه.

متى كفّل المجتمع أفرادَه الضعفاء فأغناهم عن السؤال، وفتح لهم فرصة الغنى والعفاف، ولو بالكلمة الطيبة، فهنا يصلح حال المجتمع ويظهر الحب بين أفرادِه، فلا يكون هناك محلٌّ للجريمة أو لاغتصاب الحقوق، ما دام أن أبناءه متضامنون متعاونون، يحب بعضهم بعضاً.⁴

ما أثر العناية باليتيم
والمسكين في المجتمع؟

لتشمل جميع النعم الدينية والدنيوية فتكون الجملة تذييلاً جامعاً، وفي تقديم (نعمة) على المتعلق (فحدث) للاهتمام بشأنها،⁵ ولا شك أن أعظم نعمة هي نعمة القرآن؛ ولذلك فسرها مجاهد بما.⁶ وإضافتها إلى الرب - تعالى - للدلالة على أن كل ما أنت فيه من النعم فهو من عناية الله بك وتربيته لك، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: 53].

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ما دلالة عدم
تحديد النعمة وإضافتها إلى
الرب تعالى؟

- إنّ التحدث بنعمة، داعٍ لشكرها، وموجب لتحيب القلوب إلى من أنعم بها، فإنّ القلوب مجبولة على محبة المحسن.⁷
- وفيه تنبيه على أدب عظيم، وهو التصدي للتحدث بالنعمة وإشهارها، حرصاً على التفضل والجود والتخلق بالكرم، وفراراً من رذيلة الشح الذي رائده كنتم

ما دلالة الأمر بالتحدث
بالنعم؟

1 سنن الترمذي (30/5)
2 أخرجه البخاري (6034)
3 أخرجه مسلم (2312)
4 الألوكة، دلالات تربوية على سورة الضحى
5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (403/30)
6 فتح القدير، الشوكاني (456/5)
7 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (928)

النعمة والتمسك والشكوى.¹

- أن يعترف المسلم بنعم الله عليه ويحمده عليها، فَيُحَدِّثُ بِهَا نَفْسَهُ أَوْلاً حَاتِئاً لَهَا على إدراك النعمة وحسن توظيفها.
- أن يُرى أثر النعمة على المسلم، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسول الله وأنا قَشِيفُ الهَيْبَةِ، فقال هل لك من مال؟ قلت: نعم، قال: من أي المال؟ قلتُ من كل المال، الإبل والرقيق والنعيم والخيل، قال: (إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرِّ عَلَيْكَ).²
- أن تكون النية في التحدث إظهار النعمة وشكر المنعم، لا أن يكون القصد من التحدث الافتخار والتكبر على الغير، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 23].
- التحدث بها شاكرًا لله تعالى، ومظهرًا لصفات الله والثناء عليه، وبعث النفس على الطلب منه - سبحانه وتعالى - دون غيره.
- ألا يحدث بالنعم فاقداً ولا حاسداً.
- استعمال النعم في طاعة الله تعالى.

كيف يكون التحدث بنعم الله تعالى؟

- هي نعمة الهداية ونعمة الإسلام، فينبغي أن نتحدث بها إلى الناس ونذكركم بهذه النعمة؛ لأنه عمّ في الناس الغفلة عن هذا الدين، وانشغلوا بالفاني عن الباقي.
- ومن التحدث بنعمة الدين وشكرها، الدعوة إلى الله تعالى، وتبليغ رسالته، وتعليم الأمة.³
- دعاء الله - سبحانه وتعالى - الثبات على الدين والزيادة فيه.

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ما أعظم النعم التي رزقنا بها الله؟ وكيف يكون التحدث بها؟

- من أهم القضايا والقيم الواردة في السورة:
- مكانة الرسول - ﷺ - وتشريفه.
- الاهتمام بالوقت وخصوصاً الضحى والليل.
- تعليق القلب بالآخرة وما فيها من خير.
- تذكّر نعم الله - تعالى - علينا والتحدث بها وشكرها.
- الاهتمام بالضعفاء كاليتم والمسكين.
- الرضا بقضاء الله - سبحانه - وقدره.

اذكر بعضاً من القيم التي تغرسها سورة الضحى؟

1 محاسن التأويل، القاسمي (493/9)

2 رواه أحمد (15457) ووضحه الألباني في صحيح الجامع (254)

3 بدائع التفسير، ابن القيم (330/3)

والسورة في ذلك أربعة مقاطع:

المقطع الأول في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾.

دَلَّ القسم بالضحى والليل على سنة تغيير الأحوال فتارة رخاء وتارة شدة، وهذا له أثر في علاج الحزن والضيق والاكتئاب من أكثر من وجه:

• الأول: معرفة أن تغيُّر الأحوال سنة من سنن الله - ﷻ - يدل على قرب الفرج وأن اليسر قريب، فحال الظلمة لن يطول ويأتي حال النور، فالليل سينتهي لا محالة، ودوام الحال من المحال.

• الثاني: معرفة أن تغيير الأحوال سنة من سنن الله - ﷻ - يدل أن كل الناس مشتركون في هذه السنَّة، وإن اختلفت ظروفهم، فمنهم من يكون ابتلاؤه بنقص المال، ومنهم من يكون بالصحة، ومنهم من يكون يفقد الذرية أو ضالاهم، وغير ذلك من الأحوال، ومن نظر في ابتلاءات الناس هانت عليه بلواه.

• ثالثًا: التهيؤ حال الرخاء إلى تغيير الحال، ولا يُقصد بذلك تمني البلاء ولا انتظاره، ولكن عدم الركون إلى الدنيا والتعلق بها، فكلها بما فيها إلى زوال.

• رابعًا: معرفته بالخير الذي يكون في الليل وإن بدا مظلمًا، ففيه النفحات الربانية، وكذلك الابتلاء وإن كان ظاهره شر فهو خير للمؤمن بإذن الله - عز وجل -، فقد يتحوَّل بالرضا من محنة إلى منحة وقرى من الله - ﷻ - وهذا فرج ويسر في ذاته.

• خامسًا: معرفة أن الابتلاء سنة يجعل العبد يرضى بما هو فيه، فقد يكون هذا الابتلاء دفع ما هو أعظم منه.

• سادسًا: كما يمكننا تبديد ظلمة الليل بنور الصباح، كذلك نأخذ بالأسباب المشروعة (المادية والشرعية) لرفع البلاء.

المقطع الثاني في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾.

• أولًا: معرفة علاقة العبد بربه، ما عهدك بربك إذا سرت في ركبته واتبعت نهجه؟ إذا علمت أن ربك هو المدبر - سبحانه - اطمأنت لحكمه وقدره، فهو يربيك، ويصلحك، ويرفعك، ولن يقدر لك إلا ما في وسعك، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 285 - 286]، وإن قدر لك أمرًا فسيعينك عليه، فكيف تحزن إذا علمت أن الله ما ودَّعك إذا كنت على هديه، وأنه يجبك ما بقيت على نهجه؟!!

في السورة منهج رباني لمعالجة الحزن والاكتئاب حال الابتلاء، وضح ذلك.

• ثانيًا: تحويل الوجهة في طلب الآخرة وهوان الدنيا، ومن طلب الآخرة هانت عليه الدنيا بملذاتها، بشدتها وفرجها، وتتحول المحنة إلى منحة لما في الصبر عليها والرضا من أجر عظيم، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُنِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُبِّتْ عَنْهُ بِهَا حَاطِيَةٌ».¹ وقال - ﷺ - «يُودُّ أَهْلُ الْعَاقِبَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ فُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»،² فكل بؤس ينسى بمجرد دخول الجنة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «يُؤْتَى بِأَتَمِّ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».³

• ثالثًا: اليقين في أن الله - ﷻ - سيريضي العبد بعبائه، وفضل الله واسع، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].
المقطع الثالث في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾⁴ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى⁵ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى⁶.

في هذا المقطع منهج عملي، وذلك:

- بتعداد نعم الله - ﷻ - على العبد، ففي حال الشدة قد ينسى المرء نعم الله - عز وجل -، فتعدادها يُهَوِّنُ عليه ما فقد منها.
 - قد يغفل العبد عن نعم أخرى قد تغنيه عما فقد في هذا الابتلاء وتعدادها يتبين له ذلك (ويحسن هنا كتابتها ورؤيتها من حين إلى آخر حتى تكون مهدتًا ومطمئنًا).
 - تعداد النعم يذكر بسابق عهد العبد بالله - عز وجل -، ومن لم يتركه سابقًا لن يتركه وهو منيب إليه مضطر.
 - التفكير في أعظم نعمة لديك، وهي نعمة الهداية، فكل نعمة دونها يهون زوالها.
- المقطع الرابع في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ⁷ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ⁸ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ⁹﴾.

1 صحیح مسلم (4/ 1991)

2 صحیح الجامع 8177

3 صحیح مسلم 2807 (4/ 2162)

- في هذا المقطع منهج عملي كذلك، وهو بالتحول إلى الإيجابية والعمل:
- أولاً: مساعدة المحتاجين
 - يُشعر بسعادة عظيمة وراحة نفسية، لما نراه من إسعاد الآخرين.
 - مساعدة من هم في الابتلاء نفسه يساعد على تقليل أثره في العبد لما يرى من أحوال من هو أشد منه.
 - رؤية أحوال الصابرين منهم يساعد على الصبر والرضا بالحال.
 - مساعدتهم من أسباب جلب اليسر وتفريج الكربة بتفريج الكربة عن المسلمين، فالجزء من جنس العمل، قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «الْمُسْتَلِمُ أَحْوُ الْمُسْلِمِ، لَا يَطْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَجِيهَ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»¹.
 - ثانياً: الإيجابية والانشغال يذهب الفراغ، ويُقلِّل من الشعور بألم الابتلاء.
 - ثالثاً: التحديث بنعم الله - عز وجل -، وهذا يستلزم ظهورها على العبد وشكره لها، وهذا مما يشعر بالسعادة؛ لذكر النعمة، ويذكّر بها، ويخفف الشعور بالحزن والاكتئاب.
 - بعد هذا المنهج الرباني ستجد أنّ المحنة تحولت إلى منحة، وأنّ الابتلاء تحول إلى نعمة تحتاج إلى شكر.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- بيان فضل وقت الضحى والليل، وعدم إضاعتهما فيما لا يفيد.
- بيان علوِّ مقام الرسول -ﷺ- وشرف مكانته وعناية الله - تعالى - به، مما يدعوننا إلى محبته -ﷺ- واتباع هديه.
- تطمين للقلوب بعناية الله بأوليائه، وتأنيده لهم بما قاموا به من إبلاغ رسالته ونشر دينه.
- بيان أن ما عند الله -ﷻ- في الآخرة خير للرسول -ﷺ- من الدنيا وما فيها وخير لأتباعه.
- بيان عناية الإسلام بالتكافل الاجتماعي، وتعظيمه لحق اليتيم والمسكين.
- مشروعية التذكير بالنعم والنعمة؛ حملاً للعبد على الصبر والشكر.
- تذكّر نعم الله - تعالى - بعبثنا على استحضر منته، والتحدث بنعمته، وبذلها في نفع الناس.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- حسن الظن بالله -عز وجل- دائماً والتفاؤل وعدم اليأس.
- ربط الأبناء بسيرة الرسول العطرة، وما لاقى من مصاعب لإيصال الرسالة، وإظهار عناية الله به.
- شكر الله على النعم الظاهرة والباطنة، والرضا والتسليم واليقين بأن أي ابتلاء يقع وراءه حكم عظيمة فيها الخير لنا.
- العناية بالأيتام وحسن المعاملة وتفقدتهم، وتلمس احتياجاتهم سواء من الأقارب أو من الجيران.
- بذل الخير، ونشر العلم، والمبادرة في ذلك وعدم البخل به.
- الاجتهاد في العبادة، والزهد في الدنيا، واستثمار الأوقات الفاضلة.
- التمسك بالحق والدعوة إليه، والصبر على ذلك.
- إرشاد السائل، سواء كان سائل علم أم غيره.
- التحدث بالنعم بالكيفية المذكورة سابقاً.

من الفوائد التربوية

في الآيات أساليب تربوية جميلة وتلطف مع المخاطب: فلنتأمل في الأساليب التي اشتملت عليها هذه السورة، فلا يظالم دعوى المشركين كان أسلوب الاستفهام التقريري في تعداد النعم على نبينا: ألم أحسن إليك؟ ألم أجبر كسر قلبك؟ ألم أرحم بتمك؟ ألم أغنك؟ وهذا قبل نزول الوحي عليك فأخذلك بعده؟ تلطف وإظهار للعناية به -عز وجل-.

وشملت أسلوب التعليل والتوجيه، من أجل ما أنعم الله به عليك اشكر الله -عز وجل- ومثل ما أنعم عليك أنعم أنت على من صار إلى ما كنت عليه.

فيها اختيار الكلمات المناسبة التي لها أثر في القلب ومحاطبة الوجدان، مثل ما ودعك، خير، يعطيك، ترضى، آوى، لا تقهر، ربك.

فما أحسن هذه الأساليب وما أحوجنا إليها مع أولادنا ومن حولنا.

رسائل

(مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) رب كريم رحيم حكيم، إذا قطع عنك الخير لفترة فاعلم أن وراء ذلك خير عظيم.

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) ليست السعادة، أن تمتلك كل شيء، إنما السعادة أن يسعدك الله بما أعطاك، ويرضيك بما آتاك.¹

(وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَى) إذا لم تحسن إلى الفقير بالمال، فأحسن إليه بحسن الخلق وطيب الكلام.²

1 كتاب أول مرة أتدبر القرآن (303)

2 المصدر السابق

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ التحدث بنعمة الله داعٍ لشكرها، وموجب لتحييب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن.

094. سُورَةُ الشَّرْحِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تذكر بنعمة عظيمة وهي نعمة شرح الصدر، تعالج أسباب الضيق، تبين قواعد عظيمة في حياة الإنسان، تبعده عن الحزن والقلق وتشغله بما يفيد في دنياه وآخرته.
تذكره بجمالية الفرج، واليسر مع العسر.
هي سورة الشرح.

تهيئة:

تعريف السورة

اسم السورة:	تسمى سورة «ألم نشرح» وسورة «الشرح» وسورة «الانشراح» ¹ .
نوع السورة:	مكية بالاتفاق. ²
عدد آياتها:	ثماني آيات في جميع العَدِّ ليس فيها اختلاف. ³
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.
فضل السورة والآثار الواردة فيها:	لم يرد فيها فضل خاص غير كونها من المفصل.

المناسبة بين سورة الشرح وسورة الضحى:
هي شديدة الاتصال بسورة الضحى؛ لأن فيهما تعداد نعم الله - تعالى - على نبيه - ﷺ -، مع تضمينه وحثه على العمل والشكر، حيث قال - تعالى - في سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، وأضاف هنا وعطف بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾⁴.

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التحرير والتنوير (407 /30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد أي القرآن، (ص: 278)

4 التفسير المنير، الزحيلي (291 /30)

المناسبة بين سورة الشرح وسورة التين:

أمر سبحانه في خاتمة سورة الانشراح بالسجود له والرغبة إليه، وافتتحت سورة التين بالقسم على أن الإنسان قد خلق في أحسن تقويم، وهو أمر يتطلب إفراد من خلَق بالخشوع والتذلل والانقياد.¹

مناسبة السورة لما بعدها:

ذكر إتمام منة الله -عَلَيْكَ- على نبيه -ﷺ- بزوال الغم والحرج والعسر عنه، وما يوجب ذلك.²

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (4): نعم الله -عَلَيْكَ- المعنوية على نبيه -ﷺ- .
من الآية (5) إلى الآية (6): وعد الله بتفريغ الكرب وتيسير المعسر.
من الآية (7) إلى الآية (8): التفرغ للعبادة والاجتهاد فيها.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ لقد شرح الله -عَلَيْكَ- لك صدرك أيها النبي فحبَّب إليك تلقي الوحي.
2. ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ وحططنا عنك الإثم.
3. ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الذي تعبك حتى كاد أن يكسر ظهرك.
4. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ وأعلينا لك ذكرك، فقد أصبحت تُذَكَّر في الأذان والإقامة وفي غيرها.³

1 التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، د مصطفى مسلم (240/9)

2 المختصر في التفسير (596)

3 التفسير المنير، الزحيلي (29/30)، باختصار، المختصر في التفسير (597)

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
استفهام تقريرى والغرض منه التذكير؛ من أجل أن يراعي هذه المنة عند ما يخالجه ضيق صدر مما يلقاه من أذى قوم يريد صلاحهم، وإنقاذهم من النار، ورفع شأخهم بين الأمم؛ ليدوم على دعوته العظيمة نشيطاً غير ذي أسف ولا كمد. ¹	في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ما نوع هذا الاستفهام وما الغرض منه؟
بيان لعظمة هذه النعمة بدلالة التعبير بنون العظمة، وفي ذلك إشارة إلى أن نعمة الشرح، مما لا تصل العقول إلى كنه جلالتها. ²	ما دلالة التعبير بـ﴿نَشْرَحْ﴾ دون أشرح؟
<ul style="list-style-type: none"> • قيل: الشرح قد يكون حسياً كما جاء في حادثة شق صدره -ﷺ-.³ • وقيل: شرح معنوي بأن يكون صدره متمسكاً بحكم الله -ﷻ- بنوعيه، حكم الله الشرعي وهو الدين، وحكم الله القدرى وهو المصائب التي تحدث للإنسان، فتجده راضياً بقضاء الله وقدره، ولهذا تجد النبي -ﷺ- أتقى الناس لله، وأشدهم قياماً بطاعة الله، وأكثرهم صبراً على أقدار الله.⁴ • وقد يشمل الشرح صبره وصفحه وعفوه عن أعدائه، ومقابلته بالإساءة بالإحسان، حتى إنه ليسع العدو، كما يسع الصديق.⁵ 	ما المقصود بالشرح في الآية؟
<ul style="list-style-type: none"> • تقديم الجار والمجرور فيه مسارعة إلى إدخال المسرة على قلبه الشريف وتشويقاً له.⁶ • اللام لام التعليل، وتفيد تكريم النبي -ﷺ- بأن الله فعل ذلك من أجله.⁷ 	ما الحكمة في تقديم الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؟ وما نوع اللام فيها؟
<ul style="list-style-type: none"> • إن محل الوسوسة هو الصدر، كما قال - تعالى -: ﴿الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: 5]، فالآية تشير إلى إزالة تلك الوسوسة، وإبدالها بدواعي الخير، وهي الشرح. • إن الشيطان يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب، فإذا وجد مسلماً أغار 	علام يدل التعبير بالصدر دون القلب في الآية؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (408/30)

2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (437/15)

3 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (574/8)

4 تفسير ابن عثيمين، جزء عم (241 - 243)، بتصرف

5 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (574/8)

6 روح المعاني، الألويسي (388/15)

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (309/30)

عليه، وبثَّ فيه الهموم، فيضيق القلب، ولا يجد للطاعة لذة، وإذا طرد العدو في الابتداء، حصل الأمن، وانشرح الصدر.¹
وبهذا نعلم أن من أسباب ضيق الصدر وسوسة الشيطان وتلبسه على العبد، ويدفعه بذكر الله - ﷻ - والتحصن به.

شرح الصدر هو رضى النفس بالحال، وصرف الإحساس بالحزن والكمد،² وعكسه الضيق وهو الحزن والكمد.

ما حقيقة شرح الصدر؟

• يضيّق صدره - ﷻ - من أذى قومه له وصدّهم عن دين الله - عز وجل - :
يقول الله - عز وجل - : ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أُنثَىٰ ضَيْقِي صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٣٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: 99-97].

• العلاج ذكر الله - ﷻ - وإخلاص العبودية له.
• يضيّق صدره - ﷻ - حرصاً على إيمان قومه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: 35 - 36].

مم كان يضيّق صدر النبي - ﷺ - ؟

العلاج: معرفة سنة الله - ﷻ - وحكمته في أن أكثر الناس لا يؤمنون مهما جاءهم من الآيات وذلك عناداً منهم وكبراً؛ فالموتى لا ينتفعون ولا يسمعون مهما قدمت إليهم من براهين وأدلة.
قال تعالى: ﴿وَوَجَّحُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الزلزال: 14].

هل شرح الصدر وما بعده من النعم خاص بالنبي - ﷺ - أم أن للمسلمين حظاً في ذلك؟

نعمة شرح الصدر وغيرها في هذه السورة للنبي - ﷺ - الحظ الأوفر منها، وهي له ولمن سار على نهجه على قدر اتباعه له.

1 التفسير الوسيط، الططاوي (437/15)
2 التحرير والتنوير (408/30)، بتصرف

- شرح الصدر نعمة عظيمة وخاصة للداعية إلى الله - ﷻ - ليتحمل أعباء الدعوة وللمضي قدمًا في هذه المهمة، ولذلك دعا موسى - عليه السلام - بما قبل ذهابه إلى فرعون وقدمها في دعائه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝﴾ [طه: 25 - 29].
- وقال الشنقيطي - رحمه الله - : وفي هذا كما قدمنا توجيه لكل داعية إلى الله، أن يكون رحب الصدر، هادئ النفس، متجملًا بالصر؛¹ وذلك لما يلاقيه من أذى المدعوين وصداهم وعنادهم وكبرهم، ولحرصه على هدايتهم.

ما أهمية شرح الصدر
للداعية إلى الله - عز وجل
؟-

- التفكير في الحكمة مما يحدث لنا.
- معرفة سير من كان قبلنا خاصة سيرة النبي - ﷺ - والأذى الذي تعرض له وما كان عليه من استضعاف ثم كيف نصر الله المسلمين ومكّن لهم.
- معرفة واجبنا في هذه الحالة وهي الثبات على الحق والدعوة إليه.
- اليقين في حتمية النصر للمسلمين وقرينه لكن متى شاء الله - ﷻ - وما أُجْرَ إلا لحكمة عَلِمَهَا من عَلِمَهَا وجهلَهَا من جهلَهَا.
- معرفة سنة الابتلاء، فإن لم يكن بهذا فيكون ابتلاء آخر حتمًا.
- اليقين في عزة المؤمن بليامانه مهما بلغ من الضعف.
- معرفة ضعف وهوان كيد الكافرين مهما بلغوا من القوة والمنعة والتمكّن.
- معرفتنا أن أعظم شرح للصدر هو شرحه للإسلام، قال تعالى: ﴿أَقْمِنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، وأن الكافر مهما بلغ من النعم الدينية فهو في ضيق وضنك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124].

يضيق صدرنا الآن عندما
نرى حال المسلمين، فماذا
يعيننا على شرحه؟

- دلّ ترتيب الآيات على أن مغفرة الذنوب سبب لشرح الصدر، والمخالفة بالذنوب سبب لضيقه، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124].
- قال ابن القيم - رحمه الله - في الداء والدواء في الحديث عن عقوبات الذنوب:² (وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، لا يوازنها ولا يقارنها لذة أصلاً، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة، فلو لم يترك الذنوب إلا حذرًا من وقوع تلك الوحشة، لكان العاقل حريرًا بتركها). اهـ

ما مناسبة قوله تعالى:
﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾
لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ
صَدْرَكَ﴾؟

1 أعضاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 575)
2 الداء والدواء = الجواب الكافي، ط: عالم الفوائد (1/ 133)

ما كان يجده - ﷺ - من ثقل الوحي، والشدائد والكروب التي كان يواجهها فيسره الله عليه.¹
 وقيل: المقصود أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،² كما قال تعالى:
 ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2].

في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ ما الوزر الذي وضع عنه - ﷺ -؟

هذه مسألة مهمة جداً قال فيها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ما ملخصه:³ إنه قد أجمع المسلمون قاطبة على أن:

- الأنبياء معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله - عز وجل - .
 - والأنبياء معصومون من الكبائر .
 - وقد يقع من أحدهم الصغائر فينبههم الله - تعالى - عليها فيبادرون بالتوبة، وعلى هذا القول ذهب الصحابة والتابعون والأئمة وجماهير علماء المسلمين/ ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنْتَمَّا فَتَنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿١٥١﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿١٥٢﴾﴾ [ص: 24 - 25] ، وقال تعالى في موسى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: 15].
- وهم عليهم السلام إذ يحصل منهم الذنب عن غير عمد يبادرون بالتوبة منه.

قد يقول قائل: إن قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ يدل على أن الرسول - ﷺ - قد يذنب فهل الأنبياء معصومون من كل الذنوب والمعاصي؟

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
 الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، فقد صرح القرآن الكريم بالأمر بالتأسي
 بالنبي - ﷺ - في كل ما ورد عنه، وذلك أن ما صدر عن النبي - ﷺ - لا يخلو من
 ثلاث حالات:

- الأولى: إما أن يكون وحياً ابتداءً: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١٥١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿١٥٢﴾﴾ [النجم: 3 - 4].
- الثانية: يقره الوحي، والأدلة على ذلك كثيرة؛ ومنها الأمر باتباع النبي - ﷺ - والافتداء به، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

كيف نجمع بين الأمر بالافتداء بالنبي - ﷺ - وبين حصول الذنب منه - ﷺ - وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

1 التحريم والتنوير، ابن عاشور (410/30)، بصرف
 2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (430/8)
 3 مجموع الفتاوى (319/4)، بصرف

• الثالثة: إما أن يكون اجتهادًا خلاف الأول فيأتي التصحيح من الوحي، مثل ما حدث في قصة التحريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَوْلِيائكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم: 1 - 2]، ومثل ما حدث مع ابن أم مكتوم، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [عس: 1 - 4]، وكذلك إذنه للمنافقين بعدم الخروج في غزوة مؤتة، قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَتَعَلَّمُوا الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: 43].

لشدة اهتمامه بها وندمه منها وتحسره عليها، كحال بقية الأنبياء مع ذنوبهم،¹ وفي ذلك إشارة بأن للذنوب ثقلًا على المؤمن ينوء به ولا يخففه إلا التوبة،² فإن كانت ذنوب النبي - ﷺ - القليلة جدًا وغير المتعمدة والمغفورة له قد أثقلت ظهره، فما بالناس لا نشعر بثقل ذنوبنا؟!

في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ما دلالة وصف ذنوب النبي - ﷺ - بهذا الثقل، مع كونها مغفورة له؟

لأن الظهر هو محل الحمل، فإذا كان هناك حمل يتعب الظهر فإتعب غيره من باب أولى، ولأن أقوى عضو في أعضائك للحمل هو الظهر.³

ما دلالة تخصيص الظهر في الآية دون غيره؟

- الحذر من خطوات الشيطان والسعي لعدم الوقوع في المعاصي والذنوب.
- اتخاذ الوسائل المعينة على عدم الغفلة التي هي من أكبر أبواب الشيطان.
- المبادرة بالتوبة.
- كثرة الاستغفار.
- المحافظة على مكفرات الذنوب:
- ومنها الصلاة والجمعة لقول النبي - ﷺ -: (الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغَشَّ الْكَبَائِرُ).⁴
- منها العمرة والحج لقول النبي - ﷺ -: (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَشْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ)،⁵ وغيرها.
- البعد عن مجالس الغفلة والغيبة ومجالس السوء.
- اتخاذ الصحبة الصالحة الناصحة التي تذكر بالله - ﷻ - وتعين على الطاعة وترد عن المعاصي وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

إذا علمنا أن الذنب يصيبه المؤمن يتثقل الظهر حتى يكاد يكسره، فكيف يخفف هذا الحمل؟

1 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (106/20)، بتصرف
2 أضواء البيان، الشنقيطي (578/8)
3 تفسير العنمين، ابن عثيمين (244)
4 صحيح مسلم (233)
5 صحيح البخاري (1773)

• رفع ذكر النبي - ﷺ - عند الأنبياء، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

• رفع ذكره في الأذان والإقامة.

• رفع ذكره في الشهادتين وكذلك التشهد في الصلاة.

• رفع ذكره بالصلاة عليه في الملائة الأعلى والأمر بالصلاة عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

• الأمر بالصلاة عليه والأجر الكبير المترتب عليها، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّقَاعَةُ»¹.

• أذكار ما بعد الأذان للحديث السابق.

• أكثر الأسماء تداولاً في البلدان العربية وفي العديد من البلدان الغربية.

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ما مظاهر رفع ذكر النبي - ﷺ -؟

• دراسة السيرة ونشرها.

• حبه والافتداء به والتخلق بأخلاقه.

• اتباع سنته.

• الإكثار من الصلاة عليه - ﷺ -.

• الدفاع عنه وعن دينه.

• حمل أمانة هذا الدين وتبليغها للعالمين بما آتانا الله من علم ووسائل.

ما واجبنا تجاه النبي - ﷺ -؟

اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

5. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فَإِنَّ مع الشدّة والضيق سهولة واتساعًا.
6. ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مع الشدّة والضيق سهولة واتساعًا، إذا علمت ذلك فلا يهولنك أذى قومك، ولا يصدّنك عن الدعوة إلى الله.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
<ul style="list-style-type: none"> • في الآيات الأولى تعداد نعم الله - ﷻ - على نبيه ﷺ، وتعداد هذه النعم يقتضي أنه تعالى كما أحسن إليك بهذه المراتب، فإنه يحسن إليك بظفرك على أعدائك وينصرك عليهم، فذكّره بالنعم وقوّى رجاءه بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.² • وكذلك في الآيات الأولى نعم بشرح الصدر بعد عسره، ورفع الوزر بعد ثقله، ورفع الذكر ولم يكن له ولد - ﷻ -، فكلها نماذج من اليسر بعد العسر، ثم أتى في هذه الآية بالقاعدة "إن مع العسر يسرًا". • وكذلك العسر من أسباب ضيق الصدر، فعالج في الآيات الأولى السبب الأول وهو الذنب، وفي هذه الآيات عالج السبب الثاني وهو العسر. 	<ul style="list-style-type: none"> • ما مناسبة قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ لما قبلها؟

ما دلالة الحرف «مع» في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ 5 ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾؟

مع حرف يفيد المصاحبة، وفيه (إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر، كأنه مقارن للعسر)،³ وقال النسفي: جيء بلفظ «مع» لغاية مقارنة اليسر العسر زيادة في التسليط وتقوية القلوب.⁴

1 المختصر في التفسير (597)

2 البحر المحيط، أبو حيان (501/10)

3 محاسن التأويل، القاسمي (497/9)

4 تفسير النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل (657/3)

تعريف العسر في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير اليسر يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين.¹

ما دلالة تعريف العسر في الموضوعين دون اليسر؟

للاستغراق والعموم وتدل على أن كل عسر وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ فإنه في آخره التيسير الملازم له،² ويشهد له قول النبي ﷺ: "وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً".³

تكررت تأكيداً للخبر وبشارة عظيمة، إنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه.⁴

ما الحكمة من تكرار الآية؟

- استشعار أهمية حسن الظن بالله، والفأل الحسن كلما اشتدت بالعبء المصائب والمحن، كما قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي».⁵
- التيقن بأن الفرج قريب؛ لأن هذا وعد من الله، والله لا يخلف الميعاد وهذا ما نراه فعلاً في حياتنا، فكلما اشتدت الكربة والمصيبة جاء بعدها الفرج قريباً، والله الحمد والمنة.
- الحذر من اليأس والقنوط فإن الفرج مع الكرب.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (5) ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ما أثر هاتين الآيتين فيك؟

- الدعاء برفع العسر والفرج.
- التوبة والاستغفار.
- كثرة ذكر الله تعالى.
- التيسير على الناس، فالجزاء من جنس العمل.
- الصلاة والصبر، لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].
- تقوى الله -عز وجل- والتوكل عليه، قال الله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].
- الأخذ بالأسباب المشروعة المادية (كالسعي في طلب الرزق، وأخذ الدواء للعلاج...) والشرعية (كالصدقة، والرقية، والدعاء...).

اذكر بعض الأسباب التي يتحقق بها اليسر.

قد يظن البعض أن اليسر لا يكون إلا رفع العسر، وهذا في بعض الحالات دون أخرى، وكثير من الأحوال يستحيل معها رفع العسر كلياً ولا جزئياً مثل حالات

هل اليسر هو رفع العسر؟ وما أنواعه؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (929)

2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (439/15)

3 رواه الترمذي (2516) وقال: حديث حسن صحيح

4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (653/2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (929)

5 البخاري (7405) مسلم (2675)

الوفاة.

ومن أنواع اليسر:

- رفع العسر كلياً أو جزئياً، مثل: الشفاء بعد مرض، والغنى بعد فقر.
- العوض، أن يعوّض الله -ﷻ- المعسر بنعمة أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا رَكِبُوا وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٠﴾ [الكهف: 80 - 81].
- تخفيف أثر العسر، كمن يجد الدواء لتخفيف الآلام، والصحبة الصالحة للتسلية عنه وغيرها.
- الطمأنينة والرضا يجدهما المؤمن في قلبه فيهبون عليه العسر مهما كان، وهذه من أعظم النعم، ومن أهم أسباب تحصيلها المعرفة بالله -ﷻ- وبسننه.

تلاوة

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ ﴿٨﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

7. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ فإذا فرغت من أعمالك، وانتهيت منها فاجتهد في عبادة ربك.
 8. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ﴾ واجعل رغبتك وقصدك إلى الله وحده.¹
- النصب:² التعب بعد الاجتهاد.

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<ul style="list-style-type: none"> • إنه تعالى لما عدد على نبيه -ﷺ- نعمه السالفة، ووعدته بالنعم الآتية، أمره أصلاً والمؤمنين تبعاً، بشكره والقيام بواجب نعمه.³ • كما تظهر المناسبة بينها وبين افتتاحية السورة جلية بتقرير أن أحد أعظم أسباب شرح الصدر هو التوحيد.⁴ • كذلك للتوجيه إلى عدم إشغال القلب باليسر، وإشغاله بطاعة الله -ﷻ- مع 	<p>ما مناسبة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿7﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ ﴿8﴾﴾ لما قبلها؟</p>

1 المختصر في التفسير (597)

2 أضواء البيان، الشنقيطي (578/8)

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (929)، بتصرف

4 موسوعة التفسير الموضوعي (219/9)

الأخذ بالأسباب.

• كما أن الفراغ سبب للغفلة والمعاصي، فكأن هذه الآية علاج للسبب الأول من أسباب ضيق الصدر المذكور في السورة وهو الذنب، وعلاج للسبب الثاني لضيق الصدر وهو العسر، فمن الأسباب العملية لتقليل أثر الابتلاء هو الانشغال والبعد عن الفراغ.

ما دلالة عدم ذكر متعلق
(فَرَعْتَ) في الآية؟

لتفديد العموم وفي ذلك دلالة على تعاقب الأعمال، بحيث يعمر الإنسان أوقاته كلها بالأعمال العظيمة.¹

ما مناسبة تقديم قوله تعالى:
(فَإِذَا فَرَعْتَ) على قوله:
(فَأَنْصَبْ)؟

ليبان أن الأمر بالاجتهاد في طاعة الله - سبحانه وتعالى - يكون بعد تخلية القلب من عموم شواغل الدنيا وملهياتها.²
ولتبين أن ليس للمؤمن وقت فراغ فهو بين عمل وعمل آخر، فإن انتهى من مشاغل الدنيا تفرغ لعبادة الله - عز وجل - .
فالمؤمن حياته كلها لله - عز وجل -، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

كيف نحافظ على الأوقات
ونغتنيم الفراغ؟

• استشعار قيمة الوقت وأنه عمر الإنسان وسبب فلاحه أو خسارته وقد أقسم الله - ﷻ - به في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر: 1 - 3]، وقال رسول الله - ﷺ -: "اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك".³

• التخطيط للأعمال وملء الأوقات بما ينفع.

• التنوع في الأعمال والعبادات، للتنشيط ودفع الملل.

• استحضار النية في الأعمال المباحة لتحويلها إلى عبادات ونيل أجرها بإذن الله تعالى.

• اتخاذ الصحبة الصالحة المعينة على ذلك.

• محاسبة النفس باستمرار وتصحيح المسار.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (416/30)، باختصار

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (418/30)، بتصريف يسير

3 أخرجه الحاكم في المستدرک، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1077)

لإفادة الاختصاص، أي إليه لا إلى غيره تكون رغبتك، فإنَّ صفة الرسالة أعظم صفات الخلق فلا يليق بصاحبها أن يرغب إلى غير الله تعالى.¹

وفيها بيان أهمية إخلاص العبودية لله - عز وجل -، والتوكل عليه، والرغبة فيما عنده دون سواه، ويشهد له ما جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «من أصابته فاقة، فأنزلها بالناس، لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل».²

ولا ينافي هذا السعي والأخذ بالأسباب المادية والقلب معلق بالله - عز وجل -.

ما الحكمة في تقديم الجار والمجرور ﴿وَأَلَى رَبِّكَ﴾ على الفعل ﴿فَارْعَبْ﴾ في الآية؟

قال - رحمه الله - في الحديث المتفق على صحته: "لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأختنان"³.

وقال - رحمه الله -: "إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء"⁴.

وذلك أدعى للخشوع ولتحقق مقصد الصلاة من القرب والمناجاة بين العبد وربه.

حتَّى الشرع على تفرغ القلب للعبادة وجاء في السنة ما يشهد على ذلك، هات أمثلة.

- ما حالنا مع الأوقات؟
- وما بالناس نتعب في الأعمال الدنيوية، ونتعب عند أول وقوف بين يدي الله - عز وجل -؟

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- في السورة بيان لما أكرم الله - عز وجل - به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من شرح صدره ومغفرة ذنوبه ورفع ذكره.
- السورة تبين مكانة النبي - صلى الله عليه وسلم - عند الله - عز وجل -.
- أهمية انشراح الصدر والسعي إلى تحصيله.
- إنَّ الذنوب ثقيلة تسبب الهم والغم والحزن، ولها ضيق في الصدر ووحشة في القلب.
- من سنن الله - تعالى - أن مع العسر يسراً دائماً وأبداً، ولن يغلب عسر يسرين، فرجاء المؤمن في الفرح دائم.
- حياة المؤمن معمورة بالعبادات فلا فراغ عنده.
- السورة ترسم منهجاً للمسلم في جده واجتهاده، واستثماره لوقته، وهذا لا بد أن يكون خالصاً لله - عز وجل -.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (418/30)

2 الترمذي (2326) وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة

3 أخرجه مسلم (560)

4 أخرجه البخاري (5463) مسلم (557) واللفظ له

خلاصة الأعمال التطبيقية

- توقير النبي ﷺ - ومحبته، وكثرة الصلاة عليه، واتباع سنته، ونشر هديه.
- استشعار نعم الله علينا الظاهرة والباطنة، وأداء شكرها بالقول والعمل والجوارح.
- إحسان الظن بالله، وتقرب اليسر، والفرح عند اشتداد الأمور.
- إشغال الأوقات بما ينفع الإنسان في حياته من أمور الدين والدنيا.
- شكر النعم بالطاعات.
- كثرة الاستغفار والأعمال الصالحة المكفرة للذنوب.
- الإكثار من الطاعات، واتباع السيئة الحسنة.
- التوكل على الله، والاتجاء إليه، والرغبة فيما عنده، وإخلاص العبادة له وحده.

من الفوائد التربوية

- الاهتمام بالحالة النفسية للمتربي.
- الاهتمام بالتخلية قبل التحلية.
- غرس قيمة حب الله - ﷻ - وحب نبيه - ﷺ -.
- غرس قيمة التفاؤل والصبر والرضا.
- معالجة العجلة، وغرس الإيجابية، والأخذ بالأسباب.
- غرس الطمأنينة والرضا بحكم الله وقدره.
- غرس قيمة الوقت.

رسائل

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) أعظم انشراح للصدر يكون بالوحي فكلمًا شعرت بالضيق ارجع إلى كتاب ربك.
 (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) لن يغلب عسر يسرين، فلا تعجل ولا تيأس.
 (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب) قاعدة للنجاح: فالمؤمن حياته عمل وإنجاز.. وقصده ومطلوبه ومرغوبه في ذلك وجه الله سبحانه.

095. سُورَةُ التِّينِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تتحدث عن حقيقة الفطرة القويمة التي فطر الله -عَلَيْكَ- الإنسان عليها، واستقامت طبيعتها مع طبيعة الإيمان.

سورة تتحدث عن هبوط الإنسان وسفوله حين ينحرف عن سواء الفطرة واستقامة الإيمان.

سورتنا هي سورة التين.

تعريف السورة

اسم السورة:	تسمى سورة «والتين» وسورة «التين». ¹
نوع السورة:	مكية. ²
عدد آياتها:	ثماني آيات في جميع العَدِّ ليس فيها اختلاف. ³
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.
فضل السورة والآثار الواردة فيها:	روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء ابن عازب - رضي الله عنهما -: «أن النبي -ﷺ- كان في سفر، فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون». فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه. ⁴

المناسبة بين سورة التين وسورة الشرح:

• أمر سبحانه في خاتمة سورة الانشراح بالسجود له والرغبة إليه، وافتتحت سورة التين بالقسم على أن الإنسان قد خلق في أحسن تقويم، وهو أمر يتطلب أفراد من خلُق بالخضوع والتذلل والانقياد.⁵

• في سورة الشرح امتنان على النبي -ﷺ- بنعم عظيمة، ومن سار على نهجه، وفي سورة التين امتنان على الناس بالخلق السوي.

1 التحرير والتنوير (419/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد أي القرآن، (ص: 279)

4 صحيح البخاري (767) صحيح مسلم (464)

5 التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، د مصطفى مسلم (240/9)

المناسبة بين سورة التين وسورة العلق:

- بيّنت سورة التين عظمة قدرة الله في خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفي سورة العلق جاء بيان عظيم هذه القدرة بتعليم الإنسان وإفهامه بالقراءة والمعرفة.¹
- ذكر تعالى في سورة التين أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهذا بيان للصورة، وذكر هنا خلق الإنسان من علق وهذا بيان للمادة، وذكر سبحانه في سورة العلق من أحوال الآخرة ما يكون كالبيان لما ذكر حولها في سورة التين.²

مناسبة السورة لما بعدها:

هذه السورة تركّز على قيمة الإنسان وشرفه بالدين، وسفوله وهوانه بتخليه عنه؛ ولذلك أقسم بالأماكن التي شرفت بنزول الوحي.³

مقصد السورة:

- من الآية (1) إلى الآية (3): قسم بمواضع الرسالات، وبما نبئت فيها.
- من الآية (4) إلى الآية (6): الامتنان بخلق الإنسان على أحسن فطرة وهيئة قبل أن يقلب إلى السفول.
- من الآية (7) إلى الآية (8): توبيخ المكذبين ودعوة للتفكير في حكمة الله -عز وجل- من البعث.

موضوعات السورة:

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ أقسم الله بالتين ومكان نباته، وبالزيتون ومكان نباته في أرض فلسطين.
2. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وأقسم ببجل الطور الذي ناجى عنده نبيه موسى - عليه السلام -.
3. ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وأقسم بمكة البلد الحرام الذي يأمن من دخل فيه.⁴

1 التفسير الموضوعي (9/ 252)

2 المرجع السابق

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 597)

4 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 597)

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرية
<p>خص التين بالقسم؛ لأنها فاكهة مخلصه، شبيهة بفواكه الجنة، وخص الزيتون؛ لأنها شجرة مباركة، وهو ثمر ودهن، وكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم - عليه السلام -¹.</p> <p>وقيل في خصائص التين: إنه غذاء يقيم الصلب وقوت كالبر وسريع الهضم، فهو ما هو فيه من لذة طعمه وكثرة نفعه، وكونه كفاكهة الجنة دون شائبة تعوق أكله من صنوان يُتعب أو نوى يُرمى، مع أنه ينتفع به رطبًا ويابسًا.²</p> <p>وقيل: إنه يجلو رمل الكلى والمثانة ويؤمن من السموم، وينفع خشونة الحلق والصدر وقصبة الرئة، ويغسل الكبد والطحال، وينقي الخلط البلغمي من المعدة، ويغذي البدن غذاء جيدًا، ويابسه يغذي وينفع العصب.</p> <p>وقال جالينوس: وإذا أكل مع الجوز والسذاب، قبل أخذ السم القاتل نفع، وحفظ من الضر، وينفع السعال المزمن، ويدر البول، ويسكن العطش الكائن عن البلغم المالح، ولأكله على الريق منفعة عجيبة.³</p> <p>أما خصائص الزيتون فهي كثيرة: ثمرة مغذية وغنية بالمعادن الضرورية والفيتامينات والأحماض النافعة للجسم، وهي شجرة مباركة كثر ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: 35]، وقال تعالى: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: 29]، وقال تعالى: ﴿يُنْبِثُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الْمَمْرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 11]، وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغٌ لِلْأَكْلِينَ﴾ [المؤمنون: 20].</p> <p>فذكر الله -ﷻ-، الشجرة والثمرة والزيت الذي يعصر منها، واستعمالاته في الأكل والصبغ، وكل له منافع عظيمة للجسد.</p>	<p>علام يدل تخصيص التين والزيتون بالذكر دون غيرهما في قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ﴾؟</p>

- كيف نربي أبناءنا على
العناية بالأكل النافع، والبعد
عن الضار منها وإن كان
لذيذًا؟
- بيان أهمية الأكل في استقامة جسم الإنسان.
 - بيان أن هذا الجسم أمانة وعلينا المحافظة عليه.
 - بيان أن الله جعل أسبابًا وسننًا لكل شيء، ومنها العناية بالأكل النافع سبب للصحة والإفراط في الأكل الضار سبب للستقم.

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 929) تفسير البيهقي، البيهقي (277 /5)

2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (134 /22)، بتصرف

3 أعضاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (4 /9)

- بيان أفضلية المؤمن القوي، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اِحْرَصَ عَلَى مَا يَنْتَفِعُ، وَاسْتَعْنَى بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَثَلَّ لَوْ أَبِي فَعَلْتَ كَانَ كَذًّا وَكَذًّا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلْ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».¹
- بيان أن من السنة الحرص على النفع، وأن هذه عبادة لله -ﷻ-، قال -ﷺ-: «اِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْتَفِعُ».²
- بيان أثر المأكولات والمشروبات الضارة بالإنسان وخاصة إن أفرط في تناولها.
- تقديم البديل من الأكل والذي يجمع بين اللذة والنفع.
- ...

هلا كنا قدوة لأبنائنا في الانتباه لأكلنا وترك الضار منه!؟

ذكر البقاعي³ أن بين الفاكهتين تقابل، وذلك أن فاكهة التين مع أنه ينتفع به رطباً وبابساً إلا أنه سريع الفساد، ولا ينتفع بشيء منه إذا تغير، فهو كالفطرة الأولى في مبدئه سهولة وحسناً وقبولاً، وآخر الهرم لا ينتفع بشيء منه إذا تغير، وكذلك من غير فطرته السليمة وأعرض عن دين الله -ﷻ- فسد ولم يستفد منه بشيء. وقدم القسم بالتين؛ لأن هذا القسم من الناس أكبر، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: 1]. وكان الزيتون - في مقابل ذلك - في عدم فساد يطرقه أو تغير يلحقه، وفي منافعه الشتى والعظيمة كالمؤمن في ثباته على الحق ونفعه لنفسه وغيره.

ما المقابلة بين فاكهتي التين
والزيتون مع شدة نفع
كلاهما؟ وإلام تشير؟

هو قسم على الفاكهة، وإشارة إلى مواضع نباتهما، وهي الأرض المقدسة من جميع بلاد الشام إيماء إلى من كان بها من الأنبياء، فهي مهجر إبراهيم، وموطن إسحاق ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم ختاماً بعبسى - عليهم السلام -⁴. ففي القسم إشارة إلى عناية الله -ﷻ- بغذاء الجسد في الثمرة نفسها، وعناية الله -ﷻ- بغذاء الروح بالوحي.

إلام يشير القسم بالتين
والزيتون معاً؟

1 صحيح مسلم 2664 (4/ 2052)

2 الحديث السابق

3 انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ((22/ 134

4 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ((22/ 135)، بتصرف

ما دلالة القسم بطور سينين لأنه من البقاع المباركة، وأعظم بركة حلت به ووقعت فيه، تكليم الله - تعالى - لنبيه موسى - عليه السلام -¹ فهو محل نبوة موسى - عليه السلام - .
في قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾؟

سُمِّيَ بِالْأَمِينِ؛ لِأَن مِّن دَخَلِهِ كَانَ آمِنًا، وَقَدْ حَرَمَهَا - تَعَالَى - عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَلِحُرْمَةِ شَجَرِهَا وَحَيَوَانِهَا،² وَهِيَ تَصْدِيقُ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِمَلَكَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126].

ما سبب وصف البلد بالأمين في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾؟

ما مناسبة القسم بهذه المخلوقات بهذا الترتيب في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِينَ وَالرِّثُونَ﴾¹ وَطُورِ سَيْنِينَ² وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ³؟

هذه الأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام، محل نبوة عيسى وموسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - فأقسم بالأسرف، ثم الأسرف منه، ثم بالأسرف منهما.³

- تضمن القسم تلك الأمكنة الثلاثة الدالة على الله - تعالى - وعلى علمه وحكمته وعنايته بخلقه بأن أرسل منها رسلاً، وأنزل عليهم كتبه، يعرفون العباد برحمته وحقوقه عليهم، وينذرونهم بالله ونقمته، ويدعونهم إلى كرامته وثوابه.⁴
- التأكيد على أن الأنبياء كلهم إخوة، وعلى ملة واحدة، وشرعة واحدة، كلهم جاؤوا بالتوحيد.
- تأكيد معنى الختم، ختم الرسالات، وختم النبوات بمحمد - ﷺ -، حيث جاء ذكر البلد الأمين في آخر هذا القسم.
- تأكيد معنى الورثة، وراثة النبي - ﷺ - للأنبياء كلهم، فهو جاء ليحدد شرائعهم، فكان - ﷺ - يقول: (أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى - عليهما السلام،⁵ فإذا القسم بالبلد الأمين ليس فقط إشارة إلى محمد - ﷺ -، المبعوث في البلد الأمين، وإنما هو إشارة - أيضاً - إلى إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، وأن محمداً - ﷺ - هو مجدد ملة إبراهيم، إذ: هذا القسم فيه معنى الورثة، وراثة النبي - ﷺ - لكل معاني النبل والفضل، والإخلاص والتوحيد والصدق، التي جاء بها

جُمع في القسم بين مواطن الرسالات السماوية، فما الفوائد التي نستنتجها من ذلك؟

1 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 444)

2 المرجع السابق

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 420)، بنصرف

4 التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، (ص: 43)

5 صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (1545)

الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - 1.

الأنبياء ملة واحدة، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136].

الأنبياء شريعة واحدة، قال تعالى: ﴿شَرَعْنَا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13]، وهذا الاتفاق في أصول الشريعة وإن اختلفت في بعض الفروع.

شريعتنا نسخت الشرائع السابقة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

اذكر شواهد من القرآن

تؤكد أن الأنبياء ملة واحدة وشريعة واحدة، وأن شريعتنا ورثت الشرائع السابقة ونسختها.

- ترسيخ الإيمان بالله - تعالى - قولاً وعملاً، واتباع نهجه والاهتداء بهديه.
- العزة بالانتماء لدين الإسلام والعبودية لله - ﷻ -.
- استشعار فضل القرآن ومكانته.
- زيادة التقرب إلى الله - ﷻ -.
- الحذر من الوقوع في الأخطاء التي قامت بها الأمم السابقة.

ما آثار معرفتك بأن شريعتنا هي الوارثة والخاتمة والمكملة لما سبقها من الشرائع؟

• الإشارة إليه للتعظيم؛ ولأن نزول السورة في ذلك البلد، فهو حاضر بمرأى ومسمع من المخاطبين.²

• والأمين بمعنى الآمن، أي آمن من الأعداء، أن يجاربوا أهله أو يغزوهم،³ فحق لمن دخله أن يكون آمناً ولا يُصاب بأذى، وحق لمن كان فيه ألا يعتدي على غيره. وكذلك أنه أكثر المدن أمناً من الغزو ومن الاعتداء، لدعاء إبراهيم - عليه السلام -، ولتعظيم أهله ومن دخله للبيت.

ولذلك امتنَّ الله - ﷻ - على قريش بمذه النعمة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَتَثَبَطْنَا مِنَ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَقْبَالًا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمُونَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: 67].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ تَمْرَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ

علام يدل اسم الإشارة (هذا) للبلد الأمين؟ وما دلالة وصف البلد الحرام بأنه البلد الأمين؟

1 إشراقات قرآنية، جزء عم، بتصرف

2 التحرير والتنوير (422/30)

3 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (5/9)

لَدَنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿القصص: 57﴾.
فحري بنا أن نستشعر نعم الله -عز وجل- علينا وأن نشكرها ولا نكفرها.

- قيمة الأكل النافع.
 - قيمة البلد الأمين.
 - تعظيم شعائر الله -عز وجل-.
 - الإيمان بمن سبق من الأنبياء وحبهم وتوقيرهم.
- ما القيم التي تفرسها هذه الآيات؟

تلاوة

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

4. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ لقد خلقنا الإنسان بفطرة سليمة ومنهج قويم، يعرف به ربه ويوحده
5. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ثم جعلنا من أفسد فطرته، وانحرف في مسلكه، في رتبة سفلية تجعله أحط من الحيوانات.
6. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ إلا الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة فلهم ثواب دائم غير مقطوع وهو الجنة.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
في ابتداء السورة بالقسم بما يشمل إرادة مهابط أشهر الأديان الإلهية براعة استهلال لغرض السورة، وهو أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، أي خلقه على الفطرة السليمة مدرِّكاً لأدلة وجود الخالق ووحدانيته، وفيه إيماء إلى أن ما خالف ذلك من الرِّجْلِ والمَلَلِ قد حاد عن أصول شرائع الله كلها، بقطع النظر عن اختلافها في الفروع. ²	ما مناسبة القسم للمقسم عليه؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 597)

2 التحرير والتنوير (30/ 422)

تأكيد للإنسان أنه خلق في أحسن هيئة وخلقة، وفي أحسن فطرة وقصد، مُزَيَّنًا بالعقل والتمييز، فالمخلوقات الأرضية كلها دونه في الخلقة، فينبغي له القيام بشكر هذه النعمة العظيمة.¹

وخلق الإنسان في أحسن تقويم دليل على قدرة خالقه، ودقة صنعه وعلمه وحكمته، وكلها دليل على قدرته على البعث بعد الموت.

فكما أن الإنسان مسلمٌ بِجَلْقَتِهِ في أحسن تقويم فعليه التسليم بقدرة الله -عز وجل- على بعثه بعد الموت، ولا يرد ذلك إلا جاهل.

كما أن استقامة الخلقة ظاهرًا دليل على استقامة الفطرة، فمن اعتنى بظواهره لن يهمل باطنه، وقد قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

وقال -عز وجل-: «ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».²

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾
جاءت الآية مؤكدة بثلاثة مؤكدات (القسم، واللام، وقد) فما الهداية المستفادة من ذلك؟

- الدعاء واللجوء إلى الله بأن يقوم فطرنا كما قوم خلقنا.
- التعلق بالله والتعرف على أسمائه وصفاته.
- الرفقة الصالحة، والقُدوة الحسنة.
- مراقبة الله واستشعار معيته.
- الدعوة إلى الله -عز وجل- وإنكار المنكر خوف إلفه وانقلابه إلى مقبول.
- عدم التعرض إلى الشبهات وتفنيدها إن عرضت، سواء بالبحث في رد أهل العلم عليها أو بعرضها عليهم.
- ...

كيف نحافظ على استقامة الفطرة؟

- علاج لتهافت كثير من الناس (خاصة النساء) على عمليات التجميل، والوشم، والنمص، ووصل الشعر، وغيرها من العادات المحرمة، وعلاج ذلك باستشعار نعمة الله ومنته عليه بصورته التي منحها له.
- علاج للعجب الذي ينشأ في قلوب بعض الناس؛ لجمال صورته، فيرى أنه متميز عن غيره، وعلاج ذلك بأن يتذكر أن هذه الصورة ما هي إلا منحة من الخلاق سبحانه، واختبار له أيشكر أم يكفر.
- علاج للسخرية المنتشرة من الآخرين بسبب لون بشرتهم أو ملامحهم، وتشبيههم بحيوان ما، وعلاج ذلك باستشعار الحياء من الله -عز وجل- أن تسخر من صنعه.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، هذه الآية الكريمة علاج لكثير من الظواهر السلبية المنتشرة في مجتمعنا الآن، وضح ذلك.

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 930) تفسير البغوي، البغوي (5/ 277) تفسير العثيمين، جزء عم، ابن عثيمين، (ص: 253)
2 أخرجه البخاري (1359) واللفظ له مسلم (2658)

- علاج وتحدي للملحدين بأن ينظروا ويتأملوا في دقة خلق أجسادهم وإحكام نظامها، وأن هذا الإحكام لا يمكن أن يتقنه إلا رب قدير عليم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».¹

قال د. محمد الفحطاني: «من تدبر قول الحكيم - جل وعلا -: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [التين: 4] لم يتجرأ أن يسخر من إنسان خلقه الله، ولا أن يحتقر خلقه مدحها الله».²

الردة تشمل معنيين:

الأول: يرد الإنسان خلقه كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يُعْلَمَ بَعْدَ عِلْمِهِ شَيْئًا﴾ [النحل: 70]، فكلما كبر سن الإنسان تغير إلى أردأ في القوة والهيبة وغير ذلك.

الثاني: الردة في الفطرة التي جبله الله عليها وفي العبادة، فإن من الناس من تعود به حاله إلى أن يكون أسفل سافلين بعد أن كان في الأعلى والقمة من الإيمان والعلم والعمل،³ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6]، فهؤلاء ردوا إلى أشرف الخليقة.

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44]، بعد أن كانوا مكرمين صبروا أنفسهم أضل من الحيوان.

(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) ما وجه التعبير بالرد في الآية؟

دل الاستثناء على أنه لا نجاة من السفول إلا بالإيمان والعمل الصالح.

كما دل على أن الناجين قلة، وأكثر الناس إلى سفول وكفر، قال تعالى: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103].

علام يدل الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟

عطف الإيمان على العمل الصالح؛ لأن عمل الصالحات من أحسن التقويم بعد الإيمان؛ إذ ينسحب الإيمان على الأخلاق فيردها إلى فضلها، ثم يهديها إلى زيادة الفضائل من أحسنها.⁴

ما دلالة عطف العمل الصالح على الإيمان؟

1 صحيح مسلم (4/ 1987)

2 ليدبروا آياته (669)

3 تفسير العنبرين، جزء عم، ابن عثيمين، (ص: 253)، بتصرف

4 التحرير والتنوير (429/30)، باختصار

ما الهداية المستفادة من
قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ﴾؟
استمرار ثواب أعمال المؤمنين حال عجزهم بما كانوا يعملونه حال قوتهم،¹ ومن
كمال نعيم المؤمن في الجنة أنه لا يمن عليه به.²

- الرضا بالخلقة على أي حال كانت.
- معالجة السخرية والاستهزاء بخلقة الله - ﷻ - التي مدحها في كتابه.
- من القيم التي تغرسها الآيات
- الإيمان والعمل الصالح.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- شكر الله - ﷻ -.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالْتَيْنِ﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٥﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

7. ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالْتَيْنِ﴾ فأى شيء يحملك أيها الإنسان على التكذيب يوم الجزاء بعدما عاينت من علامات قدرته الكثير؟
8. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ أليس الله - يجعل يوم القيامة للجزاء - بأحكم الحاكمين وأعدلهم؟ أيعقل أن يترك الله عباده سُدى دون أن يحكم بينهم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته؟³

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
التفكير في مبدأ خلقك وصورتك ومعادك باعث لك بالتصديق بهذا الدين وبالبعث والمعاد.	
ما مناسبة الآيات لما قبلها؟	إن الذي كمل خلقك لا يليق أن يتركك سُدى، ولا يكملك بالأمر والنهي، وبيان ما ينفَعك ويضرِك. ⁴
	إنَّ خلق الإنسان من النطفة، وتقويمه بشراً سوياً، وتدرجيه في مراتب الزيادة إلى أن

1 أضواء البيان، الشنقيطي (9/8)

2 أضواء البيان، الشنقيطي (9/8)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 759)

4 تفسير العثيمين، جزء عم، ابن عثيمين، (ص: 253)

يكمل ويستوي، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أُرْدُلَ العمر دليل واضح على قدرة الخالق على الحشر والنشر.¹

الاستفهام للإنكار والتعجب من هذا الإنسان.²
والمراد: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال، وقد رأيت من آيات الله الكثير، ما به يحصل لك اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك ألا تكفر بشيء مما أخبرك به.³
أو إن المعنى: أي فمن يقدر على تكذيبك يا رسولنا بعد هذه الآيات والحجج والبراهين الدالة على قدرة الله.⁴

(فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالْذِّينِ)
ما الذي دلَّ عليه الاستفهام
في الآية؟

فيه تنبيه على عدل حكم الله؛ لأن إشار لفظ الدين (أي الجزاء)؛ للإشعار بأنه معاملة العامل بما يعادل أعماله المجزى عليها في الخير والشر، وذلك العدل الخالص، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 17].⁵

ما دلالة تخير اسم الدين
دون غيره من أسماء يوم
القيامة؟

أحكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الأحكام بعد ما ظهرت حكمته في خلق الإنسان في أحسن تقويم، ونقله حالاً بعد حال إلى أكمل الأحوال.
فأحكم الحاكمين سيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.⁶
تقرير وإثبات لحكمة الله - جلَّ جلاله - في تدبيره وقضائه.⁷

ختام السورة بالاستفهام
التقريري في قوله تعالى:
﴿الْيَسَّ اللَّهُ بِالْحَكَمِ
الْحَاكِمِينَ﴾ أفاد معنى عظيمًا
فما هو؟

1 مفاتيح الغيب، الرازي (213/32)

2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (448/15)

3 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، (ص: 930)

4 أيسر التفاسير، الجزائري (591 /5)

5 التحرير والتنوير (177/1)

6 التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، (ص: 43)

7 أضواء البيان، الشنقيطي (10/9)

معرفتنا بهذا الاسم يثمر في النفس معاني عظيمة:

- حب الله - ﷻ - والعزة بعبادته وحده سبحانه.
- الرضا والتسليم والطمأنينة لحكم الله وشرعه وتحكيمه في جميع الأمور، فمن علم أن الأحكام من حكيم ما عوّضها بحكم جاهل غافل.
- الصبر والرضا بقدر الله - ﷻ - وإن كان مؤلماً، فالحكيم لا يقدر إلا بحكمة بالغة، والقدر مهما كان مرّاً فهو خير بإذن الله - ﷻ -.
- الإيمان بأن كلام الله - ﷻ - حكيم ومحكم يدفع إلى تلاوته واتباعه واتخاذ منهجاً للحياة.
- سؤال الله الحكمة مع بذل الأسباب في تحصيلها.

ما الأثر الإيماني لاسم الله الحكيم في حياتنا؟

من كمال عدل الله - ﷻ - أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه، ويحسن إلى المحسن، ويحاسب المسيء على إساءته.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- بيان منافع التين والزيتون، واستحباب غرس هاتين الشجرتين، والعناية بهما.
- بيان شرف مكة، وحرمتها، وتعظيمها.
- فضل الله على الإنسان، وتكريمه بين سائر المخلوقات بأن خلقه في أحسن تقويم.
- الحرص على استقامة الاعتقاد والفترة السليمة، فهما الميزان الحقيقي للعبد.

- الإيمان اليقيني باليوم الآخر وبالחסاب والجزاء، وتربية الأبناء على ذلك.
- لا تكون النجاة من السفول إلا بالإيمان والعمل الصالح.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- تعظيم شعائر الله - ﷻ -.
- الحفاظ على خلقه الله بالأكل الصحي وعدم تغييرها.
- الرضا بالخلق، وشكر الله عليه.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- البعد عن مواقع الشبهات، وسرعة تفنيدها إن عرضت لي.
- ...

من الفوائد التربوية

من الأساليب التربوية:

- التوجيه.
- المدح والثناء.
- التحذير.
- شد الانتباه.
- الحث على التفكر.
- ...

رسائل

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ انقطاع الأعمال بانقطاع الآجال، فطوبى لمن جعل من عمله أثرًا يُدِيرُ عليه بعد الرحيل.
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ الآية تقذف في القلوب الرضا والطمأنينة والسكينة والسعادة على أي حال كان.

096. سُورَةُ الْعَلَقِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تبين لنا ضعف الإنسان وحاجته إلى ربه، ومع ذلك تراه يطغى بما آتاه ربه الكريم من النعم، فيقابلها بالصد عن عبادة الله -عز وجل- جاهلاً بعواقب ذلك. سورة تحث على العلم والتعلم، واستخدام الوسائل لتحصيله. سورة نزلت على رجل أميٍّ من أمة أمية تأمره بالقراءة. سورة افتتحت بأول ما نزل من القرآن الكريم. سورتنا لهذا اليوم هي سورة اقرأ، وهي سورة العلق.

تمهيد:

تعريف السورة

تسمى سورة «اقرأ باسم ربك» وسورة «العلق» وسورة «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، وتسمى سورة «اقرأ»، وسورة «القلم» وسورة «ن».¹

اسم السورة:

مكية باتفاق.²

نوع السورة:

ثماني عشرة آية في الشامي وتسع عشرة في الكوفي والبصري وعشرون في المدنيين والمكي.³

عدد آياتها:

سبب نزول قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله - ﷺ - وهو يصلي: زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه. قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن يبني وبينه لخنديقاً من نار وهولاً وأجنحة.

سبب نزولها:

فقال رسول الله - ﷺ -: (لو دنا مني لاخطفته الملائكة عضوًا عضوًا) قال: فأنزل الله - عز وجل -: لا ندرى في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْفَى ۖ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۗ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا

1 التحرير والتنوير (433/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عدّ آي القرآن، (ص: 280)

إِذَا صَلَّى ﴿١﴾ أَرَعَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿٢﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿٣﴾ أَرَعَيْتَ إِنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّى ﴿٤﴾ [يعني أبا جهل] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿٥﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا
بِالتَّاصِيَةِ ﴿٦﴾ نَاصِيَةً كَذِبَةَ خَاطِئَةٍ ﴿٧﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٨﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿٩﴾ كَلَّا لَا
تُطْعَهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٠﴾¹.

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ». قال: « فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق: 1-3] « فرجع بها رسول الله ﷺ - يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها -، فقال: «زملوني، زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي». فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرئ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ - خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ -: «أومخرجي هم؟! قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي.²

قصة أول نزول للقرآن الكريم، نزول صدر السورة.

المناسبة بين سورة العلق وسورة التين:

بينت سورة التين عظيم قدرة الله في خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفي سورة العلق

مناسبة السورة لما قبلها:

1 المخر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (2/ 1083)

2 صحيح البخاري (7/ 1)

جاء بيان عظيم هذه القدرة بتعليم الإنسان وإفهامه بالقراءة والمعرفة.¹ ذكر تعالى في سورة التين أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهذا بيان للصورة، وذكر هنا خلق الإنسان من علق وهذا بيان للمادة، وذكر سبحانه في سورة العلق من أحوال الآخرة ما يكون كالبيان لما ذكر عنها في سورة التين.²

المناسبة بين سورة العلق وسورة القدر:

لما ختمت سورة العلق بالأمر بالسجود لله تعالى وعدم الالتفات لمن ينهى عن هذا السجود، جاء في مقدمة سورة القدر الحديث عن إنزال القرآن في تلك الليلة المباركة، ليلة القدر التي هي موطن الإحياء الأعظم للصلاة، بما فيها من قيام وركوع وسجود وتلاوة للقرآن.³

صدر سورة العلق هو أول ما نزل من القرآن، وسورة القدر تتحدث عن الليلة التي أنزل فيها.

سورة العلق جاء الأمر فيها لرسول الله ﷺ بأن يقرأ القرآن باسم ربه الذي خلق، والذي علم الإنسان ما لم يعلم، وهنا في سورة القدر جاء ذكر القرآن ونزوله وبيان فضله، وأنه من عند ربه ذي العظمة والسلطان، العليم بمصالح الناس، وبما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وأنه أنزل في ليلة لها من الجلال والكمال ما قصته السورة الكريمة.

مناسبة السورة لما بعدها:

قال ابن عاشور: (ومن تسديد ترتيب المصحف أن وضعت سورة القدر عقب سورة العلق مع أنها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها؛ كأنه إمام إلى أن الضمير في أنزلناه يعود إلى القرآن الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق).⁴ ومن هذه الصلات أيضاً أن سورة العلق أمرت بالقراءة باسم الله وأمرت بالسجود والاقتراب له - سبحانه وتعالى -، وسورة القدر ذكرت ليلة العمل فيها يعدل ألف مرة ثواب العمل فيما سواها؛ وذلك لتستثمر هذه الليلة بالقراءة والسجود المأمور به في سورة العلق.⁵

بيان كمال الإنسان بالعلم والوحي الباعث على تعلق العبد بربه وخضوعه له ونقصه بمخالفة ذلك.⁶

مقصد السورة:

- 1 التفسير الموضوعي (252 /9)
- 2 المرجع السابق
- 3 التفسير الموضوعي (261 /9)، بتصرف
- 4 التحرير والتنوير (456/30)
- 5 التفسير الموضوعي (263/9)
- 6 المختصر في تفسير القرآن الكريم (597 /1)

موضوعات السورة:

من الآية (1) إلى الآية (5): خلق الإنسان وتكريمه بالعلم.
 من الآية (6) إلى الآية (14): أثر الجهل وذم له ولأهله.
 من الآية (15) إلى الآية (19): توهين شأن المخالف للنبي ﷺ.

تلاوة

الآية (الآيات)

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

- ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك، مفتحاً باسم ربك الذي خلق جميع الخلائق.
- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ خلق الإنسان من قطعة دم متجمدة بعد أن كانت نطفة.
- ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك، وربك الأكرم الذي لا يداني كرمه كريم، فهو كثير الجود والإحسان.
- ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ الذي علّم الخط والكتابة بالقلم.
- ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ علم الإنسان ما لم يكن يعلمه.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما دلالة افتتاح السورة بفعل الأمر ﴿اقْرَأْ﴾؟	افتتاح السورة بكلمة اقرأ إيذاناً بأن رسول الله ﷺ - سيكون قارئاً، أي تألياً كتاباً بعد أن لم يكن قد تلا كتاباً، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَا رُتَابَ الْمُبْتَطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48]. ²
	وفي هذا الافتتاح براعة استهلال للقرآن بالأمر بالقراءة التي تشمل قراءته. كما أن هذا الافتتاح، وخاصة على رجل أميٍّ من أمة أمية يشير إلى أهمية العلم، وكان واضحاً في النقلة النوعية التي انتقلتها أمة العرب بالإسلام، وما كانت عليه من تقدم علمي في جميع المجالات، إلى أن تأخرت وخالفت أمر ربها، فكان ما كان منها وما نراه حديثاً من حالها.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 598)
 2 التحرير والتنوير (30/ 435)

لينبه العبد إلى ما أولاه الله إياه من التربية والرعاية والعناية، إذ الرب يفعل لعبده ما يصلحه، ومن كمال إصلاحه أن يرسل إليه من يقرأ عليه وحيه بخبري الدنيا والآخرة.¹
وكذلك التوجيه إلى الاستعانة بالله -ﷻ- في القراءة - ما تحمله جملة باسم ربك - من خصائص الربوبية.
وفي إضافته إلى النبي -ﷺ- إيناس له،² وفيها تكريم وتشريف له -ﷺ-.

علام يدل مجيء اسم الجلالة الرب دون الألوهية في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؟ وما دلالة إضافته إلى النبي -ﷺ-؟

﴿اقْرَأْ﴾ الأمر بالقراءة تكليف لتحمل الوحي، ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ بيان لجهة التكليف، ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ تدليل لتلك الجهة، أي الرسالة والرسول والمرسل مع الدليل المجمل، ولا شك أن المرسل إليهم لم يؤمنوا ولا بوحدة منها، فكان لا بد من إقامة الأدلة على ثبوتها بالتفصيل.³

تضمن قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ مسائل من أصول الرسالة، بين ذلك.

لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير، وتفخيماً لشأنه؛ إذ هو أشرفها وإليه التنزيل، وهو المأمور بالقراءة.⁴
فالذي خلق الإنسان واعتنى بتدبيره، لا بد أن يدبره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، ولهذا ذكر بعد الأمر بالقراءة، خلقه للإنسان.⁵

ما مناسبة ذكر تخصيص خلق الإنسان بعد الأمر بالقراءة في قوله - تعالى - : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾¹ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ²؟

لأنه أدل على كمال القدرة، فالقادر على إيجاد إنسان في أحسن تقويم من هذه العلقة، قادر على جعلك قارئاً وإن لم تكن تعلم القراءة من قبل.⁶
فيه تنبيه عظيم لابتداء خلقه؛ لأن النطفة إذا صارت علقة فقد أخذت في أطوار التكوّن، فجعلت العلقة مبدأ الخلق، ولم تُجعل النطفة مبدأ الخلق، وهذا من دلائل وحدانية الله تعالى وقدرته، وهي كذلك من إعجاز القرآن العلم.⁷
إنَّ العلقة تعبر عن ضعفها وتعلقها بجدار الرحم لاستمرارية حياتها، وتخلقها لإنسان كامل الخلقة، ففيها إشارة إلى ضعف الإنسان مقابل قدرة الله -ﷻ-، وفيها إشارة إلى علم الله -ﷻ- بحاجاته وما يصلح لجسده وهو دليل على علم الله -ﷻ- بحاجة هذا الإنسان الضعيف إلى توجيهه رباني ووحى يرشده في مساره في

ما وجه تخصيص مرحلة خلق الإنسان من علق دون غيرها من مراحل الخلق في قوله - تعالى - : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾؟

1 أعضاء البيان، الشنقيطي (9/ 14)
2 أعضاء البيان، الشنقيطي (9/ 14)
3 أعضاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (9/ 15)
4 محاسن التأويل، القاسمي (9/ 508)
5 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (930)
6 أعضاء البيان، الشنقيطي (9/ 16)
7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 438)، بتصرف

هذه الحياة الدنيا.

دليل كذلك على قدرة الله -عز وجل- على البعث، فجمع العظام بعد أن صارت تراباً ليست بأصعب من تحويل قطرة دم عالقة بالرحم إلى إنسان.

ما مناسبة تكرار الأمر
بالقراءة في الآيات؟

إنما كرر - سبحانه - الأمر بالقراءة؛ لأنه من الملكات التي لا ترسخ في النفس إلا بالتكرار والإعادة مرة فمرة.¹

كيف نفرس حب القراءة في
نفوس الناشئة؟

أن نكون قدوة لهم في القراءة، والحرص على القراءة أمامهم. مشاركتهم في القراءة في جو أسري مساعد على ذلك. توفير الكتب والمراجع النافعة والمناسبة لهم. مشاركتهم في زيارة معارض الكتاب والمكتبات العامة وإهداؤهم كتباً قيمة. بيان أنها عبادة لله -عز وجل- ومسؤولية تجاه المسلمين. مراقبة وتحديد استعمال الأجهزة في غير منفعة. الاستفادة من مواقع التواصل، وعمل مجموعات وطرح كتاب أسبوعي للقراءة. ضبط استعمال مواقع التواصل الاجتماعي بالطرق المناسبة للفئة العمرية.

لما في هذه الصفة من تلاؤم للسياق، بحيث لا يناسب مكانها غيرها لعظم العطاء وجزيل المنة.

واستشعار نعمة الخلق والإيجاد، فهما نعمتان متكاملتان: الإيجاد من العدم بالخلق، والإيجاد الثاني من الجهل إلى العلم، ولا يكون هذا إلا من الرب الأكرم سبحانه.² وأثر معرفة ذلك:

ما مناسبة محييء صفة الله

- تعالى - الأكرم في الآية

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)؟ وما

الأثر الإيماني والعملية لذلك؟

- محبته - سبحانه وتعالى - على كرمه وجوده ونعمه التي لا تحصى.
- الحياء منه سبحانه والتأدب معه ورجاؤه -عز وجل-، فمع كثرة معاصي عباده فإنه لم يمنع عنهم عطاؤه وجوده.
- التعلق به وحده سبحانه، والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه، وطلب الحاجات منه وحده سبحانه؛ لأنه الكريم الذي لا حد لكرمه.
- التخلق بخلق الكرم، والتخلي بصفة الجود والسخاء على عباد الله تعالى.
- كثرة دعاء الله -عز وجل-، وإحسان الظن به سبحانه.³

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 454)

2 أعضاء البيان، الشنقيطي (9/ 17)

3 والله الأسماء الحسنی، الجليل (591)، بتصرف

للإشادة بشأن القلم، حيث إن الله - تعالى - قد علّم به، وهذا أعلى مراتب الشرف مع أنه سبحانه قادر على التعليم من دون القلم.¹ لأنه به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق وتبنى عليه استقامة أمور الدنيا والدين، وهي كافية في الدلالة على دقيق حكمة الله - سبحانه وتعالى -، فالواجب شكر الله على هذه المنة.²

ما دلالة تخصيص القلم بالذكر دون سائر أدوات التعلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾؟

كان ناسٌ من الأسرى يومَ بدرٍ لم يكن لهم فداءٌ فجعل رسولُ الله - ﷺ - فداءهم أن يُعلِّموا أولادَ الأنصارِ الكتابةَ.³ وعن عبادة بن الصامت قال: «علمت ناسًا من أهل الصفة الكتابة والقرآن».⁴ وقد أمر النبي - ﷺ - بكتابة الوحي منذ بدء نزوله، واتخذ عدة كتاب لذلك، وغير هذه الأمثلة كثير، وكل ذلك يبين لنا عناية النبي - ﷺ - بالقراءة والكتابة، ومن سار على نهج من الخلفاء والتابعين.

حرص النبي - ﷺ - على تعليم الناس بالقلم، هات أمثلة من سيرته على ذلك.

شأن الكتابة عظيم فهي وعاء الحضارة، توثق ما كان من علوم وأحداث، تحفظ الحضارة وتنقلها وتنقل لنا علوم الآخرين. قال قتادة: «القلم: نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم، ولم يصلح عيش».⁵ كان أنس يقول لبنيه: يا بني قيدا العلم بالكتابة. الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ قَيْدٌ صَبُودَكَ بِالْحَبَالِ الْوَائِقَةُ فَمَنْ الْحَمَاقَةُ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً وَتَتْرُكَهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةً

ما أهمية الكتابة في نصوص الأمم؟ في ضوء هذه العبارة وضح شرف الكتابة وأهميتها في نخصة الأمة؟ وما دورنا في تفعيلها؟

فيه دليل على أن العلم مسبوق بالجهل،⁶ وفيها منة من الله - ﷻ - على الإنسان بتعليمه وتكرمه على بقية المخلوقات.

علام يدل التعقيب بقوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؟

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: 31 - 33] بين الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآيات مؤهلات آدم - عليه السلام - واستحقاقه لهذه الأمانة وهي الخلافة؛ أي عمارة

اذكر دليلاً على تميز الإنسان بالعلم؟

1 أعضاء، الشنقيطي (18/9)
2 التفسير الموضوعي (253/9-254)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (930)
3 مسند الإمام أحمد 4/474
4 أخرجه أبو داود (3416)، وابن ماجه (2157)، وأحمد (22689) واللفظ له
5 تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (519/24)
6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (441/30)

الأرض.

فمن ترك العلم فقد أحد مؤهلات سيادته على الأرض.

- الأمر بالقراءة.
- مجيء الفعل الصريح اقرأ وهي وسيلة من وسائل التعلم.
- افتتاح السورة بالأمر بالقراءة.
- افتتاح نزول القرآن الكريم بالأمر بالقراءة مؤذن بأهميتها في الدين والحياة.
- تكرار كلمة القراءة مرتين.
- تكرار كلمة العلم (علم، علم، يعلم).
- ذكر وسيلة الكتابة (القلم).
- ذكر نعمة تعليم الله - ﷻ - للإنسان.
- ذكر جهل الإنسان قبل تعليمه.
- مجيء مرحلة من مراحل خلق الإنسان وهي من علم الأحياء، وقد تشير إلى أهمية علوم الدنيا وليس فقط العلم الشرعي.

بينت هذه الآيات ﴿اقرأ﴾
بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ 1
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ 2
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ 3 الَّذِي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ 4 عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ 5 ﴿ فضيلة العلم
وأهميته وحث عليه بأكثر
من وجه، اذكرها.

فما بال أمة اقرأ تركت العلم وزهدت فيه؟

بيان فضيلة العلم:

- تميز العالم على الجاهل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].
- العلم كان سبباً لاصطفاء طالوت على قومه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247]، والآيات في ذلك كثيرة.

كيف نصح مفهوم الدراسة طلباً للشهادة والوظيفة عند كثير من الدارسين؟

- أجز طلب العلم، قال - ﷺ -: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رصاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافٍ).¹

بيان حاجة المسلمين إلى العلم، فهو من باب مسؤولية الفرد المسلم تجاه أمته.

تذكيرهم بتجديد النية في طلب العلم حتى ينال هذا الأجر.
غرس قيمة الوقت وأهمية اغتنام الأوقات في عبادة طلب العلم.
توجيههم إلى طلب العلم لله وليس للدرجات، فلا تكون المذاكرة على قدر الحاجة
في الاختبار.

....

- حب الله - عَجَلٌ - .
 - التواضع لله - سبحانه - وللناس.
 - قيم العلم.
 - قيمة القراءة والكتابة.
- ما القيم التي تغرسها الآيات؟

اللهم علمنا العلم النافع ووقفنا للعمل الصالح.

تلاوة

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿١﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٢﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٣﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿٤﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿٥﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَنُوءِ ﴿٦﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿٨﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

6. ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ حقًا إن الإنسان الفاجر مثل أبي جهل ليتجاوز الحد في تعدي حدود الله.
 7. ﴿أَنْ رَّاهُ اسْتَعْجَىٰ﴾ من أجل أن رآه استعجى بما لديه من المال.
 8. ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ إن إلى ربك - أيها الإنسان - الرجوع يوم القيامة فيجازي كلا بما يستحقه.
 9. ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ أرايت أعجب من أمر أبي جهل الذي ينهى.
 10. ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ عبداً إذا صلى لله؟! والمنهي هو رسول الله - ﷺ - .
 11. ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ أرايت إن كان هذا المنهي على هدى وبصيرة من ربه؟
 12. ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَنُوءِ﴾ أو كان يأمر الناس بتقوى الله؛ بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، أينهى من كان هذا شأنه؟
 13. ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أرايت إن كذب هذا الناهي بما جاء به الرسول وأعرض عنه ألا يخشى الله؟
 14. ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ألم يعلم ناهي هذا العبد عن الصلاة أن الله يرى ما يصنع ولا يخفى عليه منه شيء؟¹
- ورد لهذه الآيات سبب نزول مذكور في مقدمة السورة.

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرية
<p>إذا كان خلق الإنسان من علق، وهي أحوج ما يكون إلى لطف الله وعنايته ورحمته في رحم أمه، فإذا بها مضغعة ثم عظام، حتى يكتمل نموه ويخرج طفلاً ثم يصبح رجلاً، فإذا ما ابتلاه ربه بشيء من المال أو العافية، فإذا هو ينسى كل ما تقدم، وينسى حتى ربه ويطغى ويتجاوز حده حتى مع الله خالقه ورازقه.¹</p> <p>فكيف بهذه العلقة أن تطغى على خالقها وترفض الاستجابة لأمره وتكذب رسله!؟</p>	<p>ما مناسبة الآيات لما قبلها؟</p>
<p>لأنَّ الحديث انتقل في هذا المقطع إلى المكذبين المعارضين فناسب أن يبدأ بالزجر والتعنيف والتهديد، فهو زجر عما تضمنه ما بعدها؛ لأن ما قبلها ليس فيه ما يوجب الزجر والردع.²</p>	<p>افتتح هذا المقطع بـ(كَلَّا) التي تفيد الزجر والتعنيف والتهديد، فما مناسبة ذلك؟</p>
<p>ليعم كل إنسان من بني آدم، فالإنسان من طبيعته الطغيان والتمرد متى رأى نفسه في غنى، ولكن هذا يخرج منه المؤمن؛ لأن المؤمن لا يرى أنه استغنى عن الله طرفة عين، فهو دائماً مفتقر إلى الله - سبحانه وتعالى -، يسأل ربه كل حاجة، ويلجأ إليه عند كل مكروه.³</p>	<p>ما دلالة التعريف في لفظ الإنسان في قوله - تعالى - : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾؟</p>
<p>الطغيان: التعاضم والكبر. وتأکید الخبر بحرف التأكيد ولام الابتداء لقصد زيادة تحقيقه؛ لغرابته حتى كأنه مما يتوقع أن يشك السامع فيه؛⁴ لأنه مخالف لما يجب أن يكون عليه الإنسان من تواضع لربه لشدة حاجته إليه وعدم استغنائه عنه في كل لحظة، مؤمناً كان أو كافراً. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15].</p>	<p>علام يدل التأكيد على طغيان الإنسان عند استغنائه في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾؟</p>
<p>فهل نستطيع الاستغناء عن الله - عَزَّوَجَلَّ - في مأكَل أو مشرب أو ملبس أو حاجة؟ فإن لم يكن، فبأي شيء نتكبر، وعلام نتكبر!؟</p>	

1 أضواء البيان، الشنقيطي (28/9)، بتصرف

2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (455/15)، بتصرف

3 تفسير العنبرين، جزء عم، (ص: 260)، بتصرف

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (444/30)

للدلالة عن أن استغناؤه غير حقيقي؛ لأنه مفتقر إلى الله في أهم أموره ولا يدري ماذا يصيره إليه ربه من العواقب فلا يزد به غنى زائف في هذه الحياة.¹
ولأن الطغيان الذي وقع فيه هو عن وهم، تراءى له أنه استغنى سواء بماله أو بقوته.²

في قوله تعالى: ﴿أَنْ رَأَهُ اسْتَغْنَى﴾ علام يدل التعبير برؤية الاستغناء في حال الإنسان المستغني؟

أسبابه:

- الكبر والعلو.
- العجب والغرور.
- الحقد والحسد.
- الملك والسلطة.
- المال والولد.
- غفلة الناس عن حقوقهم وقبوحهم الظلم.
- الغفلة عن اليوم الآخر.

ما أسباب طغيان الإنسان؟ وما علاجه؟

علاجه:

- بناء العقيدة وغرسها في النفوس.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- استشعار مراقبة الله والخوف منه.
- التذكير بعاقبة الطغيان وعقوبته عند الله -عز وجل-.
- تذكّر يوم الحساب والجزاء.

يدل على رجوع كل الناس إلى الله وحده لا إلى غيره بالموت والبعث.³ ويشمل ما هو أعم من الوعيد والتهديد، بأنَّ إلى الله المرجع في كل شيء في الأمور الشرعية والكونية.⁴ هذه الآية موعظة وتهديد للطغاة، وتعليم للنبي -صلى الله عليه وسلم- وتثبيت له.⁵

ما الذي أفاده تقديم الجار والمجرور في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ وما الهداية المستفادة من هذه الآية؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (444/30)
2 أضواء البيان، الشنقيطي (28/9)
3 محاسن التأويل، القاسمي (512/9)
4 تفسير العنيمين، ابن عثيمين، (ص: 261)
5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (446/30)

ما دلالة الاستفهام والتعبير بالنهي في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى؟﴾ وفي الآية تقييح وتشنيع لحال ذاك الكافر، وتعجب منها وإيدان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منها العجب.¹

ما دلالة مجيء وصف العبودية وتنكيرها في قوله تعالى: ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى؟﴾ ومجيء وصفه بالعبودية وتنكيرها هنا تفخيم وتعظيم لشأنه — ﷺ —، واستعظام النهي وتأکید التعجب منه.²

ما دلالة مجيء وصف العبودية من أعظم مقامات التشريف للنبي — ﷺ — جاء ذكرها في عدة مواضع من كتاب الله، اذكر بعضاً منها. في مقام تنزيل الكتاب قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: 1]. في مقام الإسراء والمعراج قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1]. في مقام الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: 19].

ما الهداية المستفادة من قوله تعالى: ﴿إِذَا صَلَّى؟﴾ ما الهداية المستفادة من قوله تعالى: ﴿إِذَا صَلَّى؟﴾ وما نهي النبي — ﷺ —، ويكون سبباً في الوعيد لمن آذاهم الصلاة أفضل أعمال الإيمان. حال المصلي من أعظم مواقف العبد بين يدي ربه — تعالى — فليُعَظَم هذا الأمر. البعد عن إيذاء المصلين، سواء بالتشويش عليهم بالكلام أو الجهر بالقراءة فإن هذا

ما مناسبة قوله — تعالى —: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ (11) ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى﴾ (12) ﴿لَمَا قَبْلَهَا؟﴾ من ينهى عن الصلاة وهي قريبة إلى الله فقد نهي عن الهدى، ويوشك أن ينهى عن أن يأمر أحد بالتقوى.³

ما الحكمة من الجمع بين الهدى والأمر بالتقوى في الآيات؟ ما الحكمة من الجمع بين الهدى فيه الطريق الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة وكرامتهما، والأمر بالتقوى فيه نجاة لنفسه وغيره من عذاب الدنيا والآخرة.⁴ فهو صالح بنفسه مصلح غيره.⁵

1 محاسن التأويل، القاسمي (9/ 512)

2 محاسن التأويل، القاسمي (9/ 512)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 447)

4 أيسر التفاسير، الجزائري (5/ 596)

5 تفسير العثميين، ابن عثيمين، (ص: 263)

ما دلالة التعبير بحرف

الاستعلاء (عَلَى) في قوله
تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى
الْهُدَى؟﴾

شدة التمكن من الهدى بحيث يشبه تمكن المستعلي على المكان.¹

ما دلالة تكرار الاستفهام
(أَرَأَيْتَ) ثلاث مرات في
الآيات؟

تَعَجُّبٌ من حال هذا الإنسان الطاغوي الشقي، الذي أصَرَ على كفره، وآثر الغي
على الرشد، والشرك على الإيمان، وتهديد هذا الكافر الطاغوي بسوء المصير؛ لأن
الله - تعالى - مطلع على أعماله القبيحة، وسيعاقبه العقاب الأكبر.²

ما دلالة قوله - تعالى - :
(أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى؟)

تهديد الذي ينهى عبداً إذا صَلَّى، وبيان أن الله - تعالى - يعلم بحاله، وحال من
ينهاه، وسيجازي كلاً منهما بما يستحق: إما في الدنيا، وإما في الآخرة.³

(أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى؟) إذا
علمت أن الله يراك في كل
أحوالك، ماذا يبعث ذلك في
نفسك وما أثره في أفعالك
وواقفك؟

مراقبة الله والخوف منه؛ حيث لا تخفى عليه خافية في ليل ولا نهار، في سر أو
إعلان، في خلوة أو اجتماع، في باطن الأرض أو ظاهرها.
حينما نستشعر ذلك فهو يُثمر في قلب المؤمن خوفاً من الله أن يراه في حال لا
ترضيه، ويستحي من ربه - سبحانه - أن يراه على معصية.
الإخلاص لله - تعالى - في جميع الأعمال؛ لأنه - سبحانه - يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور، فمن علم أن الله يراه أحسن عمله وعبادته وأخلص فيها لربه.
الطمأنينة والصبر والاحتساب حين يظلمني أحد أو يؤذي، وكذلك الطمأنينة
والصبر مما ينالنا وأمتنا من أعداء الله من الأذى والابتلاء والثقة بعدل الله ونصره
لأمة الإسلام.

هذه آيات تسلية للداعية بسنة تعرضه للأذى، وإن هذا ما كان من شأن النبي
ﷺ - .

ماذا تغرس هذه الآيات؟

تغرس مراقبة الله - ﷻ - .
تغرس قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
تغرس الحذر من النهي عن العبادة.
تغرس قيمة التواضع ونبد الكبير.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 448)

2 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 457)

3 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 263)

تلاوة

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطْعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾﴾
 الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

15. ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ليس الأمر ما تصور هذا الجاهل، لكن لم يكف عن أذاه لعبدنا، وتكذيبه له لناخذه مجذوبًا إلى النار بمقدم رأسه بعنف.
16. ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ تلك الناصية كاذبة في القول، خاطئة في الفعل.
17. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ فليدع حين يؤخذ بمقدم رأسه إلى النار أصحابه وأهل مجلسه يستعين بهم؛ لينقذوه من العذاب.
18. ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ سندعو نحن خزنة جهنم من الملائكة الغلاظ الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فلينظر أي الفريقين أقوى وأقدر.
19. ﴿كَلَّا لَا تُطْعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ليس الأمر كما توهم هذا الظالم أن يصل إليك بسوء، فلا تطعه في أمر ولا نهي، واسجد لله، واقرب منه بالطاعات، فإنها تقرب إليه.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
تهديد ووعيد لمن يمتنع أو يمنع غيره عن الطاعة ولم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد، وهذه الآية وإن كانت في أبي جهل، فهي عظة للناس جميعًا. ²	ما دلالة النهي في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾؟
السفع: قبض مع جذب بشدة، مع الضرب وتسويد الوجه؛ فيجمع عليه الضرب عند الأخذ، ثم يجز إلى جهنم. ³ فيجمع له العذاب الحسي والعذاب النفسي من الإهانة بالسفع.	ما دلالة التعبير بالسفع في الآية؟
خصَّ الناصية بالذكر لما في أخذه منها من قهر وإذلال وتعذيب ونكال به؛ وهذا من عادة العرب فيمن أرادوا إذلاله وإهانتة أخذوا بناصيته. ⁴	وما وجه تخصيص الناصية دون غيرها؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (597/1-598)

2 تفسير ابن كثير، ابن كثير (423/8) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (125/20)، بتصرف

3 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (125/20)، بتصرف

4 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (125/20) محاسن التأويل، القاسمي (514/9)

لأنها أشد نكارة على صاحبها ونكالا به، إذ الصدق يرفع الرأس والكذب ينكسه ذلة وخزيا.¹

ما دلالة تكرار لفظ الناصية؟ لأن ذكر الأولى للتنصيص على أنها ناصية الناهي، والثانية لتوصف بما يدل على علة السفح وشموله لكل من وجد فيه ذلك.²

علام يدل وصفها بالكاذبة الخاطئة في قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٌ كَازِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾؟ للمبالغة في تعمد هذا الإنسان لارتكاب المنكر، ولأنَّ الناصية هي مظهر الغرور والكبرياء، ولطالما كذبت بالحق، وتعمدت ارتكاب المنكر.³

الخاطيء: من تعمد ما لا ينبغي. أي: القاصد للذنب. أما المخطيء: من أراد الصواب فصار إلى غيره.⁴

والتعبير بالخاطيء في هذه الآية دل على تعمدهم الكذب والطغيان، وهذا دليل على معرفتهم للحق ومخالفته، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: 14]، وهذا حال كثير ممن خالف شرع الله - ﷻ - وكذب بالحق إما لمصلحة أو كبرا، إلا أن يكون تابعا جاهلا، أو قف وسائل إدراكه.

ما الفرق بين الخاطيء والمخطيء؟

تعجيز أبي جهل عن مناداة أصحابه؛⁵ لأنه هدد النبي - ﷺ - بكثرة أنصاره وهم أهل نادية، فردَّ الله عليه بأن أمره بدعوة نادية، فإنه إن دعاهم ليستطوا على النبي - ﷺ - دعا الله ملائكة فأهلكوه.

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾؟

وأضاف النادي إلى ضميره؛ لأنه رئيسهم ويجمعون إليه.⁶

ما وجه التعقيب بقوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾؟ الزبانية الذين يزينون الناس، أي يدفعونهم بشدة، والمراد بهم ملائكة العذاب،⁷ ففيها تهديد للطاغية وردع له.⁸

1 أضواء البيان، الشنقيطي (29/9)

2 محاسن التأويل، القاسمي (514/9)

3 التفسير الوسيط، الططاوي (458/15)، محاسن التأويل، القاسمي (514/9)

4 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (126/20)

5 ينظر التحرير والتنوير، ابن عاشور (452/30)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (452/30)

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (453/30)

8 أيسر التفاسير، الجزائري (596/5)

الاقتراب: افتعال من القرب، عبّر بصيغة الافتعال لما فيها من معنى التكلف والتطلب، أي اجتهد في القرب إلى الله بالصلاة، وللتنويه بما في الصلاة من مرضاة الله - تعالى - بحيث جعل المصلي مقترّباً من الله تعالى.¹

التقرب إلى الله بالطاعة والعبادة، يكسب قوة وعزة، ومنعة وهيبة في قلوب الأعداء، وهي طريق النجاة والنصر.²

ما دلالة الأمر بالاقتراب
بعد الأمر بالصلاة والسجود
خاصة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا
لَا تُطِغُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾؟

لأنه للبعد نهاية العبودية والذلة، والله غاية العزة،³ ولأن السجود أخص صفاتها،⁴ وركن في الصلاة لا تصح إلا به،⁵ وليزداد غيظ الكافر.⁶

علام يدل تخصيص السجود
من الصلاة؟

الصلاة مناجاة بين العبد وربّه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَثْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا، غَيْرَ تَمَامٍ، فَيَقِيلُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِمَا فِي نَفْسِكَ»، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَسَمِّتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَضْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الفاتحة: 3]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتَيْتَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ}، قَالَ: مُحَمَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7]، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ."⁷

ما أهمية الصلاة في حياة
الفرد المسلم؟

الصلاة تهذيب للخلق، قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

الصلاة تساعد على توازن العبد حال الابتلاء وتعين على الصبر:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَثُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الصَّالِينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٥﴾﴾ [المعارج: 19 - 23].

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 453)
2 التفسير المنير للرحيلي (30/ 327)، بتصرف
3 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (20/ 128)
4 أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 29)
5 تفسير العنيمين: ابن عثيمين (ص: 266)
6 التفسير المنير، الرحيلي (30/ 327)
7 صحيح مسلم (1/ 296)

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].
- الصلاة سبيل لمغفرة الخطايا، قال -ﷺ- (الصلوات الخمس كفارة لما بينهما، ثم قال رسول الله: أُرَائَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَتَمَلَّأُ، وَكَانَ بَيْنَ مَنْزِلِهِ وَبَيْنَ مُغْتَمَلِهِ خَمْسَةٌ أَهْمَارًا، فَإِذَا أَتَى مُغْتَمَلَهُ عَمِلَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَصَابَ الْوَسْخُ أَوْ الْعَرَقُ، فَكَلَّمَا مَرَّ بِنَهْرٍ اغْتَسَلَ مَا كَانَ ذَلِكَ يَبْقِي مِنْ دَرَزِهِ؟ فَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ، كَلَّمَا عَمِلَ خَطِيئَةً فَدَعَا وَاسْتَغْفَرَ، غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ قَبْلَهَا).¹
- الصلاة رفعة للمؤمن، قال رسول الله -ﷺ-: "عليك بكثرة السجود فإنه لا تسجد لله - تعالى - سجدة إلا رفعك الله - تعالى - بها درجة وخطأ عنك بها خطيئة".²
- الصلاة قرين للعبد من الله -ﷻ-، قال رسول الله -ﷺ-: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء).³
- الصلاة راحة نفسية، قال رجلٌ من خِزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ - فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ - فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا بَلَاءُ، أَرْخُنَا بِهَا!⁴

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية.
- بيان تطور النطفة في الرحم إلى علقة ومنها يتخلق الإنسان.
- إعظام شأن الله - تعالى - وعظم كرمه فلا أحد يعادله في الكرم.
- التنويه بشأن الكتابة والخط بالقلم إذ المعارف والعلوم لم تدون إلا بالكتابة والقلم.
- بيان فضل الله - تعالى - على الإنسان في تعليمه ما لم يكن يعلم بواسطة الكتابة والخط.
- بيان طبع الإنسان إذا لم يهذب بالإيمان والتقوى.
- نصرة الله لرسوله -ﷺ- بالملائكة عياناً في المسجد الحرام.
- تسجيل لعنة الله على فرعون الأمة أبي جهل، وأنه كان أظلم قريش لرسول الله وأصحابه.
- مشروعية السجود عند تلاوة هذه السورة؛ إذا قرأ «فاسجد واقترب» شرع له السجود، إلا أن يكون يصلي

1 صحيح الترغيب 355

2 صحيح مسلم (353/1) حديث رقم (488)

3 صحيح مسلم (353/1) حديث رقم (482)

4 تخریج مشكاة المصابيح 1209

بجماعة في الصلاة السرية فلا يسجد لئلا يفتنهم.¹

خلاصة الأعمال التطبيقية

- القراءة وطلب العلم.
- الحذر من طغيان النفس وتكبرها بما أوتيت من نعم.
- الاستعداد لليوم الآخر بالعمل الصالح والصلاة والقربات إلى الله.
- مراقبة الله -عز وجل- في جميع أمور الحياة.
- الثبات على الحق والصبر على الأذى فيه.
- تعلم سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- واتخاذة قدوة.
- الحفاظ على الصلاة فهي القرى والمنعة والراحة وحبل النجاة.

من الفوائد التربوية

- استشعار ضعف الإنسان، وحاجته إلى ربه يغرس فيه التواضع وطلب الحق والتسليم لله -عز وجل- لقدره وحكمه.
- استشعار الله -عز وجل- بالإنسان تغرس فيه حب الله -عز وجل- والرضا به رباً.
- غرس قيمة القراءة وطلب العلم.
- معالجة قضية الطغيان والتكبر.
- غرس قيمة الصبر والتوكل.
- بيان عناية المربي بالمتربي.
- تنوع الأساليب التربوية في السورة: التعليم، والتوجيه المباشر وغير المباشر، والترهيب بالعقوبة.
- اتخاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- قدوة.

رسائل

(أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) من كرمه خَلَقَكَ وَتَعَلَّمُكَ، فكيف شكرت كرمه؟ الله أكرم من أن تفتح كتابه فيغلق دونك بابه.

(إِنِّي إِلَى رَبِّيكَ الرَّجْعِي) رجع لمن طغى واستغنى فيألى الله المرد والمعاد، وللمؤمن معنى تحصل به التقوى على قدر استقرار معناها في نفسه.

(أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) اعلم أن الله عليك رقيب ومنك قريب، فاستح واخضع، وإن تَكَبَّرْتَ وَتَجَبَّرْتَ أيها الإنسان فاعلم أن الله يرى.

(كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) ملوك الأرض إن طلبتها تقصيك، وملك الملوك يدعوك إلى القرب ويناديك.

097. سُورَةُ الْقَدْرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تحدثت عن زمن عظيم، كان فيه أول لقاء بين جبريل - عليه السلام - ونبي الرحمة محمد - ﷺ -، كان أول نزول القرآن، ليلة خير من ألف شهر، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.¹

سورتنا لهذا اليوم سُميت باسم تلك الليلة.

سورتنا هي سورة القدر.

تعريف السورة

اسم السورة:	تسمى سورة «القدر» وسورة «ليلة القدر». ²
نوع السورة:	اختلفوا في كونها مكية أو مدنية، والجمهور على أنها مكية. ³
عدد آياتها:	ست آيات في المكي والشامي وخمس في عدّ الباقيين. ⁴
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.
فضل السورة والآثار الواردة فيها:	لم يرد فيها فضل خاص، وما ورد من فضائل فهو لليلة القدر وليس للسورة.

المناسبة بين سورة القدر وسورة العلق:

لما ختمت سورة العلق بالأمر بالسجود لله - تعالى - وعدم الالتفات لمن ينهى عن هذا السجود، جاء في مقدمة سورة القدر الحديث عن إنزال القرآن في تلك الليلة المباركة، ليلة القدر التي هي موطن الإحياء الأعظم للصلاة، بما فيها من قيام وركوع وسجود وتلاوة للقرآن.⁵

صدر سورة العلق هو أول ما نزل من القرآن، وسورة القدر تتحدث عن الليلة التي

مناسبة السورة لما قبلها:

1 جاء في صحيح البخاري (26/3): عن النبي - ﷺ -، قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»

2 التحرير والتنوير (455/30)

3 المرجع السابق

4 البيان في عدّ آي القرآن، (ص: 281)

5 التفسير الموضوعي (261/9)، يتصرف

أنزل فيها.

سورة العلق جاء الأمر فيها لرسول الله ﷺ بأن يقرأ القرآن باسم ربه الذي خلق، الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وهنا في سورة القدر جاء ذكر القرآن ونزوله وبيان فضله، وأنه من عند ربه ذي العظمة والسلطان، العليم بمصالح الناس، وبما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وأنه أنزل في ليلة لها من الجلال والكمال ما قصته السورة الكريمة.

قال ابن عاشور: «ومن تسديد ترتيب المصحف أن وضعت سورة القدر عقب سورة العلق مع أنّها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها؛ كأنه إمام إلى أن الضمير في أنزلناه يعود إلى القرآن الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق.¹ ومن هذه الصلوات - أيضاً - أنّ سورة العلق أمرت بالقراءة باسم الله وأمرت بالسجود والاقتراب له - سبحانه وتعالى -، وسورة القدر ذكرت ليلة العمل فيها يعدل ألف مرة ثواب العمل فيما سواها؛ وذلك لتستثمر هذه الليلة بالقراءة والسجود المأمور به في سورة العلق.²»

المناسبة بين سورة القدر وسورة البينة:

تحدثت سورة القدر عن ليلة عظيمة القدر تشرّفت وعظمت بنزول كتاب ذي مكانة وقدر على نبي عظيم القدر، وجاءت سورة البينة ثبّت أثر هذا الكتاب المنزل على النبي - ﷺ - في تلك الليلة، فكان بينة ودلالة واضحة لمن أراد أن يذكر، كالتعليل لإنزال القرآن، كأنه قيل: إنا أنزلناه؛ لأنه لم يكن الذين كفروا منفكّين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفاً مطهرة وهي ذلك الكتاب المنزل في تلك الليلة المباركة.³

مناسبة السورة لما بعدها:

ذكرت سورة القدر إنزال القرآن الكريم، وذكرت سورة البينة حال من اتبعه، فكان من خير البرية وحال من أعرض عنه فكان من شر البرية.

بيان عظم ليلة القدر وفضلها وما أنزل فيها.⁴

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (3): التنويه بفضل القرآن واللييلة التي أنزل فيها.
من الآية (4) إلى الآية (5): خصائص الليلة العظيمة.

موضوعات السورة:

1 التحرير والتنوير (456/30)

2 التفسير الموضوعي (263/9)

3 التفسير الموضوعي، إشراف مصطفى مسلم (272/9) روح المعاني، الألويسي (15/ 424)

4 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 598)

تلاوة

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ إنا ابتدأنا إنزال القرآن على النبي في ليلة القدر من شهر رمضان.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ وهل تدري أيها النبي ما في هذه الليلة من الخير والبركة؟
- ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ هذه الليلة ليلة عظيمة الخير، فهي خير من ألف شهر لمن قامها إيماناً واحتساباً.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
افتتحت السورة بضمير العظمة ﴿إِنَّا﴾، فعلام يدل ذلك؟	التنويه بعظم شأن القرآن، ² فإنزاله منة عظيمة، وهذا المقام مقام تعظيم واختصاص لله تعالى سبحانه. ³
في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ ما وجه الإتيان بالضمير دون الاسم الظاهر للقرآن؟	جاء بضمير الغيبة؛ تعظيماً لشأن القرآن، وإشعاراً بعلو قدره، ⁴ وكونه حاضرًا في الأذهان لشدة الإقبال عليه، ⁵ فهو معلوم ولو لم يُذكر.
ما دلالة تخصيص الإنزال بالليل دون غيره من الأوقات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾؟	يدل على أن الليل أخص بالنفحات الإلهية، وتجليات الرب - سبحانه - لعباده، وذلك لخلو القلب وانقطاع الشواغل وسكون الليل، ورهبته أقوى على استحضر القلب وصفائه. ⁶
وقد أشار القرآن الكريم إلى فضل وقت الليل، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَظَنًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: 6].	

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 598)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30 / 456)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (9 / 30)، بتصرف

4 أضواء البيان، الشنقيطي (9 / 30)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30 / 456)

6 أضواء البيان، الشنقيطي (9 / 38)

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: 79].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: 40].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَافِيَةَ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدِثْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: 20]، ولم تُسقط قراءة القرآن لا على المريض، ولا على المشغول، ولا على المجاهد في سبيل الله؛ وذلك لعظيم أثر قراءة القرآن الكريم وخاصة ليلاً.

وقد وردت آيات في الحث على قيام الليل، اذكر بعضها.

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله - ﷺ -¹.

كيف الجمع بين إنزال القرآن الكريم في ليلة القدر وإنزاله منجماً على 23 سنة؟

معنى القدر لغة: القاف والبدال والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهه وَخَاتِمته، فالقدر: مبلغ كلِّ شيء، يقال: قَدَرَهُ كَذَا، أي مبلغه. والقَدْر والقَدَر (بسكون الراء وفتحها) قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام 91]، قال المفسرون: ما عظموا الله حقَّ عظمته.

ما معنى القدر لغة؟

وهذا صحيحٌ، وتلخيصه أنهم لم يصفوه بصفته التي تتبغى له تعالى، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق 7] فمعناه قُدِّرَ، وقياسه أنه أُعْطِيَ ذلك بِقَدْرِ يسير.²

ذكر العلماء ثلاثة أسباب لتسميتها بذلك:

الأول: ذات قدر وشرف،³ سميت ليلة القدر؛ لعظم قدرها وفضلها عند الله، وذلك لعظم ما نزل فيها وهو القرآن الكريم.

ما مناسبة تسمية ليلة القدر بهذا الاسم؟

1 تفسير ابن كثير، ط: العلمية (8/ 425)

2 مقاييس اللغة

3 تفسير البغوي (8/ 485)

الثاني: عظم قدر العبادات فيها ومضاعفة أجورها، وعظم الرحمات التي تنزل فيها، قال ابن عثيمين: «سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّ العمل فيها له قدرٌ عظيمٌ»¹.
الثالث: من التقدير؛ لأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق والمقادير القدرية،² قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: 4].
الرابع: من التضيق، قيل لقصر وقتها أو مأخوذ من الضيق؛ لأن الأرض تمتلئ بالملائكة وتضيق بهم لكثرتهم.³ ولأن الله ضيق على أهل الأرض العلم بها.

ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾؟

يدل على تفخيم الشيء وتعظيمه.⁴
ودلالة على أن شرفها ليس مما تسهل إحاطة العلم به.⁵

لأنه قُصِدَ الاهتمامُ بتعيينها، فحصل تعظيم ليلة القدر صريحًا، وحصلت كناية عن تعظيم ما أنزل فيها، وأنَّ الله اختار إنزاله فيها ليتطابق الشرفان.⁶

ما مناسبة إظهار اسم ليلة القدر دون الإضمار؟

تفضيلها بالخير على ألف شهر إنما هو بتضعيف فضل ما يحصل فيها من الأعمال الصالحة؛ لأن تفاضل الأيام لا يكون بمقادير أزميتها ولكن بما يحصل من الصلاح فيها.⁷

ما وجه الخيرية في ليلة القدر؟

ذُكِرَتْ ليلة القدر في سورة الدخان في قوله تعالى: ﴿حَمِّمٌ ۖ وَلَا يَكْتُمِبُ اللَّيْلِينَ ۗ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۗ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۗ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۗ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۗ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۗ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۗ﴾
وصفت الليلة بأنها:

وصفت ليلة القدر في

سورة أخرى، اذكرها واذكر

• مباركة.

الصفات الواردة في الآيات. • فيها يفرق كل أمر حكيم.

• رحمة من ربك، فالليلة رحمة، وإنزال الكتب رحمة، والإنذار رحمة، والتقدير رحمة، رحمة أن الأمر بيد الله -عَزَّوَجَلَّ- لا بيد غيره، لم يوكل أمورنا إلى مخلوق، إنما هو من يتولى التقدير، وهو الرب الرحيم القوي العزيز العليم الحكيم سبحانه.

1 الشرح الممتع (6/ 494)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 931)

3 مفاتيح الغيب، الرازي (32/ 229)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 458)

5 محاسن التأويل، القاسمي (9/ 516)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 458)

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 459)، بتصرف

- التقدير الشامل لجميع المخلوقات، حيث إنَّ الله علمها وكتبها وشاءها وخلقها.
- التقدير العمري، والمراد به رزق العبد وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.
- التقدير السنوي، ودليله قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: 4]، يبرم في ليلة القدر كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة.
- التقدير اليومي، وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق كما قال تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29].¹

ما أقسام التقدير؟

- أولاً: استشعار فضل الله العظيم علينا.
- ثانياً: استغلال الأوقات الفاضلة بالأعمال الصالحة والإكثار من القربات والطاعات وخاصة في رمضان وبالأخص العشر الأواخر منه.
- ثالثاً: الحرص على قيامها بلزوم قيام الليل في العشر الأواخر كلها، والاجتهاد فيها بالطاعات والدعاء.
- رابعاً: حثُّ من حولنا وترغيبه بالثواب والأجر العظيم.

أخبرنا الله في هذه السورة عن ليلة القدر والخير الذي فيها، فإلام يدفعنا ذلك؟

- {إننا} التعبير بنون العظمة.
- {أنزلناه} دليل على أن القرآن أنزل من علو؛ التعبير بالفعل أنزل.
- {أنزلناه} الفاعل: إسناد الفعل إلى الله -عَلَيْهِ-.
- {أنزلناه} الإتيان بصَمِيمِ الْقُرْآنِ دُونَ الإِسْمِ الظَّاهِرِ؛ لأنه حاضر في الذهن معلوم في القلب.
- {في ليلة القدر} تشریف زمان نزول القرآن وهي ليلة القدر، تَنْبِيْهَا عَلَيَّ أَنَّهُ تَعَالَى اِحْتَارَ لِابْتِدَاءِ إِتْرَالِهِ وَقَدْ شَرِيفًا مُبَارَكًا، ومثله تشریف شهر رمضان قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ [البقرة: 185].

اشتملت السورة على تنويه عظيم بالقرآن الكريم من أكثر من وجه؛ تعظيمًا لشأنه، بيِّن ذلك.

تلاوة

﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۗ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

4. ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِمَّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ تنزل الملائكة وينزل جبريل فيها بإذن ربهم - سبحانه - بكل أمر قضاها الله في تلك السنة، رزقاً كان أو موتاً أو ولادة أو غير ذلك مما يقدره الله.
5. ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ هذه الليلة المباركة خير كلها من ابتدائها حتى نهايتها بطلوع الفجر.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
في قوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ جاء الفعل مشدداً فما دلالتة؟	مؤذن بأن هذا التنزل متكرر في المستقبل بعد نزول هذه السورة. ²
خصص الله جبريل - عليه السلام - بعد ذكر الملائكة في قوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ مع أنه من جملتهم، فما دلالة ذلك؟	هذا من عطف الخاص على العام، لشرفه وفضله، ³ واختصاصه بأمور لا يشاركه فيها غيره، ⁴ ولأنه لا ينزل إلا في هذه الليلة.
جاءت تسمية جبريل - عليه السلام - (بالروح) في مواضع من القرآن اذكر شيئاً منها. وما مناسبة تسميته بالروح؟	قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مریم: 17]. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا: 38]. ولعل تسميته بالروح - والله أعلم - لأنه المكلّف بالوحي من الله - ﷻ - إلى رسله، فهو ينزل عليهم بالروح، مثل ما قال الله - ﷻ -: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: 2]، فالوحي هو حياة الروح ونزل به الروح الأمين جبريل - عليه السلام -.
ما دلالة قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾؟	أولاً: بمعنى السببية، أي: يتنزلون بسبب إذن ربهم لهم في النزول، فالإذن بمعنى المصدر.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 598)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 461)

3 تفسير العنبرين، ابن عثيمين (271)، بتصرف

4 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 464)

ثانياً: بمعنى المصاحبة أي مصاحبين لما أذن به ربه.¹

ما فائدة تقييد نزول الملائكة
بالإذن من الله - ﷻ؟

لتعظيم أمر تنزيلهم،² وليدُلَّ على عصمة الملائكة وأنهم لا يتصرفون تصرفاً ما إلا بإذن الله - ﷻ.³

نزول الملائكة بإذن ربه يشعر برغبتهم في النزول وباشتياقهم لهذه الليلة، فكأنهم هم من يطلبون النزول والله يأذن لهم، لما في تلك الليلة من رحمت ومن مضاعفة الأجر.

وهذا يشير إلى حب الملائكة للمؤمنين الصالحين وفرحهم؛ مغفرة الله لهم ولمضاعفة أجرهم.

ما مناسبة تخيُّر كلمة إذن
دون أمر؟

وقد وردت آيات عديدة تدلُّ على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٢﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [غافر: 7 - 9].

- الإيمان بهم وحبهم.
- الاقتداء بهم فيما هو ممكن من المبادرة إلى طاعة الله - ﷻ - والمساعدة إلى الخيرات، والدعاء للمسلمين، وغير ذلك.
- الحياء منهم.
- الاستبشار والفرح بحضورهم كما في مجالس الذكر.
- التأدب في الحديث عنهم وتوقيرهم.
- ...

ما واجبتنا تجاه الملائكة؟

- سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها.⁴
- سلام لكثرة من يسلم فيها من الآثام وعقوباتها.
- فهي ليلة أمن شامل، فلا غضب فيها ولا خصام إلا ما يكون من قبل المكلفين المخيَّرين من إنس وجن؛⁵ ولذلك هي ليلة هادئة.

ما دلالة وصف ليلة القدر
بأنها (سلام) في قوله تعالى:
(سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ
الْفَجْرِ)؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30 / 463)
2 روح المعاني، الألوسي (15 / 419)
3 مفاتيح الغيب، الرازي (32 / 235)
4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (931)
5 معارج التفكر (300/2-301)، باختصار

• إِنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ كُلِّهَا وَلَا شَرَّ فِيهَا.

ما دلالة تنكير سلام في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ وتقديمها على المبتدأ (هي)؟

علام يدل حرف الغاية (حتى) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾؟

ما فائدة تحديد نهاية ليلة القدر بطلوع الفجر في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾؟

ما مناسبة خاتمة السورة لأولها؟

هناك علامات ثابتة في السنة لليلة القدر اذكرها؟

في السورة تنويه بشرف ليلة القدر بأكثر من وجه، بين ذلك.

1 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 465)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 466)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 461)

4 التفسير الموضوعي (9/ 261)

5 صحيح مسلم (1/ 525)

6 صحيح الجامع 5472

تكرار (ليلة القدر) ثلاث مرات مع قصر السورة (5 آيات).
 أخبر الله عنها في كتابه العزيز.
 (أنزلناه في ليلة القدر) تشریفها من تشریف ما أنزل فيها.
 (تنزل الملائكة) تنزل الملائكة في هذه الليلة؛ لكثرة بركتها.
 (والروح) نزول أمين الوحي الذي انقطع نزوله بنزول الوحي إلا من هذا اليوم.
 كل السورة تتحدث عنها.
 وصف الله ما حدث فيها (نزول القرآن) وما يحدث فيها كل سنة (نزول الملائكة ونزول أمين الوحي جبريل - عليه السلام -) فضلها (خير من ألف شهر).
 وصفها (سلام هي) سلام من النار، سلام من الشر، أمن كلها.
 (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) لبيان أن ليلة القدر تمتد بعد مطلع الفجر بحيث إن صلاة الفجر تعدّ واقعة في تلك الليلة.
 تسميتها بليلة القدر.

- ليلة مباركة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) [الدخان: 3].
- إن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.
- ما يدل عليه الاستفهام من التفضيم والتعظيم في قوله: (وما أدراك)، حيث إن الإنسان لا يقدر على إدراك فضلها لعظمتها.
- إنها خير من ألف شهر، العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، وزاد تعظيم أجر العمل بإطلاق خير دون تقييده فلم يذكر خير بكم (بمثل أو بضعف أو يزيد).
- إن الملائكة تنزل فيها، وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.
- إنها سلام؛ لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله - ﷻ -.
- من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، عن أبي هريرة، حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»¹.

بيّنَت السورة فضائل لليلة القدر، اذكرها مع ما ورد في القرآن والسنة في ذلك.

- التبرؤ من الحول والقوة إلى حول الله وقوته.
- دعاء الله - ﷻ - ببلاغ ليلة القدر والإعانة على قيامها.
- التهيؤ لها بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح.
- تعظيم ليلة القدر في النفس.

ما الأمور المُعِينة على قيام ليلة القدر؟

- استشعار رحمة الله سبحانه:
- رحمته بإنزال القرآن رحمة للناس.
- رحمته أن جعل ليلة تضاعف فيها الحسنات مئة من الله على عباده.
- الحياء من الله من عدم اغتنام هذا الفضل العظيم.
- الحرص على قيام العشر الأواخر، فمن أراد قيام ليلة القدر يقينًا، عليه بقيام العشر الأواخر من رمضان، وهذا فعل النبي - ﷺ -.
- التنوع في العبادات حتى لا تمل النفس وتحافظ على النشاط.
- التذلل بين يدي الله نهارًا حتى يوفقنا ليلاً.
- الاستغفار، فمن أثقلته الذنوب يصعب عليه الوقوف.
- الإحسان نهارًا إلى الخلق.
- الابتعاد عن مجالس اللغو.
- الابتعاد عن الأسواق وكل ما يضيع الوقت في غير عبادة وإن كان مباحًا.
- الانتباه إلى القلب أن يكون به ضعيفة أو حقد على أحد فيصده عن العبادة.
- العفو عن الناس؛ رجاء عفو الله - سبحانه وتعالى -.
- احتساب الأعمال نهارًا.
- تهيئة الجسد والأخذ بالأسباب من قسط من النوم وتخفيف الأكل وغيره.
- التقليل من الأعمال المباحة الممكن تأجيلها وغير الضرورية، مثل: التنوع في الطبخ والزيارات وغيرها.
- حسن الظن بالله.

-
- الصلاة.
 - قراءة القرآن.
 - الدعاء للنفس وللأهل والإخوان وللأمة والإلحاح فيه.
 - من أفضل الأدعية ما ذكره النبي - ﷺ - لعائشة - رضي الله عنها - ما الذي يستحب فعله ليلة قالت: يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أدعو قال: تقولين (اللهم القدر؟ إِنَّكَ عَفْوٌ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي).¹
 - الذكر والثناء على الله - سبحانه وتعالى -.
 - الصدقة.
 - بر الوالدين.
 - احتساب كل لحظة وكل عمل حتى في المباحات كخدمة أهل البيت.

- الانقطاع عن الملهييات، مثل: الجوال ومواقع التواصل.
- التضرع فيها تضرع المساكين المضطرين وكأنها آخر ليلة للعبد.
- الإلحاح فمن طَرَّقَ الباب يكاد يفتح له، فلا تملَّ الطرق فأنت صاحب الحاجة، والعطاء عظيم.
- ...

- حب الله -ﷻ- أن أنزل الكتاب، وبعث الرسل، وجعل ليلة القدر يتفاضل فيها العمل خير من 1000 شهر، وأنه هو من يقدر ولم يوكل أمورنا إلى غيره سبحانه.
- تعظيم شأن القرآن الكريم وتشريفه بتشريف كل ما يتعلق به، فقد عظم من أنزله (الروح)، والليلة التي أنزل فيها (خير من ألف شهر)، والعبد الذي أنزل عليه وهو خير البشر، والأمة التي أنزل عليها هي خير الأمم.
- اغتنام الوقت، وخاصة الأيام الفاضلة التي تتضاعف فيها الأعمال (مثل الأشهر الحرم) أو التي تستجاب فيها الدعوة (مثل الثلث الأخير).
- تعظيم شأن ليلة القدر والحرص على اغتنامها والتهيؤ لها.
- الإيمان بالقدر والرضا به.
- حب الملائكة ونزولهم.
- العزة، باستشعار تكريم الله -ﷻ- لنا وإنزال القرآن علينا.
- مسؤولية المرئي، وأنه لا يُوكَلُ مسألة الترتيب إلى غيره وهو قادر عليه.

من القيم التي تفرسها
السورة:

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.
- تقرير عقيدة القضاء والقدر.
- فضل ليلة القدر وفضل العبادة فيها.
- بيان أن القرآن نزل في رمضان جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وأنه ابتدئ نزوله على رسول الله -ﷺ- في رمضان أيضًا.
- الندب إلى طلب ليلة القدر؛ للفوز بفضلها وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان، وأرجى ليلة في العشر الأواخر هي الوتر كالأحادية والعشرين إلى التاسع والعشرين للحديث الصحيح (التمسوها في العشر الأواخر).¹

- تسميتها بليلة القدر؛ لتقدير الأرزاق والآجال،¹ ولعظم قدرها،² ولعظم قدر الأعمال فيها.³

خلاصة الأعمال التطبيقية

- تعظيم القرآن الكريم في نفوسنا وفي نفوس أبنائنا.
- تعظيم الليلة التي أنزل الله فيها القرآن.
- تحري الأوقات الفاضلة بالطاعات والأعمال الصالحة، خاصة في رمضان والعشر الأواخر منها.
- الإكثار من قراءة القرآن الكريم في رمضان؛ لنزوله في ليلة من هذا الشهر.
- دعاء الله -عَزَّوَجَلَّ- أن يبلغنا الخير الذي قسمه في ليلة القدر.

من الفوائد التربوية

- تنوع أساليب الترغيب.
- أسلوب التشويق.
- غرس قيمة القرآن الكريم.
- تنوع أساليب التعظيم.
- غرس قيمة الوقت.
- غرس قيمة ليلة القدر.
- مسؤولية المرءي وأنه لا يوكَل مسألة التربية إلى غيره وهو قادر عليها.

رسائل

(إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) تعظيم لشأن القرآن، وإشعار بعلو قدره؛ فهو منزل من رب عظيم، على نبي عظيم، في شهر عظيم، في ليلة عظيمة.

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) استثمارها فيما يليق: قم، وادع ربك، واشكو ضعفك، واستغفر ذنبك واسأله من خيري الدنيا والآخرة.

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) العبرة ليست بطول الأعمار بل بحسن الأعمال، واغتنام أوقات مضاعفة الأجور! فمن قام ليلة القدر اثنتي عشرة سنة خير من عبادة ألف سنة، فهلا اغتمننا ولا حرمننا!

(سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) أعظم سلامة في ليلة القدر السلامة مما تقدم من الذنب لمن قامها إيماناً واحتساباً.

1 انظر: تفسير البغوي (227 / 7 - 228) وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (8 / 213) فضائل الأوقات للبيهقي (ص: 213)

2 تفسير البغوي (8 / 485)، بتصرف

3 الشرح الممتع (6 / 494)، بتصرف

098. سُورَةُ الْبَيِّنَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

أرسل الله الرسل بالبينات والحجج والبراهين، فانقسم الناس إلى: فريق أراد الحق والنور فاهتدى بها، وفريق عاند وخالف فكانت عليه حجة ونقمة. سورتنا تحدثنا عن هذه البينة وقيمتها وعمل الفريقين وجزائهم. سورتنا هذا اليوم هي سورة البينة.

تهيئة:

تعريف السورة

تسمى سورة «لم يكن الذين كفروا» وسورة «لم يكن» وسورة «القيامة» وكذلك سورة «البينة» وسورة «أهل الكتاب»، وسورة «البرية» وسورة «الانفكاك».¹

اسم السورة:

مدينة.²

نوع السورة:

تسع آيات في البصري والشامي بخلاف عنه، وثماني في عدد الباقيين.³

عدد آياتها:

لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

سبب نزولها:

عن أنس - رضي الله عنه - قال النبي - ﷺ - لأبي: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: وسُمِّي؟ قال: نعم، فبكي".⁴

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

المناسبة بين سورة البينة وسورة القدر:

تحدثت سورة القدر عن ليلة عظيمة القدر، تشرّفت وعظمت بنزول كتاب ذي مكانة وقدر على نبي عظيم القدر، وهنا جاءت سورة البينة تُبَيِّنُ أثر هذا الكتاب المنزل على النبي - ﷺ - في تلك الليلة، فكان بينة ودلالة واضحة لمن أراد أن يذكر، كالتعليل لإنزال القرآن كأنه قيل: إننا أنزلناه؛ لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفًا مطهرة، وهي ذلك الكتاب المنزل في تلك الليلة المباركة.⁵

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التحرير والتنوير (467/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عدد آي القرآن، (ص: 282)

4 صحيح البخاري (175/6)، رقم الحديث (4959)

5 التفسير الموضوعي، إشراف مصطفى مسلم (272/9) روح المعاني، الألويسي (424/15)

المناسبة بين سورة البينة وسورة الزلزلة:

لما ختم الله - تعالى - سورة البينة بجزء الصالح والطاق في دار البقاء على ما أسلفوه في دار الفناء، ذكر في سورة الزلزلة أول مبادئ تلك الدار، وآخر غايتها، وما يحدث في ذلك اليوم، وعن قاعدة الجزء والحساب فيه، ثم بيّن فيها حصول جزاء الفريقين المذكورين في البينة، فالصلة بين السورتين واضحة حتى لتكاد أن تكون سورة الزلزلة استمراراً لسورة البينة.¹

مناسبة السورة لما بعدها:

ذكر منزلة رسالة الرسول - ﷺ -، ووضوحها وكما لها.²

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (3): نزول البينة التي ينتظرها أهل الكتاب كي يؤمنوا.
من الآية (4) إلى الآية (5): توحيد الرسالات على الأمر بإخلاص العبودية لله - ﷻ -.

موضوعات السورة:

من الآية (6) إلى الآية (8): عناد أهل الكتاب والمشركين وكفرهم مع مجيء البينة، وجزائهم، وجزاء المؤمن.

تلاوة

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ
الْبَيِّنَةُ ۗ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۗ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۗ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

- ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين مفارقين إجماعهم واتفاقهم على الكفر حتى يأتيهم برهان واضح، وحجة جلية.
 - ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ وهذا البرهان الواضح والحجة الجلية هو رسول من عند الله بعثه يقرأ صحفًا مطهرة لا يمسه إلا المطهرون.
 - ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ في تلك الصحف أخبار صدق وأحكام عدل، تُرشد الناس إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم.³
- مُنْفَكِينَ: أي زائلين عما هم عليه منتهين عنه.
حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ: أي الحجة الواضحة وهي محمد - ﷺ - وكتابه القرآن الكريم.
صُحُفًا مُّطَهَّرَةً: أي من الباطل.

1 ينظر: التفسير الموضوعي (286/9)

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 598)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 598)

فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ: أي في تلك الصحف المطهّرة كتب من الله مستقيمة.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الأسئلة التدرية	الهدايات
<p>ما دلالة تقديم وصف الكفر على أهل الكتاب والمشرِكين في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾؟</p>	<p>يدل على أن وصف الكفر يشمل كلاً من أهل الكتاب والمشرِكين، كما يدل على أن المشرِكين ليسوا من أهل الكتاب لوجود العطف، وأن أهل الكتاب ليسوا من المشرِكين، فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، والمشرِكون هم عبدة الأوثان والنار وغيرها من المعبودات، والكفر يجمع القسمين.²</p> <p>وقد ورد في كتاب الله -ﷻ- ما يدل على أن أهل الكتاب مشرِكين، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾³ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁴ [التوبة: 30-31]، فجعل مقالة كل من اليهود والنصارى إشرافاً.³</p> <p>فهم يشتركون مع عبدة الأوثان وغيرهم من المشرِكين في عبادة غير الله -ﷻ- ويختلفون معهم في أصل الديانة، فوصف الإشراف بالمعنى العام يشملهم، وبالمعنى الخاص هو من ليس له كتاب سماوي يتبعه وإن كان محرِّفاً.</p>
<p>ابتدأ التوبيخ بأهل الكتاب ثم المشرِكين، فما دلالة ذلك؟</p>	<p>دلالة على أن كفرهم أشنع وأقبح، إذ كانوا يقرؤون الكتب، ويعرفون أوصاف النبي -ﷺ-، فكانت قدرتهم على معرفة صدقه أكبر وأتم.⁴</p> <p>ولأن أهل الكتاب هم الذين بثوا بين المشرِكين شبهة انطباق البينة الموصوفة بينهم، فأيدوا المشرِكين في إنكار نبوة محمد -ﷺ-، فالمشرِكون تبع لأهل الكتاب في إنكار البينة.⁵</p>
<p>ماذا يفيد التفريق بين أهل الكتاب والمشرِكين في الآية؟</p>	<p>التفريق بين أهل الكتاب والمشرِكين في الآية يستوجب من الداعية إلى الله -ﷻ- معرفة خصائص كل فريق منهم، واختيار الأسلوب الأنسب والحجج المناسبة لدعوة كل منهم⁶ أو من غيرهم من الطوائف الأخرى.</p>

1 أيسر التفاسير، الجزائري (599/5)

2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (39/9)

3 (باختصار) تزمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم (272/2)

4 التفسير الوسيط، الطنطاوي (471/15)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (475/30)

6 أضواء البيان، الشنقيطي (39/9)

متعلق منفيين حذف لدلالة الكلام عليه؛ لأنهم لما أُجريت عليهم صلة الذين كفروا دَلَّ ذلك على أن المراد لم يكونوا منفيين عن كفرهم،¹ وللاهتمام بالفعل نفسه، فقد دَلَّ الفعل على شدة ارتباطهم بدينهم صدًا عن الدين الحق، فليس ارتباطهم عن قناعة به إنما عن حقد على المسلمين ودينهم، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِىَ فُيُودُهُمْ﴾ [القلم: 9]، فهم مستعدون للانحراف عن مبادئهم وعقيدتهم مقابل انحراف المسلم عن دينه.

ولذلك تجدد اتفاق كل طوائف أهل الكفر مع اختلاف عقائدهم في عداوة أهل الإسلام وحرهم إلا القليل منهم.

ما متعلق كلمة (منفيين)؟
وما دلالة تخيير فعل انفك
دون غيره؟

البينة: ما يبين به الحق في كل شيء، فكل ما بان به الحق فهو بينة، ويكون في كل شيء بحسبه، والبينة هنا النبي - ﷺ - فمجيئه هو الذي أحدث هذه الرحمة فيما رسخ من عقائدهم وتمكن من عوائدهم.

وكانوا يعرفونه قبل مجيئه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6] وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146].²

وكذلك البينة هو الكتاب الذي أنزل على النبي - ﷺ - وفيه حجة وبرهان على صدقه بمجيئه بأخبار الأولين والآخرين، وغير ذلك من أوجه الإعجاز.

ما المراد بالبينة في قوله
تعالى: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾؟

وقد عرف لفظ البينة؛ للإشارة إلى علمهم بها وبصفتها قبل مجيئها، فكأنه قيل: حتى تأتيتهم البينة الموصوفة لهم في كتبهم.³

ما دلالة تعريف لفظ البينة؟

تعظيمًا له - ﷺ -؛ لأنه جدير بأن يعظم التعظيم اللائق به من غير نقص ولا غلو.⁴ وكذلك كفرهم به اعتراض على مشيئة الله - ﷻ - باختيار الرسول المبلغ عنه، فهو زيادة في قبح تكذيبهم لما يعلمون صدقه.

ما دلالة محي كلمة الرسول
في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنْ
اللَّهِ﴾ نكرة؟

1 التحرير والتنوير (469/30)

2 أضواء البيان، الشنقيطي (43/9) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (9/520) تفسير العثيمين، ابن عثيمين (276)، بتصرف

3 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (44/9)

4 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (277)

ما دلالة التعبير بالتلاوة
دون القراءة في قوله تعالى:
(رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا
مُّطَهَّرَةً)؟

التلاوة: إعادة الكلام دون زيادة عليه ولا نقص منه سواء كان كلامًا مكتوبًا أو محفوظًا عن ظهر قلب، ففعل يتلو مؤذن بأن رسول الله - ﷺ - يقرأ عليهم كلامًا لا تبدل ألفاظه وهو الوحي المنزل عليه.¹
كذلك التلاوة - من تلا يتلو - وتلا إذا أتبع، فهو تالٍ أي تابع،² فالتلاوة فيها معنى الاتباع بالإضافة إلى القراءة.

كان ﷺ من أشرف الناس نسبًا، من صميم سلالة إبراهيم - عليه السلام -، ثم من قريش صفوة بني إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش.
كان من أكمل الناس خلقًا - ومشهود له بذلك - وكان يلقب بالصادق الأمين قبل البعثة، فمن لا يكذب على الناس من باب أولى ألا يكذب على خالق الناس.
كان أميًا من قوم أميين لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولا أخبار الأولين الموجودة في كتبهم ولا يعلمها إلا علماؤهم.

اذكر بعض دلائل النبوة في
شخصه ﷺ.

ولم يُعرف بشعر ولا أدب قبل أن يأتي بكلام معجز في بيانه وبلاغته وأحكامه وأخباره وتحداهم أن يجتمعوا، وما جاؤوا بمثله ولا نصيفه.
لم يطلب بما جاء به شيئًا لنفسه.
جاءت آيات تعاتبه في أكثر من مرة مثل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ ﴿١﴾ [عبس: 1 - 2]، ولو كان من عنده أو كاتمًا شيئًا لما بلغها.
فأتى له هذا الأمر.

- حبه.
- التعرف على سيرته.
- اتباع هديه وسننه - ﷺ -.
- طاعته.
- الذب عنه وإبطال الأكاذيب التي يطلقها بعضهم عليه.
- التعريف بسيرته.
- الاقتداء به في أفعاله وأقواله.
- التخلق بخلقه.
- ...

ما واجبنا تجاه الرسول
- ﷺ -؟

1 التحزير والتنوير، ابن عاشور (476 / 30)
2 لسان العرب (102 / 14)

للدلالة على أن معانيه لا لبس فيها ولا تشتمل على ما فيه تضليل ولا باطل، فهي منقاة من الشرك، ومن رذائل الأخلاق، ومن كل ما يسوء؛ لأنها نزيهة مقدسة، وهذا تعريض ببعض ما في أيدي أهل الكتاب من التحريف والأوهام،¹ قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: 42].
محفوظة عن اقتراب الشياطين منها، لا يمسه إلا المطهرون،² قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٣٧﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٣٨﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الواقعة: 77 - 80].

علام يدل وصف الصحف
بأنها مطهرة في الآية؟

إنَّ الكتب فيها أخبار صادقة، وأوامر عادلة تمهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، فما جاء به القرآن هو قيم بنفسه، وكذلك هو مقيم لغيره.³

ما مناسبة وصف الكتب
بأنها قيمة في قوله تعالى:
(فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ)؟

- تعظيم القرآن الكريم، ولا يعلو عليه كلام ولا حكم.
- الرضا بأحكام الله - ﷻ - وشرعه.
- السعي إلى فهم القرآن الكريم والعمل به.
- حب ما جاء به ولو خالف هوانا ورغبانا.
- تحكيم كتاب الله - ﷻ - واتخاذ منهجاً للحياة.
- تلاوته آناء الليل والنهار وحفظ ما تيسر منه وتدبره.
- الدعوة إليه وبيان سماحة أحكامه وقيمته.
- العزة به واتباع هديه.
- تدبر الآيات التي تصف القرآن الكريم حتى نزداد به يقيناً وله حُباً وتعظيمًا.
- ...

ما أثر معرفتنا بصفة القرآن
الكريم، وأنه قيم في ذاته
مقيم لغيره؟

تسمية ما يتلوه الرسول - ﷺ - صحفًا إشارة إلى كتابة القرآن في الصحف وما يشبه الصحف من أكتاف الشاء والخرق والحجارة، كما دلَّت على هذا المعنى الآيات التي أوردت القرآن باسم كتاب مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2].⁴

في الآيات إشارة إلى كتابة
القرآن، بيئته؟

من أوجه إعجاز القرآن الكريم:
• النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها، وقد قال

بين وجوه إعجاز القرآن
الكريم.

1 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (277) التحرير والتنوير (30/477)، بتصرف

2 تفسير السعدي، السعدي (931)

3 تفسير السعدي، السعدي (931)، بتصرف

4 انظر التحرير والتنوير (30/477)

عنه الكافر الوليد بن المغيرة لقومه: فوالله، ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن مني، والله، ما يشبهه الذي يقول شيئاً من هذا، والله، إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلو، وإنه ليحطم ما تحته.¹

• الفصاحة والبلاغة، بأنه ما سمع مثل القرآن قط كان في هذا القول مقررًا بإعجاز القرآن له.

- الإخبار عن الأمم السابقة بما يوافق ما جاء في كتب أهل الكتاب، ولم يكن يعلم منها شيئاً ولا يقرأ.
- الإخبار عن المستقبل، كنصر الروم على الفرس، ونصر المسلمين والتمكين للدين.
- ومنها إخباره عن السنن التي لم تكذب واحدة منها.
- ومنها الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وصدقها من إنسان.
- التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرًا وباطنًا من غير اختلاف.
- الإعجاز العلمي المناسب للتحدي في هذا الزمان.
- إعجاز المنهج الرباني، الذي من اتبعه اهتدى وسعد في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه ضلَّ وخسر الدنيا قبل الآخرة.

تلاوة

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۗ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۗ﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

4. ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۗ﴾ وما اختلف اليهود الذين أُعطوا التوراة، والنصارى الذين أُعطوا الإنجيل، إلا من بعد ما بعث الله نبيّه إليهم، فمنهم من أسلم، ومنهم من تمادى في كفره مع علمه بصدق نبيه.
5. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۗ﴾ ويُظهر جرم اليهود والنصارى وعنادهم أئهم ما أمروا في هذا القرآن إلا بما أمروا به في كتابيهم من عبادة الله وحده، ومجانبة الشرك، وإقامة الصلاة وإعطاء الزكاة، فما أمروا به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.²

1 قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تاريخ الإسلام (154/1)

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (598/1)

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<p>اختلفوا في المراد بالبينة في هذه الآية في أنه هي الأولى نفسها وهي النبي - ﷺ -، والقول الثاني: إنها رسل أهل الكتاب، والقول الثالث: إنها عيسى - عليه السلام -.</p> <p>على القول الأول: ذكر أهل الكتاب في هذه الآية دون المشركين؛ لأن الأوائل كانوا عالمين بنبوة محمد - ﷺ - بسبب أنهم وجدوها في كتبهم، فإذا وصفوا بالفرق مع العلم كان من لا كتاب له داخل في هذا الوصف.¹</p> <p>وعلى القول الثاني، قال ابن كثير: عني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبيّنات تفرقوا واختلفوا في الذي أراد الله من كتبهم واختلفوا اختلافاً كثيراً، كما جاء في الحديث المروي من طرق: «أن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وأن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»²، وبذلك الذم في حقهم أكبر؛ لتفرقهم على كتبهم.</p> <p>وعلى القول الثالث: وهو أنّ البينة يراد بها عيسى - عليه السلام - ذكر ابن عاشور أن هذه الآية إبطال لمزاعم أهل الكتاب فقط دون المشركين، وحجة أخرى عليهم بتفرقهم قبل بعثة النبي - ﷺ - حول عيسى - عليه السلام - بين يهود و نصارى، فكيف يزعمون أن تمسكهم بدينهم إلى مجيء البينة ثم تفرقوا بعد مجيئها بين مؤمن بعيسى وكافر به.³</p>	<p>ذكر في أول السورة أهل الكتاب والمشركين، فما وجه تخصيص أهل الكتاب دون المشركين في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾؟</p>
<p>البينة توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالتهم، لم يزدتهم الهدى إلا ضلالاً ولا البصيرة إلا عمى،⁴ وهذا فيه تشنيع على أهل الكتاب خاصة بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الأعدار بالكلية.⁵</p>	<p>في الآية ذم لأهل الكتاب، بين ذلك.</p>

1 مفاتيح الغيب (241/32) بتصرف يسير

2 تفسير ابن كثير ط العلمية (8/ 438)

3 انظر التحرير والتنوير (30/ 478)

4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (931)

5 روح المعاني، الألوسي (15/ 427)

تحذير للأمم من التفرق والاختلاف بعد نزول القرآن وبيان السنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]¹، فالفرقة شر لا خير فيه. فالواجب على من عرف الحق اتباعه وإن خالف مذهبه وهواه، وعدم التعصب الأعمى الذي يقود إلى الفرقة والتنازع، وإنما هو طلب للحق حيث كان. كذلك قبول رأي المخالف فيما لم يرد فيه دليل قاطع والتأدب بأدب الخلاف، فنحن نتفق في الأصول وإن اختلفنا في الفروع، وتعلم الأدب في ذلك من سير الصحابة وسلفنا الصالح، رُوِيَ أَنَّ عَثْمَانَ - رضي الله عنه - صَلَّى بِنِي أَرْبَعًا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ مُنْكَرًا عَلَيْهِ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - رَكَعَتَيْنِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَكَعَتَيْنِ مَعَ عُمَرَ رَكَعَتَيْنِ مَعَ عَثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ ثُمَّ أَمَّهَا ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمْ الطَّرِيقُ فَلَوَدِدْتُ أَنَّ لِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكَعَتَيْنِ مُتَقَبَّلَتَيْنِ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ صَلَّى أَرْبَعًا فَقِيلَ لَهُ: عِبْتَ عَلَى عَثْمَانَ ثُمَّ صَلَّيْتَ أَرْبَعًا قَالَ: الْخِلَافُ شَرٌّ.²

في الآية تحذير للأمم الرسول محمد - ﷺ - من الاختلاف، ما الأدب في ذلك؟

علام يدل وصف الحنيفية

الحنيفية هي دين إبراهيم الذي أخذ عليهم العهد به، فذلك دين الإسلام وذلك ما أمروا به في دينهم وهذا الوصف تأكيد لمعنى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مع التذكير بأن ذلك هو دين إبراهيم - عليه السلام - الذي ملئت التوراة بتمجيده واتباع هديه،³ والذي يدعون باطلا الانتساب إليه.

في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾؟

الصلاة والزكاة اقترتا في كتاب الله - تعالى - في أكثر من ثلاثين موضعاً منها قوله تعالى:

- ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة لقمان: 4].
 - ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [سورة الحج: 41].
- وخص الصلاة والزكاة [بالذكر] مع أهما داخلان في قوله: ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ لفضلهما وشرفهما، وكوئهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين، وشملتا عبادة ما بين العبد وربّه، وعبادة ما بينه وبين الخلق.⁴

ما وجه تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر في الآية؟ وما دلالة كثرة ورودهما في القرآن الكريم واقتراضهما ببعض؟

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 457)

2 السلسلة الصحيحة 1/ 444

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 481)

4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 457) تفسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 931)

ما دلالة اسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾؟

إشارة إلى ما ذكر من عبادة الله - تعالى - بالإخلاص وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وما فيه من البعد، للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف.¹

في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ دليل على وحدة الرسالات، ما وجه ذلك؟

توحيد الله، والإخلاص له بالعبادة، ونبذ الشرك دعوة كل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وإن اختلفت الشرائع، فالأصل واحد،² قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]. فكل الأديان تأمر بتوحيد الله - ﷻ - وإخلاص العبودية له، وإن اختلفت الشرائع بما يناسب الزمان والمكان.

فالرسالات واحدة قبل أن تُحَرَّفَ وتُبدَّلَ، وحفظ الله - ﷻ - الرسالة المحمدية من ذلك.

فهو دين واحد دين الإسلام بمعناه العام، توحيد الله - ﷻ - والاستسلام لشرعه، وهو ما أوصى به إبراهيم ويعقوب (إسرائيل) أبناءه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132].

وهو الدين القيم المستقيم، الذي من اتبعه فاز ومن أعرض عنه واتبع الطريق المعوج خاب وخسر.

الإخلاص:

سبب للوحدة وعدم الفرقة، فهو الله - ﷻ -، يُذهِبَ حظ النفس وحظ الدنيا من العمل، وهذه من أهم أسباب الفرقة والشقاق.

يدفع إلى تغليب المصلحة العامة على المصلحة الفردية.

ينقي القلوب من أمراضها التي عادة ما تكون سبباً للخصومات والفرقة.

كما أن الإخلاص دافع إلى تحكيم شرع الله - ﷻ - والحكم به بكل ما يمكن أن يكون سبباً للخصومة، ورضا جميع الأطراف به.

وإن وقع الاختلاف، فهو له آدابه دون الوصول إلى الخصومة والتنافر، فالاختلاف رحمة وسعة، وتناجح للأفكار والفرقة نقمة.

ما دور الإخلاص في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة؟

تلاوة

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

الآية (الآيات)

1 روح المعاني، الألويسي (429/15)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (931)

أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

6. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ إن الذين كفروا من اليهود والنصارى ومن المشركين يوم القيامة يدخلون في جهنم ماكثين فيها أبداً، أولئك هم شر البرية لكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله.
7. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ إن الذين ءامنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات أولئك هم خير البرية.
8. ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾ ثوابهم عند ربهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكثين فيها أبداً، رضي الله عنهم لئما ءامنوا به وأطاعوه، ورضوا عنه لئما نالهم من رحمته، هذه الرحمة ينالها من خاف ربه فامتثل أمره واجتنب نهيهِ.¹
- شَرُّ الْبَرِيَّةِ: أي شر الخليقة، وخير البرية: أي خير الخليقة.²

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
	في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ قدم ذكر أهل الكتاب على المشركين في الوعيد مع أنهم من جملة الكفار، فعلام يدل ذلك؟
دلالة على أن الكبر مع العلم يكون كفر عناد؛ لذلك يكون أقبح، ³ فلو آمن أهل الكتاب لقامت الحجة على أهل الشرك. ⁴	
فهم بكفرهم فتنوا أنفسهم وفتنوا غيرهم.	

ولذلك على الإنسان المسلم أن يحذر من أن يكون فتنه لغيره من العصاة أو الكافرين بسبب سوء خلقه ومخالفته لشرع ربه.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 598)

2 أيسر التفاسير، الجزائري (5/ 601)

3 مفاتيح الغيب، الرازي (32/ 247)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (483)

فضالب العلم له مسؤولية تجاه العامة، وعامة المسلمين لهم مسؤولية تجاه الكافرين.

لأنهم عرفوا الحق وتركوه، وخسروا الدنيا والآخرة.¹
فأهل الكتاب لديهم كتاب فيه هدى ونور فعدلوا عنه، وقطعوا طريق الحق على الخلق؟² لإصرارهم على الكفر والإشراك مع علمهم بالحق، ولأنهم كانوا يرون لأنفسهم فضلاً ويعيرون أهل الشرك.³
وأما المشركون فلأنهم كانوا على الحنيفة فأدخلوا فيها عبادة الأصنام، ولأنهم أصروا على دينهم بعد ما شاهدوا من دلائل صدق محمد - ﷺ -.⁴

وصف الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين بشر البرية الذي هو غاية التأنيب والتوبيخ لهم، فما السبب في وصفهم بذلك؟

لإفادة اختصاصهم بكوهم شر البرية - الخليفة - وقد قال - عكك - : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

ما دلالة مجيء ضمير الفصل (هم) في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾؟

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44].
ويتبنى الكافر يوم القيامة لو يصير ترابًا مثل الحيوانات عند ما يقال لها يوم القيامة: كوني ترابًا، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: 40].

فمن عطل وسائل إدراكه في الدنيا ولم ينتفع بها في معرفة الحق كان له أن يتمنى عاقبة الحيوانات ولا يجدها!!
فهلاً اتعظنا!

ليختم بمسك الختام أهل الجنان، ولأن دفع المفسد أولى من جلب المصالح، ولأن السياق من بداية السورة في الحديث عن عصى فخالف البينة ... فمن البلاغة التعجيل بذكر عاقبته.⁵
الوعيد كالدواء، والوعد كالغذاء ويجب تقديم الدواء حتى إذا صار البدن نقيًا انتفع بالغذاء.⁶
ومن باب تقديم التحلية على التحلية.

في الآيات قدم الحديث عن شر البرية على الحديث عن خير البرية! فما دلالة ذلك؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (932)

2 مفاتيح الغيب، الرازي (247 / 32)

3 أيسر التفاسير، الجزائري (5 / 602) التفسير الوسيط، الطنطاوي (15 / 472)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30 / 483، 484)

5 التفسير الموضوعي، إشراف مصطفى مسلم (9 / 279)

6 مفاتيح الغيب، الرازي (247 / 32)

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ
الْبَرِيَّةِ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ)¹
ما وجه تقديم الشاء على
المؤمنين على ذكر جزائهم؟

لأن ثناء الله عليهم أعظم مرتبة وأعلى منقبة، فلذلك قدمه على الجزاء الذي هو جزاؤهم في يوم القيامة.¹
ولبيان أن الجزاء مترتب على الأعمال، فهم استحقوا هذا الوصف - خير البرية - بسبب ما قدموه من إيمان وعمل صالح، وأن هذا ما أهلهم لهذا الجزاء العظيم.

- اتباع البينة حال ظهورها، (حَقَّقْ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) أي اتباع الحق بالدليل.
- تلاوة القرآن الكريم واتباعه، والافتداء بالنبي - ﷺ -.
- الاجتماع وعدم الفرقة مخالفة لما ذمَّ الله به أهل الكتاب، وهذا يكون باتباع الهدى والحق حيث ظهر ونبذ الهوى وحظوظ النفس والتعصب للرأي والمذهب.
- إخلاص العبادة لله - ﷻ -.
- إقامة الصلاة، هي علاقة العبد بربه وقرينه منه.
- إيتاء الزكاة، نفع العبد للناس.
- خشية الله - ﷻ -.

ما مجمل صفات المؤمنين
المذكورة في السورة من
مفهوم الموافقة والمخالفة؟

العمل يسير والأجر عظيم، وجزاؤه راحة الدنيا والآخرة، فهلاً شئنا!

ما دلالة محي لفظ الربوبية
دون الألوهية في قوله تعالى:
(عِنْدَ رَبِّهِمْ)، (ذَلِكَ لِمَنْ
حَشِيَ رَبَّهُ)؟

فيه بشارة عظيمة للمؤمنين،² وتعريض للكافرين؛ لأنهم لم يراعوا حق الربوبية.³
وفيها تعظيم للجزاء من رب كريم.

رضي عنهم بما قاموا به من مرضيه، ورضوا عنه بما أعد لهم من أنواع الكرامات
وجزيل المثوبات.⁴
ذكر ذلك في هذا المقام تنبيه على عدم رضا أهل الكتاب والمشركين بالبينة،
فخالفوها وافترقوا، مقابل رضا المؤمنين بما وبما فيها من صدق وخير، فكان جزاؤهم

ما دلالة قوله تعالى: (رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)؟

1 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (281)

2 مفاتيح الغيب، الرازي (32/ 251)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 486)، بتصرف

4 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (932)

من جنس العمل، رضوان من الله -ﷻ- وإرضاءهم بما أعدق عليهم الله -ﷻ- من نعم ونعيم. إنهم في غاية السعادة والرضى؛ لما هم فيه من النعيم، وتجاوز رضاهم حد النعيم إلى الرضى عن المنعم.¹

لتحقيق الافتقار، فلولا أن الله رضي عنهم ووقفهم لنيل رضاه لما وصلوا،² إلى هذا النعيم.

ما وجه تقديم رضا الله تعالى؟ فرضي عنهم بما قاموا به من مرضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات.³

اسم الإشارة للبعيد «ذلك» تنويه بعلو شأن هذا الجزاء، وجلال قدر من حظي به؛ ترغيباً في نيله وبيان شدة خسارة من حُرِمه، فتنجتم على الكافر حسرتان: حسرة بسبب ما هو فيه من العذاب الشديد، وحسرة ثانية لفوات هذا النعيم الأبدى العظيم.

ما دلالة التعبير باسم الإشارة للبعيد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾؟

يفيد أن تلك الأعمال تصدر منهم عن رغبة ورهبة، رغبة فيما عند الله -ﷻ-، ورهبة منه سبحانه.

فالخشية تكون من عظم الخشي، وإن كان الخاشي قوياً، بخلاف الخوف الذي قد يكون بسبب ضعف الخائف، وإن كان المخوف منه أمراً يسيراً.⁴ كما أن الخشية تكون مع التعظيم والحب، ولا يكون ذلك إلا عن علم. فهؤلاء قد عرفوا ربهم وعرفوا قدره فخشوه واتبعوا ما جاء به من بينة، فكان لهم هذا الجزاء العظيم.

ما الفائدة من التعبير بالخشية دون الخوف في الآية؟

• العلم بالله والتعرف عليه من خلال أسمائه وصفاته وأفعاله ومخلوقاته، ومن عرف الله أحبه وعظمه ورغب فيما عنده وخشي من عقابه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

• دعاء الله -ﷻ- أن يعيننا على خشيته وألا نغفل عنها، قال -ﷻ-: "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومِتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على

كيف نصل إلى خشية الله -ﷻ-؟

1 أعضاء البيان، الشنقيطي (54/9)

2 أعضاء البيان، الشنقيطي (54/9)

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (932)

4 أعضاء البيان، الشنقيطي (54/9)، بتصرف

- من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا“¹.
- كثرة ذكر الله -ﷻ-، قال رسول الله -ﷺ-: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... وذكر منهم: ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.²
 - قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته، وهو من أكثر ما يرقق القلب ويجلب الخشية.
 - محاسبة النفس والصدق معها.
 - تذكر الموت والبعث والحساب، ولعلها من مناسباتها مع سورة الزلزلة.
 - الإكثار من الطاعات، والابتعاد عن المعاصي.
 - المبادرة بالتوبة والإكثار من الاستغفار.
 - ...

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول -ﷺ-، والتعجب من تناقضهم.
- قيام الحججة البينة على كل من لم يؤمن بهذا الدين ممن بلغه.
- تفرق أهل الكتاب بعد ما جاءهم البينة التي انتظروها منذ عهد عناداً وجحوداً.
- النبي -ﷺ- خير الرسل جاء بخير الأديان وأعظم الكتب.
- لا خلاص لأهل الكتاب والمشركين من كفرهم وضلالهم إلا باتباعهم الرسول -ﷺ-.
- بيان أن الديانات السماوية السابقة حُرِفَتْ فاختلط فيها الحق بالباطل فلم تعد صالحة لهداية البشرية.
- دعوة الأنبياء واحدة وهي إخلاص العبودية لله تعالى.
- بيان جزاء من كفر بالإسلام من سائر الناس وأنه بئس الجزاء.
- فضل الخشية إن حملت صاحبها على طاعة الله ورسوله، فأطاعهما بأداء الفرائض وترك المحرمات في الاعتقاد والقول والعمل.
- فضل تلاوة القرآن والمداومة عليها.
- اقتران الصلاة بالزكاة دليل على أهميتهما ومكانتهما من الدين.
- الثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووعدهم بالنعيم الأبدي، ورضا الله عنهم، وإعطاؤه إياهم ما يرضيهم.

1 سنن الترمذي (528 /5) حديث رقم (3502)

2 صحيح البخاري (133 /1) حديث رقم (660)

خلاصة الأعمال التطبيقية

- محبة النبي ﷺ وسنته والافتداء به في جميع شؤون الحياة.
- تلاوة القرآن الكريم.
- الإخلاص لله - تعالى - في جميع الأعمال والأقوال.
- إقامة الصلاة كما أمر الله تعالى.
- الاعتزاز بديننا فهو الصراط المستقيم والدين القويم، والدفاع عنه.
- اتباع الحق عند بيانه وظهوره وإن خالف الهوى.
- تعظيم القرآن في نفوسنا ونفوس أبنائنا بحفظه وتدبره والعمل بما فيه.
- التمسك بالدين الخفيف وعدم قبول المساومات فيه؛ لأنه بيّن واضح.
- تربية أنفسنا وأبنائنا على البراءة من المشركين وأهل الكتاب، وأفعالهم وعدم التشبه بهم.
- خشية الله - تعالى - في السر والعلن وفي جميع الأحوال حتى ننال الرضا والرضوان.
- تذكر النعيم الأبدي للمؤمنين في الجنة وفوقه رضا الله حتى نبادر بالأعمال الصالحة.

من الفوائد التربوية

- الحاجة وهي من أهم وسائل الإقناع.
- تعدد الحجج.
- تقديم قدوة في الخير؛ للاتباع.
- تقديم نموذج سيئ للحذر من اتباعه ومصيره.
- غرس قيمة الإخلاص.
- غرس قيمة الصلاة والزكاة.
- غرس قيمة الجنة.
- غرس قيمة الخشية.
- ...

رسائل

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ اتفاق الشرائع في الأصول مدعاة لقبول الرسالة.

﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ كرمك الله وفضلك وأنعم عليك بوسائل الإدراك، فحافظ على هذا التميز، واستثمرها في معرفة الحق واتباعه.

﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ أهل الإيمان والعمل الصالح هم خير الخليقة، فاحرص أن تكون منهم.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ من خشى ربه في الدنيا، نال الأمن والرضا في الآخرة.

099. سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

أخبر عبد الله بن وهب عن عبد الله بن عمر قال: نزلت هذه السورة على النبي ﷺ - وأبو بكر الصديق قاعد، فبكى أبو بكر، فقال له الرسول - ﷺ: "ما يبكيك؟ قال: أبكاني هذه السورة، فقال رسول الله - ﷺ: لو أنكم لا تخطئون ولا تدنبون لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويدنبون فيغفر لهم"¹، فما هذه السورة التي أبكت أبا بكر؟ إنها سورة الزلزلة.

تعريف السورة

اسم السورة:	تسمى سورة «الزلزلة» وسورة «إذا زلزلت» وسورة «الزلزال» وسورة «زلزلت» ² .
نوع السورة:	اختلفوا في نزولها بين المكّي والمدني، ورجح ابن عاشور وابن كثير وغيرهما أنها مكية ³ .
عدد آياتها:	ثماني آيات في المدني الأول والكوفي وتسع في عدّ الباقيين ⁴ .

ذكر الواحدي في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 8] قال مقاتل: نزلت الآيتان في رجلين وذلك أنه لما نزل ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ كان أحدهما يأتيه السائل فيسأله أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ما هذا بشيء، إنما نُؤجر على ما نُعطى ونحن نحبه. وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، الكذبة، والغيبة والنظرة، ويقول: «ليس عليّ من هذا شيء، إنما أوعده الله بالنار على الكبائر» فأنزل الله - ﷻ - يرغبهم في القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر ويجذرهم من اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر⁵.
وعدها بعضهم هذا معنى للآية وليس سبباً لنزولها.

1 أسباب النزول للواحدي (1/487) (هذا من أحوال النزول ولا يعدّ سبباً لنزول السورة)

2 التحرير والتنوير (489/30)

3 المرجع السابق

4 البيان في عدّ آي القرآن، (ص: 283)

5 أسباب النزول للواحدي، ص 335

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، سئل النبي - ﷺ - عن الحمر فقال: "لم يُنزل عليّ فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفادة: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 8].^{1 2}

فضل السورة والآثار الواردة

فيها:

عن عبد الله بن عمر قال: نزلت هذه السورة على النبي - ﷺ - وأبو بكر الصديق قاعد، فبكى أبو بكر، فقال له الرسول - ﷺ -: ما يبكيك؟ قال: أبكاني هذه السورة، فقال رسول الله - ﷺ -: لو أنكم لا تحطون ولا تذبون لخلق الله أمة من بعدكم يحطون ويذبون فيغفر لهم.³

المناسبة بين سورة الزلزلة وسورة البينة:

لما ختم الله سبحانه سورة البينة بجزء الصالح والطالح في دار البقاء على ما أسلفوه في مواطن الفناء، ذكر سبحانه في هذه السورة أول مبادئ تلك الدار وأحر غاياتها، فالصلة بينهما واضحة حتى لتكاد سورة الزلزلة أن تكون استمراراً لسورة البينة، فكان المكلف قال في سورة البينة ومتى يكون ذلك يارب؟ فقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.⁴

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة الزلزلة وسورة العاديات:

لما ختمت سورة الزلزلة ببيان الجزاء على الخير والشر، وتوخ الله - تعالى - الإنسان؛ على جحوده نعم ربه، وإيثاره الحياة الدنيا على الآخرة، وترك استعدادده للحساب في الآخرة بفعل الخير والعمل الصالح، وترك الشر والعصيان.⁵ وقال الشنقيطي: «ذكرت الزلزلة صدور الناس أشتاتاً؛ ليروا أعمالهم، وفي العاديات حثٌّ على أفضل الأعمال التي تورث الحياة الأبدية والسعادة الدائمة في صورة مماثلة، وهي عدوهم أشتاتاً في سبيل الله».⁶

مناسبة السورة لما بعدها:

تركز على هزّ القلوب العاقلة لليقين بالحساب والإحصاء الدقيق.⁷

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (5): أهوال البعث وذهول الإنسان حينها.
من الآية (6) إلى الآية (8): حضور الناس وحسابهم حساباً دقيقاً.

موضوعات السورة:

1 صحيح البخاري (176/6)

2 ما ورد في كونها تعدل ربع القرآن عن ابن عباس ضعفه الألباني في الجامع الصغير، وقال عنه: منكر في السلسلة الضعيفة، وكذا ضعف الألباني حديث أنس

3 أسباب النزول للواحدي (1/487) (هذا من أحوال النزول ولا يعدّ سبباً لنزول السورة)

4 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (20/202)

5 التفسير المنير، الزحيلي (30/366)

6 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (9/63)، بتصرف يسير

7 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/599)

تلاوة

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ إذا حركت الأرض التحريك الشديد الذي يحدث لها يوم القيامة.
2. ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى.
3. ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ وقال الإنسان متحيراً: ما شأن الأرض تتحرك وتضطرب؟
4. ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ في ذلك اليوم العظيم تخبر الأرض بما عمل عليها من خير وشر.
5. ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ لأن الله أعلمها وأمرها بذلك.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<ul style="list-style-type: none"> • تشويق إلى متعلق الظرف؛ إذ المقصود ليس توقيت صدور الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، بل الإخبار عن وقوع ذلك وهو البعث، ثم الجزء². • وتأتي أيضاً بمعنى الفجأة، وهذه ظاهرة أسلوبية تسيطر على الحديث عن اليوم الآخر الذي يأتي بغتة؛ إمعاناً في التهيب.³ 	<p>ما دلالة افتتاح السورة بظرف الزمان (إذا) مع إطالة الجمل المضاف إليها الظرف؟</p>
<p>الزلزلة حقيقتها: تحرك عنيف في جهة من سطح الأرض وهي من الظواهر الأرضية المرعبة ينشأ عنها تساقط البناء، وقد ينشأ عنها خسف الأشياء في باطن الأرض.⁴ وتكرار الحروف في كلمة (زلزل) وتكرار الكلمة في الآية يدل على شدة الحركة وسرعتها، (وقد جاء وصف هذا الزلزال بكونه شيئاً عظيماً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الحج: 1]).⁵</p>	<p>ما حقيقة الزلزلة وعلام يدل تكرار اللفظ في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؟</p>

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 599)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 490)

3 التفسير البياني للقرآن الكريم (1/ 83)

4 التحرير والتنوير (17/ 187)، بتصرف

5 انظر: أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 56)

<p>• العلم بالفاعل وهو الله -عَلَيْكَ- . • الاهتمام بوقوع الحدث نفسه (وهو الزلزلة).¹</p>	<p>ما الحكمة من التعبير بالبناء للمفعول في قوله تعالى: (زُلْزِلَتْ)؟</p>
<p>لإفادة تمكنه منها وتكرره، حتى كأنه عرف بنسبته إليها؛ لكثرة اتصاله واختصاصه بما.² فكان كل زلازل الأرض المرعبة التي شاهدها أو سمعنا عنها لا تُعد شيئاً مقارنة بهذا الزلزال.</p>	<p>في قوله تعالى: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) أضيف الزلزال إلى الأرض، فما دلالة ذلك؟</p>
<p>إظهار في مقام الإضمار؛ لقصد التهويل،³ ولتكون كل جملة مستقلة بذاتها.</p>	<p>كُرِّرَ لفظ الأرض مرتين في آيتين متتاليتين، فما دلالة ذلك؟</p>
<p>قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) [الحج: 1]. وقال تعالى: (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا) [الواقعة: 4]. (وَمُجِّدَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) [الحاقة: 5]. وذلك يدل على شدة هذا اليوم، وعلى قدرة الله -عَلَيْكَ- وهوان الدنيا بأسرها.</p>	<p>ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن الأرض تتحرك وتضطرب وتزلزل يوم القيامة، اذكر شواهد على ذلك؟</p>
<p>• التربية بالحدث، استثمار الزلازل والمصائب والحن: ○ للتذكير بأهوال الآخرة وزلازلها، فيكون لها أكثر وقع في النفس. ○ لبيان أنها من سنن الله - تعالى - في الكون وتبنيه للغافل. ○ بيان أنها دليل على قدرة الله -عَلَيْكَ- وقوته وجبروته، وضعف أهل الأرض مهما بلغوا من العلم وأوتوا من قوة. ○ اللُّجُوء إلى الله -عَلَيْكَ- عند الكوارث، والإكثار من الأعمال الصالحة. • تقريب المعنى إلى الذهن بوسائل مختلفة، فالزلزال ليس كزلازل الدنيا، ولكنه يقرب إلى الذهن شدة اضطراب الأرض وهوانها على الله -عَلَيْكَ-.</p>	<p>ما الفوائد التربوية التي نتعلمها من الآيات؟</p>

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (491/30) التفسير البياني في القرآن الكريم (81/1)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (491/30)، بتصرف يسير

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (491/30)

ما المراد بالأتقال التي تخرجها الأرض يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾؟¹

الأتقال لغة: جمع (ثقل) وهو متاع المسافر، وكل نفيس مصون. واختلف في الأتقال على ثلاثة أقوال، قيل: موتها، وقيل: كنوزها، وقيل: التحدث بما عمل عليها الإنسان. ولا يعد أن يكون الجميع إذا راينا صيغة الجمع في ﴿أثْقَالَهَا﴾ ولم يقل ثقلها.¹

اذكر شواهد من القرآن والسنة تدل على إخراج الأرض ما في باطنها يوم القيامة؟

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۗ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۗ﴾ [الانشقاق: 3 - 4].
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القتاتل، فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً".²

ما دلالة تساؤل الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآءَا؟﴾

يشير إلى الدهشة والتعجب والذهول من هول ما يُشاهد ومن تلك الحالة الفظيعة التي لم يرها من قبل، وفيه استنكار لأمرها بعد ما كانت ساكنة.³

ما المقصود بالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآءَا؟﴾

كلمة الإنسان هنا عامة، وظاهرها أنها عامة لجميع الناس، ودلت بعض الآيات أن الذي يقول ذلك هو الكافر، أما المؤمن فيقول: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۗ﴾ قَالُوا يَا بُولُؤُنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۗ﴾ [يس: 51 - 52]، فالكافر يدعو بالويل، والمؤمن يطمئن للوعد.⁴

وهذا يدل على شدة ذلك اليوم، والمؤمن يؤمن ويخاف على قدر إيمانه وعمله الصالح.

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي -ﷺ-، في حديثه الطويل عن الشفاعة يوم القيامة أن الناس يأتون الأنبياء يوم القيامة يطلبون الشفاعة إلى الله -ﷻ- بالإذن في الحساب فيقول النبي: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَعْصِبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَعْصِبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ثُمَّ يَذَكَّرُ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: تَغْسِي تَغْسِي إِلَىٰ أَنْ يَأْتُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ-.⁵

فإذا كان هذا حال الأنبياء فكيف حالنا نحن!؟

1 محاسن التأويل، القاسمي (525/9) أضواء البيان، الشنقيطي (56/9)

2 صحيح مسلم (701/2)، رقم الحديث (1013)

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (460/8) أضواء البيان، الشنقيطي (57/9)، بتصرف

4 أضواء البيان، الشنقيطي (57/9)

5 الحديث بلفظه من صحيح مسلم (184/1) 327 (194)

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا؟ هل الحديث على حقيقته؟ وضح ذلك.

التحديث هنا صريح في الحديث وهو على حقيقته؛ لأن في ذلك اليوم تتغير أوضاع كل شيء وتظهر حقائق كل شيء، وكما أنطق الله الجلود ينطق الأرض، فتحدث بأخبارها،¹ فتشهد على العاملين عليها بما عملوا على ظهرها من خير وشر.²

ما الحكمة من إظهار الأرض حديثها يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)؟

في التعبير عن إظهار أخبارها بالتحديث إشارة إلى أن أحداثها التي يراها الناس يومئذ، هي أبلغ حديث وأظهر بيان، فهي شواهد ناطقة بلسان الحال، أبلغ من لسان المقال.³

وقد أورد البخاري عن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: قال رسول الله - ﷺ -: «تُحْشَرُونَ حِفاةَ عِراةٍ غِراةً». قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الأمر أشدُّ من أن يُنمَّهُمُ ذاك».⁴

ما دلالة التعبير بالإيحاء دون القول في قوله تعالى: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾؟

دلالة على سرعة الانقياد فإنها بمجرد الإشارة إليها من الله تعالى، خضعت لمشيئته، فلم تكن في خضوعها لربها محتاجة إلى أن يردد عليها القول، وهذا هو شأن الخاضع المطيع، الذي لا إرادة له مع من يأمره.⁵ ونحن أولى منها بالطاعة، فنحن ننتظر الجزاء العظيم على طاعتنا لله - ﷻ -، والعذاب الأليم على معصيتنا له.

ماذا يعلمنا خضوع الأرض إلى خالقها واستجابتها لأمره؟

يُعَلِّمُنَا بانقياد كل المخلوقات على عظمها لله سبحانه، واستجابتها لأمره، ونحن من باب أولى ونحن ننتظر جزاءً أو عقاباً. كما يذكرنا بقدرة الله - ﷻ - وعظيم سلطانه وأن الكل خاضع لقهره وملكوته سبحانه، فكيف يتجرأ العبد على معصيته والاستكبار عن طاعته. كما يشعرون بالعزة بعبادة الله - ﷻ - الذي له ملك السماوات والأرض والكل خاضع له طوعاً أو كرهاً، فكيف بمن يعبد خلقاً من خلق الله - ﷻ - ومن يعبد الكواكب أو الإنسان أو البقر وغيره، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، بل هو مخلوق طاع لله - ﷻ -.

ما أثر تصوير مشاهد يوم القيامة في السورة؟

- استشعار عظمة الخالق وقدرته.
- استشعار هوان الدنيا بكل ما فيها.

1 أضواء البيان، الشنقيطي (9 / 57)

2 تفسير السعدي، السعدي (932)

3 التفسير القرآني للقرآن، الخطيب (16 / 1650)

4 صحيح البخاري 6527 (8 / 109)

5 التفسير القرآني للقرآن، الخطيب (16 / 1651-1652)

- استشعار رحمة الله -ﷻ- بنا:
 - بيانه لهذه الأحوال ولم يتركنا غافلين.
 - رحمة الله -ﷻ- بنا بتأكيد البعث والجزاء، وتنويع الأساليب حتى تستقر في النفس.
 - رحمة الله -ﷻ- بنا ببعثنا بعد الموت حتى نجازي على أعمالنا ونفوز بالجنة بإذنه -ﷻ-.
 - رحمة الله -ﷻ- بنا بالبعث ومحاسبة من تعدى علينا وأفسد في الأرض.
 - رحمة الله -ﷻ- بنا أن حذرنا بالبعث حتى لا نكون من هؤلاء المفسدين في الأرض.
 - رحمة الله -ﷻ- بنا ببيان المنهج الذي لو اتبعناه لكنا صالحين في الدنيا فائزين في الآخرة بإذن الله - سبحانه وتعالى - .
- تَدَكُّرُنَا لِلْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَهْوَالِهِ يورث خشية الله -ﷻ- ومراقبة النفس.
- ويورث إخلاصًا في العبادة والرغبة فيما عند الله -ﷻ- والزهد فيما سواه.
- ويورث رقة في القلب ورضاه بقدر الله -ﷻ- وحكمه.

أن يحذر معصية الله فوقها، وكل مكان منها سيشهد بما عمل عليه من خير أو شر. فيها حث على أن يكثر من أعمال الخير ويعددها، حتى يجعل الأرض شاهدة له لا عليه.

ما أثر شهادة الأرض في الإنسان؟

الله تعالى، وكفى بالله شهيدًا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6].
الملائكة، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَأَن نَّسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ﴾ [الزخرف: 80].

الرسول -ﷺ-، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].
الجوارح، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24].

عدد بعضًا من الشهود على الإنسان يوم القيامة، وما أثر هذه الشهادات فيه؟

السمع الأبصار والجلود، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا دَعَانَا لِشِهَادَتِنَا عَلَىٰ نَفْسِنَا أَتَيْنَا عَلَىٰ نَفْسِنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: 20 - 21].

أثر معرفة ذلك:

استشعار المؤمن لوجود الشهود عليه يجعله مراقبًا لنفسه في أعماله وأقواله.
الحياء من الله المطمع على سرّه وجهه.
الحياء من الشهود يدعوه إلى ترك المعاصي، والحياء من نفسه وعدم طاعة هواه، فما عصى الله إلا إرضاء لرغبات جوارحه التي تشهد عليه يوم القيامة.
المبادأة بالتوبة والاستغفار.
الإكثار من الأعمال الصالحة في أماكن مختلفة، حتى تكون شاهداً للعبد لا عليه.

غرس المراقبة لله -ﷻ- يبدأ من سن مبكرة، حتى يثبّت الطفلُ عليها، وقد ذكرها الله -ﷻ- في تربية لقمان لابنه، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَمَنْ تَبَتَّ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

ومن الوسائل المعينة على غرس مراقبة الله -ﷻ- وخشيته:

- الدعاء لأطفالنا بالصلاح والهداية.
- غرس محبة الله - تعالى - وتعزيرها والحياء منه.
- التذكير بنعم الله -ﷻ- علينا ووجوب شكرها بفعل ما يرضيه وترك ما يكره.
- غرس قيمة الصحة الصالحة المعينة على المراقبة والبعد عن أصحاب الغفلة.
- استثمار الأحداث والمواقف، فالإنسان يراقب نفسه إذا كان محضرة كاميرا، فكيف محضرة كل هذه الشهود والله -ﷻ- من فوقهم شهيد.
- التذكير بسعة علم الله -ﷻ- واطلاعه على الظواهر والبواطن.
- ذكر قصص حول المراقبة ومنها قصة ابن عمر - رضي الله عنهما - مع الراعي الذي أرى أن يكذب على صاحبه؛ لأن الله يراه، وقصة الثلاثة أصحاب الغار، وغيرهما من القصص.
- التوجيه المباشر بالتذكير بالشهود والمراقبة.
- تربية أنفسنا على المراقبة بالتربية بالقدوة: بأن أكون لهم قدوة في مراقبة الله -ﷻ- في أعمالنا وأقوالنا.
- تعليمهم أسماء الله الحسنى، والتركيز على الأسماء والصفات الدالة على المراقبة: (السميع، البصير، الرقيب، العليم...).
- تذكيرهم بمعية الله -ﷻ-، فاستشعارهم للمعية دافع للمراقبة مع الحب.
- ربط مراقبة الله -ﷻ- بالمعاني المحببة إلى النفس كالحفظ والنصر والإعانة والجزاء، حتى لا يكون في أنفسهم معنى مراقبة السيئات فقط.
- غرس التعلق بالله والاستعانة به في كل الأمور.

كيف نربي أبناءنا على مراقبة الله -ﷻ-؟

...

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٦٥ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ ٦٦ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتِبِهِمْ فَمَا اسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ٦٧ [يس: 65-67].

ما الحكمة من وجود شهود على الإنسان؟
تعداد الشهود وشهادة العبد على نفسه دلالة على كمال عدل الله -ﷻ- وإقامة الحجة على الناس، وينقطع عذرهم عنده.
هل يشكك بعد ذلك في حكم الله -ﷻ-؟ هل يظن أن في حكم الله حيناً لصالح جنس دون آخر؟! أو فئة دون أخرى؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

استشعار الشهود رادع للمعصية، فكيف نفعل عنهم؟

تلاوة

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أُمَّتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ٦ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

6. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أُمَّتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ في ذلك اليوم العظيم الذي تتزلزل فيه الأرض يصدر الناس من موقف الحساب فرحاً؛ ليشاهدوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا.
7. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ فمن يعمل وزن ذرة من أعمال الخير والبر يره أمامه.
8. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ومن يعمل وزنها من أعمال الشر يره كذلك.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
ما دلالة تخبير لفظ ﴿يَصُدُّ﴾ صدر الناس: انصرفوا من موضع وزدهم ²	
في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أُمَّتَاتًا﴾؟	يرجع الناس عن مواقف الحساب بعد العرض، فرحاً متفرقين لا يلتقون أبداً. أنواعاً وأصنافاً، ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار، فلا

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 599)

2 قبل: الورد هو القيام للبعث، وقبل: الورد القيام للحشر، والصدر الانصراف إلى الجنة والنار، وهذا أظهر التسهيل لعلوم التنزيل، ابن الجزي (2/ 503)

يَجْتَمِعُونَ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، تَشْبِيهًا بِانصِرَافِهِمْ عَنِ الْمَاءِ بَعْدَ الْوُرْدِ.¹

إن المحسن في الدنيا، المطيع لله يرى عمله وما أعد الله له يومئذ من الكرامة، على طاعته إياه في الدنيا، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله وما أعد الله له من الهوان والخزي في جهنم على معصيته.² كما يدل على أن تفرقهم على حسب أعمالهم، فمن عمل خيراً كان مع السعداء، ومن عمل غير ذلك فهو مع الأشقياء.

ما الهداية المستفادة من قوله تعالى: ﴿لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ﴾؟

ختمت السورة بآيتين عظيمتين وهما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، فعلام يدل ذلك؟
فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو كان قليلاً والتهيب من فعل الشر ولو كان حقيراً.³ وفيها الدلالة على أن أقل الأوزان سيوزن فكيف بما هو أعظم؟ فيها إحصاء شديد.⁴ وفيها اطمئنان العبد إلى كمال عدل الله، فلا يضيع من عمله إن عمل خيراً شيء، ولا يضيع له إن هضم من حقه شيء.

ما دلالة إعادة قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ﴾، دون الاكتفاء بحرف العطف؟

لتكون كل جملة مستقلة الدلالة على المراد، ولتختص كل جملة بغرضها من الترغيب أو التهيب.⁵

علام يدل تقديم الترغيب على التهيب في الآيتين؟

قدّم جانب الترغيب تنويهاً بأهل الخير، وللحث والتبشير واطمئنان القلوب.⁶

جاء التعبير بالفعل المضارع دون الماضي في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ﴾، فعلام يدل ذلك؟

صيغة المضارع هنا من باب الالتفات، وهذا على سبيل التنبيه والتحذير، فمن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة شراً يره في الآخرة، وقد جاء النص صريحاً بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْرُجُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61].⁷

1 التحريم والتنوير (493/30)، بتصرف

2 جامع البيان، الطبري (549/24)

3 تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، (ص: 932)

4 الطبري (553/24)، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم (1/157)، بتصرف

5 التحريم والتنوير، ابن عاشور (495/30)

6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 932)

7 ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي (59-58)

قال تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها وَيؤت من لدنهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40].

قال رسول الله -ﷺ-: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة".¹
قال رسول الله -ﷺ-: "لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق".²

قال رسول الله -ﷺ-: "يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجاتها، ولو فرسن شاه".³

هات شواهد من القرآن
والسنة على أن الإنسان
يجاسب على عمله مهما
صغر، خيراً كان أم شراً.

فيها طمأنة للمؤمنين، وحتى لا يظن أن المراد هو التربص بالإنسان، إنما هو بيان لعدم ضياع شيء من الأعمال وإن صغر.
لا شيء يضيع عند الله -ﷻ-، فلا نستعين بصغائر الحسنات ولا صغائر الذنوب، فإن الجبل من أصغر الحصى، عن أبي ذر قال: قال لي النبي -ﷺ-: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ تَلَقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ».⁴

ما الحكمة من تقديم ذرة
الخير على ذرة الشر؟

إلى عمل الخير، والردع عن فعل الشر قل أو أكثر.
ألا تحقر من العمل شيئاً، خيراً كان أو شراً.
أن نعلم أوقاتنا بما يربي الحسنات من أعمال، كالصدقات، والاحتساب فيها.
ألا نتساهل في الذنوب مهما صغرت، فإن محقرات الذنوب تجتمع على العبد فتهلكه.

إلام يدفعنا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾؟

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً، يُعْطَى عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَيُنَابُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا خَيْرًا.⁵

إن الله عدل لا يظلم أحداً،
ومع ذلك الكافر لا يجد يوم
القيامة الخير الذي عمله في
الدنيا، كيف ذلك؟

1 صحيح البخاري (11/8)، رقم الحديث (6023)
2 صحيح مسلم (4/2026)، حديث رقم (2626)
3 صحيح البخاري (3/153)، حديث رقم (2566)
4 صحيح مسلم (4/2026) باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء
5 صحيح الجامع 1853

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال عن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾¹ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾² هذه أحكم آية في القرآن¹.

وقال الحسن: قدّم صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق على النبي - ﷺ - يستقري النبي القرآن، فقرأ عليه هذه الآية فقال صعصعة: حسبي، فقد انتهت الموعظة، لا أبالي شرًّا يره².

ألا أسمع من القرآن غيرها².

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تأكيد الانقلاب الكوني والزلزلة العنيفة للأرض يوم القيامة.
- إخراج الأرض ما فيها من موتى وكنوز ثمينة.
- ذهول كل الناس وتساؤلهم لهول البعث.
- شهادة الأرض على الإنسان بأمر من الله تعالى.
- انصراف الناس للقاء أعمالهم.
- الإحصاء الدقيق للأعمال مهما كان صغيراً خيراً أو شراً.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- تذكر أهوال يوم القيامة والحساب والجزاء، وعدم الغفلة عن هذه الحقيقة.
- مراقبة الله - ﷻ - في جميع الأعمال.
- فعل الخيرات مهما صغرت، واجتناب المعاصي، وعدم التهاون فيها مهما صغرت.
- تنويع أماكن العمل الصالح حتى تُكثر الشهود على الخير.
- المبادرة بالتوبة والاستغفار عن الذنوب.
- الكف عن معصية الله - ﷻ - على أرضه.
- عدم استصغار الذنب مهما رأيناه صغيراً، وكذلك عدم تحقير الحسنة والعمل الصالح مهما كان ولو ابتسامة.
- محاسبة النفس على الصغيرة قبل الكبيرة والانتباه لها.

1 تفسير القرطبي، ص 599

2 تفسير القرطبي

من الفوائد التربوية

- غرس المراقبة.
- غرس حب الله - ﷻ - والحياء منه.
- غرس قيمة الدار الآخرة والزهد في الدنيا.
- تنويع الأساليب التربوية بين الترغيب والترهيب.
- غرس قيمة الأعمال، وعدم الاستهانة بصغائر الأمور سواء كان خيراً أو شراً.

رسائل

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾ آية عظيمة تعلن انتهاء الحياة الدنيا، فهلاً أفقنا من غفلتنا.
 ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فلنعمل ليوم تكشف فيه الأسرار، ونُخرج الأثقال، فتشهد لنا أو علينا.
 ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَأْتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ هي صحيفتنا فلنملأها بما نحب أن نراه.
 ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ لا تحقرن شيئاً من الشر أن تتقيه، ولا شيئاً من الخير أن تبادر به؛ فذرة ترفعك وذرة تصيبك.

100. سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

قال رسول الله -ﷺ-: "الخيال في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"¹، وقال ابن عبد البر: «فيه إشارة إلى تفضيل الخيل على غيرها من الدواب»،² فسُمِّيَتْ سورة باسمها وجاء القسم بما ...
تهينة:
سورتنا هذا اليوم تَبَيَّنُ حقيقة الإنسان وتَهْدِبُ مساره وذلك بضرب مثل له (الخيال) ... فما هذه السورة؟

تعريف السورة

سميت سورة «العاديات» من دون واو، وسميت في بعض كتب التفسير سورة «والعاديات» بإثبات الواو.³
اسم السورة:

مكية، وقيل: إنها مدنية لما ورد فيها من سبب نزول.⁴
نوع السورة:

إحدى عشرة آية في جميع العدِّ، ليس فيها خلاف.⁵
عدد آياتها:

لم يرد فيها سبب نزول صحيح على من قال: إنها مكية.
وأورد الواحدي في أسباب النزول: (قال مقاتل: بعث رسول الله -ﷺ- -سَرِيَّةً إلى حي من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري، فتأخَّر خبرهم، فقال المنافقون: قتلوا جميعًا، فأخبر الله - تعالى - عنها، فأُنزل الله - تعالى - :
{وَالْعَادِيَّاتِ صَبْحًا} يعني: تلك الخيل)).⁶
سبب نزولها:

إنها من المَقْصَلِ، عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْتَعِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: "أُعْطِيتُ مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المعين، ومكان الإنجيل المثاني، وَفُضِّلْتُ بالمَقْصَلِ".⁷
فضل السورة والآثار الواردة فيها:

1 رواه البخاري (2849)، ومسلم (1871)

2 فتح الباري، ابن حجر (122/7)

3 التحرير والتنوير (497/30)

4 المرجع السابق

5 البيان في عد آي القرآن، (ص: 284)

6 أسباب النزول، ت: الخمينيان (ص: 463)

7 رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (469/3)

المناسبة بين سورة العاديات وسورة الزلزلة:

لما ختمت السورة السابقة ببيان الجزاء على الخير والشر، وبخ الله - تعالى - الإنسان على جحوده نعم ربه، وإيثاره الحياة الدنيا على الآخرة، وترك استعداده للحساب في الآخرة بفعل الخير والعمل الصالح، وترك الشر والعصيان.¹

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة العاديات وسورة القارعة:

تشابه السورتان تشابهاً كبيراً في وحدة محورهما، إذ العاديات تتحدث عن سبب الكفر والنفاق، وتعالج ذلك؛ ليكون الإنسان من المتقين، لتأتي القارعة كي تتحدث عن اليوم الآخر وعمما يكون فيه من فلاح لأهل العمل الصالح، ومن عذاب وخسران لأهل الكفر، وهذا مظهر من مظاهر صلتها بما.²

مناسبة السورة لما بعدها:

بيان صفات الإنسان في اهتماماته الدنيوية، تذكيراً له بمآله، وبعثاً له على تصحيح مساره.³

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (5): التنويه بالخيال وخصالها.
من الآية (6) إلى الآية (8): ذم جحود الإنسان لنعم ربه.
من الآية (9) إلى الآية (11): تذكير بالبعث والحساب.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَنْزَرْنَ بِهِ تَغَمُّعًا ﴿٤﴾ فَتُوسِّطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ أقسم الله بالخيال التي تجري، حتى يُسْمَعَ لِنَفْسِهَا صوت من شدة الجري.
2. ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ وأقسم بالخيال التي تُوقِدُ بحوافرها النار إذا لامست بما الصخور؛ لشدة وقعها عليها.
3. ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ وأقسم بالخيال التي تُغَيِّرُ على الأعداء وقت الصباح.
4. ﴿فَأَنْزَرْنَ بِهِ تَغَمُّعًا﴾ فحركن بجريهن غبارًا.
5. ﴿فَتُوسِّطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ فتوسطن بفوارسهن جمعًا من الأعداء.⁴

1 التفسير المنير، الزحيلي (366/30)

2 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (298/9)

3 المختصر في التفسير (599)

4 المختصر في التفسير (599)

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرية
<ul style="list-style-type: none"> • لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق.¹ • تعظيم شأن الجهاد في سبيل الله.² • إعلاء شأنها في نفوس المؤمنين؛ ليعنوا بتربيتها، وليتدربوا عليها من أجل الجهاد في سبيل الله، وليعتادوا على معالي الأمور، وظواهر الجِد والعمل.³ • الترغيب باقتناء الخيل لهذه الأغراض النبيلة، لا للسمعة والمفاخرة والرياء،⁴ ولما يترتب على استعمالها في تلك الأغراض من أجر وغنيمة، ومن ترويع لجموع المشركين، وتمزيق لصفوفهم.⁵ 	<p>ما مناسبة افتتاح السورة بالقسم بالخيل؟</p>
<p>العدو هو الجري السريع، ففيه إشارة إلى الهمة والقوة والإقدام. والخيل تعدو بحمة وقوة وإقدام من أجل صاحبها.</p>	<p>ما دلالة تخير صفة العدو دون غيرها؟</p>
<p>الضبيح هو صوت نفس الخيل الذي يسمع من شدة الجري. لأن الضبيح هي الحال التي لا يشاركها فيه غيرها من أنواع الحيوانات،⁶ وهذا يدل على قوتها سعيها وشدتها.</p>	<p>وصف الله الخيل بالضبح في قوله تعالى: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) فما الضبيح؟ وما دلالة الوصف؟</p>
<p>يدل على قوة سعيها وشدته، وضربها الأرض، إذا ضربت الحجر بحجر ثانٍ، ثمَّ تَهْدَحْدُ نَارًا، كما هو مشهور في حجر المرو، فإنك إذا ضربت بعضه ببعض انقذح.⁷ ويدل على قوة الخيل وصلابة حوافرها حال العدو.⁸</p>	<p>جاء التعبير بـ «قَدْحًا» في قوله تعالى: (فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا)، فعلام يدل؟</p>

1 تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي (932)

2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (61/9)

3 التفسير المنير، وهبة الزحيلي (370/30)، باختصار

4 المرجع السابق

5 التفسير الوسيط، محمد سيد الطنطاوي (483/15)

6 تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي (932)

7 تفسير العنيمين، جزء عم (292)

8 تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي (932)

أسند سبحانه الإغارة إلى الخيل مع أنها في الحقيقة لراكبيها في قوله تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ فما دلالة ذلك؟

إنَّ الخيول هي عدة الإغارة، وهي على رأس الوسائل لبلوغ النصر على الأعداء.¹ شدة سعي الخيل وعدوها،² وفي ذلك إشارة إلى دخولها الحرب رغبة استجابة لسيدها.

ما السبب في تخصيص الإغارة على العدو بوقت الصبح؟ وعلام يدل ذلك؟

لأن ذلك وقت غفلة الناس،³ وحتى لو استيقظ من الغارة فسوف يكون على كسل وعلى إعياء،⁴ فهو وقت المفاجأة لأخذ العدو على غير أهبة.⁵ وهذا يدل على أهمية هذا الوقت، وكثرة البركات والخيرات فيه، وقد قال النبي -ﷺ-: "بورك لأمتي في بكورها".⁶

جاء ذكر توسط الخيل للجموع في قوله تعالى: ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ فما دلالاته؟

إنها ليس لها غاية، ولا تنتهي غايتها إلا وسط الأعداء؛⁷ لقتال أعداء الله الكافرين بالله وآياته ولقائه، المفسدين في الأرض بالشرك والمعاصي⁸ من غير خوف ولا تعب ولا ملل، وهذه غاية ما يكون من منافع الخيل، مع أن الخيل كلها خير.⁹

جاءت الأفعال "فَأَتْرَنَ، فَوْسَطَنَ" معطوفة بالفاء وبصيغة الفعل الماضي، فما دلالة ذلك؟

تدل على تحقق حصول الشيء بسرعة، وفيها إشارة إلى أن إثارة الغبار، وتمزيق صفوف الأعداء، قد تحقق بسرعة، وأن الظفر المطلوب قد تم على أحسن الوجوه.¹⁰

جاء في السنة ذكر للخيل وفضلها، اذكر بعض هذه الأحاديث.

قال رسول الله -ﷺ-: "الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".¹¹ قال رسول الله -ﷺ-: "من احتبس فرسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شبعه، وريه، وروثه، وبوله، في ميزانه يوم القيامة".¹²

- 1 التفسير الوسيط، محمد سيد الطنطاوي (15/ 483)
- 2 تفسير العثيمين، جزء عم (292)
- 3 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (20/ 158)
- 4 تفسير العثيمين: جزء عم (292) باختصار
- 5 محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي (9/ 529)
- 6 حديث صحيح رواه الألباني في صحيح الجامع (2841)
- 7 تفسير العثيمين، جزء عم (292)
- 8 أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري (5/ 606)
- 9 تفسير العثيمين، جزء عم (293/292)
- 10 التفسير الوسيط، محمد سيد الطنطاوي (15/ 483)
- 11 رواه البخاري (2849)، ومسلم (1871)
- 12 رواه البخاري (2853)

يُشير القسم بالعاديات إلى أهمية الأخذ بالأسباب، والبذل في سبيل الله - عز وجل -.

كما يشير إلى أهمية إعداد العدة للجهاد في سبيل الله - عز وجل - والأخذ بأسباب القوة، ومنها الخيل.

ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

كما يشير إلى شكر الخيل لصاحبها وتضحيتها في سبيل الله دون خوف ولا تردد مع ما يحيط بها من أخطار وقت الحرب، فمن باب أولى أن يكون هذا هو حال المؤمن في سبيل ربه سبحانه، وهو المنعم عليه بنعم لا تحصى ولا تُعد، وأنه ينتظر جزاء عظيمًا على شكره، وعذابًا شديدًا لجحوده.

نتفكر في حالنا، ألا تكون الخيل أفطن منا في وفائها لصاحبها، وبذلها ما في وسعها لإرضائه، فالخيل تضحى في سبيل صاحبها الذي يقدم لها الغذاء والمأوى، فكيف شكرنا لمن أنعم علينا بالخلق والإيجاد والرزق والتدبير، أليس من باب أولى أن يكون هذا حالنا مع الله - عز وجل -، وخاصة أن نفع شكرنا لله - عز وجل - يعود علينا؟!.

أتعلم من صفات الخيل القوة والشجاعة والإقدام.

ما الأثر الذي يتركه في النفس ذكر صفات الخيل وأفعالها؟

تلاوة

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

6. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ إن الإنسان لمُنوع للخير الذي يريد منه ربه.
7. ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ﴾ وإنه على منعه للخير لشاهد، لا يستطيع إنكار ذلك؛ لوضوحه.
8. ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وإنه لفرط حبه للمال ييخل به.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرية
الآيات هي جواب للقسم، أي أنّ الإنسان هو المقسم عليه، ¹ فطبيعة الإنسان وجبلته، أن نفسه لا تسمح له بتأدية ما عليه من الحقوق، ² ويدفع هذا الطبع على قدر إيمانه بربه.	ما مناسبة الآيات لما قبلها؟
مقارنة بين حال الخيل في شكرها لصاحبها وحال الإنسان المحجود، هذه المقارنة التي تدعو إلى الاستغراب والتعجب، ومراجعة النفس وحثها على العمل والشكر.	ما مناسبة القسم لجواب القسم؟
تقديم «لربه» يفيد الحصر وما في ذلك من المبالغة في الذم، وفيه بيان شدة الكفران للنعمة، كيف يكفر الإنسان نعمةً من نعم الله الظاهرة والباطنة التي لا تُعدُّ ولا تحصى، ففي هذا تشنيع للكنود بأنه كنود للرب الذي هو أحق أن يُعبد ويُشكر، وأعظم ذلك شرك المشركين. ³	في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ما دلالة التقديم والتأخير في الآية؟
التعريف في لفظ الإنسان تعريف الجنس وهو يفيد الاستغراق، أي طبع الإنسان الكنود لربه، فالإنسان لا يخلو من أحوال مآلها إلى كفران النعمة، بالقول والقصد، أو بالفعل والغفلة، فالإشراك كنود، والعصيان كنود، وقلة لحظ صرف النعمة فيما أعطيت كنود، وهذا الأمر متفاوت من شخص إلى آخر. ⁴	في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ علام يدل التعريف في لفظ "الإنسان"؟
قيل الضمير: يعود على الله - عز وجل -، أي أن الله - تعالى - يشهد على العبد بأنه كفور لنعمة.	في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٌ لَشَهِيدٌ﴾ إلام يعود الضمير في "وإنه"؟
وقيل: إنه عائد على الإنسان نفسه، أي أن الإنسان يشهد على نفسه بكفر نعمة الله - عز وجل -.	
والصواب أن الآية شاملة لهذا وهذا، فالله شهيد على ما في قلب ابن آدم، وشهيد على عمله، والإنسان أيضًا شهيد على نفسه، لكن قد يقرّ بهذه الشهادة في الدنيا، وقد لا يقرّ بما فيشهد على نفسه يوم القيامة. ⁵	
وفي كلا المعنيين زيادة في ذم المحجود، فكيف يجحد نعم الله - عز وجل - وهو شاهد بذلك ويطلب منه المزيد، ولا يستغني عن أبسط النعم، ألا يخشى زوالها؟	

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (467/8)، بتصرف

2 تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي (932)

3 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (30 / 504)، بتصرف

4 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (30/503)

5 تفسير العثيمين، جزء عم (293)

وفيها دلالة على وضوح جحود الإنسان لنعم ربه، واعترافه بذلك، سواء بالقول أو بالفعل، ومنها نسبة النعمة لغير الله - عز وجل - ونحوه. كما فيها وعيد وتهديد لهذا الإنسان إن لم يدفع هذا الطبع عنه ويشكر الله - عز وجل.

حب المال سبب لترك الحقوق الواجبة عليه؛ لأنه قَصَرَ نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة.¹ فوصف الله - سبحانه - الإنسان بكفران نعم ربه، وبخله بما آتاه من الخير، فلا هو شكور للنعم ولا محسن إلى خلقه، بل بخيل بشكره، بخيل بماله.²

ما دلالة التعقيب بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾؟

أحدهما: إنه لشديد المحبة للمال.

والثاني: إنه لحريص بخيل؛ من محبة المال، وكلاهما صحيح.³ وفي هذه الآية مذمة حب المال، وهو جبلة في الإنسان إلا من هدَّبه الإسلام،⁴ فليس حب المال مذموم في ذاته، إنما المبالغة فيه مما يجعل جمعه غاية، ويخلل بأداء حق المال من زكاة وصدقة ونحوه.

في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ في حب المال معنيان، ما هما؟

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَلُوا لَهُمْ وَأَوْلَدُكُمُ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28]، فالأموال فتنة لصاحبها ولكنها زينة ومرغوب فطري للإنسان، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَنِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46]. وسمى الله المال خيراً مع ما فيه من الفتنة؛ لأن الناس يرونه كذلك،⁵ وهذا يدعوننا إلى الحذر الشديد من الإفراط في حب المال والتعلق به وعدم أداء حق الله - عز وجل - فيه.

ما دلالة وصف المال بالخير مع ما قد يكون فيه من الفتنة؟

- التعرف على علامات الجحود ومنها الجزع عند زوال النعمة، وصرفها في معصية الله - عز وجل -، وردّ النعمة إلى الأسباب دون خالق الأسباب ومُجريها سبحانه.
- مجاهدة النفس وزجرها وردعها وتذكيرها بربها وبنعمه.
- التفكير في نعم الله علينا.

ما السبيل إلى تربية النفس وتنقيتها من جحد نعم الله عليها ونكران فضله من خلال هذه الآيات؟

1 تيسير الكريم الرحمن، تفسير السعدي (933)
 2 بدائع التفسير، ابن القيم (352)
 3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8 / 467)
 4 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (69/9)
 5 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (162 / 20)، بتصرف

- معرفة حقيقة الدنيا وقدرها عند الله - عز وجل - .
- التفكير في خطورة الجحود، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَسَاءَلَنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].
- العمل بوصية النبي - ﷺ - حيث قال: (انظروا إلى من أشغل منكم، ولا تنظروا إلى من هو قوفكم، فهو أجدر أن لا تزددوا نعمة الله).¹
- الاستعانة بالله على شكر نعمه والعمل بوصية النبي - ﷺ - لمعاذ - رضي الله عنه -، حيث قال: (إني لأحبك يا معاذ، فقلت: وأنا أحبك يا رسول الله، فقال رسول الله - ﷺ -: فلا تدع أن تقول في كل صلاة، رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).²
- تعويد اللسان على اللهج بذكر الله - عز وجل - وشكره.

- حثهم على التفكير في نعم الله - عز وجل - .
- نبين لهم أن الأسباب وسيلة وأنها تجري بقدر الله - عز وجل -، مثل أن نبين لهم أن الدواء ليس شفاء في ذاته، إنما هو سبب للشفاء، والله هو المنعم به.
- تعداد بعض من نعم الله - عز وجل - والتفكير في قدرة الله - عز وجل - على إزالتها ونائها.
- تبييهم إلى خطورة الجحود، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَسَاءَلَنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].
- أن نكون قدوة لهم في الشكر باللسان والعمل.
- ...

كيف نربي الأبناء على شكر الله - عز وجل -؟

حب المال أمر فطري في النفس البشرية، لكن شدة هذا الحب متفاوتة بين من استغنى عن الحاجة إلى العباد بالكفاف، وبين من طلب المزيد والأوسع والأكثر،³ وبين من زاده ماله قريباً من الله وطاعة له واعتراضاً بفضله وإكراماً لخلقته، فكان هذا المال سبباً للسعادة في الدنيا والآخرة، وبين من بخل وشح وجحد، فهذا لا ينال منه إلا الخسران والندامة في الدنيا والآخرة.

حب المال من الطبيعة البشرية، كيف أضبط هذا الحب وأنتفع به؟

معرفة حقيقة الدنيا وأن ختامها الموت، وأن أمامه حساباً شديداً سيسأل فيه عن ماله مرتين، من أين جاء به وكيف صرفه. تذكر أن الملك لله وأن المال لله، وأننا مستخلفون فيه، قال تعالى: ﴿عَامِنُونَ بِاللَّهِ

ما الأمور المعينة على التخلص من تعلق القلب بالمال والحب الشديد له؟

1 صحیح مسلم 2963

2 صحیح النسائي 1302

3 تفسير العليمين، جزء عم (293)، بتصرف

وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿الحدديد: 7﴾.

تذكر حديث النبي - ﷺ -: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم".¹

التنبه إلى أن المال فتنة والحذر من السقوط فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 16]، قدمت هذه الآية الداء والدواء.

تتبع أوجه صرف المال في رضا الله - عز وجل - بالزكاة والصدقة والهدية، في السر والعلن ما تيسر ذلك.

تلاوة

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَءَسًا فِي الْقُبُورِ ﴿١٥﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

9. ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَءَسًا فِي الْقُبُورِ﴾ أفلا يعلم هذا الإنسان المغتر بالحياة الدنيا إذا بعث الله ما في القبور من الأموات، وأخرجهم من الأرض للحساب والجزاء أن الأمر لم يكن كما كان يتوهم؟!
10. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ وأبرز وبيّن ما في القلوب من النيات والاعتقادات وغيرها.
11. ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ إن ربهم بهم في ذلك اليوم لخبير، لا يخفى عليه من أمر عباده شيء، وسيجازيهم على ذلك.²

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَءَسًا فِي الْقُبُورِ﴾؟	الاستفهام إنكاري، الغرض منه التهديد والوعيد، وتحريض للإنسان على التفكير والاعتبار، وتذكير له بأحوال يوم القيامة، فكيف يغفل عنها؟! ³

1 رواه البخاري (2887)

2 المختصر في التفسير (599)

3 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (506 /30) التفسير الوسيط، محمد سيد الطنطاوي (485 /15)

لأنَّ القبور أقرب إلى ذهن الإنسان، فهو أمر مشاهد ومصير حتمي للإنسان، وكذلك لأن دخوله بالموت يمثل نهاية وقت الاختبار بالشكر أو الكفر.

فهو أوقع في النفس.

كما أن كلمة بُعْثِرْ، تفيد تحقق وقوعه ويسره على الله - عز وجل -، كما تبرز مشهداً تصويرياً لهذه الحالة وهذا اليوم ما يكون أشد وقعاً على القلب الحي، قلب المؤمن.

ما مناسبة الحديث عن القبور دون مراحل أخرى من البعث، كالحساب وغيره؟

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: 4].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً﴾ [المعارج: 43].

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: 7].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: 4].¹

وكلها تدل على هول ذلك اليوم وشدة فرح الإنسان من وقع ما ينتظره بعد ذلك.

ورد وصف مشهد الخروج من المقابر في أكثر من آية، اذكر بعضها، وما دلالتها؟

مناسبة الآيتين بعضهما بعضاً أن بعثرة ما في القبور إخراج للأجساد من بواطن الأرض، وتحصيل ما في الصدور إخراج لما في الصدور، مما تكنه الصدور، فالبعثرة بعثرة ما في القبور عما تكنه الأرض، وهنا عما يكنه الصدر، والتناسب بينهما ظاهر.²

لأن كلاهما مما يخشاه الإنسان، يخشى من البعث يومها وكذلك يخشى من كشف ما في باطنه.

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ لما قبلها؟

نص على الصدور مع أن المراد القلوب؛ لأنها مناط العمل ومعقد النية،³ كما أن الصدر محل الوسوسة والخواطر.

في قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ما دلالة ذكر الصدور دون القلوب؟

خص الله أعمال القلوب بالذكر؛ لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلب فإنه لولا البواعث والإرادات في القلوب، لما حصلت أفعال الجوارح.⁴

لأن القلب حاكم على الجوارح سيد عليها، قال - ﷺ -: أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.⁵

خص الله - تعالى - في الآيات محاسبة القلوب على أعمالها دون ذكر أعمال الجوارح، ما دلالة ذلك؟

1 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (68/9)

2 تفسير العنبرين، جزء عم (294)

3 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (69/9)

4 التفسير المنير، وهبة الزحيلي (371/30)

5 صحيح البخاري 52

خص خبره بذلك اليوم مع أنه خبير بهم في كل وقت؛ لأن المراد بذلك الجزاء، بالأعمال الناشئة عن علم الله واطلاعه.¹ فهو محل بيان لا حصر، وفيه وعيد باطلاع الله - عز وجل - على الخبايا والنيات والظواهر والبواطن، ما يزيد في الردع والتهديد.

خص الله علمه بيوم القيامة بقوله: «إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ» مع علمه الشامل بأحوال الناس في الدنيا والآخرة، فعلام يدل ذلك؟

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (الخبير) الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها، فالخبير أخص من العليم؛ لأنه مشتق من خبر الشيء إذا أحاط بمعانيه ودخائله.²

ما مناسبة ختم الآية باسم الله الخبير دون العليم؟

- إصلاح القلب وتنقية السرائر.
- الخوف من الخبير سبحانه ما يكون رادعاً عن الوقوع في المعاصي والذنوب.
- الإحسان في عبادة الله - عز وجل -، قال عنه النبي - ﷺ -: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ".³
- معالجة أمراض القلوب والانتباه لها.
- اليقين بعدل الله - عز وجل - والرضا بقدره وشرعه.

ما أثر معرفتنا باسم الله الخبير؟

- القسم، وقد شمل تأكيداً على هذا الخلق العظيم وهو جحود النعم، كما شمل نموذجاً لمخلوق شاكر لنعم صاحبه عليه.
- بيّن المقطع الثاني قبح هذا الفعل، وخاصة مع علمه بجحوده، وحاجته إلى ربه، وفقره إليه، وطلبه المزيد، ومع شهادة الله على كفرانه.
- بيّن المقطع الثالث العلاج في تذكر الآخرة، وبروز الظواهر والبواطن، والوقوف بين يدي الله - عز وجل -.

كيف بينت لنا السورة القضية وعلاجها؟

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- أقسم الله - تعالى - بالخليل وضرب بها مثلاً للمؤمنين حتى لا تكون الخيول أفضل منهم، وقد فضّلهم الله بنعمة العقل والإدراك والتمييز.

1 تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي (933)

2 كتاب «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا»، عبد العزيز الجليل (392)

3 رواه البخاري (50)، ومسلم (9)

- هذه السورة فيها الحز على فعل الخير والعمل الصالح الذي ينفع الإنسان حين رجوع الخلائق إلى الله؛ للحساب والجزاء، والتهديد بالعقاب الشديد يوم القيامة.
- هذه السورة تُبَيِّنُ حقيقة وهي أن الإنسان كفور لربه ونعمه عليه، ويدفع الإنسان ذلك على قدر إيمانه وتعلقه بالله - عز وجل - وتفكره بالوقوف يوم الحساب.
- إن القلوب عليها مدار صلاح الإنسان وسعادته، فإذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله.
- بَيَّنَّتِ السورة أن الله - سبحانه وتعالى - عليم ببواطن البشر، فلا يخفى عليه منهم خافية.
- ختمت السورة بما يهز القلوب ويذكرها بيوم الحساب، فالله لا تخفى عليه خافية، وسيجازيهم بما عملوا.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- شكر الله - عز وجل - .
- المسارعة والمسابقة إلى الطاعات وأعمال البر.
- اغتنام أوقات البكور لما فيها من البركة.
- التفكير في نعم الله علينا، وشكره عليها، والحذر من جحودها.
- الإكثار من الصدقات، والبعد عن كثر المال.
- تذكر اليوم الآخر فنحن مردودون إلى ربنا محاسبون على أعمالنا ظاهرها وباطنها، جليلها وحقيقتها.
- تعاهد قلوبنا وتنقيتها، وتذكر يوم يحصل فيه ما فيها.
- الاهتمام بالخیل وتعلم ركوبها.
- الأخذ بالأسباب.

من الفوائد التربوية

- لفت الانتباه.
- التشبيه والإشارة والمقارنة.
- العتاب الجميل.
- التوجيه إلى علاج القضية، وليس فقط بسطها.
- قيمة الشجاعة والتضحية.
- أهمية الأخذ بالأسباب.
- غرس قيمة الشكر.

رسائل

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ كن مسارعًا للخيرات مستجيبًا لربك، فليست الخيل بأفطن منك.
 الداء ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، وعلّة ذلك ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، والدواء ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

101. سُورَةُ الْقَارِعَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تفرع القلوب من أولها إلى آخرها، تحدثنا عن القيامة وحقيقتها، وما يقع فيها وما تنتهي إليه. تحدثنا عن موازين يوم القيامة ومآلاته. هي سورة القارعة.

تهيئة:

تعريف السورة

اسم السورة:	تسمى «سورة القارعة» ولم يرد لها اسم غيره. ¹
نوع السورة:	مكية بالإجماع. ²
عدد آياتها:	ثماني آيات في البصري والشامي، وعشر في المدني والمكي، وإحدى عشرة في الكوفي. ³
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

إنها من المفصل، عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَشْجَعِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَعْطَيْتُ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطَّوَالَ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمَتِينَ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفَضَلْتُ بِالْمَفْصَلِ"⁴.

المناسبة بين سورة القارعة وسورة العاديات:

ختمت سورة العاديات بوصف يوم القيامة: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۗ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 9 - 11]، وأعقبها هذه السورة برمتها بالحديث عن القيامة ووصفها الرهيب وأهوالها المخيفة.⁵

المناسبة بين سورة القارعة وسورة التكاثر:

لما أثبت في سورة القارعة أمر الساعة، وذكر أهوال يوم القيامة، ودُكِّرَ الموازين،

1 التحريم والتنوير، الطاهر ابن عاشور (509/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد آي القرآن (ص: 285)

4 رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (469/3)

5 التفسير المنير، وهبة الزحيلي (374/30)

وَقَسَمَ النَّاسَ فِيهَا إِلَى فَرِيقَيْنِ، شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، وَخَتَمَ بِالشَّقِيِّ، افْتَتَحَ سُورَةَ التَّكْوِينِ بِعِلَّةِ الشَّقَاوَةِ، وَمَبْدَأَ الْحَشْرِ، لِيَنْزَجِرَ السَّامِعَ عَنِ السَّبَبِ؛ لِيَكُونَ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ.¹ ذَكَرَتِ الْقَارِعَةَ مَوَازِينَ الْأَعْمَالِ، وَمَالَ مِنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ وَمَنْ خَفَتْ، ذَمَّتْ سُورَةَ التَّكْوِينِ مِنْ انْشَغَلٍ عَنِ هَذَا الْمَوْقِفِ، وَلَمْ يَسْجَعْ لِانْتِقَالِ مَوَازِينِهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

مقصد السورة: قرع القلوب؛ لاستحضار هول القيامة،² والحساب والمصير.

موضوعات السورة: من الآية (1) إلى الآية (5): إثبات وقوع البعث وأهواله. من الآية (6) إلى الآية (11): وزن الأعمال وتمييز الفريقين في العمل والجزاء.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿الْقَارِعَةُ﴾ الساعة التي تفرع قلوب الناس؛ لعظم هولها.
2. ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ ما هذه الساعة التي تفرع قلوب الناس؛ لعظم هولها؟!.
3. ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هذه الساعة التي تفرع قلوب الناس؛ لعظم هولها؟! إنما يوم القيامة.³

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<ul style="list-style-type: none"> • القرع: هو الضرب بشدة واعتماد، بحيث يحصل منه صوت شديد.⁴ • القارعة من أسماء يوم القيامة وتُمَيِّت به؛ لأنها تفرع القلوب والأسماع بفنون الأنواع والأهوال، وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال.⁵ 	<p>ما القرع، وما دلالة تسمية يوم القيامة بهذا الاسم؟</p>

1 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (319/9)

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (600/1)

3 المختصر في التفسير (600)

4 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (192/9)

5 المرجع السابق

<p>علام يدل افتتاح السورة بلفظ القارعة افتتاح مهوّل، وفيه تشويق إلى معرفة ما سيخبر به بعده.¹</p>	<p>علام يدل افتتاح السورة بلفظ ﴿الْقَارِعَةُ﴾؟</p>
<p>فيه دلالة على شدة التهويل والترويع، والتعظيم من حالها،² وفيه تنبيه النفوس إلى ما يكون فيها من شدائد تفرغ لها القلوب فرغاً لا تحيط العبارة بتصويره، ولا تستطيع العقول إدراكه.³</p>	<p>ما دلالة تكرار لفظ القارعة والاستفهام عنه في قوله تعالى: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾؟</p>
<p>عبر بالماضي تأكيداً لهولها وفضاعتها؛ لأنها أكبر من أن يحيط بها الإدراك، ولا يمكن تصورها، ونظير هذه الآية قوله: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 1-3].⁴</p>	<p>جاء التعبير في قوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ بصيغة الماضي، فما دلالة ذلك؟</p>
<p>الحاقة؛ لتحقق وقوعها، قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1]. الواقعة؛ لصدق وقوعها، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1]. الطامة؛ لأنها تطم وتعمم بأحوالها: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: 34]. الأزفة؛ لقرب وقوعها، قال تعالى: ﴿أَرْزَقْتِ الْأَرْزَقَةَ﴾ [النجم: 57]. وتعدد أسماء يوم القيامة يدل على عظيم المسمى وعظم خطره.⁵</p>	<p>تعددت أسماء القيامة في القرآن، اذكر شواهد على ذلك، ودلالة كل اسم على معناه الخاص به.</p>
<p>افتتحت السورة بالتهويل الشديد:</p>	
<ul style="list-style-type: none"> • وهي الابتداء باسم القارعة، المؤذن بأمر عظيم. • والاستفهام المستعمل في التهويل ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾. • والإظهار في مقام الإضمار أول مرة ﴿وَمَا الْقَارِعَةُ﴾. • والاستفهام عما ينبئ بكنهه القارعة ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾. • والإظهار في مقام الإضمار ثاني مرة ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾. • والتوقيت بزمان مجهول حصوله. • وتعريف ذلك الوقت بأحوال مهولة. <p>كل السورة تنبيه للإنسان من غفلته عن ذلك اليوم، فناسب افتتاح السورة بالتهويل وختمها بالتهويل لعلها تردع قلوباً لاهية.</p>	<p>افتتحت السورة بأساليب عدة للتهويل، اذكرها، وما مناسبتها للسورة؟</p>

1 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (509/30)

2 أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري (608/5)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (488/15)، بتصرف

4 محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي (531/9)، بتصرف

5 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (71/9)

- الشعور بالخوف والرغبة من يوم القيامة وما فيه من أهوال.
- غفلة قلوبنا وتراكم الذنوب عليها وحاجتها إلى القرع الشديد؛ لحصول التوبة والأثر الذي تركه ذلك في نفسك؟
- استشعار رحمة الله - عز وجل - بنا بتنبهنا من الغفلة، وتذكيرنا بذلك اليوم العظيم المؤكد وقوعه.

تلاوة

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥
فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨
فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ وَنَارٌ حَامِيَةٌ ١١ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

4. ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ يوم تفرع قلوب الناس يكونون كالفرش المبعثر المتناثر هنا وهناك.
5. ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ وتكون الجبال مثل الصوف المندوف في خفة سيرها وحركتها.
6. ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ فأما من رجحت أعماله الصالحة على أعماله السيئة.
7. ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ فهو في عيشة مرضية ينالها في الجنة.
8. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ وأما من رجحت أعماله السيئة على أعماله الصالحة.
9. ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فمسكنه ومستقره يوم القيامة هو جهنم.
10. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هي؟!
11. ﴿وَنَارٌ حَامِيَةٌ﴾ هي نار شديدة الحرارة.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
ما مناسبة ذكر أحوال الناس والجبال والفرش يوم القيامة في سورة القارعة؟	ما مناسبة ذكر أحوال الناس والجبال والفرش يوم القيامة في سورة القارعة؟

1 المختصر في التفسير (600)

2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنيطي (71 / 9)

يدل هذا التشبيه على شدة الفزع والهول يوم القيامة، الفراش في الليل يموج بعضها ببعض لا تدري أين تتوجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها؛ لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول،¹ ووجه الشبه: الكثرة والانتشار والضعف والاضطراب والحيرة.²

شبهه الله - سبحانه وتعالى -
الناس يوم القيامة بالفراش
المبثوث، فما وجه الشبه
بينهما؟

وهذا شبه ما كانوا عليه من ضلال في هذه الحياة الدنيا، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مثلي كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبهن فيتقمحن فيها، قال فذلکم مثلي ومثلکم، أنا آخذ بحجزکم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار فتغلبوني تقمحنون فيها».³

التكرير في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير، وفيه إشارة إلى اختلاف الكونين فإن أولهما كون إيجاب، والثاني كون اضمحلال، وكلاهما علامة على زوال عالم وظهور عالم آخر.⁴

في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾
ما دلالة تكرار ﴿تَكُونُ﴾ في
الآية؟

أصل معنى العهن في اللغة: الصوف ذو الألوان المتعددة، ولأن الجبال مختلفة الألوان بحجارتها ونبتها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ﴾ [فاطر: 27]، والمنفوش: هو المفرق بعض أجزائه عن بعض، ووجه الشبه تفرق الأجزاء.⁵

علام يدل تشبيه حال الجبال
بالعهن يوم القيامة؟ وما
مناسبة هذا التشبيه للسورة؟

في هذا التشبيه دلالة على أن شدة أهوال القيامة تفكك ترابط الجبال، وتحوّلها إلى هباء كالعهن المنفوش.⁶

وهذا التشبيه مناسب للسورة، إذ يبين تغير الموازين، فالجبال الضخمة الثقيلة تتحول إلى مثل الصوف المندوف، فأبي الموازين تثبت وتنقل سوى ما شاء الله - عز وجل - وتقبله من أعمال صالحة.

ذكر القرآن الكريم أحوالاً مختلفة للجبال نذكر منها:

- اهتزاز الجبال حتى تصبح كالكتبان المتراكمة، قال تعالى: ﴿يَسَوْمُ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: 14].
- قلع الجبال ودكها، ﴿وَمُحِلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: 14].

أذكر أحوال الجبال يوم
القيامة، مستشهدًا بالآيات.

1 تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص: 933)، بتصرف
2 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (22/ 222)، بتصرف
3 صحيح مسلم 2284 (4/ 1789)
4 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (30/ 513)
5 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (30/ 512)
6 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنيطي (71/ 9)، بتصرف

- تسيير الجبال، ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: 10].
- تصبح فيها الجبال كالغبار المتفرق، ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا﴾ [الواقعة: 5 - 6].
- تكون الجبال فيها كالعهن المنفوش أي كالصوف المندوف المتطاير في الريح الشديدة، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [سورة القارعة: 5].
- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: 9].
- نسفها حتى تصبح الأرض مستوية لا أثر للجبال فيها، ﴿وَيُسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: 105 - 107].
- وهكذا تتلاشي الجبال ولا يبقى منها إلا شبح كشبح سراب في صحراء قفر، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [سورة النبأ: 20].

- خشية الله، واستشعار عظمته وقدرته.
- هوان الدنيا وعلو الآخرة.
- الاستعداد لهذا اليوم الذي تتغير فيه الموازين.
- الحذر من الوقوع في المعاصي فهي سبب لزوال الأمن يوم القيامة.
- يبحث على الاستعداد لهذا اليوم العظيم وأهواله بالتزود من الأعمال الصالحة.

ما أثر ذكر أوصاف يوم القيامة وأهواله في النفوس؟

- من الأعمال التي تؤمن صاحبها يوم القيامة:
- تحقيق التوحيد، وهو من أعظم أسباب الأمن يوم القيامة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82].

- الشهادة في سبيل الله، روى الترمذي - رحمه الله تعالى - عن النبي - ﷺ - قال: (للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشفع في سبعين من أقاربه).¹

اذكر بعضًا من الأعمال التي يأمن أصحابها يوم القيامة؟

- المرابط في سبيل الله، فإنه يؤمن من الفزع أيضًا، قال النبي - ﷺ -: (رباطٌ شهرٍ خيرٌ من صيامِ دهرٍ، ومن مات مرابطًا في سبيلِ الله آمنَ منَ الفزعِ الأكبرِ، وغُدِيَ عليه برزقه، وريحٌ منَ الجنةِ، ويجري عليه أجرُ المرابطِ، حتى يبعثَهُ اللهُ).²

1 تخريج مشكاة المصابيح 3757، أخرجه الترمذي 1663
2 صحيح الترغيب 3479

- الاستقامة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأحقاف: 13].
- التحلي بصفات السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ قال: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».¹
- خشية الله - عز وجل - والخوف من عقابه، عن شداد بن أوس عن النبي - ﷺ - قال: قال الله - عز وجل - : وَعِزِّي لَا أَجْمَعُ لِعِبْدِي أَمْنَيْنِ وَلَا حَوْفَيْنِ، إِنَّ هُوَ أَمْنِي فِي الدُّنْيَا أَحْفَنُهُ يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِي، وَإِنْ هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِي“.²
- كثرة الذكر والاستغفار، ودعاء الله - تعالى - أن يؤمننا يوم الفرع الأكبر.
- العمل الصالح وعدم ظلم الناس.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ما مناسبة الآية لما قبلها؟

لما وصف الله - تعالى - أحوال يوم القيامة، بين أقسام الناس في ذلك اليوم، فبيّن أحوال السعداء والأشقياء فيه.³

في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جاءت الموازين على صيغة الجمع، فعلام يدل ذلك؟

جمعت الموازين للإنسان لما كانت له موزونات كثيرة متغايرة، وثقل هذا الميزان بالإيمان والأعمال، وخفته بعدمها وقتلتها.⁴

ذكر الميزان في القرآن في عدة مواضع، اذكر بعضاً منها.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: 47].
قال تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8].

1 رواه البخاري (660)، ومسلم (1301)

2 السلسلة الصحيحة للألباني 742

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (490/15)

4 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (517/5)

توزن الأعمال نفسها لقوله -ﷺ: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".¹ العامل نفسه، لقوله -ﷺ: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْدَلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا) [الكهف: 105]".² توزن صحائف الأعمال، كما في حديث البطاقة الذي جاء في نهايته «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة». ³ وتقل هذا الميزان هو بالإيمان والأعمال، وخفته بعدمها وقتلتها.

ما الذي يوزن في الميزان يوم القيامة كما دلت على ذلك النصوص؟

قول «لا إله إلا الله» وهي أثقل شيء في الميزان كما جاء في حديث البطاقة. قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم؛ لقوله -ﷺ: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".⁴ المحافظة على الأذكار بعد الصلوات المفروضة وقبل النوم، كما جاء في الحديث: «خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبداً مسلماً، إلا دخل الجنة، هما يسيرٌ، ومن يعمل بما قليل، يُسَبِّحُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَبِحَمْدِ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةٌ فِي الْمِيزَانِ، وَأَيْكُم يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةِ سَيِّئَةٍ، يُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَبِحَمْدِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَعْقِدُهَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ (هَما يسيرٌ، ومن يعملُ بما قليلٌ)؟ قال: (يأتي أحدكم (يعني) الشيطانُ في منامه، فيُؤَمِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا، وَيَأْتِيهِ فِي صَلَاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةً قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا».⁵ مكارم الأخلاق، كما في الحديث أن النبي -ﷺ- قال: "ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق".⁶

اذكر بعضاً من الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة.

للدلالة على أنها عيشة قد رضيها صاحبها في الجنة، فهي سبب الرضى أو زمان الرضى. وكلمة العيشة جامعة لنعيم الجنة وأسباب النعيم، ووصفها براضية فهي طائعة لينة لأصحاب الجنة، فتتفجر لهم الأنهار طواعية، وتدنو الثمار طواعية، كما

في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ما دلالة وصف العيشة بأنها راضية؟

- 1 رواه البخاري (6406)، ومسلم (2694)
- 2 رواه البخاري (4729)، ومسلم (2785)
- 3 رواه الترمذي (2639)، وقال الألباني إسناده صحيح
- 4 رواه البخاري (6406)، ومسلم (2694)
- 5 رواه أبو داود (5065)، والترمذي (3410)، وصححه الألباني (5065)
- 6 رواه أبو داود (4799)، والترمذي (2002)، وصححه الألباني (4799)

في قوله تعالى: ﴿فَطُوفُهَا دَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 23].¹
كما تدل على كمال رضا المؤمن من دخول الجنة ونعيمها، فلا سخط ولا كدر
ولا حزن ولا ألم.

قيل: المراد بأمه مأواه وهي النار، والهاوية من أسمائها، فتكون كالأم تقوي ولدها
وتضمه. وقيل: أمه رأسه وإن هاوية من الهوي، فيلقى في النار منكسًا رأسه يهوي
فيها. ولا مانع من إرادة المعنيين.²
وفي هذا اللفظ إخبار عنه بالشقاء وسوء الحال، فمصيره إلى النار وأمه هي النار،
وسماها أمه؛ لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه فتكون له بمنزلة الأم الملازمة.³

في قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾
اختلف في المراد بالأم في
الآية على أقوال، فما هي؟
وما دلالة هذا التعبير؟

مجيء وصف ﴿هاوية﴾ دون أوصاف النار الأخرى؛ لأن هاوية أي نار نازلة سافلة
جدًا، فهو لا يزال يهوي فيها نازلًا، ففيها دلالة على عمق جهنم وبعد قعرها،
وفيها دلالة على عيشة ساخطة لصاحبها.⁴
فلا يزال يهوي في مستنقع الشرك والمعاصي حتى تهوي به في نار جهنم، نسأل الله
السلامة.

ما دلالة مجيء وصف
﴿هاوية﴾ دون غيرها من
الأوصاف؟

تعظيم لأمر النار،⁵ وتحويل بخروجها عن الحدود المعهودة.⁶
وهاء السكت - لمن قرأ بها - إشارة إلى أن ذكرها مما يكرب القلب، حتى لا
يقدر على الاسترسال في الكلام، أو إلى أنها مما ينبغي للسامع أن يقرع بهذا
الاستفهام عنها سمعه فيسكت؛ لسماع الجواب وفهمه غاية السكوت، ويصغي
غاية الإصغاء.⁷

علام يدل الاستفهام في
قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ؟﴾

ليدل على أنها نار شديدة الحرارة قد زادت حرارتها عن حرارة نار الدنيا سبعين
ضعفًا.⁸
ووصفها بهذه الصفة من قبيل التوكيد اللفظي؛ لأنَّ النار لا تخلو عن الحمى، وزيادة
في تمكين الوصف في الذهن.

في قوله تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾
نعلم أن النار حامية، فما
مناسبة وصفها بهذه الصفة؟

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (514/30)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (73/9)
2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (74/9)، باختصار
3 فتح القدير، الشوكاني (595/5)
4 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (223/22)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (75/9)
5 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (933)
6 إرشاد العقل السليم، أبو السعود أفندي (194/9)
7 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (224/22)
8 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (933)

-الابتعاد عما يوجب غضب الله - تعالى - وعذابه من أقوال وأفعال.
-الإكثار والتزود بالأعمال الصالحة الموجبة لرحمة الله.
-دعاء الله - تبارك وتعالى - وسؤاله السلامة، والفوز بالجنة والنجاة من النار.
نستعيذ من النار وحرها بالأدعية الواردة عن النبي - ﷺ - في ذلك.

ما وسائل النجاة من هذه
النار الحامية؟

كان رسول الله - ﷺ - يدعو: ”اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال“¹.
اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول وعمل.²

اذكر بعض الأدعية الواردة
في الاستعاذة من النار.

رحمة الله أن جعل ما يثقل ميزاننا الكلمة الطيبة والخلق الحسن والذكر اليسير، حتى لا يشق علينا، فما حالنا مع ذلك كله؟

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صورة صادقة لها.
- التحذير من أهوال يوم القيامة وعذاب الله - تعالى - فيها.
- تقرير عقيدة وزن الأعمال صالحها وفاسدها وترتيب الجزاء عليها.
- تقرير أنّ الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وفريق في السعير.³

خلاصة الأعمال التطبيقية

- التفكُّر في هوان الدنيا وزوالها، فلا نركن إليها ونشغل بما.
- التفكُّر في أهوال يوم القيامة، والتجهز لها بما يؤمننا فيها.
- المحافظة على أورايد الصلوات وذكر الله - عز وجل -.
- التخلُّق بالخلق الحسن.
- تدكُّر الموازين والسعي إلى إنقاذها، والحذر مما يخففها من معاصٍ وآثام.
- أن نكثر من الأعمال التي تثقل الميزان وتنجيننا من النار.
- أن نستعيذ من النار، ونبتعد عن الأعمال التي توصل إليها.

1 رواه البخاري (1377)، ومسلم (588)

2 رواه مسلم (2716)

3 أيسر التفاسير، الجزائري (5/ 609)

من الفوائد التربوية

- أسلوب التهيب.
- تنبيه الغافل.
- غرس قيمة المسؤولية الفردية.
- علاج للتهاون.

رسائل

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ العيشة الراضية كلمة تجمع كل أنواع النعيم والمتع واللذات في الجنة، فأَيُّ فضل هذا!
 ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ثَقُلَ موازينك بالطاعات، وإياك أن تَفْلِسَ بانتهاك
 الحرمات.
 ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿﴾ فَصَلَّتْ نار الآخرة على نار الدنيا بتسع وستين جزءاً كلهن مثل حرها
 فهل من متعظ!؟

102. سُورَةُ التَّكَاثُرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة توقظ من الغفلة، وتنبه إلى خطورة الخطأ في ترتيب أولويات الإنسان، تحذره من الاغترار بالدنيا وزينتها، تطرح قضايا وعلاجها. هي سورة التكاثر.

تهيئة:

تعريف السورة

تسمى «سورة التكاثر» هكذا جاءت تسميتها في المصاحف وكتب التفسير، وسُميت في بعض المصاحف سورة «ألهاكم» وكذلك ترجمها البخاري، وتُسمى «المقبرة» لورود لفظ (المقابر) فيها.¹

اسم السورة:

مكية.²

نوع السورة:

ثماني آيات عند الجميع، ليس فيها اختلاف.³

عدد آياتها:

قال مقاتل والكلبي: نزلت في حَيِّينَ من قُرَيْشٍ: بني عبد مناف وبني سهم، كان بينهما لجأء، فتعانَد السادة والأشراف أيهما أكثر، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيِّدًا وأعزُّ عزيزًا وأعظم نفراً، وقال بنو سهم مثل ذلك، فَكَتَرَهُمْ بنو عبد مناف، ثم قالوا: نَعُدُّ موتانا حتى زاروا القبور، فعَدُّوا موتاهم فَكَتَرَهُمْ بنو سَهْمٍ؛ لأنهم كانوا أكثر عددًا في الجاهلية.

سبب نزولها:

وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً،⁴ فنزل قوله تعالى: ﴿أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿﴾ [التكاثر: 1-2].

عن مُطَرِّفٍ عن أبيه قال: «أُتيت النبي -ﷺ- وهو يقرأ: ﴿أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿﴾ قال: يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك

فضل السورة والآثار

الواردة فيها:

1 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (517/30)

2 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (518/30)

3 البيان في عدّ آي القرآن، (ص: 286)

4 أسباب النزول، ت: الحميدان، (ص: 464)

إِلا مَا أَكَلْتُمْ فَأَقْتَنَيْتُمْ، أَوْ لَبِستُمْ فَأَبْلَيْتُمْ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ فَأَمْضَيْتُمْ»¹.

المناسبة بينها وبين سورة القارعة:

لما أثبت في سورة القارعة أمر الساعة، وذكر أهوال يوم القيامة، فذمَّ اللاهين والمنشغلين عنها، وقسَّم الناس فيها إلى فريقين، شقي وسعيد، وختم بالشقي، افتتح هذه السورة بعلَّة الشقاوة، ومبدأ الحشر؛ لينزجر السامع عن السبب؛ ليكون من القسم الأول.²

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بينها وبين سورة العصر:

لما ذكر في هذه السورة تهالك الناس على حطام الدنيا الفاني، وتحافتهم على الانشغال بها عن الآخرة دار البقاء، كان ذلك مناسبًا؛ لتهيئة المؤمنين بما يحقق لهم السعادة والصلاح، فكان التذكير بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالخير والصبر كعلامات لفلاح المؤمن ونجاحه وبعده عن الخسران والهلاك، وهذا ما جاءت به سورة العصر.³

مناسبة السورة لما بعدها:

تذكير المنشغلين بالدنيا بالموت والحساب.⁴

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (2): توبيخ الإنسان على انشغاله بالدنيا حتى أدركه الموت.
من الآية (3) إلى الآية (8): الإنذار برؤية العذاب والسؤال عن الأعمال.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكْوِيْنَ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

- ﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكْوِيْنَ﴾ شغلکم - أيها الناس - التفاخر بالأموال والأولاد عن طاعة الله.
- ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حَتَّىٰ مَتُّمٌ ودخلتم قبورکم.⁵

1 أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد، رقم الحديث: (5258)

2 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (319/9)

3 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (320/9)

4 المختصر في التفسير (600)

5 المختصر في التفسير (600)

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
توبيخ الله - عز وجل - عباده على اشتغالهم بالدنيا عن معرفة ربهم وعبادته وحده لا شريك له، ¹ فهو خير (معلوم) أريد به التذكير والتوبيخ واللوم. ²	ما دلالة افتتاح السورة بالخبر في قوله تعالى: ﴿أَهْلَاكُمْ؟﴾
التعبير باللهو هو أبلغ في الذم؛ لأن اللهو مرتبط بالقلب، فهو ذهول القلب وإعراضه، والشغل مرتبط بالجوارح، ³ فكم من منشغل بالجوارح وقلبه معلق بالله - عز وجل - واللسان يذكره، وكم من عابد قلبه مشغول بالدنيا.	عبر باللهو دون الانشغال، فما دلالة ذلك؟
عمّا أماننا من الآخرة والدين الحق، وعن ذكر ربنا، وعن كل ما ينجينا من سخطه. عن المنافسة في الأعمال الموصلة إلى أعلى الدرجات بكثرة الطاعات. ⁴	في قوله تعالى: ﴿أَهْلَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ عمّ يهلي التكاثر؟
ترك ذكر المتكاثر به لسببين: • إما لأن المذموم هو التكاثر بالشيء نفسه لا المتكاثر به. • أو أنه أطلقه؛ ليكون أبلغ فيشمل كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، وليس الغرض منه الإخلاص لله - عز وجل -. ⁵	في قوله تعالى: ﴿أَهْلَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ علام يدل عدم ذكر المتكاثر به؟
الفاعل هو التكاثر والمفعول به هو الإنسان، وفي ذلك إشارة إلى ضعف الإنسان أمام شهوات الدنيا، وترك نفسه لهواها. فهل أرضى أن أكون مفعولاً به؟ يفعل بي التكاثر ما يشاء!	من الفاعل ومن المفعول به في قوله تعالى: ﴿أَهْلَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾؟ وما دلالة ذلك؟
حتى حرف غاية، أي: أهلكم التكاثر إلى غاية معينة، وهي إلى أن زرتم المقابر، ⁶ وفيها معنى أنكم استغرقتم في ملذّات الدنيا، فلم تفيقوا إلا وأنتم في قبوركم. فهلاً انتبهنا قبل فوات الأوان!	في قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ما الذي يدل عليه حرف "حتى" في الآية؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (934)

2 التفسير المنير، وهبة الزحيلي (383/30)

3 بدائع التفسير، ابن القيم (354/3)

4 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (226 /22)

5 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (76 /9)

6 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (519/30)

دلّت هذه التسمية أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية؛ لذا سماهم بالزائرين ولم يسمّهم بالمقيمين، وفي ذلك دلالة على البعث والجزاء بالأعمال.¹
وفي هذا دليل - أيضاً - على صحة القول بعذاب القبر؛ لأن الله - تعالى ذكّر -،
أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر، أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا
القبور وعياداً منه لهم وتهديداً.²
وقد ورد عن ميمون بن مهران قال: «كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقراً:
(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى رُزُّمُ الْمَقَابِرِ) فلبث هنيهة، ثم قال: يا ميمون، ما أرى
المقابر إلا زيارة، وما للزائر بدّ من أن يرجع إلى منزله».³

سمى الله - سبحانه وتعالى -
من في القبور بالزائرين فما
دلالة ذلك؟

في قوله تعالى: ﴿حَتَّى رُزُّمُ
الْمَقَابِرِ﴾ عبر بصيغة الماضي
في الفعل "رزم"، فما مناسبة
ذلك؟

ورد معنى آخر لزيارة المقابر وهو على معناه الحقيقي بزيارة الحي للمقبرة، ورؤية
القبور ومنازل الموتى، وفي ذلك تريق للقلب وتنبه من غفلة الانشغال بالدنيا ومن
طول الأمل، وجاء في نحو ما ذكرناه قوله - ﷺ -: «كنت نهيتمكم عن زيارة القبور
ألا فزوروها؛ فإنها تُرِقُّ القلب، وتُدْمِعُ العين، وتُدَكِّرُ الآخرة ولا تقولوا: هجرًا».⁵
وقال - ﷺ -: «أكثرنا من ذكر هادم اللذات»⁶ وهو الموت.
وقيل كفى بالموت واعظاً، فالموت يذكر الغافل بموان الدنيا وسرعة زوالها، وقصر
الأمل، وقرب انتقاله إلى دار الحساب والجزاء، فينبه كل من كان له قلب حي،
مؤمناً بالبعث والحساب.
فهلّا انتبهنا قبل فوات الأوان!

ورد معنى آخر لزيارة المقابر
في السورة وهو معناه
الحقيقي، ووردت شواهد
عليه من السنة، وضح ذلك
مع ذكر الشواهد.

قال تعالى ﴿فَوَقَلْنَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا وَخَاقٍ بِقَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
الْعَذَابِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر: 45 - 46].
قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب

عذاب القبر مما يُثَار
التشكيك فيه، اذكر شاهداً
على إثباته من القرآن
والسنة؟

- 1 تفسير الكريم الرحمن، السعدي (934)
- 2 تفسير جامع البيان، الطبري (580/24)
- 3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط: العلمية (452/8)
- 4 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (520/30)
- 5 صحيح الجامع الصغير وزيادة (841/2)
- 6 إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل (145/3)

البرزخ في القبور.¹

وفي الحديث، عن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ يهودية دخلت عليها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله - ﷺ - عن عذاب القبر؟ فقال: "نعم عذاب القبر حق". قالت عائشة: فما رأيت رسول الله - ﷺ - بعدها صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.²

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].
قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَمَكَامِرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - ﷺ -: "يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان: الحرص وطول الأمل"³.

حذرت الآيات من التكاثر من الأموال والأولاد، اذكر شواهد أخرى تدل على ذلك.

- التكاثر في الأموال والأموال.
- التكاثر في المساكن من غير السكن فيها.
- التكاثر في أصناف المأكول والمشرب والملبس وخاصة في المناسبات، وما يحدث فيها من إسراف.
- التكاثر في الدرجات العلمية والمناصب دون النظر فيما يقدمه من نفع للآخرين.
- التكاثر في تحصيل الشهادات والإجازات في العلم الشرعي دون الاهتمام بتحصيل ثمرة هذا العلم وهو العمل والخشية.
- التكاثر من الأصحاب والمتابعين على وسائل التواصل.

اذكر بعض صور التكاثر المذموم المنتشرة في وقتنا الحالي.

- التفكير في الغاية من خلقنا ووظيفتنا على هذه الأرض.
- تذكر الآخرة ومنازلها - القبر وقبلة الموت -.
- الاعتبار بموت الفجأة وموت الصغير والكبير والصحيح والسقيم.
- تدبر القرآن الكريم.
- الاكثار من ذكر الله - عز وجل -، فهو من أهم موانع الغفلة.
- تذكر العدو المتربص بنا، والغفلة من أهم أبوابه.

ما الوسائل المعينة على التخلص من داء التكاثر؟

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (146/7)
2 أخرجه البخاري (1372)
3 أخرجه البخاري (6421)، ومسلم (1047)

- حضور مجالس الذكر، والبعد عن مجالس اللهو والغفلة.
- من تفكّر في نعيم الجنة زهد في كل ملذات الدنيا، ومن تفكّر في عذاب جهنم ما تمتع بشيء من الدنيا.
- السعي لملء وقت الفراغ بالعمل الصالح.
- التخطيط اليومي.
- الصحبة الصالحة، والبعد عن أصدقاء السوء.
- ...

من أشرب حب الدنيا قلبه واللهث خلفها، أتعبته في جسده، وأسهرت ليله، وأقصّت مضجعه، وليس له إلا ما كتب الله له، أشغلته عن الآخرة ولم تسعده في دنياه.

اللهمّ اقسّم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك وما تبغنا به جنتك، ومن البقير ما يهون علينا مصيبات الدنيا، ومبغنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصُرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر ههنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.¹

ولا يقصد هنا الزهد في الدنيا بترك ما أحل الله - عز وجل -، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32].

إنما المذموم شغل القلب بما عن طاعة الله - عز وجل - وما يرضيه.

هل يسعد طالب الدنيا
واللاهث خلفها بنيلها؟

تلاوة

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْبَاقِينَ ﴿٣﴾
لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٤﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٦﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

3. ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما كان لكم أن يشغلكم التفاخر بما عن طاعة الله، سوف تعلمون عاقبة ذلك الانشغال.

4. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثم سوف تعلمون عاقبته.

5. ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ حقًا لو أنكم تعلمون يقينًا أنكم مبعوثون إلى الله، وأنه سيجازيكم على أعمالكم، لما انشغلتم بالتفاخر بالأموال والأولاد.
6. ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ والله لتشاهدنَّ النار يوم القيامة.
7. ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ثم لتشاهدنَّها مشاهدة يقين لا شك فيه.
8. ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ثم ليسألنكم الله في ذلك اليوم عما أنعم به عليكم من الصحة والغنى وغيرهما.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة ذكر الوعيد في هذه الآيات؟	زجر وردع عن التلهي والتكاثر، ² وفيه تنبيه من غفلة المتكاثر.
ما دلالة تكرار قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؟	تكرار ﴿كَلَّا﴾ زيادة في الردع والزجر، ³ وفي إعادة الزجر مرة ثالثة زيادة في إبطال ما هم عليه من اللهو والانكباب على الدنيا. ⁴ تكرار ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ لتأكيد حصول العلم، وقيل: إنه لا تكرار، إن الأولى في القبر، والثانية يوم القيامة، واستدل به بعضهم على عذاب القبر. ⁵
ما دلالة إضافة العلم إلى اليقين في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾؟ وما الهداية المستفادة منها؟	لو علم العبد ما أمامه علمًا يصل إلى قلبه، لما أهأه التكاثر، ولبادر إلى الأعمال الصالحة. ⁶ ويستفاد منها أن العلم بالله يدفع إلى المبادرة بالأعمال الصالحة، فلنستكثر من العلم. فلو قر الإيمان في القلب لصدقه العمل، ذلك أن القلب ملك والجوارح جنوده تتبعه حيث ما مال مالت.
ما مراتب اليقين؟	مراتب اليقين ثلاث، وتسمى كذلك مراتب العلم: المرتبة الأولى: علم اليقين، وهي أدنى مراتب اليقين، وهي العلم الذي يحصل للقلب، بواسطة الدلائل والقرائن والبراهين.

1 المختصر في التفسير (600)

2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (81/9)، بتصرف

3 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (172/20)

4 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (521/30)، بتصرف

5 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (81/9)

6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 934)، بتصرف

المرتبة الثانية: عين اليقين، وهي المرتبة الوسطى، وهي العلم الذي يحصل للقلب بواسطة الرؤية والمشاهدة بالعين، واعلم أن بين هذه المرتبة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة، فعلم اليقين للسمع، وعين اليقين للبصر، وهذا الذي يحصل عند الغرغرة برؤية الملائكة، وعندها يغلق باب التوبة.

المرتبة الثالثة: حق اليقين وهي أعلى درجات اليقين، وهي العلم الذي يصل إلى القلب بواسطة ملابسة الشيء ومخالطته، أي: مباشرة الشيء، وملاسته، والدخول فيه، والإحساس به؛ لأن القلب يباشر الإيمان به ومخالطه - كما يباشر الحواس ما يتعلق بها - فحينئذٍ يُخالط بشاشته القلوب، فتصل مرتبة اليقين به إلى أقوى مراتبه، وهي: حق اليقين، وهي أعلى مراتب الإيمان.

مثال حول الإيمان بالبعث:

المرتبة الأولى: علم اليقين، إيمان بالبعث غيباً، وهو إيمان دلّت عليه القرائن والبراهين بما لا يدع مجالاً للشك.

المرتبة الثانية: عين اليقين، رؤية الملائكة وملك الموت، فهنا رأى ملك الموت، وبتّثر بالغضب أو الرضوان.

المرتبة الثالثة: حق اليقين، دخول الجنة والتنعّم فيها، ونسأل الله أن نكون من أهلها.

ما دلالة التوكيد في قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾؟

تأكيد هذه الحقيقة وتعميق وقعها الرهيب في القلوب، وكذلك تأكيد الوعيد وتشديد التهديد،¹ بدلالة التوكيد باللام والقسم ونون التوكيد.

في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هل يستلزم رؤية النار دخولها؟ اذكر شاهداً على ذلك.

لا يستلزم رؤية النار دخولها، فإنّ أهل الموقف يرونها، ويشاهدونها عياناً، وقد أقسم الرب - تبارك وتعالى - أنه لا بد أن يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم،² قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: 71].

في الآيات تأكيد على رؤيتنا للجهنم يوم القيامة ومطالعة أهوالها، فما أثر ذلك فينا؟

- استشعار عظم الموقف والخوف منه، فرؤية النار التي يؤتى بها تجرُّ بسبعين ألف زمام، كل زمام يجره سبعون ألف ملك، يدفعنا إلى الانشغال بالنجاة منها، باجتنب المحرمات، والمسارة في الطاعات، والتقرب إلى الله - تعالى - بشئى القربات.
- الحرص على أسباب الأمن والنجاة في هذا الموقف العظيم، بتقوى الله - تعالى - في السر والعلن؛ لنكون ممن قال فيهم: ﴿وَإِنْ يَنْتَظِرُكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾³ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا⁴

1 محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي (9/ 534)، بتصرف

2 التفسير القيم، ابن القيم (584)

[مریم: 71 - 72].

• الاستعاذة بالله من عذاب جهنم.

ما دلالة تعقيب رؤية الجحيم
بالسؤال عن النعيم في قوله
تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ
النَّعِيمِ﴾؟

إنَّ الحساب على النعيم الذي هو نعمة من الله أشد عليهم؛ لأنهم ما كانوا يتقربونه؛ لأن تلبسهم بالإشراك وهم في نعيم أشد كفراناً للذي أنعم عليهم.¹
تبييه عن الغفلة، فما المتكأثر منه إلا نعم أنعم الله بها علينا وسئسأل عنها، فالكيس من تخفف للسؤال وأعد له جواباً.

لم يخصَّص في الآية نوعاً من النعيم دون نوع، فالله سائلنا عن جميع النعيم، عن كل شيء من لذة الدنيا.²

السؤال عن المال: من أين جاء؟ وفيه أنفق؟

وعن الأولاد: كيف كانت تربيتهم؟

وعن المتاع كيف كان صرفه؟

وعن الوقت فيما أمضيها...

فهلَّا شكرنا نعم الله - عز وجل - وصرفناها فيما يرضيه حتى نجد للسؤال جواباً
ينجينا؟!

ما دلالة عدم تخصيص أي
نوع من النعيم الذي سيكون
عنه السؤال؟

إن المراد المؤمن والكافر كل يسأل عن النعيم، لكنَّ الكافر يسأل سؤال توبيخ
وتقريع، والمؤمن يسأل سؤال تذكير وتقدير بحسب شكر النعمة وجحودها وكيفية
تصرفها، والدليل على أنه عام ما جرى في قصة النبي - ﷺ -، وأبي بكر وعمر،
خرج رسول الله - ﷺ - ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: "ما
أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالوا: الجوع يا رسول الله! قال: وأنا، والذي
نفسى بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار،
فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً! فقال لها رسول الله
- ﷺ -: "أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء - أي يطلب ماءً عذباً
- إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله - ﷺ - وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما
أحد اليوم أكرم أضيافاً مني. قال: فانطلق فجاءهم بعددق فيه بُسْر وتمر ووطب،
فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدينة. فقال رسول الله - ﷺ -: إياك والحلوب، فذبح
لهم. فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول
الله - ﷺ -: لأبي بكر وعمر: والذي نفسى بيده لتسألنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة،

من يشمل السؤال، الكافر
فقط أم المؤمن كذلك؟

1 التحريز والتنوير، الطاهر ابن عاشور (30 / 524)

2 جامع البيان، ابن جرير والطبري (586/24)

أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم“¹. وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته» قال: وحسبت أن قد قال: «والرجل راعٍ في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته»².

حب الدنيا والحرص على ملذاتها أسباب أغلب المعاصي، فهي سبب معصية آدم - عليه السلام -، وأثرها في الفرد والمجتمع:

- على الفرد، الانحراف عن الدين وظلمه لنفسه وللآخرين.
- على المجتمع، الوهن والذل، قال - ﷺ -: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قَلِيَّةٌ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كُفُنَاءُ السَّبِيلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عِدْوِكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِرَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)³.
- وقال - ﷺ -: (والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتملككم كما أهلكتهم)⁴.

ما خطورة الانشغال بالدنيا
على الفرد والمجتمع؟

- بشكر الله - تعالى - على نعمه، وللشكر أنواع:
 - شكر بالقلب، بالرضا بما قسم الله ورزقنا به، والشعور بمنة الله - تعالى - وفضله.
 - شكر باللسان، بكثرة الحمد والشكر على كل نعمة أنعم الله بها علينا.
 - شكر بالجوارح، باستعمال هذه النعم في الطاعات واجتناب المعاصي والمنكرات.
- عدم إشغال القلب بما وتذكر أنها فضل من الله - عز وجل - ووسيلة لطاعته - عز وجل - وزيادة القربى.
- عدم التفاخر والاعتزاز بما نحن فيه من نعم، والبذل منها لغيرنا من المحتاجين.

إذا علمنا أن الله - تعالى
سيسألنا يوم القيامة عن
النعم، فكيف نستعد للإجابة
عن السؤال؟

1 رواه مسلم (2038)
2 صحيح البخاري 893 (5/2)
3 السلسلة الصحيحة 958
4 رواه البخاري (4015)، ومسلم (2961)

- تربية أبنائنا على تعظيم ما أنعم الله عليهم به من نعم، وحثهم على أداء شكرها.
 - تذكر أنها خلقت لنا وخلقنا للعبادة، فلا نشغل بما خلق لنا عما خلقتنا من أجله.
- فهل أعددنا للسؤال جواباً؟!

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- الحذر من التكاثر والانشغال بمتاع الدنيا عن العمل للآخرة.
- التحذير من الغفلة.
- إثبات عذاب القبر.
- تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة.
- سؤال الله عباده عن النعم التي أنعم عليهم بها في الدنيا.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الزهد في متاع الدنيا، وعدم الانشغال بها عن الدار الآخرة.
- زيارة المقابر؛ للاتعاظ وترقيق القلب.
- شغل أوقات الفراغ بما ينفع.
- ذكر الموت ومنازل القيامة.
- المبادرة إلى الأعمال الصالحة، والتسابق للاستزادة منها.
- الاستعاذة بالله من عذاب القبر ومن عذاب النار، والعمل على النجاة منها بالتقوى وفعل الطاعات.
- شكر الله - تعالى - على نعمه، فنعمر قلوبنا بالرضا، وتلهج ألسنتنا بالحمد والشكر، وتسعى جوارحنا بالعمل الصالح.

من الفوائد التربوية

- أسلوب التهيب.
- تنبيه الغافل.
- الاهتمام بترتيب الأولويات، وألا نقدم المفضل على الفاضل.
- تنظيم الحياة اليومية.
- مخاطبة نفس المتربي.

- طرح قضايا وعلاجهـا.
- تغرس قيمة شكر النعم، والحفاظ عليها.

رسائل

(أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ) الدنيا متاعها قليل ووقتها قصير، فلا يشغلنا القليل الفاني عن الكثير الباقي.
 (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) هل أعددنا للسؤال جواباً؟

103. سُورَةُ الْعَصْرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

لأهمية عمر الإنسان عمومًا ووقت الشباب خاصة، جاء عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: "لَا تُزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ خِصَالٍ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أُبْلَاهُ، وَعُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ"¹ وسورتنا اليوم شاهدة على ذلك.

تهينة:

تعريف السورة

اسم السورة:	سورة «العصر»، وسورة «والعصر» بإثبات الواو. ²
نوع السورة:	مكية. ³
عدد آياتها:	ثلاث آيات في جميع العد. ⁴
سبب نزولها:	لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

- "كان الرجلان من أصحاب النبي - ﷺ - إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ثم يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ."⁵
- وروي عن الشافعي - رحمه الله - أنه قال: "لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكففتهم"⁶.

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

المناسبة بين سورة العصر وسورة التكاثر:
ذمَّ اللهُ - عزَّ وجلَّ - في سورة التكاثر إهدار الوقت في الانشغال بالتكاثر بمتاع الدنيا، وذكر في سورة العصر أهمية هذا الوقت، وما يحدث فيه، وأنه سبب فلاح العبد أو خسارته.
ذكر في سورة التكاثر تمالك الناس على حطام الدنيا الفاني، وتحافتهم على الانشغال

مناسبة السورة لما قبلها:

1 أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (947)

2 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (527/30)

3 المرجع السابق

4 البيان في عدّ آي القرآن، (ص: 287)

5 رواه أبو داود في (الزهدي)، رقم (417)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2648)

6 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (528/30)

بها عن الآخرة دار البقاء، كان ذلك مناسباً لتهيئة المؤمنين بما يحقق لهم السعادة والصلاح، فكان التذكير بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالخير والصبر كعلامات لفلاح المؤمن ونجاحه وبعده عن الخسران والهلاك، وهذا ما جاءت به سورة العصر.¹

المناسبة بين سورة العصر وسورة الهمزة:

في سورة العصر جاء ذكر أن جنس الإنسان في خسران ونقص وهلكة، إلا من اتصف بصفات معينة، وتأتي سورة الهمزة؛ لثبّت جانباً من صفات الخاسرين وأحوالهم، وبعض صفات أهل الضلال، ومظهر خسارتهم ومآلهم.²

مناسبة السورة لما بعدها:

تركز على بيان حقيقة الربح والخسارة في الحياة، والتنبيه على قيمة الوقت الذي يعيشه الإنسان.³

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (2): تقرير خسران الإنسان.
الآية (3): سبيل النجاة من الخسران.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَالْعَصْرِ﴾ أقسم سبحانه بوقت العصر.
2. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ إن الإنسان لفي نقصان وهلاك.⁴

1 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (320/9)

2 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (341/9)، بتصرف

3 المختصر في التفسير (601)

4 المختصر في التفسير (601)

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
ما دلالة افتتاح السورة بالقسم؟	الافتتاح بالقسم يراد به تأكيد الخبر كما هو شأن أقسام القرآن؛ للدلالة على عظيم قدرته تعالى وسعة علمه. ¹
ما المراد بالعصر، وعلام يدل القسم به؟	العصر: اسم للزمن كله أو جزء منه، وقيل: الدهر كله، أقسم به لما فيه من العجائب، وإما هو عمر الإنسان ومدة حياته، ² وقيل: وقت العصر. والقسم به دليل على شرفه وأهميته، فهو إن كان يراد به الزمان أو الدهر ففيه من العجائب ما فيه، أمة تذهب وأمة تأتي، وقدر ينفذ، وآية تظهر، وهو هو لا يتغير، ليل يعقبه نهار، ونهار يطرده ليل، فهو في نفسه عجب. وإن كان يراد به عصر الإنسان أي عمره ومدة حياته الذي هو محل الكسب والخسران ففيه تنبيه على انقضاء عمره. ³ وإن كان يراد به وقت العصر من اليوم فهو كذلك تنبيه على سرعة انقضاء اليوم وقرب نهايته إشارة إلى سرعة انقضاء عمر الإنسان وقرب نهايته وهو لاه عما خلق من أجله، وهذا هو محل الريح والخسارة. فمن انتبه لانقضاء عمره، وعمل للقاء مولاه، فقد خرج من الخسران.
دل القسم على أهمية الوقت والعمر، اذكر شواهد من السنة النبوية على ذلك.	قال رسول الله - ﷺ -: "لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم". ⁴ قال رسول الله - ﷺ -: "اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك". ⁵
أقسم الله - سبحانه وتعالى - في سور أخرى بجزء من الزمان، اذكر شيئا منها، وعلام يدل ذلك؟	قال تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: 1]. قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: 1 - 2]. قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر: 1 - 2]. وهذا يدل على أهمية الوقت ووجوب اغتنامه.

1 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (528 / 30)

2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (87 / 9)

3 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (87 / 9)

4 رواه الترمذي (2416)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (946)

5 صححه الألباني في الصحيح الجامع (1077)

إذا عرف الإنسان قيمة شيء ما وأهميته، حرص عليه وعزَّز عليه ضياعه وفواته. فمحاسبة العبد نفسه وتربيتها على علو الهمة وإدراك أن ما مضى من الوقت لن يعود، وأنه إما حسنات تزداد أو حسرة على فواتها. يقول ابن الجوزي: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضع منه لحظة في غير قرينة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»¹. وقال الحسن البصري: «إِنَّ آدَمَ، إِذَا أُنْتُ أَيَّامٌ، كَلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ»².

ما نوع "ال" في كلمة الإنسان؟ وما دلالتها؟

"ال" الجنسية، وهي تستغرق جنس الإنسان، وتدل أن كل إنسان في خسره، ولا نجاة لأحد منه إلا بالشروط المذكورة في الآية التالية. فلا يرى أحد نفسه غير معني بالآية.

ما دلالة تعدد أدوات التأكيد في الآية؟

جاء التأكيد في الآية بالقسم، وحرف التأكيد إن ولام التأكيد، والجملة الإسمية، حتى يستقر هذا المعنى في النفس ويدرك الإنسان أهمية السعي للنجاة من الخسران.

أتى في الآية التعبير بقوله: (لَفِي خُسْرٍ) دون قوله: (الخاسر)، فعلام يدل ذلك؟

للدلالة على أن الإنسان منغمس في الخسر، وأنه قد أحاط به من كل جانب بدلالة حرف الجر (في)، وهي أبلغ من أن يقال لخاسر. وجيء هذا الخبر على العموم مع تأكيده بالقسم؛ لإفادة التهويل والإنذار بالحالة المحيطة بمعظم الناس³.

ما دلالة تنكير كلمة خسر؟

تنكير خسر يجوز أن يكون للتنويع، ويجوز أن يكون مفيداً للتعظيم والتعميم في مقام التهويل وفي سياق القسم، والمعنى: إن الناس لفي خسران عظيم⁴، وهو بيان لسوء عاقبة الإنسان.

ما دلالة ذكر عاقبة الإنسان "الخسران" قبل ذكر أسباب النجاة منه؟

في افتتاح السورة ببيان العاقبة بمؤكدات عدة على خسارة الإنسان قبل ذكر أسباب النجاة تهويل وإنذار بالحالة المحيطة بمعظم الناس، وبيان أن أكثرهم في هذا الخسران والناجون هم القلة. فاختر لنفسك مع من تكون؟

ما دلالة إطلاق زمن الخسر وعدم تقييده بالآخرة؟

لأنه الإنسان إما يخسر الدنيا والآخرة أو يكون فلاحه فيهما؛ قال تعالى فيمن أعرض عن الله - عز وجل - : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [الكهف: 124].

1 صيد الخاطر، (ص: 33)

2 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (2/ 148)

3 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (30/ 531)

4 التحرير والتنوير (30/ 532)

أما من اتبع شرع الله - عزَّ وجلَّ - فيفلح في الدنيا والآخرة على قدر طاعته
 لله - عزَّ وجلَّ - واتباع هديه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ آتَبَعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
 يَشْقَى﴾ [الكهف: 123]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ
 مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
 [النحل: 97].

قال الحسن: يا ابن آدم بع دنياك بأخرتك تريحهما جميعًا، ولا تبيعنَّ أخرتك بدنياك
 فتخسرهما جميعًا.¹

- الإخلاص لله - عزَّ وجلَّ - .
- تذكر الموت وقصر الأجل، فمن استشعر ذلك جدَّ في الطلب.
- تجديد النية عند كل عمل.
- تعدد النيات.
- كثرة الذكر حتى وقت انشغال الجوارح بالمباحات.
- تنظيم الوقت والتخطيط ليومه.
- وضع أهداف ورفع الهمة.
- ترك المعاصي والمبادرة بالتوبة منها ولزوم الاستغفار.
- المنافسة في أعمال البر.
- مراقبة النفس والاجتهاد في العمل.
- مصاحبة الصالحين الذي يُدكِّرون بالله - عزَّ وجلَّ - ويعينون على الخير.
- القراءة في سير الصالحين وإنجازاتهم والافتداء بهم.
- سؤال الله - عزَّ وجلَّ - البركة في الوقت والعمر.

ليس العبرة بطول العمر إنما
 العبرة بحسن العمل، فكيف
 يستثمر الإنسان وقته؟

هل استشعرتنا خطورة الأمر وعملنا على النجاة منه؟
 هل استشعرتنا قيمة الوقت وانتبهنا إلى عدم ضياعه؟
 قتل الوقت هو قتل جزء منا لن يعود وسنسأل عنه، فلا تكون خسارتنا له مرتين، لا نحن استفدنا منه في الدنيا
 ولا نجد له جوابًا في الآخرة.
 إنه لمن الغبن أن نجد صفحات فارغة من الحسنات لأوقات مرَّت دون استثمارها، وغيرنا ارتفع بها في أعالي
 الجنان.

تلاوة

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

3. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ إلا الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، وأوصى بعضهم بعضاً بالحق، وبالصبر على الحق، فالمتصفون بهذه الصفات ناجون في حياتهم الدنيا والآخرة.¹

تدبر وتركية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما دلالة الاستثناء في بداية الآية؟	يدل على أن لا نجاة من الخسران إلا لمن اتصف بالصفات الأربعة المذكورة في الآية، ² فدل هذا الاستثناء على إن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور. ³ كما دل على أن الناجين قلة، وأكثر الناس في خسران.

ما الصفات الأربع المستثناة من الخسارة؟	<ul style="list-style-type: none"> • الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان من دون العلم. • العمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده. • التواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه. • التواصي بالصبر على طاعة الله، وترك معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.⁴
--	--

ما وجه تخصيص هذه الأمور الأربعة بالذكر دون غيرها؟	لأن في الأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، ويتكامل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسران، وفاز بالريح العظيم. ⁵
---	---

ما دلالة عطف العمل على الإيمان وهو منه؟	عطف العمل الصالح على الإيمان في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من باب عطف الخاص على العام، فالإيمان عام يشمل العمل، وهو اعتقاد الجنان
---	--

1 المختصر في التفسير (601)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (934)

3 التفسير الوسيط، محمد سيد الطنطاوي (502/15)

4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (934)

5 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (934)

وقول باللسان وعمل بالأركان، وعطف العمل الصالح على الإيمان دلالة على أهمية العمل وتصديق الفعل الاعتقاد؛ إذ ليس الإيمان بالتمَيُّي ولكن ما وقر في القلبِ وصدَّقهُ العمل.

عطف الخاص على العام للاهتمام به؛ لأنه قد يغفل عنه بظن أن العمل الصالح هو ما أثره عمل المرء في خاصته، فوقع التنبيه على أن العمل المأمور به إرشاد المسلم غيره ودعوته إلى الحق والصبر على ذلك.¹
فدل على أن الفلاح والنجاة من الخسران لا يكون إلا بنفع الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح، ونفع غيره بالتواصي بالحق والصبر.

في الآية عطف التواصي بالصبر والحق على قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مع أنها داخلة في عموم العمل، فعلام يدل ذلك؟

عطف الخاص على العام دليل على الاهتمام بالخاص، فالحق مهم والأهم منه الثبات عليه، والدعوة إليه، وهذا مما يحتاج إلى صبر، الصبر على فعل الحق، والصبر على الأذى فيه، والصبر على الأذى في التواصي به، كما قال ورقة ابن نوفل: ما جاء أحد بالذي جئت به إلا أُوذِي. فما دعا أحد إلى صلاح وفلاح إلا عُودِي وأُوذِي، ويحتاج ذلك إلى الصبر والتواصي به حتى يثبت في الطريق.

قدم الله - تعالى - التواصي بالحق على التواصي بالصبر، فما مناسبة ذلك؟

لتكون كل جملة تامة في ذاتها، فلا بد من التواصي بالحق الذي يشمل فعل الحق والثبات عليه والدعوة إليه وقبول النصح فيه. وكذلك التواصي بالصبر الذي يشمل الصبر على الحق، والصبر على الثبات عليه، والصبر على الدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه.

ما الفائدة من تكرار الأمر بالتواصي؟ وما دلالة قرن التواصي بالحق مع التواصي بالصبر؟

أفادت صيغة التواصي التفاعل، والتفاعل يدل اشتراك الأطراف في الوصية، فشملت القيام بالوصية بالحق وكذلك قبولها، إذ كل بني آدم خطاء، ولا يستغني أحد عن التذكرة والنصح والغفلة، فشملت هذه الصيغة القيام بالوصية وكذلك قبولها من الغير.

كما أن هذه الصيغة دلت على أهمية صاحب الصالح الذي يصدق صاحبه بالنصح والتذكير.

ماذا أفادت صيغة التواصي؟

كما يدل على أهمية الاجتماع في أمر الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويؤكد على ضرورة الائتلاف وعدم الافتراق، وأنَّ الحق والدعوة يحتاجان إلى التواصي والتكاتف والتعاون.²

1 التحزير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (532/30)

2 وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، ص 169

وما دلالة تخير كلمة الوصية التعبير بالوصية فيه إشارة إلى الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتخيّر دون الأمر مثلاً؟

الصبر ثلاثة أنواع:

- صبر على الطاعة.
- صبر عن المعصية.
- صبر على أقدار الله المؤلمة.

ما أنواع الصبر، وأيهما أشق على النفس؟

أما النوع الثالث فهو اضطراري، ويعين عليه النوع الأول والثاني، اللذين كلاهما اختياري والصبر فيهما أعلى مرتبة. وتختلف مشقّة الصبر من إنسان إلى آخر، فمنهم من تشق عليه المعصية ويهون عليه ترك المعصية ومنهم العكس، ومنهم من يصعب عليه القدر المؤلم.

- معرفة حقيقة الوقت وأهميته، واستغلاله لمنافع الدنيا والآخرة.
- إدراك حقيقة الخسران وأن أعظم الخسران هو أن تكون جنة عرضها السماوات والأرض وليس لي مكان فيها.
- الإيمان، وهو المطلوب وليس فقط بالقلب أو اللسان، بل لا بد من خضوع جوارح المسلم لله ولطاعته.
- الأعمال الصالحة، وهذا دليل الإيمان.
- التواصل بالحق، وهو جهد النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو شرف هذه الأمة وسبب خيريتها، وتركه من أسباب لعن بني إسرائيل، قال تعالى: التواصل بالصبر وهو سلاح الداعية بالحق.

اشتملت السورة على أسباب الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، وضح ذلك.

من أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفرد والمجتمع:
في الفرد:

- الأمن من الخسران، بدليل سورة العصر.
- من أسباب الثبات على الحق والأمن من الزلزل، وهذا المعنى واضح في سورة الكهف، ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَّفْسِكَ عَلَاً ؕ ءَاتَتْهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِئَذَا أَحَدِيثٌ أَسْفًا﴾ [الكهف: 6].
- تركه علامة ضعف الإيمان، (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).¹

- سبب لكسب الأجر الكبير من الله - تعالى - قال - ﷺ -: (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن تكون لك حمر التعم.¹ في المجتمع:
- عدم انتشار الفاحشة.
- سبب خيرية هذه الأمة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110].
- الأيمن من اللعن، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿78﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿79﴾﴾ [المائدة: 78-79].
- الأيمن من الإهلاك العام، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- التواصي بالحق والصبر من علامات المجتمع المسلم.
- التنبيه إلى أهمية الوقت وحسن استغلاله.
- بيان مصير أغلب الناس، وأنه الخسران مع تفاوت مراتبه.
- إثبات أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.
- بيان فوز أهل الإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ -.
- وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- التذكير بسورة العصر، فعن أبي مدينَةَ الدَّارِمِيِّ قَالَ: (كَانَ الرَّجُلَانِ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - ﷺ - إِذَا تَقَبَّيَا لَمْ يَقْرَأَا حَتَّى يَقْرَأَا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ "وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ"، ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ). صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (2648)
- استثمار الوقت في طاعة الله.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه ديدن كل مسلم غيور، والصبر على أذى ذلك.
- التأدب بهذه الآداب، التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

- تربية أنفسنا على حب الآخرين، وذلك بالتواصي فيما بيننا.
- الصبر والحث عليه.

من الفوائد التربوية

- السورة غنية جدًا بالفوائد التربوية، ومنها:
- تغرس إيجابية المسلم نحو مجتمعه.
 - قيمة الصحبة الصالحة.
 - التواضع.
 - الحوار.
 - المبادرة.
 - الإصلاح.
 - قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 - المسؤولية، مسؤولية العبد على نفسه وعلى أسرته ومجتمعه وأمته.

رسائل

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ بالإيمان والعمل الصالح نكمل أنفسنا ونرتقي بها، وبالتواصي بالحق نرتقي بغيرنا.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ المسلم إيجابي، نفعه متعلِّدٌ إلى غيره.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ من أهم أسباب الثبات الدعوة إلى الحق، والصحبة الصالحة، شملتكما الآية.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الخسران الحقيقي هو من خسر ديناه وأخراه ببعده عن منهج الله.

الأنفاس تمضي والحياة لا تتوقف وعمرك ينقص، فاعمل ما يسرك رؤيته ويكون سبب فلاحك.

إما فوز في الدارين أو خسارتكما معًا، فاختر ما شئت، فالعاقبة معلومة.

104. سُورَةُ الْهُمَزَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورتنا هذا اليوم تبين أهمية الأخلاق في الإسلام، والحفاظ على حقوق الناس وأعراضهم.
سورتنا هي سورة الهمة.

تهيئة:

تعريف السورة

سُمِّيَتْ هذه السورة في المصاحف ومعظم التفاسير «سورة الهمة» بلام التعريف، وعنوانها في «صحيح البخاري» وبعض التفاسير: «سورة ويل لكل همة»، وذكر الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» أنها تسمى «سورة الحطمة» لوقوع هذه الكلمة فيها.¹

اسم السورة:

مكية بانفاق.²

نوع السورة:

تسع آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف.³

عدد آياتها:

لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

سبب نزولها:

إنها من المفصل، عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَعْطَيْتُ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطُّوَالَ، وَمَكَانَ الزُّبُورِ الْمُتَيْنِ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمُثَانِي، وَفُضِّلْتُ بِالْمَفْصَلِ"⁴.

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

المناسبة بين سورة الهمة وسورة العصر:

في سورة العصر جاء ذكر أن جنس الإنسان في خسران ونقص وهلكة، إلا من أتصف بصفات معينة، وتأتي سورة الهمة؛ لتبين جانباً من صفات الخاسرين وأحوالهم، وبعض صفات أهل الضلال، ومظهر خسارتهم ومآلهم.⁵

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التحرير والتنوير (535/30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (535/30)

3 البيان في عدّ أي القرآن، (ص: 288)

4 رواه الإمام أحمد في مسنده، وضححه الألبان في السلسلة الصحيحة (469/3)

5 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (341/9)

المناسبة بين سورة الهمزة وسورة الفيل:

لما تَضَمَّنَتْ سورة الهمزة ذكر اغترار من فتن بماله، حتى ظن أنه يجلده وما أعقب ذلك، ناسب في سورة الفيل، ذكر أصحاب الفيل الذين غرَّهم تكاثرهم، وخذعهم امتدادهم في البلاد، واستيلاؤهم حتى هموا بهدم البيت المكرم، فتعجلوا النعمة، وجعل الله كيدهم في تضليل.¹

مناسبة السورة لما بعدها:

ومقصد السورة: وعيد المتعاليين الساخرين من الدين وأهله.²

موضوعات السورة: من الآية (1) إلى الآية: (3) وعيد الهَمَّاز اللتاز واغتراره بماله وولده. من الآية (4) إلى الآية: (9) وصف شدة عذابه يوم القيامة.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يُحَسِّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ وبال وشدة عذاب لكثير الاغتياب للناس والطعن فيهم.
2. ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ الذي هم جمع المال وإحصاؤه لا هم له غير ذلك.
3. ﴿يُحَسِّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ يظن أن ماله الذي جمعه سينجيه من الموت، فيبقى خالدًا في الحياة الدنيا.³ الهمز: كالعصر، يقال: همزت الشيء في كفي، ومنه: الهمز في الحرف، وهمز الإنسان: اغتيابه. اللمز: الاغتياب وتبعية المعاب، يقال: لَمَزَهُ يَلْمِزُهُ وَيَلْمُزُهُ.⁴

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات

الأسئلة التدرجية

افتتحت السورة بقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ يدل على الوعيد والتهديد لمن يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، ففيه زيادة تخويف بدلالة الافتتاح بالويل.⁵ فعلام يدل ذلك؟

1 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (353/9)

2 المختصر في التفسير (601)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 601)

4 المفردات في غريب القرآن (846)

5 تفسير القرآن الكريم، السعدي (934)

ولفظ (كل): الذي هو من صيغ الشمول والعموم،¹ يدلُّ على أن هذا الوعيد لكل من اتصف بهذه الصفة، فحريٌّ ألا يتوهم هتاز أو لماز أنه ناج من الوعيد.

لم تفتتح بكلمة الويل سوى سورتين هي سورة الهزرة وسورة المطففين، وكلتاها في وعيد سيئ الخلق؛ لتبين أهمية الخلق في الإسلام، وأنه ميزان صدق العبد المؤمن. ولذلك ربطت سوء الخلق بالكفر بالله - عزَّ وجلَّ - واليوم الآخر، وذلك تأكيداً على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يتخلق بتلك الأخلاق الذميمة الذي يتنزه عنها من يعلم أنه سيقف بين يدي الله - عزَّ وجلَّ - للحساب.

كم سورة افتتحت بالويل؟
وعلام يدل ذلك؟

قيل:

- الهمز بالفعل يعني أنه يسخر من الناس بفعله إما أن يلوي وجهه، أو يعيس بوجهه، أو بالإشارة، بأن يشير إلى شخص، انظروا إليه؛ ليعيبه أو ما أشبه ذلك، فالهمز يكون بالفعل، واللمز باللسان.²
 - وقيل الهماز هو كل معتاب للناس يعيبهم من خلفهم، واللماز طعان فيهم ينتقصهم في وجوههم.
- وكلها معانٍ متقاربة تشترك في تنقص الآخرين، وهو الطعان واللعان والمعتاب مهما كانت طريقته.³

وردت في السورة صفتان
ذميتان هما الهمز واللمز،
فما الفرق بينهما؟

هذه الصيغة على وزن فعلة وهي من صيغ المبالغة، تدلُّ على أن تلك الصفات القبيحة كثيرة الصدور منهم، وأصبحت عادة متأصلة فيهم، فهي ديدنهم،⁴ فلم يحدث هذا الفعل منهم عرضاً، بل هو ثابت فيهم.

علام يدل مجيء (هَمْزَةٌ لَمْزَةٌ)
بهذه الصيغة دون غيرها؟

لزيادة تشنيع صفتها، وأن الذي يحمله على الخط من أقدار الناس، هو جمعه المال وتعديده،⁵ فكأنه ذكر العلة للهمز واللمز وهو إعجابه بما جمع من المال وظنه أنه الفضل، فمن أجل ذلك يستصغر غيره.

ما دلالة اتباع الهمز واللمز
بجمع المال؟

1 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (314)

2 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (315)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (100/9)، بتصرف

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (536/30)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (537/30) تفسير العثيمين، جزء عم (315) محاسن التأويل، القاسمي (539/9)

في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ جاءت (مَالًا) بجميء (مَالًا) نكرة للتفخيم¹ وفيها دلالة على أن همه جمع المال؛ ليكون كثيرًا وفيرًا، ولا يبالي من حلال أم حرام، فالمهم عنده كثرته لا مصدره.² وقوله (وَعَدَّدَهُ)، للدلالة على تكرار حسابه لشدة ولعه بجمعه،³ وعدد المال من غير ضرورة دليل على المتعة النفسية والزخرفة الدنية، والانشغال عن السعادة الباقية.⁴

بيان جهل من ظن أن جمع المال سبب الخلود في الدنيا والإفلات من الحساب، بدلالة التهكم والتعجب في الآية.⁵ وجيء بصيغة الماضي في أخلده؛ لتنزيل المستقبل منزلة الماضي لتحققه عنده، وذلك زيادة في التهكم به بأنه موقن بأن ماله يخلده حتى كأنه حصل إخلاده وثبت.⁶ بيان غفلته عن الموت، وانغماسه في الدنيا وطول الأمل حتى كأنه مخلص على هذه الأرض.

يقول تعالى: ﴿يَجْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾، علام تدل الآية الكريمة؟

ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: سمعت النبي - ﷺ يقول: «لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»،⁷ فحب المال فطرة بشرية أقرها الله - عز وجل - في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالنَّسْلُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46]، فالمال زينة الحياة الدنيا. وجمع المال من حلال مع القيام بأداء زكاته وإخراج حق الله - عز وجل - وحقوق الناس منه، وإنفاقه فيما يرضي الله - عز وجل - وعدم الاستعانة به على المعصية، والتقوي به على ظلم الناس واحتقارهم، ليس مذمومًا، وإنما المذموم أن يكون أكبر هم الإنسان وسببًا في تكبره وظلمه الآخرين.

فالمذموم هو أن يكون المال هو هم المرء وشاغله الأول، حتى يصبح عبدًا له، قال - ﷺ -: «نَعَسَ عَبْدُ الدَّيْتَارِ، وَالدَّرْهَمُ، وَالْقَطِيفَةُ، وَالْحَمِيصَةُ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»⁸.

هل جمع المال والاهتمام به مذموم في ذاته؟ ومتى يكون محمودًا ومتى يكون مذمومًا؟

- أول علاج للتعلم بالمال الزكاة والصدقة والإحسان إلى الفقراء والمساكين.
- التفكير في حكمة الله - عز وجل - في تقسيم الأرزاق.
- الحذر في فتنه المال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ

ما علاج التعلق بالمال وآثاره؟

1 التفسير المنير، الزحيلي (398/30)

2 أيسر التفاسير، الجزائري (614/5)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (536/30)

4 التفسير المنير، الزحيلي (401/30)

5 التفسير الوسيط، الطنطاوي (505/15)، بتصرف

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (539/30)، بتصرف

7 صحيح البخاري، 6436 (92 /8)

8 أخرجه البخاري (2886)

- أَجْرٌ عَظِيمٌ) [التغابن: 15]، ومحاسبة النفس والاعتبار بمن سقط فيها.
- الحذر من كسب مال من حرام وتحري الحلال الطيب.
 - الحذر من التعالي والتكبر على الآخرين وهو من آثار التعلق بالمال.
 - شكر الله على نعمه والحذر من كفرانها والتعلق بأسبابها، فبالشكر تدوم النعم والكفران يحققها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

النهى عن السخرية واللمز، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ﴾ [المحجرات: 11].

خطورة الغيبة، روى أبو داود في سننه من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت للنبي - ﷺ: حسبك من صفة كذا وكذا - قال غير مسدد: تعني قصيرة - فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» قالت: وحكيت له إنساناً فقال: «ما أحب أبي حكيت إنساناً، وأن لي كذا وكذا»¹.

تعريف الغيبة، قال - ﷺ: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتة، وإن لم يكن فيه فقد بهته)².

خطورة الحديث في أعراض الناس، قال - ﷺ: (الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه وأرأى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه)³.

عذاب المنام والمغتاب في القبر، عن ابن عباس قال: مر النبي - ﷺ - بمخاطب من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي - ﷺ: «يعذبان، وما يعذبان في كبير» ثم قال: «بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة»، ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقبل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا» أو: «إلى أن ييبسا» وفي رواية ابن ماجه وأحمد (الغيبة والبول)⁴.

إفلاس المغتاب والمتعدي على حقوق الناس، عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وركاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف

جاء التحذير من الهمز واللمز والغيبة في أكثر من دليل من القرآن والسنة، اذكر بعضها.

1 أخرج أبو داود (4875) واللفظ له، والترمذي (2502)

2 صحيح مسلم (2589)

3 أخرج ابن أبي حاتم في المراسيل (916)

4 صحيح البخاري 216 (53/1)، أخرج ابن ماجه (349) مختصراً، وأحمد (20389) باختلاف يسير

هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيته حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»¹.

تعددت وسائل الهمز واللمز في زماننا الحاضر، فبالإضافة إلى الكلمة والإشارة وغيرها في المجالس ونحوها، برز الهمز واللمز والسخرية في مواقع التواصل الاجتماعي بالصورة والنكتة وغير ذلك.

تعددت وسائل الهمز واللمز في مجتمعاتنا وتعددت صورته، وما زاد في خطورته هو السخرية والاستهزاء بالعلماء والشخصيات العامة والشعوب والجنسيات. ومن وقع في ذلك فقد وقع في كبير.

ومن ينشر ذلك فهو شريك في العمل، فليحذر العبد لما يقول ولما يكتب وينشر أو بما يعجب من أقوال وكتابات حتى لا يعين الناس على الشر. بل عليه أن يكون ناصحاً مبادراً إلى إنكار المنكر وبيانه مع كثرة الغفلة عنه.

- التعرف على حقيقة الغيبة والهمز واللمز وخطورتها على فرد والمجتمع، لما قد تُحدث من آثار سلبية وخصومات في الأسرة والمجتمع.
- التعرف على قبحها، فما يكرهه العبد لنفسه لا يرضاه لأخيه.
- معرفة خطورتها ومحققها للحسنات وعقوبتها.
- النهي عنها، فمن نهي عن أمر وهو صادق فيه كان له تبييناً بإذن الله تعالى.
- أن تكون قدوة لأبنائنا في الحذر من هذه الصفات الذميمة والنهي عنها.
- بيان خطورتها والتذكير بها.
- الحذر من زوال النعم ودعوة مظلوم.

كيف نربي أنفسنا وأبنائنا على تجنب تلك الصفات الذميمة؟

ما حالنا مع الغيبة والهمز واللمز في مجالسنا؟

أنتعب ونجتهد في عبادات لنهدي أجرها إلى غيرنا؟

إنه من أشد الغبن أن نتعب في طاعة ثم نُعدي حسناها يوم القيامة لمن نكره! وقد اغتبناه أو استهزأنا به؟

كيف بنا إذا جاءتنا شعوب استهزأنا بها في الدنيا لتأخذ من حسناتنا في الآخرة!؟

تلاوة

﴿كَلَّا لِيُنذِرَ فِي الْخَطْمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطْمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ۝ أَلَيْسَ تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

4. ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ليس الأمر كما تصوّر هذا الجاهل، ليطرحنّ في نار جهنم التي تدق وتكسر كل ما طرِحَ فيها لشدة بأسها.
5. ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هذه النار التي تحطم كل ما طرِحَ فيها؟!
6. ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ إنها نار الله المستعرة.
7. ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ التي تنفذ من أجسام الناس إلى قلوبهم.
8. ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ إنما على المعدّين فيها مغلقة.
9. ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ بعمد ممتدة طويلة حتّى لا يخرجوا منها.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
بعد ذكر الصفات السيئة في المقطع الأول جاءت ﴿كَلَّا﴾، فما دلالة ذلك؟	زجر وتوعد لمن حرص على جمع المال جمعًا يمنع به حقوق الله في المال من نفقات ورّكاة، ² وإبطال ما توهمه هذا المغرور من حسبانته أن ماله سيخلده، ³ بل لا بد أن يفارق هذه الحياة إلى حياة أخرى يعاقب فيها على ما كسب من سيئ الأعمال. ⁴
النبد هو الإلقاء والطرح، والمراد به تحقير وتصغير من شأنه، ⁵ وذكر النبد هنا دال على الإهانة؛ لأن الكافر كان يعتقد أنه من أهل الكرامة.	في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ما المراد بالنبد؟ وما دلالة تعدد أدوات التأكيد في الآية؟
وجاءت مؤكدة بثلاثة مؤكّدات باللام، ونون التوكيد، والقسم المحذوف؛ لتأكيد الوعيد وتعظيم شأنه، فالله - تعالى - يقسم بالشيء؛ تأكيدًا له وتعظيمًا لشأنه. ⁶	فجاءت الآية تؤكد شدة عذاب الهمّاز واللمّاز يوم القيامة، حيث جُمع له العذاب النفسي بالإهانة والإلقاء والعذاب الجسدي بالحطمة.

1 المختصر في التفسير (601)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (539/30)، بتصرف

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (506/15)

4 حماس التأويل، القاسمي (540/9)

5 الوسيط، الطنطاوي (506/15)

6 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (316)

في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا

الْحَطْمَةَ﴾ إعادة لذكر الحطمة والاستفهام عنها، ما وجه ذلك؟

الحطمة: صفة بوزن فعلة، أي لينبذن في شيء يحطمه، أي يكسره ويدقه،² وسميت النار بذلك؛ لأنها تحطم ما يلقي فيها فهي تكسر العظم بعد أكلها للحم.³ ومناسبة تسميتها للسورة، أنه لما كان هذا الهَمَّاز اللَّمَّاز شأنه كسر قلوب الناس وهتك أعراضهم وجمع المال في الدنيا، كان عذابه بأن يلقي في النار التي شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقي فيها،⁴ فالجزء من جنس العمل. ومن تأمل حطمة وهمزة لمزة، يجد أنها جاءت كلها على وزن واحد؛ ليكون الجزاء مطابقاً للعمل حتى في اللفظ.⁵

للنار أسماء كثيرة، فما مناسبة تسميتها بـ(الْحَطْمَةَ) في هذه السورة؟

إضافة النار إلى اسم الجلالة للترويع بها، بأنها نار خلقها القادر على خلق الأمور العظيمة،⁶ ويشهد لهذا المعنى ما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، قَالَ: "نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ".⁷ وفي هذه الإضافة أيضاً دلالة أنه سبحانه يعذب بها من يستحق العذاب، فهي عقوبة عدل وليست عقوبة ظلم.⁸

في قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ بم يوحى إضافة النار إلى لفظ الجلالة؟

يفيد أنها لا تزال تلتهب ولا يزول لهيبها، بل يتجدد اتقادها بالوقود الذي يلقي فيها،⁹ وفي ذلك دلالة على شدة الإيلاام لمن يلقي فيها والعياذ بالله.

في قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ ما دلالة وصف النار بأنها موقدة؟

دلالة على أن النار تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، وهي أوساط القلوب، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا أشد تألماً منه بأذى ممسه. فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه!¹⁰

خص الأفئدة بالذكر مع أن النار تطلع على جميع أبدانهم، فما دلالة ذلك؟

1 محاسن التأويل، القاسمي (540/9)

2 محاسن التأويل، القاسمي (540/30) والتفسير الوسيط، محمد سيد الطنطاوي (506/15)

3 زاد المسير، ابن الجوزي (489/4)

4 إرشاد العقل السليم، أبو السعود أفندي (199/9)، بتصريف

5 تفسير العنيمين، جزء عم (317)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (540/30)

7 صحيح بخاري (3092)

8 تفسير العنيمين، جزء عم (317)

9 التحرير والتنوير، ابن عاشور (540/30)

10 محاسن التأويل، القاسمي (40/9)

وخصّصت الأفضدة بالذكر؛ لأنها محل العقائد الزائفة، والنيات الخبيثة، وسوء الأخلاق من الكبر واحتقار الناس، والأعمال القبيحة.¹ وكذلك كما كان الهمز واللمز يؤلم القلب والفؤاد كان عذاب الهماز واللماز يوم القيامة كذلك، فكان الجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ تتوالى أوصاف النار في هذه السورة لفظاعة تلك الأفعال، فما معنى الإيصاد؟ مؤصدة أي مطبقة بغاية الضيق، ففيها دلالة ملازمة العذاب واليأس من الإفلات منه كحال المساجين الذين أغلق عليهم باب السجن، تمثيل تقريب لشدة العذاب بما هو متعارف في أحوال الناس، وحال عذاب جهنم أشد مما يبلغه تصور العقول المعتاد.²

لندل على شدة الإغلاظ عليهم بأقصى ما يبلغه متعارف الناس من الأحوال،³ فالآية تفيد المبالغة في العذاب وأن أبواب النار لا تفتح؛ ليزيد في حسرتهم، وتعلق إغلاظًا محكمًا؛ للتأسيس من الخروج منها، وممددة في أعمدة دائمة اللهب، فلا أمل في إطفائها أو تخفيف شدة حرارتها.⁴

الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل، تلك هي التقوى ومن اتقاه نجى من عقابه. سلامة القلب من أمراض الكبر والعجب والحسد وغيرها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٨﴾ [الشعراء: 88-89]. الخوف من الله طريق للجنة وطريق للمغفرة قال -رحمه الله-: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة".⁵ حسن الخلق، قال -رحمه الله-: "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة".⁶ من أعظم أسباب النجاة من عذاب الله - عز وجل - التحلل من مظالم البشر، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله -رحمه الله-: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلل منه اليوم، قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه».⁷

قال العوفي عن ابن عباس: "أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب لنلا يخرجوا منها" فإن كان لا سبيل للخروج منها لمن دخلها، فما السبيل للنجاة من دخولها؟

1 التفسير المنير، الزحيلي (400/30)
2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (541/30)
3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (542/30)
4 التفسير المنير، الزحيلي (401/30)
5 صحيح الجامع 6222
6 صحيح الترمذي 2003
7 صحيح البخاري (129 /3) 2449

كيف استعدادنا ليوم الرحيل؟
قد يكبر على النفس التحلل من الآخرين، ولكن أكبر من ذلك أن تُؤخذ حسناتي عند ما ينقطع عملي!!

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- التهديد والوعيد لمن يقع في الغيبة والنميمة ويتعدى على الآخرين.
- أهمية الخلق في الإسلام.
- تقرير عقيدة البعث والحساب.
- التنديد بالمعترين بالأموال المعجبين بها.
- بيان شدة عذاب النار وفضاعته.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- تجنب الاستهزاء والسخرية والانتقاص من أعراض المؤمنين.
- التصديق بالمال على حسب الوسع والطاقة طمعاً في الأجر، وتحذيراً للنفس.
- تذكر الوعيد لمن كان به هاتان الصفتان الهمز واللمز.
- المسارعة إلى التوبة، للنجاة من النار.

من الفوائد التربوية

- الترهيب من سوء الخلق.
- العناية بنفسية المترين.
- الجزاء من جنس العمل.
- الحذر من التعدي على حقوق الناس.
- معرفة أهمية الكلمة والنظرة والإشارة.

رسائل

(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) فهل انشغلنا بعيوب أنفسنا عن عيوب الآخرين؟
(الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ) أهواه ماله بالنهار بجمعه وبالليل بعده، فمتى يقوم بحق الله فيه؟

105. سُورَةُ الْفِيلِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

قصة أصحاب الفيل باختصار: «أصحاب الفيل هم أهل اليمن الذين جاؤوا لهدم الكعبة بفيلٍ عظيم أرسله إليهم ملك الحبشة، وسبب ذلك أن ملك اليمن أراد أن يصدُّ الناس عن الحج إلى الكعبة بيت الله - عزَّ وجلَّ - فبنى بيتًا يشبه الكعبة، ودعا الناس إلى حجه ليصدهم عن حج بيت الله فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت الذي جعله ملك اليمن بدلًا عن الكعبة وتعوَّط فيه، ولطخ جدرانها بالقذر، فغضب ملك اليمن غضبًا شديدًا، وأخبر ملك الحبشة بذلك فأرسل إليه هذا الفيل العظيم، قيل: وكان معه ستة فيلَّة لتساعده فجاء ملك اليمن بجنوده؛ ليهدم الكعبة على زعمه، ولكن الله - سبحانه - حافظُ بيته، فلمَّا وصلوا إلى مكان يسمى المغمَّس وقف الفيل وحرن، وأبى أن يتَّجه إلى الكعبة فزجره سايسه ولكنه أبى، فإذا وجهوه إلى اليمن انطلق يهرول، وإن وجَّهوه إلى مكة وقف، وهذه آية من آيات الله - عزَّ وجلَّ -، ثم بقوا حتى أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل»¹.

تهئية:

تعريف السورة

تسمى سورة «الفيل»، وبه عرفت هذه السورة، وكُتبت بذلك في المصاحف وكتب التفسير، وتسمى سورة «ألم تر كيف» و«ألم تر»².

اسم السورة:

مكية باتفاق³.

نوع السورة:

خمس آيات في جميع العدِّ ليس فيها اختلاف⁴.

عدد آياتها:

نزلت في قصة أصحاب الفيل التي حدثت سنة ولادة النبي - ﷺ -، ولا يعد ذلك سبب نزولها.

سبب نزولها:

1 تفسير العثيمين، جزء عم (319-320)

2 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (347/9)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (543/30)

4 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (349/9)

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

إنها من المفصل، عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَشْعَعِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَعْطَيْتُ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطَّوَالَ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمُتَيْنِ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمُثَانِي، وَفَضَلْتُ بِالْمَفْصَلِ"¹.

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة الفيل وسورة الهمزة: لما تَضَمَّنَتْ سورة الهمزة ذكر اغترار مَنْ فُئِنَّ بِمَالِهِ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ يَجْلِدُهُ وَمَا أَعْقَبَ ذَلِكَ، نَاسِبٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ذِكْرُ أَصْحَابِ الْفَيْلِ الَّذِينَ غَرَمُوا تَكَاثُرَهُمْ، وَخَدَعَهُمْ امْتِدَادُهُمْ فِي الْبِلَادِ، وَاسْتِيْلَاؤُهُمْ حَتَّى هَمَّ بِتَهْدِيمِ الْبَيْتِ الْمَكْرَمِ، فَتَعَجَّلُوا النِّقْمَةَ، وَجَعَلَ اللَّهُ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ².
ففي قدرة الله على إهلاكهم في الدنيا وهي دار التعاضد والتناصر بالأسباب، دليلٌ على أن الله لا يعجزه عذابهم في الدار الآخرة يوم تنقطع أسباب النصر، ويختص الله - سبحانه - بتمام القدرة، وإن كان عذابهم في الدنيا أليماً وأخذهم للظالمين شديداً، فكيف به يوم القيامة³.

مناسبة السورة لما بعدها:

المناسبة بين سورة الفيل وسورة قريش: كلتاها تَضَمَّنَتْ ذِكْرَ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، سُوْرَةُ الْفَيْلِ تَضَمَّنَتْ إِهْلَاكَ عَدُوِّهِمْ الَّذِي جَاءَ لِيَهْدِمَ بَيْتَهُمْ وَهُوَ أَسَاسُ مَجْدِهِمْ وَعِزِّهِمْ، وَأَمَّا سُورَةُ قُرَيْشٍ فَتَضَمَّنَتْ نِعْمَةَ اجْتِمَاعِ أَمْرِهِمْ وَلَمْ يَشْمَلْهُمْ؛ لِتَمَكُّنَا مِنَ الْارْتِحَالِ صَيْفًا وَشِتَاءً فِي تِجَارَتِهِمْ⁴.
قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: «لا خفاء في اتصالهما، أي أنه - سبحانه وتعالى - فعل ذلك بأصحاب الفيل ومنعهم عن بيته وحرمة؛ لانتظام شمل قريش، وهم سكان الحرم وقطان بيت الله الحرام، وليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة وتأمين ساحتهم»⁵.

مقصد السورة:

إظهار قدرة الله على حماية بيته الحرام، تذكيراً وامتناناً⁶.

موضوعات السورة:

من الآية (1) إلى الآية (5): قصة أصحاب الفيل.

1 رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (469/3)

2 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (353/9)

3 البقاعي، نظم الدرر (22/249)، بتصرف وانظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (353-349/9)

4 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (363/9)

5 البقاعي، نظم الدرر (263/22)

6 المختصر في التفسير (601)

تلاوة

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ
مَّا كُوِلَ ﴿٥﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - كيف فعل ربك بأبتره وأصحابه أصحاب الفيل حين أرادوا هدم الكعبة؟!
2. ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ لقد جعل الله تدميرهم السيئ لهدمها في ضياع، فما نالوا ما تمنّوه من صرف الناس عن الكعبة، وما نالوا منها شيئاً.
3. ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ وبعث عليهم طيراً أتتهم جماعات جماعات.
4. ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ ترميهم بحجارة من طين مُتَخَجَّر.
5. ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُوِلَ﴾ فجعلهم الله كورق زرع أكلته الدواب¹ وداسته¹.
والعصف²: ورق الزرع الذي يبقى في الأرض بعد الحصاد وتعصفه الرياح فتأكله الحيوانات، أو هو التبن الذي تأكله الدواب.

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<ul style="list-style-type: none"> • الاستفهام التقريري فيه تعريض بكفران قريش بنعمة عظيمة من نعم الله عليهم، إذ لم يزالوا يعبدون غيره.³ • كما أنّ في الاستفهام تعجيب وتهويل للحادثة، ووقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبية، دالة على عظم قدرة الله - تعالى - على الانتقام من أعدائه الذين كادوا بيته وأرادوا تخريبه، ودالة على كمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله ﷺ.⁴ 	<p>علام يدل استفتاح السورة بالاستفهام (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ)؟</p>

1 المختصر في التفسير (601)

2 تفسير الوسيط، الطنطاوي (512/15)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (545/30)

4 محاسن التأويل، محمد جمال القاسمي (542/9)

<p>لم يقل: ألم تر ما فعل ريك، أو الذي فعل ريك، للدلالة على حالة عجيبة يستحضرها من يعلم تفاصيل القصة.¹</p>	<p>ما الذي تفيدهِ (كَيْفَ) دون غيرها من أسماء الاستفهام والأسماء الموصولة؟</p>
<p>أُوثِرَ فعل (فَعَلَ رُبُّكَ) دون غيره؛ لأنّ مدلول هذا الفعل يعم أعمالاً كثيرة لا يدلّ عليها غيره.² فدلّ الفعل على إهلاكهم، ورد كيدهم، وجعلهم عبرة لغيرهم.</p>	<p>ما فائدة تخير الفعل (فعل)؟</p>
<p>دلّ على عظم مكانة النبي ﷺ عند ربه، وفي ذلك تكريم وتشريف له، وإيماء إلى أن المقصود من التذكير بهذه القصة تكريم النبي ﷺ إذ كان ذلك عام مولده.³ وليكون ما حلّ بهم تذكرة بأنّ فاعل ذلك هو رب النبي ﷺ الذي يدعو إلى توحده، وأنه لا حظّ في البيت للأصنام التي نصبوها حوله.⁴</p>	<p>ما دلالة تخصيص الرسول ﷺ في الخطاب في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ)؟</p>
<p>الكيدُ هو إرادة مضرّة الغير خفية.⁵ وسمى الله - عزّ وجلّ - حربهم كيداً؛ لأنه عمل ظاهره الغضب من فعل الكناي الذي قعد في القليس، وإنما هو علّة تعللوا بها؛ لإيجاد سبب لحرب أهل مكة وهدم الكعبة؛ لينصرف العرب إلى حج القليس في صنعاء فيتنصروا، كما أنّ بناءهم للقليس كان رغبة في صرف العرب عن الحج.⁶</p>	<p>ما دلالة تسمية حرب أصحاب الفيل بالكيد في قوله: (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) مع أنهم أظهروا رغبتهم في هدم البيت؟</p>
<p>استعير حرف الظرفية لمعنى المصاحبة الشديدة؛ ليدلّ على إبطال كيد أصحاب الفيل إبطالاً شديداً، مع ما هم عليه من القوة والمنعة إذ لم ينتفعوا بقوتهم مع ضعف أهل مكة وقلة عددهم، وقد شمل تضليل كيدهم جميع ما حلّ بهم من أسباب الخيبة وسوء المنقلب.⁷</p>	<p>ما فائدة اختيار حرف الجر (في) في قوله تعالى: (في) تَضْلِيلٍ؟</p>
<p>• إما أن يكون للنوعية؛ لأنه نوع لم يكن معروفاً عند العرب.⁸ • أو للتفخيم، والتهويل⁹ لأمر هذه الطيور التي ليست من عادتها أن تقتل. • أو للتحقير؛ فهما كان ضعف هذه الطيور فإن الله - سبحانه - قادر أن يجري</p>	<p>علام يدل تنكير (طير) في قوله: (وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ)؟</p>

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير (545/30)، بتصرف

2 المرجع السابق

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (546/30)، بتصرف

4 انظر: المرجع السابق (544-546/30)

5 الجرجاني، التعريفات، ص 189

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (548/30)

7 المرجع السابق

8 المرجع السابق

9 التفسير الوسيط، الطنطاوي (511/15)

بسببها ما له أثر عظيم¹.

ما دلالة مجيء الفعل
(تَرْمِيهِمْ) بصيغة المضارع؟

جاء بصيغة المضارع لاستحضار الحالة بحيث تخيل للسامع كأنه يراها الآن².

ما دلالة وصف الحجارة بأنها
(مِنْ سِجِّيلٍ)؟

أي ليست حجرًا صخرًا ولكنها طينٌ متحجّرٌ دلالةً على أنها مخلوقةٌ لعذابهم³، وفيها زيادة في التنكيل بهم.

• بيان للآثار الفظيعة التي ترتبت على ما فعلته الحجارة التي أرسلتها الطيور عليهم بإذن الله تعالى⁴.

• توضيح لما حصل لهم فبعد تلك النضرة، والقوة أصبحوا متساقطين على الأرض هالكين⁵.

• وصف حالهم في تمزقهم، وتناثرهم كحال أوراق الأشجار اليابسة، أو التبن الذي تأكله الدواب⁶؛ تحقيرًا لهم وبيان قدرة الله - عزَّ وجلَّ - وشدة أخذه للقوم الظالمين.

ما دلالة التشبيه في قوله:
(فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ)؟

ما أثر حادثة الفيل في
قريش؟

لما ردَّ الله - سبحانه - أصحاب الفيل عن مكة، وأصاحم بما أصاحم به من النعمة، أعظمت العرب قريشًا وقالوا: أهل الله؛ قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم⁷، فأصبحت لقريش هيبة ومنعة بين القبائل، وأمنوا خلال رحلتهم للشام واليمن، وهذا من نعم الله عليهم. فزادت قريش أمنًا وتشريفًا بعد هذه الحادثة.

• تذكير لقريش بهذه النعمة العظيمة التي حقها شكر الله - عزَّ وجلَّ - وتوحيده، ونصرة رسوله.

• تهيب لقريش من أن من دَبَّ عن حرمة بيته سيدب عن حرمة رسوله، وينصره على من عاداه.

• تثبيت النبي - ﷺ - بأن الله - تعالى - يدافع عنه، وعن دينه، فإذا كان الله حمى بيته أفلا يحمي نبيه؟!

• تثبيت لقلوب الصحابة ومن بعدهم من المؤمنين، أن من نصر بيته ينصر دينه

ما فوائد ذكر قصة أصحاب
الفيل في القرآن الكريم؟

1 محاسن التأويل، القاسمي (542/9)، بصرف
2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (549/30)
3 المرجع السابق
4 التفسير الوسيط، الطنطاوي (511/15)
5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (551/30)
6 التفسير الوسيط، الطنطاوي (512/15)
7 محاسن التأويل، القاسمي (547/9)

وأولياؤه وهم أشد حرمة من البيت، عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله - ﷺ - يطوف بالكعبة ويقول: "ما أطيبك، وما أطيب ريحك؟ ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم حرمة منك (2)؛ ماله وذمُّه [وأن تظن به إلا خيراً]"¹.

• وفيها وعيد لمن حارب دين الله - عزَّ وجلَّ -، وبينان لقدرة الله - عزَّ وجلَّ - على إهلاك الظالمين، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

- يُفَصِّصُ عَلَيْهِمْ نَمَازِجَ مِنْ انتصار الله - تعالى - لأولياؤه.
 - وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أسباب النصر وموانعه والتي تتلبس كثيراً بها.
 - يُبَيِّنُ لَهُمْ أن النصر ليس بالقوة المادية، وأن الله لا يعجزه شيء.
 - يبيِّن لهم سنن الله - عزَّ وجلَّ -.
 - ويعدد لهم بعض حكَمِ الله - عزَّ وجلَّ - في تأخير النصر.
- كيف يغرس المرابي الثقة بنصر الله - عزَّ وجلَّ - لأولياؤه؟

- استشعار قدرة الله - عزَّ وجلَّ - على إهلاك الظالمين.
- العزة بالانتماء إلى دين الله تعالى.
- الثقة بنصر الله تعالى، وأنه هو وحده سبحانه قادر على نصر دينه ونبيه وأولياؤه.
- الأخذ بالأسباب المشروعة لنصرة دين الله - تعالى - مع التسليم بأن النصر من عند الله تعالى وحده.
- الحذر من غضب الله - تعالى - وعقابه إن تجرأنا على انتهاك حرمانه.
- التوازن بين رجاء نصر الله - تعالى - وتأنيده لعباده الصالحين، وبين الخوف من التعدي على حرمان الله، والوقوع في سخطه، واستحقاق عقابه الشديد.
- عدم الخوف من مكر الماكرين وكيد الكائدين مهما بلغ بطشهم.
- عدم الانحياز للظالمين أو معاونتهم بأي صورة مهما بدت غلبتهم.
- شكر الله - تعالى - على ما امتنَّ به علينا من نعم، وإخلاص العبودية له سبحانه.
- حسن الظن بالله - عزَّ وجلَّ - وعدم اليأس من النصر.

ما أثر معرفتنا بقصة أصحاب الفيل؟

قال عبد المطلب كلمة يعتقد بعض الناس أنها جميلة وأنها تدل على اليقين، قال لأبرهة: إني أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه. وهذا الموقف هو قمة في السلبية تجاه الدين، فكيف يعيش الإنسان همه لقمة عيشه وحياته ومَلَكَاتِهِ ويترك دين الله - عزَّ وجلَّ -! فهو كما قال بنو

يُذَكِّرُ مَوْقِفَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي حَادِثَةِ الْفَيْلِ وَيُنْثِي عَلَيْهِ بَعْضَهُمْ، فَمَا تَوْجِيهِ قَوْلُهُ؟

إسرائيل لموسى - عليه السلام - : قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، فكان عاقبتهم التيه في الأرض أربعين سنة، وقد وصفهم موسى - عليه السلام - بالفسق، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 25]، فكيف نترك دين الله - عزَّ وجلَّ - وبيته له بجميهم؟! وهو الغني عتًا، إنما نقول ننافح عن دين الله - عزَّ وجلَّ - والله ناصرنا، ونسأل الله أن يستعملنا لنصرة دينه وخدمة كتابه وإعلاء رايته.

كيف يقيننا في نصر الله - عزَّ وجلَّ -؟

هل أبحرنا سلاح أعداء الدين كما أبحر الفيل كفار قريش؟ أنشكُ في قدرة الله - عزَّ وجلَّ - وقوته؟! هل أخذنا بأسباب نصره دينه؟ هل اتبعنا هديه حتى نكون أهلاً لنصرته سبحانه؟

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تعظيم مكانة بيت الله الذي حماه سبحانه ممن أرادوا به سوءًا، فأهلكهم ورد كيدهم.
- بيان قدرة الله - عزَّ وجلَّ - في إهلاك الظالمين، فالله يمهل ولا يهمل، فإذا أخذ الظالم أخذه عزيز مقتدر.
- الله تعالى غالبٌ على أمره، ولا يغر المشركون قوتهم ولا كثرة عددهم.
- كل من يكيّد للإسلام والمسلمين سوءًا يجعل الله كيده في نحره.
- اعتبار المسلمين بقصص القرآن الكريم.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- تعظيم مكانة البيت الحرام في نفوسنا، والتحلي بالآداب اللازمة عند زيارته.
- الثقة بنصر الله - تعالى - وعدم استبطاء النصر مهما عظم علينا الكيد، ومن نصر بيته ينصر دينه وأولياءه.
- الأخذ بأسباب النصر للمسلمين، والسعي إلى نصر دين الله تعالى، مع التسليم بأن النصر من عند الله وحده.
- اتقاء غضب الله وعقوبته، والحذر من التعدي على حرمة الله - عزَّ وجلَّ -.
- الاتعاظ والاعتبار بما يبلغنا من أخبار.
- البراءة من المشركين والكفار وعدم موالاتهم.

من الفوائد التربوية

- التربية بالقصص والتربية بالأحداث.

- العناية بالمتريين والدفاع عنهم.
- استعمال أسلوب التعجب، وشد انتباه المخاطبين.
- الترهيب من الاغترار بالقوة، والتعدي على حرمت الله.

رسائل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ الله سبحانه قادر على رد كيد أعداء دينه، فتوكل عليه، وأحسن الظن به، ولا تيأس.

106. سُورَةُ قُرَيْشٍ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تؤكد استجابة الله - تعالى - لدعوة خليله إبراهيم عليه السلام وهو يتوجه إليه عقب بناء البيت وتطهيره، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 126].
سورة نزلت في قوم انبثق من أرضهم النور، وكانوا أحرص الناس على إطفائه.
أقنهم الله - عزَّ وجلَّ - وأغدق عليهم النعم، فقابلوها بالكفران.
هي سورة قريش.

تحيئة:

تعريف السورة

سُميت هذه السورة في عهد السلف بسورة «لإيلاف قريش» وسميت في المصاحف وكتب التفسير بسورة «قريش»¹.
وسمّاها بعض المفسرين بسورة «لإيلاف»، ووجه التسمية: أنها تسمية بلفظ وقع في أولها. خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

اسم السورة:

مكية.²

نوع السورة:

أربع آيات في الكوفي والبصري والشامي وخمس في المدني والمكي.³

عدد آياتها:

لم يرد فيها سبب نزول صحيح.

سبب نزولها:

لم يرد فيها فضل خاص سوى أنها من المفصل، فعن واثلة بن الأسقع أن النبي - ﷺ - قال: (أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المثين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل).⁴

فضل السورة والآثار
الواردة فيها:

المناسبة بين سورة قريش وسورة الفيل:

• لما أهلك الله - تعالى - أصحاب الفيل، وردّ كيدهم في نحورهم، ازداد وقع أهل مكة

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (553/30)

2 المرجع السابق

3 البيان في عد أي القرآن، (ص: 290)

4 رواه أحمد في مسنده (16982) (188/28)، والطالبي في مسنده (1105) (351/2)، وقال الألباني: حديث صحيح

في القلوب، وازداد تعظيم الأمراء والملوك لهم، فازدادت تلك المنافع لهم، فلذلك جاء الامتنان على قريش وتذكيرهم بنعم الله ليوحدهم ويشكروه.¹

• كما تبدو هذه السورة امتداداً لسورة الفيل قبلها، من ناحية موضوعها، فكلتا السورتين تضمّنت ذكر نعمة من نعم الله على أهل مكة، الأولى: تضمنت إهلاك عدوهم الذي جاء ليهدم بيتهم وهو أساس مجدهم وعزهم، والثانية: نعمة اجتماع أمرهم ومُ شملهم؛ ليتمكنوا من الارتحال صيفاً وشتاءً في تجارتهم.²

المناسبة بين سورة قريش وسورة الماعون:

لما ذكر سبحانه في سورة (قريش): ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ ذم - عزَّ وجلَّ - هنا من لم يحض على طعام المسكين، ولما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَبْغُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ذم سبحانه هنا من سهى عن صلاته، ولما عدد نعمه تعالى على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء، أتبع سبحانه امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه.³

مناسبة السورة لما بعدها:

مقصد السورة: تركز على الامتنان على قريش وما يلزمهم تجاه ذلك.⁴

موضوعات السورة: من الآية (1) إلى الآية: (2) امتنان الله - تعالى - على قريش بالنعم. من الآية (3) إلى الآية: (4) الأمر بعبودية الله - تعالى - شكراً على النعم.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الْهُنْتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ لتعود قريش.
 2. ﴿إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الْهُنْتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ والفهم رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام آمنين.⁵
- إِيلَافٌ: الإيلاف مصدر آلفه الشيء يؤالفه إيلافاً إذا اعتاده، وزالت الكلفة عنه والنفرة منه.⁶

1 صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (580/3)
2 التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (363/9)
3 روح المعاني، الألوسي (241/30)
4 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/602)
5 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/602)
6 أيسر التفاسير، الجزائري (1/617)

قُرَيْشٍ: هم ولد النضر بن كنانة وهم قبائل شتى،¹ وهي القبيلة التي كانت تسكن مكة حين بعثة النبي -ﷺ-.

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<p>اختُلف في متعلقها على عدة أقوال، منها:</p> <ul style="list-style-type: none"> • القول الأول: متعلق بما قبله فيكون المعنى، أهلكنا أصحاب الفيل² من أجل أن يدوم إيلاف قريش لهم، ويبقى تعظيم العرب إياهم؛ لأنهم أهل حرم الله - عز وجل³ -. • القول الثاني: اللام متعلقة بفعل (اعجبوا) محذوف،⁴ أي اعجبوا لإيلاف قريش⁵. • القول الثالث: المجرور متعلق بفعل (فليعبدوا)؛ إذ إن الإيلاف من أسباب أمرهم بعبادة الله التي أعرضوا عنها بعبادة الأصنام، فيكون أصل نظم الكلام، لتعبد قريش رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف؛ لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف.⁶ 	<p>ما متعلق الجار والمجرور في قوله تعالى ﴿لِإِيْلَافٍ﴾؟</p>
<p>للاهتمام به، وتشويق لما بعده،⁷ ففي هذا الأسلوب شد للانتباه، والنظر فيما سيأتي بعده من أمر يعجب له.</p> <p>على القول الأول: فعجب أن يفصل بين الجار والمجرور ومتعلقه، كلٌّ في سورة.</p> <p>على القول الثاني: فحذف فعل «اعجبوا» دليل على هذا العجب من فعلهم.</p> <p>على القول الثالث: افتتاح مبدع، إذ كان بمجرور لام التعليل وليس يآثره بالقرب ما يصلح للتعليق به ففيه تشويق إلى متعلق هذا المجرور. وزاده الطول تشويهاً إذ فصل بينه وبين متعلقه (فليعبدوا) بخمس كلمات.⁸</p>	<p>ما دلالة تقديم الجار والمجرور ﴿لِإِيْلَافٍ﴾ أو عدم ذكر متعلقه؟</p>

1 المرجع السابق

2 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (20/200)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (9/109)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/555)

5 أضواء البيان، الشنقيطي (9/109)

6 ي نظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (554/30)

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (554/30)

8 المرجع السابق

<p>قوله: إيلافهم عطف بيانٍ من «إيلاف قريش» وهو من أسلوب التفصيل بعد الإجمال للعناية بالخبر؛ ليمكنَّ في ذهن السامع.¹</p>	<p>ما الأسلوب الظاهر في تكرار كلمة (إيلاف)؟ وعلام يدل؟</p>
<p>النعمة هي: ائتلاف قريش واجتماعها في وقت كانت فيه قبائل العرب متناحرة،² وكان هذا سبباً في أمنهم وانتظام رحلتي الشتاء لليمن والصيد للشام من أجل التجارة والمكاسب.³</p> <p>وحصّصت بالذكر؛ لأنها سبب جامع لأهم النعم التي كان بما قوامهم وعيشهم (الرزق والأمن).⁴</p>	<p>افتتحت السورة بذكر نعمة امتن الله تعالى بها على قريش فما هذه النعمة؟ وما دلالة تخصيصها بالذكر دون غيرها من النعم؟</p>
<p>قريش هم قوم النبي ﷺ، وقد ابتدأ النبي -ﷺ- الدعوة فيهم؛ لقوله سبحانه: ﴿وَأُنذِرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا أشدَّ الناس عداوة وحرماً لدين الله.</p> <p>وقريش هم سدنة البيت وحماته، واستمرت مكاتبتهم في الإسلام حتى قال النبي ﷺ: "لا يزال هذا الأمر في قريش".⁵</p>	<p>قريش هي القبيلة الوحيدة التي ذكر اسمها في القرآن، فمن هم؟</p>
<p>لإظهار امتنان الله عليهم في جلب الأرزاق إلى بلادهم التي ليست هي بذات زرع ولا صناعة؛ ليعيش سكان حرمه وبلده في رغد من العيش، فهي نعمة من نعم الله تعالى.⁶</p>	<p>ما دلالة تخصيص رحلتي الشتاء والصيد في السورة؟</p>
<p>رحمة الله بعباده، فقد أنعم على كفار قريش رغم كفرهم به سبحانه، فعلى المؤمن ألا يستبعد رحمته وورقه مهما بلغ تقصيره.</p> <p>بيان فضل الله - تعالى - على قريش وإنعامه عليها، الأمر الذي تطلّب شكرها فلم تشكر فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بتركها الشكر.</p> <p>نستشعر أيضاً مظاهر تدبير الله - تعالى - وحكمته ورحمته فسبحانه من إله حكيم رحمن، وهذا يحننا على استشعار نساءم رحمته وحكمته سبحانه في تفاصيل حياتنا، فيبعث في قلوبنا حب الله والاعتماد عليه، ونسب النعم إليه سبحانه وشكرها.</p>	<p>افتتاح السورة بالامتنان على قريش بلمّ شملهم والفهم رحلتي الشتاء والصيد؟ بمّ يوحي ذلك؟</p>

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (556، 30/557)، بتصرف

2 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (491/8)، بتصرف

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 935)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (399/16)، بتصرف

5 رواه البخاري (3501)

6 أيسر التفاسير، الجزائري (618/5)، بتصرف

التأمل والتفكير في تفاصيل الأحداث اليومية المعتادة، وما أنعم الله علينا من النعم، لنشعر بمنة الله - تعالى - وفضله.

تذكر الابتلاءات السابقة التي مررنا بها وفقد بعض النعم، ومقارنة حالنا الآن. دوام النظر في حال من حولنا ممن حرم ما نحن فيه من النعم؛ لنستشعر نعمة الله تعالى علينا، ونبادر إلى مد يد العون لمن نستطيع مساعدته منهم. استغلال المواقف التي تغيب فيها إحدى النعم؛ لبيان أهميتها وشكر الله - عز وجل - عليها.

استشعار أن بالشكر تزيد النعم والكفر يحققها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]. التربية بالأحداث، استثمار الأحداث سواء كانت مما يصيبنا أو يصيب غيرنا في بيان أثر النعمة وأثر فقدها.

زيارة المرضى وذوي الاحتياجات الخاصة، وتأمل حالهم. الحرص على ترطيب اللسان بذكر الله - تعالى - وحمده وشكره على نعمه، كي يدفع ذلك نسيان المنعم.

دوام اللجوء إلى الله - تعالى - ودعائه في كل حاجة صغيرة كانت أو كبيرة، والتبرؤ من الحول والقوة إلا بالله تعالى؛ لأن الدعاء يورث الافتقار إلى الله - عز وجل -، واستشعار أن النعم بيد الملك سبحانه. الحرص على سجود الشكر لله تعالى كلما أنعم الله تعالى علينا بما يسرنا.

إلف النعمة يؤدي إلى جحودها وعدم استشعارها، فما علاج ذلك؟

تلاوة

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۗ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

3. ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ فليعبدوا الله رب هذا البيت الحرام وحده، الذي يسر لهم هذه الرحلة، ولا يشركوا به أحداً.

4. ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، بما وضع في قلوب العرب من تعظيم الحرم، وتعظيم سكانه.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
	ما مناسبة هذه الآية (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) لما قبلها؟ أن المنعم حقه الشكر لا الكفران.
من خلال الآيات كيف يكون شكر الله - عزَّ وجلَّ - ووحده من يستحق العبادة.	بإخلاص العبودية لله - عزَّ وجلَّ - وعدم الإشراف به، ² فوحده من أنعم عليهم
في إضافة اسم الله (رب) إلى (البيت) تعظيم للبيت الحرام - الكعبة - وبيان فضله وشرفه، أصل نعمة الإيلاف أن الله - عزَّ وجلَّ - أمر إبراهيم - عليه السلام - ببناء البيت الحرام فكان سبباً لرفعة شأهم بين العرب، ³ وتذكيراً لهم أنه لا يستحق العبادة إلا رب البيت، الذي بسببه كانت لهم النعم.	علام يدل إضافة (رب) إلى البيت في قوله: (رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ)؟
أولاً: إجلاله وتعظيمه في النفوس، وحبه، وحب زيارته والصلاة فيه، وتوقيره بتجنب ارتكاب المعاصي والمحرمات فيه، فالسيئات في هذه الأرض المباركة مضاعفة، وما إجلال بيت الله وتوقيره إلا علامة لتقوى القلب، كما قال تعالى: (وَاللَّيْلُ لَمَّا يَنْتَظِرُ لِحُكْمِ اللَّهِ يَكْفُؤُا رُءُوسَهُمْ وَإِذَا أُلْحِقُوا الْفِتْرَةَ السَّاعِيَةَ يَرْغَبُونَ لَهَا فَإِذَا جَاءَ الْحُكْمَ يَخْسِرُونَ) [الحج: 32].	ما واجبنا تجاه بيت الله الحرام؟
ثانياً: الدفاع عنه، فلا نقول كما قال عبد المطلب: للبيت رب يحميه، ولكن نقول نحن نحّميه والله معنا وناصرنا، وقد توالى الحملات على مر الأزمان للمعرضين ومن يريد به سوءاً، مثل: حملة القرامطة التي قُتل خلالها الآلاف من الحجاج وسُرق الحجر الأسود.	بماذا اختص بلد البيت دون غيره من بقاع الأرض؟
لا يُقطع شجره، ولا يُحش حشيشه، ولا تُلتقط ساقطته، ولا يصاد صيده، ولا يسفك فيه دم، وهذه الخصائص لا توجد في البلاد الأخرى حتى في المدينة. ⁴ كما اختص بعبادات لا تُعبد في غيره، وهي الحج والعمرة والطواف.	

1 التفسير الوسيط، الطنطاوي (515/15)

2 تفسير الكرم الرحمن، السعدي (935)، بتصرف

3 تفسير الكرم الرحمن، السعدي (935) التحرير والتنوير، ابن عاشور (560/30)، بتصرف

4 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (323)

كان الناس يبنون بيوتهم مدوّرة تعظيماً للكعبة، وأوّل من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير، فقالت قريش: رزّع حميد بن زهير بيتاً، إما حياةً وإما موتاً. إنهم في قفولهم من أسفارهم أو قنصهم يبدؤون به قبل بيوتهم؛ ليطوفوا به. إنّ من علا الكعبة من العبيد فهو حرٌّ، لا يرون الملك على من علاها، ولا يجمعون بين عزّ علوّها وذلّ الرّق، وبمكة رجالٌ من الصالحين لم يدخلوها قطّ إعظاماً لها. إنهم كانوا لا يدخلون الكعبة بمحاذٍ؛ يعظّمون ذلك.

عظّم كفار قريش البيت الحرام في الجاهلية تعظيماً شديداً، اذكر صوراً لذلك، وهل نفعهم ذلك مع كفرهم؟

عظّم كفار قريش البيت الحرام في الجاهلية تعظيماً شديداً، اذكر صوراً لذلك، وهل نفعهم ذلك مع كفرهم؟

عظمه فهدم والناس معه.¹

ولم يشفع لقريش هذا التعظيم لما كذّبت بالله - عزّ وجلّ - وخالفت هديه، قال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾² الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾³ [التوبة: 19-20].

رغم ضلالهم وكفرهم عظموا البيت الحرام، فهل نحن نحن ممن عظمه، وأدى حقه؟

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ لما قبلها؟

جاءت هذه الآية لبيان نعم أخرى أوجب استحقاق رب البيت للعبادة زيادة على نعمة تيسير التجارة لهم، وهي نعمة إطعامهم وأمنهم،² فهي بمنزلة التعليل لموجب أمرهم بالعبادة.³

في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ جمع بين الإطعام والأمن، فعلا م يدل ذلك؟

جمع بين الإطعام والأمن؛ لأن الإنسان لا يسعد ولا ينعم إلا بتحصيل هاتين النعمتين معاً إذ لا عيش مع الجوع ولا أمن مع الخوف، وتكمل النعمة باجتماعهما،⁴ كما جاء في الحديث: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مَعَانِي فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قَوْتٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا».⁵

1 ملتنقى الخطباء، آية تعظيم البيت الحرام، إبراهيم محمد الحقيقل

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/561)، بتصرف

3 أضواء البيان، الشنقيطي (111/9)

4 أضواء البيان، الشنقيطي (111/9)

5 رواه الترمذي (2346)، والبخاري في الأدب المفرد (300)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي

(من) الدّاخله على جوعٍ وعلى خوفٍ معناها البديلية، أي أطعمهم بدلاً من الجوع وأمّنهم بدلاً من الخوف، ومعنى البديلية هو أنّ حالة بلادهم تقتضي أن يكون أهلها في جوع، فإطعامهم بدلاً من الجوع الذي تقتضيه البلاد، وأنّ حالتهم في قلة العدد وكوتهم أهل حضرٍ وليسوا أهل بأسٍ ولا فروسيةٍ ولا شكّة سلاحٍ تقتضي أن يكونوا معرضين لغارات القبائل فجعل الله لهم الأمن في الحرم عوضاً عن الخوف الذي تقتضيه قلتهم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 67]¹، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْيِي إِلَيْهِ ثُمَّ رَأَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57].
وقال قتادة: «كان أهل مكة تجارًا، يتغاورون ذلك شتاءً وصيفًا، أمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعضٍ، لا يقدر على ذلك، ولا يستطيعونه من الخوف، حتّى إن الرجل منهم ليصاب في حيٍّ من أحياء العرب، وإذا قيل حرميّ خلّي عنه وعن ماله؛ تعظيمًا لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن»².
وفي هذا زيادة في الامتنان على قريش بهذه النعم التي اختصهم الله - عزّ وجلّ - بها، فكانوا أولى الناس بشكر الله - عزّ وجلّ - وإخلاص العبودية له ونبذ الشرك.

ما دلالة (من) في قوله تعالى:
﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّن جُوعٍ
وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ؟﴾

الطعام يزيل الجوع، أما الإشباع فإنّه يورث البطنه، وفي هذا تنبيه على أنّ خير الطعام ما سدّ الجوع³، وفي الحديث: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنٍ، حسبُ الآدميِّ لقيماتٌ يُقَمِّنُ صلبه فإن غلبت الآدميِّ نفسه فثلثٌ للطعام وثلثٌ للشربِ وثلثٌ للنفس»⁴.

ما دلالة التعبير بالإطعام
دون الإشباع؟

- شمّ تدرك به الروائح من بعيد وتلذذ بالروائح الطيبة.
- بصرّ تدرك به وتمتع بجمال الأشكال والألوان.
- لسان تتذوق به لذة الطعام.
- أسنان تتناول بها أنواع الغذاء المختلفة النباتية والحيوانية.
- الشعور بحاجة إلى الطعام حتى تغذي جسدك.
- كره الطعام عند الشبع حتى لا تضر نفسك.
- عقل تدرك به منفعة الأطعمة وضررها.
- وغيرها من النعم التي لا يمكن حصرها.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ 34﴾ شملت نعمة
الإطعام نعمًا متعددة، اذكر
بعضها.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (561/30)

2 جامع البيان، الطبري (654/24)

3 مفاتيح الغيب، الرازي (299/32)

4 أخرجه الترمذي (2380)، والنسائي في السنن الكبرى (6769)، وابن ماجه (3349) واللفظ له، وأحمد (17186)

- الشرك بالله وعدم الاعتراف بالمنعم جلّ جلاله، ونسبة النعمة إلى غيره، فيظن أن ما به من نعمة فبفضل قوته أو علمه أو حيلته ودهائه وتخطيطه، وينسب نجاحه لمثابته وذكائه أو أنه ينسب الشفاء إلى الطبيب.
- توظيف النعم في معصية الله - سبحانه وتعالى -.
- التكاثر في الطاعات والقربات.
- الإسراف بشتى أنواعه.
- عدم الرضا والتأفف من فقد النعم.

ما صور كفران النعمة
وجحودها؟

أحاسب نفسي على شكر النعم قبل فقداها.

بالشكر تزيد النعم وتزدهر الأمم والكفر سبب في محققها وزوالها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]. ويشهد له من القصص القرآني قصة مملكة سبأ وما آتاها الله من رزق ونعم، فلما كفروا وظلموا أهلكتهم بسبب العرم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِئِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: 15-17]، ومثلها قصة أصحاب القرية وغيرهم.

ما عاقبة شكر النعم على
الأمم، وما عاقبة كفرانها؟

والباحث في التاريخ يعتبر بنهايات الأمم واندثارها بعد قوتها وازدهارها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءُنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: 94-95] ذكر الله - سبحانه وتعالى - ما يكون من استدراج الأمم، وأخذها بالشدّة والابتلاء فإن لم ترجع إلى ربها وتشكر نعمه وتعبده دون غيره، فتح عليها من متاع الدنيا استدراجاً لها، حتى إذا تمادت في غيها أهلكت. والتاريخ شاهد على ذلك.

نرى نعمًا تزيد وتكثر عند
أمم كافرة محاربة لله ورسوله،
فما تفسير ذلك؟

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُنْزِلُ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُنْزِلُ لَهُمْ لِيَزِدُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: 178]، فالله - تعالى - يُملِي للظالم، حتى يزداد طغيانه، ويترادف كفرانه، حتى إذا أخذه أخذ عزيمة مقتدر.¹

ما الأعمال التي نتعلمها من الآية؟

- إخلاص العبودية لله - عزَّ وجلَّ - .
- شكر الله - سبحانه وتعالى -، واستخدام نعمه في طاعته.
- حفظ المعروف لأهله، وشكر أصحاب الفضل والمنة.

• جاء في الحديث «لا يشكرُ الله من لا يشكرُ الناس»،² وما قيل في معناه: إنَّ من كان من طبعه وعاداته كفرانُ نعمة الناس وترك الشكر لهم، كان من عاداته وطبعه كفر نعمة الله وترك الشكر له؛ لأنَّه ليس معتاداً على الشكر.³

• وقال - ﷺ -: ” وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ“.⁴

وفي الحديث أيضاً: «من صنع إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء».⁵

هذا عن شكر الله - عزَّ وجلَّ -، فما أهمية شكر الناس؟

ماذا لو لم يبق لك من النعم إلا ما شكرت الله عليها؟

- نفرس فيهم أن بقاء النعمة مرتكز بطاعة الله فيها وشكرها.
- توجيههم إلى أهمية إكرام الطعام، وعدم الاستهانة بقليله، فقد جاء عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاثة، وقال: قال رسول الله: (إذا سقطت لُقْمَةٌ لأحديكم فليُمِطْ عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان) وأمرنا أن نسلت القصعة، قال: (فإنكم لا تدرن في أي طعامكم البركة)،⁶ فحتى اللقيمات وبقايا الطعام في الصحاف والقدر والأواني لا يُستهان بها.
- تذكيرهم بحمد الله بعد كل أكلة وشربة، فقد جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا».⁷

كيف نربي أبنائنا على شكر نعمة الطعام؟

1 تفسير السعدي - تيسير الكريم الرحمن، (ص: 158)

2 صحيح أبي داود (4811)

3 الدرر السنية، الموسوعة الحديثية، <https://doramet/hadith/sharh/30005>

4 أخرجه أبو داود (5109)، والنسائي (2567)، وأحمد (5365) باختلاف يسير

5 أخرجه الترمذي (2035)، والنسائي في (السنن الكبرى) (10008)

6 صحيح مسلم (2034)

7 رواه مسلم (2734)

- حمد الله على نعمه صباحًا ومساءً فقد جاء في الحديث «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بَأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمَنْكَ وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ فَقَدْ أَدَى شُكْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ»،¹ وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَأَوَانَا، فَكَمْ مِنْ لَا كَافِيٍّ لَهُ وَلَا مُؤْوِيٍّ"².

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تفضيل الله - تعالى - لقريش وإنعامه عليها بالأمن والرزق اللذين يستوجبا الشكر لا الكفر.
- أهمية نعمة الاجتماع وعدم التفرق والتنازع.
- رغد الرزق والأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لشكر الله تعالى.
- أصل شكر الله على نعمه بتوحيده وعبادته، فمن أخل بالتوحيد أخل بشكر النعم وإن نطق لسانه بالشكر.
- تعظيم مكانة البيت الحرام وإجلاله من إجلال الله تعالى.
- إن الأمن والطعام نعمتان عظيمتان امتنَّ الله بهما على الناس، فلا تألف هذه النعم ونسى المنعم.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- التفكير في نعم الله - سبحانه وتعالى - علينا، فنزداد حمداً وشكراً لرَبِّنا المنعم.
- الحرص على التآلف والاجتماع مع المسلمين، ونبذ الفرقة والتنازع.
- تجنُّب الإسراف وكل ما يُزِيل النعم.
- الاستزادة من الطاعة والعبادة، فمن أراد أن تنزل عليه الأرزاق وتحصل له النعم ولا ترتحل فعلية بالعبادة.
- تعظيم المسجد الحرام في قلوبنا، والحرص على الآداب اللازمة في أثناء زيارته.
- حفظ المعروف لأهله، وشكر أصحاب الفضل والمثَّة.
- الحفاظ على نعمتي الطعام والأمن وشكرهما.

من الفوائد التربوية

- من الأساليب التربوية: شد الانتباه في الخطاب وتنويعه.
- من الأساليب التربوية: التعليل وربط النتيجة بالسبب.
- غرس قيمة الشكر.

1 صحیح ابن حبان (861)

2 صحیح مسلم (2715)

- غرس قيمة الإخلاص.

رسائل

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۗ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ الفطن هو من تدفعه النعم لمزيد عبادة وتقرب إلى ربه تعالى، ولا ينسيه إلف النعمة من أنعم به عليها.
نعمّ جمّة ألفتها فما شكرناها، ولولا رحمة ربنا لحُرمتها.

107. سُورَةُ الْمَاعُونِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

إن من أهم أسباب الشقاء والانحراف والضلال وسوء الخلق إنكار يوم القيامة، فلو صدق الناس به تصديقاً تاماً، لما تجرأ واحد منهم على العصيان والمخالفة، أو الكفر والجحود.¹ وهذه السورة تجمع بين الإيمان باليوم الآخر والآثار السلوكية لذلك.

تهينة:

تعريف السورة

سُمِّيَتْ سورة «الماعون»؛ لورود لفظ الماعون فيها دون غيرها، وسميت سورة «أرأيت» وسورة «أرأيت الذي» وسورة «الدين» وسورة «التكذيب» وسورة «اليتيم».²

اسم السورة:

مكية.³

نوع السورة:

سبع آيات في الكوفي والبصري وست في عدّ الباقيين.⁴

عدد آياتها:

ذكر الواحدي: قال مقاتل والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي. وقال ابن جريج: كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل أسبوع جزورين، فأتاه يتيم فسأله شيئاً ففرعه بعضاً، فأنزل الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالرِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾.⁵

سبب نزولها:

لم يرد فيها فضل خاص سوى أنها من المفصل، فعن وائلة بن الأسقع، أن النبي ﷺ - قال: (أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المثين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل).⁶

فضل السورة والآثار الواردة

فيها:

المناسبة بين سورة الماعون وسورة قريش:

لما ذكر سبحانه في سورة (قريش): ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ﴾ ذم - عزَّ وجلَّ

مناسبة السورة لما قبلها:

1 التفسير الوسيط، الزحيلي (3/ 2940)، بتصرف

2 التحرير والتنوير (30/ 563)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 563)

4 البيان في عد آي القرآن، (ص: 291)

5 أسباب النزول، ت: الخميدان، (ص: 465)

6 رواه أحمد في مسنده (16982) (188/28)، والطالسي في مسنده (1105) (351/2)، وقال الألباني: حديث صحيح

– هنا من لم يحض على طعام المسكين، ولما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ذم سبحانه هنا من سهى عن صلاته، ولما عدد نعمه تعالى على قریش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء، أتبع سبحانه امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه.¹

المناسبة بين سورة الماعون وسورة الكوثر:

وصف الله – عزَّ وجلَّ – في هذه السورة المكذب بالدين بالبخل، وترك الصلاة، والرياء، ومنع الزكاة، فقابل في سورة الكوثر البخل ب(إنا أعطيناك الكوثر)، والسهو في الصلاة بقوله: (فصل)، والرياء بقوله: (لربك)، ومنع الزكاة بقوله: (وانحر)، أراد به التصدق بلحم الأضاحي، فقابل أربعًا بأربع.²

مناسبة السورة لما بعدها:

تركز على بيان أخلاق المكذبين بالدين والآخرة، تحذيرًا للمؤمنين، وتشجيعًا على الكافرين.³

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (3): التعجب من حال المكذب بالبعث وبيان صفاته.
من الآية (4) إلى الآية (7): الوعيد لمن غفل عن صلاته ومنع الخير عن الناس.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ هل عرفت الذي يكذب بالجزاء يوم القيامة؟
2. ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ فهو ذلك الذي يدفع اليتيم بغلظة عن حاجته.
3. ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ ولا يحث نفسه ولا يحث غيره على إطعام الفقير.⁴

1 روح المعاني، الألوسي (241 / 30)

2 البحر المحیط، ابن حبان (555 / 10)، بتصرف يسير

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (602 / 1)

4 المختصر في تفسير القرآن الكريم (602 / 1)

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرية
التشويق والتعجيب من حال المكذبين بالجزاء، وما أورثهم التكذيب من سوء الصنيع. ¹	ما مناسبة افتتاح السورة بالاستفهام في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ؟﴾
الرؤية بصرية يتعدى فعلها إلى مفعول واحد، فإن المكذبين بالدين معروفون وأعمالهم مشهورة، فنزلت شهرتهم بذلك منزلة الأمر المبصر المشاهد. ²	ما دلالة لفظ «أرأيت» في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ؟﴾
الدع هو الدفع بعنف، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً﴾ [الطور: 13]، أي: دفعا شديداً، وذلك دليل على قسوة قلب المكذب بالدين، وغلظته وهذا عكس ما يجب أن يكون عليه المؤمن، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].	ما دلالة تخير كلمة «يدع» في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ؟﴾
كُني بنفي الحض عن نفي الإطعام؛ لأن الذي يشح بالحض على الإطعام هو بالإطعام أشح. ³	ما دلالة نفي الحض دون الإطعام في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ؟﴾
وتنبية للمسلم إن لم يكن لديه ما يتصدق به أن يحض غيره على ذلك.	ما الفائدة من مجيء الأفعال «يكذب»، «يدع»، «يحض» لإفادة تكرر ذلك منه واستمراره، فهذا خلق له وليس عرضاً بصيغة المضارع؟

1 حماس التأويل، القاسمي (9 / 552)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور 565/30

3 المرجع السابق

هاتان الصفتان نموذج ومثال لما يتصف به المكذب بالدين من خلق ذميم، فالأول «دع اليتيم» مثال للفعل القبيح، والثاني «عدم الحض على طعام المسكين» مثال للترك المذموم.

التكذيب بيوم الدين يحمل على كل الموبقات، إلا أنها قد تجد ما يمنع منها، كالقتل والزنا والخمر لتعلق حق الآخرين، وكذلك السرقة والنهب. أما إيذاء اليتيم وضياع المسكين، فليس هناك من يدفع عنه، ولا يمنع إيذاء هؤلاء عنهما، وليس لدهما الجزاء الذي ينتظره أولئك منهم على الإحسان إليهم. وجبلت النفوس على ألا تبذل إلا بعوض، ولا تكف إلا عن خوف، فالخوف مأمون من جانبي اليتيم والمسكين، والجزاء غير مأمول منهما، فلم يبق دافع للإحسان إليهما، ولا رادع عن الإساءة لهما إلا الإيمان بيوم الدين والجزاء.¹

ما دلالة تخصيص هذه الصفات بالذكر دون غيرها «دع اليتيم» و«عدم الحض على طعام المسكين»؟

هذه الصفات نجدها في عدد من المسلمين ممن تعلق بالدنيا وساء خلقه، وهذه الآيات فيها إشارة إلى أن هذا الخلق لا يجب أن يكون في مؤمن، يؤمن بيوم الحساب والجزاء، فهو إن أساء يخشى العقوبة وإن أصلح يرجو الأجر العظيم من الله - عز وجل -، لذلك الإيمان باليوم الآخر رادع عن كل خلق ذميم وكل إساءة للغير، كما أنه دافع لكل عمل صالح، فحال المؤمن كما ذكره قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾² ثم قال مبيِّنًا الدافع إلى إطعامهم إياهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ إِنَّا نَحْنُ الْغَنِيُّونَ ۗ رَزَقْنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: 8 - 10]²، فأعظم ضمان لحفظ حقوق الناس وعدم ظلمهم والإحسان إليهم هو الإيمان بالدار الآخرة.

هل نرى في مجتمعنا هذه الصفات قصرًا على المكذب بالدين؟

لأن اليتيم والمسكين ليس لديهما الجزاء الذي ينتظره أولئك منهم على الإحسان إليهم إلا رجاء الجزاء في اليوم الآخر،³ أما الإحسان إلى غيرهما كأولي القرى والجار والصاحب فقد يكون لمصلحة دنيوية، أو اتباع لهوى النفس أو مجاملة لأحد أو غير ذلك.

في الآيات خصَّ (اليتيم والمسكين) بالذكر دون غيرهما، ما مناسبة ذلك؟

إضافة الطعام إلى المسكين دليل على استحقاقه له، وزيادة في ذم من منع المسكين من طعامه وهو حق له، وفي ذلك إشارة إلى النهي عن الامتنان.⁴

ما دلالة إضافة الطعام إلى المسكين في قوله تعالى: ﴿طَعَامَ الْمَسْكِينِ﴾؟

1 أضواء البيان، الشنقيطي، 114/9-115

2 المرجع السابق

3 المرجع السابق، بتصرف

4 محاسن التأويل، القاسمي (9/552)، بتصرف

قال - ﷺ -: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا"، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج

وردت أحاديث في فضل

بينهما شيئاً.¹

أتى النبي - ﷺ - رجل يشكو قسوة قلبه، فقال - ﷺ -: "أحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح على رأسه، وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتذكر حاجتك".²

الاعتناء باليتيم، اذكر شيئاً منها.

حثت الشريعة الإسلامية

في الحديث الصحيح: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو قال: كالصائم لا يفطر والقائم لا يفتر».³

على الاعتناء بالمسكين، والإنفاق عليه، هات من الآثار ما يدل على ذلك.

- معرفة فضيلة هذا العمل، والأجر المترتب عليه من خلال القرآن والسنة.
- معرفة أثر الإحسان علينا كأفراد وعلى المجتمع.
- معرفة قيمة الضعفاء عند الله - عزَّ وجلَّ -، عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعد - رضي الله عنه -، أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي - ﷺ -: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».⁴
- معرفة أنواع الإحسان التي تكون من أبسط فعلٍ كالإبتسام والكلمة الطيبة.
- تفقد أحوال الضعفاء والسعي لمساعدتهم ونكون بذلك قدوة لغيرنا.

كيف نغرس قيمة الإحسان إلى الضعفاء في أنفسنا وفيمن حولنا؟

- الحذر من الاتصاف بصفاتهم.
- معالجة قسوة القلب وأمراضه.
- محاسبة النفس وتفقد أخلاقنا مع الآخرين، وخاصة الضعفاء.
- تربية الأبناء على نبذ الخلق الذميمة وأنه ما ينبغي أن يكون لمسلم.
- الربط بين الإيمان والأخلاق.

ما أثر المعرفة بحال المكذبين وصفاتهم؟

كيف حالنا مع الأيتام والمساكين؟

هل انعكس إيماننا بالله - عزَّ وجلَّ - على سلوكنا مع عباد الله؟

1 صحيح البخاري، رقم: (5304)

2 السلسلة الصحيحة، الألباني (2/ 508)

3 صحيح البخاري، رقم: (5353)

4 صحيح البخاري (4/ 37)

تلاوة

﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿۱﴾
وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿۲﴾ (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

4. ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ فهلاك وعذاب للمصلين.
5. ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يباليون بما حتى ينقضي وقتها.
6. ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ الذين هم يراؤون بصلاتهم وأعمالهم، لا يخلصون العمل لله.
7. ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ويمنعون إعانة غيرهم بما لا ضرر في الإعانة به.¹

تدبر وتركية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<ul style="list-style-type: none"> • الآيات الأولى في بيان سوء تعاملهم وتقصيرهم مع الخلق والآيات الأخيرة في بيان سوء تعاملهم وتقصيرهم مع الخلق،² وإشارة إلى أن أشرف أفعالهم يأتمون عليها لعدم الإخلاص فيها. • تأكيد الربط بين الإيمان والإحسان، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكأنه قال هنا: إن صلاة هؤلاء لم تنفعهم؛ لأنها صلاة رياء وسمعة. 	<p>ما مناسبة قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿4﴾ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿۱﴾ لما قبلها من الآيات؟</p>
<p>تضييعها، وتأخيرها عن وقتها، وتفويت أركانها؛ وهذا لعدم الاهتمام بأمر الله - عز وجل - حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات وأفضل القربات. والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الدم واللوم، وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي - ﷺ -.³</p>	<p>ما المراد بالسهو عن الصلاة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؟</p>
<p>قال تعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142].</p> <p>وهذا يحذرنا من التهاون في الصلاة خوفاً من الوقوع في وصف المنافقين.</p>	<p>هات شاهداً على تضييع المكذب بالدين للصلاة وإن أظهر الإسلام؟</p>

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 602)

2 محاسن التأويل، القاسمي (9/ 553)، بتصرف

3 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 935، بتصرف

هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي عمود الإسلام، وهي أول ما يجاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله، وهي الفارقة بين الإسلام والكفر كما قال رسول الله - ﷺ -: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة).¹

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45]، فالمحافظة على الصلاة وإقامتها يظهر أثرها في استقامة العبد على أمر الله تعالى، واجتناب نهيها بما تورثه من خشية الله - تعالى - وحب وتعظيم له سبحانه.

وكما أن ضياعها سبب للغواية واتباع الهوى، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَابًا﴾ [مریم: 59].

ما مكانة الصلاة في

الإسلام؟

وما أثر الحفاظ عليها في

حياة المسلم؟

- معرفة قدر الصلاة، والتذكير بذلك.
- معرفة الوعيد الشديد على التهاون فيها.
- معرفة مقاصد الصلاة ونفعها على المصلي.
- البحث عن الأمور التي تعين على تذوق حلاوتها ومنها ركعتان في جوف الليل، فمن ذاق حلاوة العبادة أدام عليها.
- ترتيب المواعيد، والأعمال على الصلاة.
- البحث عن العوائق تجاه المحافظة على الصلاة في وقتها، ومعالجتها.
- محاسبة النفس عند تأخير الصلاة والتهاون فيها، والاستغفار والتوبة إلى الله - عزَّ وجلَّ -.
- مُصاحبة أهل الخير والصلاح الذين يذكرون بالله - عزَّ وجلَّ - والمحافظة على صلواتهم.
- البعد عن أهل الغفلة.
- غرس قيمة الدعوة إلى المحافظة على الصلاة، فالدعوة إليها من أسباب الثبات عليها.
- دعاء الله - عزَّ وجلَّ - بالهداية والتوفيق.

كيف نغرس قيمة الصلاة،

ونعالج مُشكلة التهاون بها؟

خافه النبي - ﷺ - على أمته أكثر من خوفه عليهم من الدجال، عن أبي سعيد الخدري قال: خرج علينا رسولُ الله - ﷺ - ونحنُ نتذاكرُ المسيحَ الدجالَ فقال: ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيحِ الدجالِ؟ قال: قلنا: بلى. فقال الشُّركُ الخفيُّ أن يقومَ الرجلُ يُصلي فيُريُّنُ صلاته لما يرى من نظرِ رجلٍ.²

ما خطورة الرياء على العبد؟

1 صحيح مسلم (82)

2 صحيح سنن ابن ماجه، 13560

الرياء في العمل محبط للعمل ويمنع قبوله، جاء في حديث أبي هريرة: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ»¹ وهو صفة الكفار، قال تعالى: ﴿وَلَا كُفُّوا كَأَلْدِينِ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِظَرِّ وَاِرْقَاءِ النَّاسِ﴾ [الأنفال: 47].

حذر النبي -ﷺ- منه وتوعد صاحبه، ورد في حديث ابن عباس قال: قال رسول الله -ﷺ-: "مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ"²³.

إن هذا الدين لا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر، ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وحده. فهؤلاء المكذبين منعوا حقوق الخلق، وجعلوا حقوق الله - عز وجل - لغيره.

ما دلالة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾؟

إذا كان السهو عن الصلاة يحمل على منع الماعون، فلأن يمنع الصدقة أو الزكاة من باب أولى⁴، كما أن صفات المكذبين بالدين افتتحت بإيذائهم الضعيف، وختمت بمنع أي إعانة للغير، وإن كانت ماعونًا.

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (7) لما سبقها من الآيات؟

للدلالة على شدة حرصهم فهم يمنعون عطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإئناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به.⁵ وهذا دليل على بخلهم وشحهم بالخير، وإن كان لا يضرهم دفعه ولا ينقص من متاعهم شيئًا.

ما دلالة تخصيص منع الماعون في قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (7)؟

منع الماعون ينقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: قسم يأثم به الإنسان، مثال ذلك: إنسان جاءه رجل مضطرب يقول: أعطني ماءً أشربه، فإن لم أشرب مت، فبذل الإئناء له واجب يأثم بتركه الإنسان.
- القسم الثاني: قسم لا يأثم به، لكن يفوته الخير لمنعه، وهو ما لم يكن طالبه مضطربًا إليه ولا يهلك بمنعه.⁶

لمنع الماعون أحكام تختلف باختلاف الحال؟ مثل لذلك.

ما الأثر المترتب على بذل وقاية النفس من الشُّح، والتكافل الاجتماعي، ونشر المحبة والإخاء بين الناس.

المال والمتاع؟

1 صحيح مسلم، رقم: (2985)
2 صحيح البخاري، رقم: (6499)
3 أعضاء البيان، الشنقيطي (119 / 9)، بتصرف
4 أعضاء البيان، الشنقيطي (118 / 9)، بتصرف
5 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (935)
6 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (329)

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- الإيمان بالبعث واليوم الآخر هو الذي يدفع العبد إلى الإحسان إلى الخلق، والإحسان في عبادة الخالق.
- خُلِقَ الإنسان مع الضعفاء من يتامى والمساكين هو مقياس مدى إيمانه بالجزاء يوم الدين.
- اهتمام الإسلام وحثه على الإحسان للضعفاء، وبذل العون للآخرين.
- تعظيم الصلاة والاهتمام بإقامتها والمحافظة عليها.
- أهمية إخلاص العبادة لله تعالى، وخطورة الرياء.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- الإحسان إلى الضعفاء لا سيما اليتيم والمسكين رجاء ما عند الله من الثواب، وإن لم نقدر على هذا نحث من حولنا عليه.
- الحفاظ على الصلاة، والحرص على إقامتها والإحسان فيها.
- الإخلاص لله - عزَّ وجلَّ - في كل الأقوال والأفعال.

من الفوائد التربوية

- التربية على التكافل الاجتماعي.
- إيجابية المؤمن في محيطه.
- أهمية الإخلاص في العمل.
- الاهتمام بالجواهر دون المظهر.

رسائل

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَدِّبُ بِالذِّينِ) قال ابن عاشور: (الإيمان بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة حتى يصير ذلك لها خلقاً إذا شئت عليه، فزكت وانسأقت إلى الخير دون كلفة ولا احتياج إلى أمر ولا إلى مخافة ممن يقيم عليه العقوبات¹.)
راقب صدق إيمانك بحسن خلقك.

108. سُورَةُ الْكَوْثَرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تميّزت بعظمة عظيمة للنبي - ﷺ -، تبين مكانته عند الله تعالى، سورة تقلب هَيئَةً: المقاييس الدنيوية المادية، فلم تجعل الجاه والعزة في مال ولا ولد، بل بالإيمان والعمل.

تعريف السورة

اسم السورة:	تسمى سورة «الكوثر»، وسورة «إنا أعطيناك الكوثر»، وسورة «النحر». ¹
نوع السورة:	قيل: مكية، وقيل: مدنية، ورجح ابن عاشور أنها مدنية. ²
عدد آياتها:	ثلاث آيات في جميع العدّد ليس فيها اختلاف. ³

أخرج النَّسَائِيُّ عن ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا المنبر من قومه، يزعم أنه خير منا؟ ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة. قال: أنتم خير منه فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ونزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحُبُوبِ وَالطَّاغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.⁴ وورد عن ابن عباس أنها نزلت في (العاص بن وائل)، وذلك: أنه رأى رسول الله - ﷺ - يخرج من المسجد، وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثا، وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس. فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتَر، يعني رسول الله - ﷺ -؛ وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله - ﷺ -، وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتَر، فأنزل الله تعالى هذه السورة.⁵

سبب نزولها:

وعن أنس - رضي الله عنه -، قال: بينا رسول الله - ﷺ - ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: «أنزلت علي أنفاً سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 571)

2 التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (388/9)

3 البيان في عد آي القرآن، (ص: 292)

4 المخر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، الزيني (2/ 1095)

5 أسباب النزول، ت: زغلول، (ص: 494)

وَأَنْحَرِ ﴿١﴾ إِنَّ سَائِغَكَ هُوَ الْأَبْتَرِ ﴿٢﴾ ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نحر وعدنيه ربي - عزَّ وجلَّ -، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، أنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»¹.

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

لم يرد فيها فضل خاص ولا أثر غير ما ورد في سبب النزول.

المناسبة بين سورة الكوثر وسورة الماعون:

لما ذكر فيما قبلها - في سورة الماعون - وصف المنافق بالبخل، وترك الصلاة، والرياء، ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل ﴿إِنَّا أَعْظَمْنَاكَ الْكُوثِرَ﴾، والسهو في الصلاة بقوله: (فصلٍ)، والرياء بقوله: (لربك)، ومنع الزكاة بقوله: (وانحر)، أراد به التصدق بلحم الأضاحي، فقابل أربعاً بأربع².

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة الكوثر وسورة الكافرون:

إن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْظَمْنَاكَ الْكُوثِرَ﴾ تزيل الخوف عن القلب، والجن عن النفس، لذلك كانت هذه السورة كالأصل لما بعدها، وهو أنه - تعالى - قدّم هذه السورة على (الكافرون) حتى يمكنه الاشتغال بذلك التكليف الشاق، وإظهار البراءة عن معبودات الكافرين جميعها، بقوله: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾³.

مناسبة السورة لما بعدها:

مقصد السورة: منة الله على النبي - ﷺ - وقطع سبيل المبغضين له⁴.

الآية (1): بشارة وامتنان على النبي - ﷺ -.

الآية (2): شكر الله - تعالى - بإخلاص العبادة له.

الآية (3): الدفاع عن النبي - ﷺ -.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿إِنَّا أَعْظَمْنَاكَ الْكُوثِرَ﴾

الآية (الآيات)

1 صحيح مسلم، 400

2 البحر المحیط في التفسير، ابن حبان (10/ 555)

3 التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (9/ 393-394)

4 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 602)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثِرَ﴾ إنا آتيناك - أيها الرسول - الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة.¹

تدبر وتركية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<p>علام يدل افتتاح السورة بحرف التوكيد، وضمير العظمة (إِنَّا)؟</p>	<p>علام يدل افتتاح السورة بحرف التوكيد، وضمير العظمة (إِنَّا)؟</p>
<p>أعطيناك: أي حولناك مع التمكين العظيم.⁵</p> <p>اخْتَصَّ العطاء بمعنى التملك دون الإيتاء، مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]، فكلمة عطاء أبلغ في المن.⁶</p> <p>ومجيء الفعل (أعطيناك) بصيغة الماضي دلالة على تحقق الوقوع.⁷</p>	<p>علام يدل التعبير بالإعطاء دون الإيتاء؟ وما دلالة مجيء الفعل بصيغة الماضي؟</p>

- اختلف أهل التفسير في الكوثر الذي أعطيه النبي - ﷺ - على أقوال منها:
- الأول: إنه نهر في الجنة.⁸
- الثاني: إنه حوض النبي - ﷺ - في الموقف.⁹
- الثالث: إن الكوثر النبوة والكتاب.
- الرابع: القرآن.
- الخامس: الإسلام،... إلخ.

وكلمة الكوثر لغة: صيغة مبالغة من الكثرة المفرطة.¹⁰

ما الأقوال الواردة في معنى الكوثر؟ وما دلالتها؟

1 المرجع السابق
 2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (572 / 30)
 3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (522 / 15)
 4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (572 / 30)
 5 نظم الدرر، البقاعي (288 / 22)
 6 انظر روح المعاني، الألوسي (480 / 15)
 7 روح المعاني، الألوسي (480 / 15)
 8 ففي صحيح البخاري، سورة إنا أعطيناك الكوثر، حديث رقم: (4964) عن أنس - رضي الله عنه - قال: لما عرج بالنبي - ﷺ - إلى السماء، قال: «أثبت على نحر، حافناه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»
 9 قال السعدي: (هو ما يعطيه الله - تعالى - لنبيه - ﷺ - يوم القيامة، من النهر الذي يقال له: (الكوثر) ومن (الحوض))
 10 روح المعاني، الألوسي (480 / 15)، بتصرف

ويدل على الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله - تعالى -
لنبيه - ﷺ -¹.
فدلّت مجموع الأقوال على أن الكوثر هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومنه نهر
الكوثر والحوض والقرآن والأتباع والذكر وغيرها.²

- عن أنس - رضي الله عنه -، قال: لما عرج بالنبي - ﷺ - إلى السماء، قال:
”أتيت على نهر، حافته قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا
الكوثر“.³

- وعن أبي عبيدة عن عائشة - رضي الله عنهما - قال: سألتها عن قوله تعالى:
{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} قالت: نهر أعطبه نبيكم - ﷺ - شاطئه عليه در مجوف
آنيته كعدد النجوم“.⁴

- قال الإمام أحمد: عن ابن عمر قال: قال رسول الله - ﷺ -: ”الكوثر نهر في
الجنة، حافته من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن،
وأحلى من العسل“.⁵

- النهر العظيم الذي في الجنة يصب منه ميزابان على حوضه المورود - ﷺ -، ماؤه
أشد بياضاً من اللبن، وأحلى مذاقاً من العسل، وأطيب رائحة من المسك).⁶
- وهذا الحوض في القيامة في عرصات القيامة، يرده المؤمنون من أمة النبي - ﷺ -،
وآنيته كنجوم السماء كثيرة وحسنة.⁷

هات بعضاً من الأحاديث
الصحيحة الواردة في وصف
نهر الكوثر.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ الَّذِي أَنقَضَ
ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
[الشرح: 1 - 6].

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87].
- قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [سورة الضحى: 5].
- قال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [سورة الإسراء: 79].
وعسى، من الله تعالى (وعد) كما صح عن ابن عيينة وغيره، والله لا يخلف الميعاد.
- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: 3].

اذكر بعضاً من نعم الله على
نبيه ﷺ الواردة في القرآن
الكريم، وعلام يدل ذلك؟

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 935
2 انظر تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (24/ 647)
3 صحيح البخاري، سورة إنا أعطيناك الكوثر، حديث رقم: (4964)
4 صحيح البخاري، حديث رقم: (4965)
5 رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح، (191/ 7)
6 من رواية الترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الكوثر (3361)، وقال حديث حسن صحيح
7 أخرجه مسلم، (2300 - 2301)

- وعن جابر بن عبد الله، أن النبي - ﷺ - قال: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأبما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغنم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"¹.
وهذا يدل على مكانته - ﷺ - وعظم منزلته عند الله - تعالى -، مما يستوجب منا تكريمه وتشريفه والذب عنه.

• قصص الأنبياء، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَتَّبِعُ بِهِ فُوَادِكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120].
• البشارة بالنصر والفتح والتمكين: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21]، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1].
• البشارة برده إلى مكة حال خروجه منها، ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٌ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [القصص: 85].

تكررت تسليية النبي ﷺ عما يلاقيه من أذى قومه، تشبيهاً له ولمن سار على نهجه، اذكر أمثلة من ذلك.

• الرد على كل من يسيء إليه - ﷺ - بالحجة والبرهان، وتفنيده إشاعات المغرضين والحاقدين والقصص الملققة.
• دراسة سيرته - ﷺ - ونشرها بين المسلمين وغيرهم.
• اتباع سنته - ﷺ - في الأقوال والأفعال، والتخلق بخلقها حتى يصبح المسلم سفيراً للرسالة الإسلامية أمام الناس وخاصة المسيئين، فعندما يشاهدون هدي النبي - ﷺ - متمثلاً في أخلاق أتباعه وحسن تعاملهم.
• غرس محبة النبي - ﷺ - في قلب الأبناء منذ الصغر وتعليمهم سيرته.

تظهر عناية الله - عز وجل - بنبيه - ﷺ - ودفاعه عنه مما يتعرض له من أذى المشركين، فما واجبنا في الدفاع عنه وعن سنته - ﷺ -؟

هل استشعرنا كرامة النبي ﷺ على ربه، وعظم عطاء الله ﷻ له؟
هل استشعرنا نعمة اتباعه ﷺ والسير على هديه والفوز بالورود على حوضه؟

تلاوة

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

2. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ فَأَدَّ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، أَنْ تَصَلِّيَ لَهُ وَحْدَهُ وَتَذْبَحَ، خِلَافًا لِمَا يَفْعَلُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ التَّقَرُّبِ لِأَوْثَانِهِم بِالذَّبْحِ.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
هذا مع ما قبله ربط بين التَّعَمُّ وشكرها، وبين العبادات وموجبها، ² فكما أعطاه الله - تعالى - الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهر الكوثر؛ فليخلص لربه سبحانه وليصل ولنحمر له تعالى. ³	ما مناسبة الآية لما قبلها؟
والدلالة في ذلك: لما في لفظ (الرب) من دلالة على استحقاقه العبادات؛ من أجل ربوبيته، فضلاً عن فرط إنعامه. وإضافة (رب) إلى ضمير المخاطب لقصد تشريف النبي - ﷺ - وتقريبه، وفيه بيان بأنه يريبه ويرأف به. ⁴	﴿لِرَبِّكَ﴾ جاء التعبير باسم الربوبية دون غيره، فما السر في ذلك؟ وماذا أفادت اللام، والإضافة إلى ضمير المخاطب؟
واللام تدلنا على: أهمية الإخلاص في العبادات، فلا تكن صلاتك، ولا نحرك إلا لله تعالى. ⁵	

وَحُصَّتْ هَاتَانِ الْعِبَادَتَانِ بِالذِّكْرِ

- لأنهما من أفضل العبادات، وأجل القربات.
- لأن الصلاة تتضمن الخضوع بالقلب، والجوارح لله تعالى، وفي النحر تقرب إلى الله - تعالى - بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج المال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.⁶
- وأيضاً الصلاة أفعال وأقوال دالة على تعظيم الله - تعالى - والثناء عليه، وفي هذا شكر لنعمته.⁷
- كما أن في ذكر النحر الذي يختص بالإبل، دلالة على أنه أنفع من غيرها بالنسبة إلى المساكين، ولهذا أهدى النبي - ﷺ - في حجة الوداع مائة بعير.⁸

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 603)

2 أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 129)

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (8/ 502-503)، بتصرف أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 129)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 574)

5 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (20/ 220)

6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 936)

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 574)

8 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 333)

كما أهما جمعنا علاقة العبد بربه والتجاؤه إليه ونفع الآخرين، حتى يعلم العبد أن الدين شامل للعبادات والمعاملات.

الشكر يكون بالقلب محبة ورضى وتوكلًا، وباللسان ثناء وذكرًا ودعاء وبالجوارح عملاً وخضوعًا.
ويكون ذلك بـ:

- صرف النعمة فيما يرضي الله - عزَّ وجلَّ - .
- الاستعانة بما على طاعته ومرضاته.
- الاعتراف بفضل الله - عزَّ وجلَّ - وإنعامه بما عليه.
- دعاء الله - عزَّ وجلَّ - من فضله.

كيف يكون شكر الله ﷻ
على نعمه؟

والمسلم دائم الطلب من ربه ﷻ أن يعينه على شكره؛ إذ لولا توفيق الله وإعانتة لعبدته لما حصل الشكر، ولذا شرع في السنة الصحيحة طلب الإعانة من الله على شكره تعالى، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك»، فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعني في دبر كل صلاة تقول: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»¹.

هل شكرنا الله - عزَّ وجلَّ - على نعمه وصرفناها في مرضاته؟

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: 65].
وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].
وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: 11 - 12].
وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَنُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكِ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5].

وردت آيات تحت على
إخلاص العبودية لله ونبذ
الشرك، اذكر شواهد منها.

جاء في الآية تعليم المسلم
أدب شكر المنعم على
عطاياه، في قوله تعالى:
(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ)، فكيف
نغرس ذلك في أنفسنا
وأبنائنا؟

أن يكون شكر المنعم على نعمه بزيادة الطاعة، والتقرب إلى الله، وألا نزداد بنعم الله سوءاً.
أن نردد على مسامع أبنائنا أن شكر المنعم يزيد من النعم.
تعليم الأبناء الفرق بين شكر النعمة، وبين جحودها وأثر كلاهما في الفرد.
الالتزام بالصلاة؛ لأنها تتضمن شكر الله والثناء عليه قولاً، وعملاً.

امثل الرسول - ﷺ - لأمر ربه بالصلاة والنحر.
فكيف حالنا مع امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه؟

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ إن مبغضك هو المنقطع عن كل خير، المنسي الذي إن ذُكر ذُكر بسوء.¹
الشانئ: هو المبغض لغيره، يقال: شئاً فلان شئناً، إذا أبغضه وكرهه.²
الأبتر: في الأصل: هو الحيوان المقطوع الذنب، والمراد به هنا: الإنسان الذي لا يبقى له ذكر، ولا يدوم له أثر،³ فهو مقطوع من كل خير (مقطوع العمل، مقطوع الذكر).⁴

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات

الأسئلة التدرجية

أسلوب قصر، ودل على:
ما الأسلوب في قوله في قوله
تعالى: ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾؟ وعلام يدل؟
• إثبات صفة الأبتر لشانئ النبي - ﷺ -، ونفيها عن النبي - ﷺ -.⁵
• كما أنها تدل على أن نبينا محمداً - ﷺ - هو الكامل حقاً، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر وبقائه، وكثرة الأنصار والأتباع.⁶

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 602)
2 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 523)
3 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 523)
4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 936)
5 التحريز والتنوير، ابن عاشور (30/ 576)
6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 936)

ما دلالة عدم تعيين شائى
النبي - ﷺ -: ﴿إِنَّ
شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ وذكره
بالوصف؟

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ من
الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه،¹ فهي عامة لمن أبغض النبي - ﷺ -
في زمانه وفي كل زمان.

- ذكره النبي - ﷺ - في الأذان، والإقامة والمنابر، والتشهد والخطب وغيرها.
 - الأمر بالصلاة عليه - ﷺ -، والصلاة عليه يوم الجمعة.
 - اسمه أكثر اسم متداول بين المسلمين، حتى في بعض البلدان الغربية.
- اذكر صوراً تدل على رفعة
شأن النبي - ﷺ -، ويقاء
ذكره حتى قيام الساعة.

• الوجه الأول: بين الافتتاحية والخاتمة طباق واضح، فالكوثر الخير الكثير، والأبتر
المنقطع عن كل خير.

• الوجه الثاني: استفتحت السورة بالحديث عن فضل الله العظيم على نبيه الكريم،
وذلك بإعطائه الخير الكثير، ومنه نحر الكوثر، وختمت ببشارة الرسول - ﷺ -
وخزي أعدائه، حيث وصفت مبغضيه بالذلة، والحقارة، والانقطاع من كل خير في
الدنيا، والآخرة.²

ما المناسبة بين افتتاحية
السورة وخاتمتها؟

- حبه واتباعه - ﷺ -.
 - تعلم سيرته ونشرها - ﷺ -.
 - التخلص بأخلاقه - ﷺ -.
 - الدعوة إلى دينه - ﷺ -.
 - معرفة منزلته التي اجتباها الله بها؛ إذ هو أفضل البشر، وخليق الله ﷻ، وقد
ورد ذلك في حديث رواه ابن مسعود يحدث به عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت
متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله - عزَّ
وجلَّ - صاحبكم خليلاً».³
 - الدفاع عنه النبي - ﷺ - بصد حملات التشويه وبيان الحقيقة.
- ما واجبنا تجاه النبي - ﷺ -؟

هل عرفنا سنة نبينا ﷺ واتباعنا هديه؟ هل صدقنا في محبتنا له واقتنينا أثره؟

1 ينظر: تفسير الطبري (700/24)

2 التفسير الموضوعي (391/9)

3 صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ح: 2383، (108/7)

- في الآيات بشارة أن لنا من الخير بقدر اتباعنا للنبي - ﷺ - وبقدر إيدائه في دينه.
- في الآيات إرشاد إلى عدم الانشغال بمغرضي الدين وأن نشغل بعبادة الله - عزَّ وجلَّ - والدعوة إليه، والله كافينا وناصرنا بإذنه تعالى.
- في الآيات تذكير بما واجهه النبي - ﷺ - من أذى في سبيل دعوته، وصبره على ذلك، وأن هذا طريق الأنبياء والصالحين والعاقبة للمتقين.

ما الفوائد الأخرى التي
نأخذها من هذه الآيات،
وخاصة فيما يصيبنا في
ديننا؟

هذه السورة تربية على الثبات على الحق والاستعانة بالعبادة على ذلك، وعدم الانشغال بالعوارض.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- عناية الله - عزَّ وجلَّ - بنبيه، ورعايته له لما يتعرض له من أذى المشركين.
- نحر الكوثر من العطايا التي خص بها النبي - ﷺ - .
- الحث على شكر الله على نعمه بزيادة الطاعة، والتقرب لله - عزَّ وجلَّ - .
- الدين شرع الإحسان، والتكافل بين الناس، والإحسان إلى المخلوقين من شكر النعمة.
- إن محبة النبي - ﷺ -، ومحبة ما جاء به واجبة على المؤمن.
- الإخلاص في أداء العبادة.
- الرد على كل قاطع أراد أذية النبي - ﷺ - .
- تعطي السورة القوة للمؤمن، والهمة لمواصلة الدعوة، وهي علاج لكل من أصيب بأذى بسبب دعوته، أو مصيبة في نفسه، أو ولده أن يتذكر ما أعطاه الله - تعالى - من عظيم المنن والأجر.
- مقياس الذكر بعد الممات، ليس بكثرة الأولاد، وإنما بما للإنسان من أعمال صالحة، وآثار طيبة يرفعه الله تعالى بها.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- أن نتحمل الأذى في سبيل الله - تعالى - فإن العطايا والثواب الجزيل منه سبحانه.
- أن نشكر الله على نعمه.
- أن نلتزم بالصلاة وسائر العبادات ومنها النحر.
- أن نمثل أوامر الله - عزَّ وجلَّ - ونجتنب نواهيه.
- أن نحذر من بغض سنة النبي - ﷺ - .
- تعلم سنته - ﷺ - ونشرها.

من الفوائد التربوية

- من الأساليب التربوية التي نأخذها من السورة:
- شحذ الهمم وخاصة عند مواجهة الصعاب.
- أسلوب التحفيز والجزاء على العمل.
- أسلوب التعزيز اللفظي الذي يبني داخل المتربي الثقة بقدراته وبالطريق الذي يسلكه.
- تعظيم جهود المتربين إذا أتقنوا عملهم وتقديرها.
- التوجيه والمتابعة المستمرة.
- الدفاع عن المتربين ورد المظالم عنهم.

رسائل

(إِنَّ سَائِنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)

من أبعض النبي - ﷺ - أو آذاه، فلينتظر الذلة، وانقطاعه من كل خير.
ولن يعلو قدرًا ولا ذكرًا من أراد نبينا - ﷺ - أو دينه بسوء.
الأبتر حقًا ليس من لا عقب له من الذرية، ولكن الأبتر من لا عقب له من الخيرية، فلا تفرح بكثرة الولد، ما لم
تحرص على صلاح القول والعمل.¹

109. سُورَةُ الْكَافِرُونَ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تثبت العقيدة في نفوس أصحابها، وتملؤها عزة وقوة، سورة فاصلة بين الكفر والإيمان من دون مدهانات ولا مجاملات، سورة تعدل ربع القرآن. سورتنا هي سورة (الكافرون).

تهيئة:

تعريف السورة

تسمى سورة «الكافرون»، وسورة «قل يا أيها الكافرون». وتسمى كذلك سورة المشقشقة، وسورة الإخلاص، وسورة العبادة، وسورة الدين.¹

اسم السورة:

وهي مكية بالاتفاق.²

نوع السورة:

ست آيات في جميع العَدِّ ليس فيها اختلاف.³

عدد آياتها:

جاء رهط من قريش إلى النبي -ﷺ- فقالوا: يا محمد هلمّ فاتبع ديننا وتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك كنت قد شاركنا في أمرنا وأخذت بحظك، فقال: "معاذ الله أن أشرك به غيره"، فعدا رسول الله -ﷺ- إلى المسجد الحرام وفيه المأ من قريش، فقرأها عليهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك.⁴

سبب نزولها:

• تعدل ربع القرآن، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن».⁵

• من أذكار النوم، عن عروة بن نوفل - رضي الله عنه - أنه أتى النبي -ﷺ- فقال: "يا رسول الله علّمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي، قال: اقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فإنها براءة من الشرك».⁶

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

1 التحريم والتنوير (579 /30)

2 التحريم والتنوير، ابن عاشور (579 /30)

3 البيان في عد آي القرآن، (ص: 293)

4 أسباب النزول، ت: الحميدان، (ص: 467)

5 سنن الترمذي، باب ما جاء في الزلزلة، رقم: (2894)، يقول الألباني: صحيح دون فضل زلزلت

6 سنن الترمذي، رقم: (3403)

- قرأ بها النبي ﷺ في ركعتي الفجر، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ - قرأ في ركعتي الفجر ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.¹
- قرأ بها النبي ﷺ في ركعتي الطواف، ففي حديث الحج، قال جابر - رضي الله عنه - : «... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن، فرمل ثلاثاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام -، فقرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، فجعل المقام بينه وبين البيت، فجعل أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ - (كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾».²

المناسبة بين سورة الكافرون وسورة الكوثر:

- بعد أن أمر الله تعالى نبيه ﷺ - بإخلاص العبادة له في سورة الكوثر، أمره هنا (في سورة التوحيد والبراءة من الشرك) بالقول الصريح لهم بالبراءة من معبوداتهم، وعبادتهم، وعبادته وحده سبحانه.³

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة الكافرون وسورة النصر:

- في افتتاح سورة الكافرون ب﴿قُلْ﴾ كان إشعاراً بأن النبي ﷺ - مبلغ عن ربه تعالى، وما دام كذلك فهو ناصره، فجاءت البشارة بالنصر في سورة النصر بعدها.⁴
- جاءت سورة الكافرون بالبراءة من الشرك وأهله، ولما كان صراع الحق والباطل حتمياً، ناسب مجيء سورة النصر بعدها تبشر المؤمنين بتأييد الله لهم ونصرهم على أعدائهم.

مناسبة السورة لما بعدها:

تقرير توحيد العبادة والبراءة من الشرك، والتمايز التام بين الإسلام والشرك.⁵

مقصد السورة:

- الآية (1): نداء الكافر بوصفه.
- من الآية (2) إلى الآية (5): التبرؤ مما يعبد الكافرون من دون الله تعالى ظاهراً، وباطناً.
- الآية (6): مفاصلة شاملة، وتمييز واضح، وبراءة تامة من المشركين، ومعبوداتهم.

موضوعات السورة:

1 صحیح مسلم، باب فضل ركعتي الفجر، رقم: (726)
 2 صحیح مسلم باب حجة النبي ﷺ -، رقم: (1218)
 3 التفسير الموضوعي (406/9)، بتصرف
 4 أضواء البيان، الشنقيطي (317/9)، بتصرف
 5 المختصر في تفسير القرآن الكريم (603 /1)

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ قل - أيها الرسول - : يا أيها الكافرون بالله.¹

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات

الأسئلة التدرجية

افتتاح السورة الكريمة بفعل الأمر «قل» يدل على:
الاهتمام بما سيأتي بعده من كلام؛ لأن المقصود منه:

- إبلاغه إليهم، وتكليفهم بالعمل به.²
- بيان أن هذا الأمر من عند الله تعالى، وليس من عند النبي -ﷺ- فهو مبلغ عن ربه ما أمر به، فيتلقونه بالتعظيم، ويكون أكد في التقرير، وأعظم في الحجّة عليهم.³

ما مناسبة الافتتاح بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾؟

- وابتدئ خطابهم بالنداء لإبلاغهم؛ لأن النداء يستدعي إقبال أذهانهم على ما سيلقى عليهم.⁴
- كما أن فيه دليل على بُعد الكافرين عن الحق، وعمّا جاء به النبي -ﷺ-.⁵

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ علام يدل ابتداء الخطاب بالنداء؟

فيه إشارة إلى البراءة منهم، والبراءة من الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى، وإبذاناً بأنه لا يخشاهم إذا ناداهم بما يكرهون مما يثير غضبهم؛ لأنّ الله كفاه إياهم وعصمه من أذاهم.⁶
كما أن فيه تحقيراً لهم، واستخفافاً بهم؛ حيث إنهم كانوا كذلك (كافرين).⁷
وفي بيان الوصف وضوح في المفصلة وعدم المداينة، والبراءة منهم، حيث لا يجتمع إيمان وكفر.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ما وجه مجيء وصفهم في الآية الكريمة بـ﴿الْكَافِرُونَ﴾؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 603)

2 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 526)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 132)، بتصرف

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 581)

5 أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 132)، بتصرف

6 البحر المحيط في التفسير، ابن حبان (10/ 558) التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 581)

7 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 526)

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة: 51].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَسْوَءَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: 1].

ورد في القرآن الكريم أكثر من آية حول البراءة من الشرك وأهله وعدم المداينة، اذكر بعضاً منها.

لم يرد النداء بصفة الكفر إلا في آيتين، هذه الآية وقوله تعالى من سورة التحريم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا إِلَيْهِمْ إِنَّمَا تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: 7]، وهو نداء لهم يوم القيامة، ونودوا بـ يا أيها الناس، وذلك ترغيباً لهم في الإسلام وهو أَدْعَى لِقَبُولِهِم الدَّعْوَةَ وعدم نفورهم من النداء.

أما في مسألة الدين فجاء النداء بالوضوح والمفاصلة بين الكفر والإيمان. وتنعلم من ذلك أسلوباً دعوياً في وضوح الرؤيا، ووضوح المنهج، واختيار الأسلوب الأمثل للدعوة بما يقرب المدعو ولا ينفره.

كم مرة ورد نداء الكافرين بصفة الكفر في القرآن الكريم؟ وما دلالة ذلك؟

تلاوة

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

- ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لا أعبد في الحال ولا في المستقبل ما تعبدون من الأصنام.
- ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبدته أنا؛ وهو الله وحده.
- ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام.
- ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبدته أنا، وهو الله وحده.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما دلالة نفي عبادة غير الله - تعالى - في هذه الآيات؟	دَلَّ عَلَى التَّبَرُّؤِ مِنْ جَمِيعِ مَعْبُودَاتِ الْكَافِرِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا؛
بدلالة: دخول (لا) على المضارع ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ الذي أفاد انتفاء أزمته المستقبل. ²	

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 603)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 581)، بتصريف تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 936)

لما كان القصد إعلام الكفار بالبراءة منهم من كل وجه، وأنه - ﷺ - لا يبالي بهم؛ لأنه محفوظ منهم، قال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.¹
كما أن البدء بالبراءة، ونفي عبادة الباطل من جهته أهم، وفي حقه - ﷺ - أظهر وأبين؛ لأنه على الحق دائماً، ولأن هذه القضية أشرف؛ لذلك قدم فيها.¹

في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ما دلالة ابتداء نفي العبادة به - ﷺ -؟

جاء الفعل ﴿تَعْبُدُونَ﴾ بالمضارع؛ للدلالة على استمرارهم على عبادة معبوداتهم؛ التي لا تصلح للعبادة بأي وجه من الوجوه.²

علام يدل مجيء الفعل ﴿تَعْبُدُونَ﴾ بصيغة المضارع؟

- ليدل على رسوخهم في عبادة الأصنام من أزمان مضت.
- وفيه دلالة على تنزهه - ﷺ - من عبادة الأصنام في الماضي.³

ما دلالة التعبير بالفعل الماضي في قوله: ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾؟

والمقصود من التكرار؛ تأكيد تحقيق تكذيبهم في عرضهم أنهم يعبدون رب محمد - ﷺ -.⁴
كما أنه دل على المبالغة في البراءة التامة من معبوداتهم الباطلة، الفاسدة، فإنه - ﷺ - ومن معه من المؤمنين، لا يعبدون إلا الله - تعالى -، وهم بذلك يكونون قد اهتدوا إلى العبادة الصحيحة.⁵

ماذا أفاد التكرار في هذه الآيات: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ؟*

وفي هذا دلالة على عصمة الله - تعالى - لنبيه - ﷺ - عن الزيف والانحراف عن عبادته تعالى، وأن الله سبحانه هو معبوده الحق في الحال، والمآل، وعلى الدوام، بخلاف الكافرين الذين يعبدون أهواءهم؛ فاليوم يعبدون معبوداً، وغداً غيره.⁶
وهذا هدي الأنبياء والصالحين، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا تَشَاءُ وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ [المتحنة: 4].

ما وجه مجيء الفعل بلفظ المستقبل عند إخبار النبي - ﷺ - عن نفسه ﴿لَا أَعْبُدُ﴾، وبالماضي عند الإخبار عن المشركين ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾؟

العبادة شرعاً: تعرّف بأنها كلّ ما يجهه الله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة على حد سواء، وهي أعلى مراتب الخضوع والتذلل له - عزَّ وجلَّ -، حيث إنّ

ما العبادة؟ وما شروط صحتها؟

1 نظم الدرر، البقاعي (22/ 304)، بتصرف
2 نظم الدرر، البقاعي (22/ 305)، بتصرف
3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 583)
4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 584)
5 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 527)
6 بدائع التفسير، ابن القيم (3/ 374)، بتصرف

المقصود منها تعظيمه بأمره.

ومن خلال العبادة يتواصل الإنسان مع خالقه - عزَّ وجلَّ - دون وسائط، فهي فضل من الله - عزَّ وجلَّ - على عباده، وقرى لهم، والله الغني ونحن الفقراء. ونفع العبادة يعود على صاحبها بهذا الوصال لله - عزَّ وجلَّ -، واستقامته على الحق والأمن من الضلال والضياع في الدنيا، وجنة عرضها السماوات والأرض في الآخرة.

ولا يكون العابد عابداً وهو شاك في الله - عزَّ وجلَّ - أو في صدق هذا الدين، لا بد من الاعتقاد واليقين في الله - عزَّ وجلَّ - وما أنزل حتى تصح.

- غرس العقيدة الصحيحة والقوية أمام الشبهات المطروحة، وتعويد الأبناء بمنهج الاستدلال وهو منهج رباني يناقض الإلحاد.
- يحسن توضيح الانحرافات العقدية الموجودة في المجتمع وبيان أسبابها ونتائجها ونقضها وخاصة في سن التأثر بالأفكار الخارجية، من المتوسط فما فوق.
- ربط الاعتقاد العلمي بالعمل وبيان أثره وأثر الانحراف.
- تعود الحديث مع فئة الشباب وطرح المسائل العالقة في أذهانهم للحوار والنقاش والبيان.
- شغل أوقات الطلاب بما يعود عليهم بالنفع.
- استخدام منابر وسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز الآداب والقيم الإسلامية.
- التركيز على وجود قدوة حسنة للطلاب تجذبهم إلى مبادئ الإسلام وتحببهم فيه.

كثرت في وقتنا الحالي،
ظاهرة الانحرافات العقدية
بين الطلاب والطالبات، فما
دورنا في بث الوعي وردهم
إلى طريق الحق؟

تلاوة

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^٦

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

6. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ لكم دينكم الذي ابتدعتموه لأنفسكم، ولي ديني الذي أنزله الله عليّ.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<p>التميز بين الفريقين، والفصل بين الطائفتين؛¹ فالتوحيد منهج، والشرك منهج آخر، ولا يلتقيان.</p>	<p>ما مناسبة ختم السورة بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾؟ وماذا يفيد؟</p>
<ul style="list-style-type: none"> • بدأ بهم تَهَكُّمًا، وإشارة إلى قبح ما اختاروا لأنفسهم؛ لأن المقصود البراءة منهم.² • كما أنه من قبيل التهديد والوعيد لا الإقرار لدينهم، فمن رفض الدخول في الإسلام فهو مستحق للعذاب من الله تعالى، يشهد لذلك: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: 29].³ 	<p>في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾ ما وجه البدء بقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾؟</p>
<p>قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: 84].</p> <p>قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا عَمِلُوا وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 41].</p> <p>قال تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: 1].</p>	<p>اذكر شواهد من القرآن على المفصلة بين دين الحق ودين الباطل.</p>
<p>دلَّت الآية الكريمة على الفصل بين الكفر والإيمان، وقد وردت الأدلة على عدم قبول غير الإسلام دينًا، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَلْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19]، وقال أيضًا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].</p>	<p>هل دل قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾ على صحة دينهم؟ وما الدليل على ذلك؟</p>
<ul style="list-style-type: none"> • استشعار عظمة هذا الدين الذي هو من عند الله - تعالى -، والاعتزاز به، والسعي أن نكون أهلًا لحمل هذا الدين، وتمثيله بالصورة الصحيحة. • استشعار أهمية العقيدة، والثبات على الدين الحق، فنتمسك بكل ما ثبتت عقيدة التوحيد في أنفسنا، ونحذر كل الحذر مما يخل بها، أو يعكس صفوها. • اليقين بأنه لا تقارب بين الحق والضلال، ولا اشتراك بين الكفر والإسلام. 	<p>دل قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾ على أن لي ديني، وعقيدتي (عقيدة التوحيد)، ماذا يبعث ذلك في أنفسنا؟</p>

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 936)

2 التفسير القيم، ابن القيم (596/1)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 135)

- إظهار مظاهر الدين مثل الالتزام باللباس الشرعي وصلاة الجماعة وغيرها.
- الاعتزاز باللغة العربية لغة القرآن.
- (لَكُمْ دِينُكُمْ وَبِي دِينِ)
- براءة من الشرك وكل ما
- تحديد العلاقات مع غير المسلمين وعدم تطبيعها.
- يمثلها، وانتماء واعتزاز بالدين
- التخلُّق بأخلاق الإسلام وآدابه، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام.
- ومظاهره، كيف يُحَقِّقُ المسلم
- الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - بأدب الإسلام.
- غرس عقيدة الولاء والبراء وبينان الجائز من العلاقات مع غير المسلمين والمحظور
- ذلك؟
- منها.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تقرير التوحيد، والبراءة من الشرك.
- ولاية الله تعالى لرسوله، وعصمته من قبول اقتراح المشركين الباطل.
- وجوب الاعتزاز بالدين الإسلامي، والثبات على العقيدة والبراءة من الكفار.
- لا مدهانة في الدين، ولا أنصاف حلول في العقيدة.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- أن نُعَلِّمَ أبناءنا عقيدة الإسلام الصحيحة.
- أن يتسلَّحَ الداعي بعوامل الثبات ضد التيارات المضادة للإسلام.
- أن تُرَبِّيَ أنفسنا وأبناءنا على الاعتزاز والتمسك بقيم الدين الإسلامي.
- الحذر ممن يلبسون الحق بالباطل.
- أن نتعلم السيرة النبوية كمنهج تربوي في حياتنا.

من الفوائد التربوية

- الوضوح والصراحة.
- غرس العزة بالانتماء.
- نبذ المهادنة في الدين.
- غرس البراءة من أهل الكفر والولاء لأهل الإيمان.
- تعلم لكل مقام مقال.

رسائل

(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: نحن أمة أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله. فلا اعتزاز إلا بالإسلام ولا انتماء إلا إلى الإسلام.

110. سُورَةُ النَّصْرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورتنا هذا اليوم هي سورة قصيرة، تحمل البشري لرسول الله -ﷺ-، ولأمته من بعده.

تهيئة:

هي سورة لما نزلت قال عنها النبي -ﷺ-: (قد نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي).¹

تعريف السورة

سميت في المصاحف، وفي معظم التفاسير بسورة «النصر»، وتسمى في كلام السلف بسورة «إذا جاء نصر الله والفتح»، وتسمى بسورة «التوديع» وسورة «الفتح».²

اسم السورة:

مدنية بالاتفاق.³

نوع السورة:

ثلاث آيات في جميع العَدِّ ليس فيها اختلاف.⁴

عدد آياتها:

أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري قال: لما دخل رسول الله -ﷺ- مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف المشركين بأسفل مكة حتى هزمهم الله، ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم فدخلوا في دين الله، فأُنزل الله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختمها.⁵

سبب نزولها:

• عن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: ما صلى النبي -ﷺ- صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1] إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبمحمدك اللهم اغفر لي».⁶

فضل السورة والآثار الواردة

• وعن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: كان رسول الله -ﷺ- يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك وبمحمدك، أستغفرك وأتوب إليك» قالت: قلت يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «جعلت لي علامة في أمتي إذا

فيها:

1 سنن الدارمي، باب في وفاة الرسول -ﷺ-، رقم: (79)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (587/30)

3 المرجع السابق

4 البيان في عد آي القرآن، (ص: 294)

5 أسباب النزول، الواحدي 343

6 صحيح البخاري، سورة إذا جاء نصر الله، رقم: (4967)

رأيتها قتلها» (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) [النصر: 1] إلى آخر السورة.¹

- وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم - وقال هارون: تدري - آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعًا؟ قلت: «نعم، إذا جاء نصر الله والفتح»، قال: صدقت.²
- عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تُدْخِلُ هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: «إنه ممن قد علمتم». قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم. قال: وما رأيت دعاني يومئذ إلا ليريهم مني. فقال: ما تقولون في «إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا» حتى ختم السورة. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئًا. فقال لي: يا ابن عباس، أكذلك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله - ﷺ - أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا. قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تعلم».³

المناسبة بين سورة النصر وسورة الكافرون:

- في افتتاح سورة «الكافرون» (يَقُولُ) كان إشعارًا بأن النبي - ﷺ - مبلغ عن ربه تعالى، وما دام كذلك فهو ناصره، فجاءت البشارة بالنصر في سورة النصر بعدها.⁴
- جاءت سورة الكافرون بالبراءة من الشرك وأهله، ولَمَّا كان صراع الحق والباطل حتميًا، ناسب مجيء سورة النصر بعدها تبشّر المؤمنين بتأييد الله لهم ونصرهم على أعدائهم.

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة النصر وسورة المسد:

- ذكر في سورة النصر ثواب المطيع وحصول النصر، والاستعلاء في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى، وهنا ذكر أن عاقبة العاصي الخسار في الدنيا، والعقاب في الآخرة.⁵
- أيضًا لما ذكر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الإسلام، عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه.⁶

مناسبة السورة لما بعدها:

1 صحيح مسلم، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (484)
 2 صحيح مسلم، كتاب التفسير، رقم: (3024)
 3 صحيح البخاري (149/5)
 4 أضواء البيان، الشنقيطي (317/9)، بتصرف
 5 تفسير المراغي، المراغي (260/30)
 6 روح المعاني، الألويسي (496/15)

مقصد السورة: بيان عاقبة الإسلام بالنصر والفتح، وما يُشرع عند حصول ذلك، كما تشير إلى قرب أجل النبي - ﷺ - .¹

موضوعات السورة:

- من الآية (1) إلى الآية (2): البشارة بنصر الله - تعالى - لرسوله - ﷺ -، وانتشار الإسلام.
- الآية (3): الشكر بعد النصر.

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إذا جاء نصر الله لدينك - أيها الرسول - وإعزازه له، وحدث فتح مكة.
 2. ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ورأيت الناس يدخلون في الإسلام وفدًا بعد وفد.²
- النصر: مأخوذ من العون، يقال نصره على عدوه ينصره نصرًا: أي أعانه،³ والنصر: هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء، وغلبهم، والاستعلاء عليهم.⁴
- الفتح: هو فتح مساكن الأعداء، وامتلاكها، ودخول منازلهم.⁵

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
التعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء؛ للإيدان بأتهما متوجهان نحوه - ﷺ - وأتهما على جناح الوصول إليه عن قريب. ⁶	ما دلالة التعبير بالمجيء عن النصر والفتح في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 603)

2 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 603)

3 تفسير المراغي، المراغي (30/ 257)

4 فتح القدير، الشوكاني (5/ 624)

5 السابق

6 إرشاد العقل السليم، أبو السعود (9/ 208)

وجه العطف:

- إن الفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان منغلقاً، فالنصر كالسبب للفتح، فلهدأ بدأ بذكر النصر، وعطف عليه الفتح.¹
 - كما أن في عطف الفتح على النصر تنويهاً، وتعظيماً لشأن هذا الفتح، واعتناءً بأمره، وهو من باب عطف الخاص على العام؛ حيث إن نصر الله تعالى يشمل جميع الفتوحات، ومنها (فتح مكة).²
- وأما التعريف في «الفتح»:

فللعهد، وقد وعد الله - تعالى - رسوله - ﷺ - به غير مرة، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85]، وقوله: ﴿لَتَذْكُرَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27].³

عُطِفَ الْفَتْحُ عَلَى النَّصْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فَمَا وَجِهَ ذَلِكَ؟ وَمَا دَلَالَةُ التَّعْرِيفِ فِي (الْفَتْحِ)؟

إضافة نصر إلى الله - تعالى - مع أنه لا يكون إلا منه تعظيم لشأن هذا النصر ولتحقق وقوعه. وأن الله - سبحانه وتعالى - هو من اعتنى الله بإيجاد أسبابه، وإن وجب على المسلمين الأخذ بالأسباب لذلك.

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَعْظَمِينَ قُلُوبُكُمْ بِهِ. وَمَا لَتَنْصُرُنَّ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126].

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، مَا فَائِدَةُ إِضَافَةِ النَّصْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟

قدّر الله الأقدار وسن الأسباب؛ لتحصل النتائج، ولكن الأسباب ليست فاعلة إلا أن يشاء الله - عزّ وجلّ -، ومن هذه السنن السعي والإعداد لنصرة دين الله - عزّ وجلّ -، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ [الأنفال: 59 - 60].

يَقِينًا أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَلِمَ نَأْخُذُ بِأَسْبَابِهِ؟ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟

- اختبار صدق إيمان المسلمين وجهادهم في سبيل الله - عزّ وجلّ - وتوكلهم على الله - عزّ وجلّ -، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ [التوبة: 16].

1 فتح القدير، الشوكاني (5/ 624)

2 تفسير العنبرين، (ص: 339)، بتصرف صفوة التفاسير، الصابوني (3/ 590)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 591)

- ومنها كذلك اصطفاء الشهداء، ﴿إِن يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ [آل عمران: 140].
- ليميز الله - عزَّ وجلَّ - المؤمن من المنافق، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنقُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ لَقَاتَلْنَا لِأَتَّبِعَنَّاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ [آل عمران: 167].

- الإيمان بالله تعالى واجتناب الشرك، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور: 55]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم: 47].
- إقامة شعائر الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سورة الحج: 41].
- الاستقامة على منهج الله تعالى، بطاعة أمره، واتباع رسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُذِيقْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: 7].
- الصبر والثبات، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْبِرِينَ الْمُنَافِقِينَ وَالضَّرَّاءَ وَرَزِزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: 214].
- الأخذ بالأسباب المادية وإعداد العدة، ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

ما مقومات استحقاق النصر في الأمة، كما جاء بها القرآن الكريم؟

- يوسف - عليه السلام - في اللحظة التي تم له فيها كل شيء، وتحققت الرؤية بعد العناء والغربة، ابتهل إلى ربه أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه إليه، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].
- وسليمان - عليه السلام - عندما رأى عرش ملكة سبأ حاضراً بين يديه، قال: ﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40].

ما خلق الأنبياء - عليهم السلام -، وأدبهم في لحظات الانتصار؟

- وهذا كان أدب محمد - ﷺ - في حياته كلها، وفي فتح مكة دخلها متذللاً لربه مطأطأاً الرأس، منحنياً على دابته.

- لإعداد جيل مُهَيَّباً لنصر دين الله، وتمكينه في الأرض يجب:
- غرس العقيدة الصحيحة في قلوب الأبناء القوية أمام الشبهات الواهية.
- البراءة من الشرك والمشركين.
- غرس الامتثال لشرع الله - عزَّ وجلَّ -، ولو تنافت مع هوى النفس.
- التوكل على الله في جميع الأمور، والافتقار إليه وخشيته في كل حال.
- الاهتمام بالعلم، وبالتهيئة البدنية لشباب المسلمين، ومنها التهيئة القلبية من تركيبة النفس والتخلي عن الرذائل.
- المواظبة على الدعاء بالثبات على دين الله والبعد عن الفتن.
- اليقين بنصر الله - عزَّ وجلَّ - ورفع الروح المعنوية والعزة في النفس.

كيف أعد جيلاً لنصر دين الله وتمكينه في الأرض؟

والرؤية في قوله: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ تحتمل وجهان:

- رؤية علمية، أي: وعلمت علم اليقين أن الناس يدخلون في دين الله - تعالى - أفواجا؛ وذلك بالأخبار الواردة من آفاق بلاد العرب، ومواطن قبائلهم، وبمن يحضر من وفودهم.
- رؤية بصرية، بأن رأى أفواج وفود العرب يردون إلى المدينة يدخلون في الإسلام، وذلك سنة تسع.¹

ما نوع الرؤية، التي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾؟

دل على أن دخولهم في الإسلام متجدد مستمر، شيئاً فشيئاً.² واستمرار دخول من يصله هذا الدين السمع لموافقته للعقل والفترة.

علام يدل التعبير بالفعل المضارع ﴿يَدْخُلُونَ﴾؟

- جاءت إضافة (الدين) إلى الله - تعالى - من باب التشريف، والتعظيم للإسلام، كبيت الله، وناقية الله،³ وأنه هو الدين الوحيد الذي ارتضاه الله - عزَّ وجلَّ - لعباده.

ما مناسبة إضافة الدين إلى الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾؟

- لدلالة الترتيب في الآيتين: (النصر ثم الفتح ثم الدخول)
- لبيان أن الهدف من النصر والفتح هو دخول الناس في دين الله تعالى أفواجا.
- وفيه دليل على تجرد المؤمنين من حظوظ الدنيا، وتسامحهم مع أولئك الذين كانوا يوماً أعداءهم وأصبحوا اليوم لهم إخواناً.

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 592)

2 نظم الدرر، البقاعي (22/ 316)

3 صفوة التفاسير، الصابوني (3/ 590)

في أشد فترات الأذى الذي يتعرض له الصحابة بمكة، عن خباب بن الأرت، قال: شكونا إلى رسول الله -ﷺ-، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»¹.

وعن البراء بن عازب. رضي الله عنه. قال: (أمرنا رسول الله -ﷺ- بحفر الخندق، قال وعرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوناها إلى رسول الله -ﷺ-، فجاء فأخذ المعول ثم قال: باسم الله، فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)².

النبى -ﷺ- كان مثالا
للتفاؤل واليقين بنصر الله -
عز وجل-، اذكر نماذج من
السيرة في ذلك.

- إن انتصار الإسلام وعلو راية الدين وفتح مكة بمنزلة التنوير لحقبة طويلة من الجهاد والبذل الذي قدمه رسول الله -ﷺ- وأصحابه - رضوان الله عليهم - فما حقهم علينا؟ وما الدرس المستفاد من ذلك في واقعنا؟
- التمسك بسنة النبي -ﷺ- والعمل بها في حياتنا اليومية.
- نشر سيرته -ﷺ- وبيان مناقبه وأخلاقه الحميدة.
- الرد على كل من يسب الرسول -ﷺ- أو يطعن في الصحابة.
- قراءة الكتب التي تهتم بسير الصحابة والسلف الصالح.
- تعليق الأبناء بأبطال الإسلام، وصرف نظرهم عن الأبطال الخوارق في القصص الخيالية.
- أن نحسن في أمورنا ونتيقن بموعود الله، وإن تأخر فالعاقبة للمتقين.
- الاقتداء بهم في الصبر والثبات واليقين بنصر الله - عز وجل -.

تلاوة

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ، كَانَ تَوَّابًا﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

3. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فاعلم أن ذلك علامة على قرب انتهاء المهمة التي بُعثت بها، فسبح بحمد ربك؛ شكرًا له على نعمة النصر والفتح، واطلب منه المغفرة، إنه كان توابًا يقبل توبة عباده، ويغفر لهم.¹

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<ul style="list-style-type: none"> • فيه إشارة إلى استمرار النصر لهذا الدين، وهذا يزيد في طمأنينة المسلمين إلى أن هذا الوعد مستمر والنصر آتٍ لا محالة. • ازدياده عند حصول التسبيح بحمد الله تعالى، واستغفاره؛ لأن هذا يعد من الشكر، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 2]. 	<p>ما دلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾، بعد حصول النصر والفتح؟</p>
<p>هو جمع بين تسبيح الله تعالى المؤذن بالتعجب مما يسره الله تعالى لرسوله - ﷺ - وأتمته من بعده مما لم يكن يخطر بباله، ولا بال أحد من الناس، وبين الحمد له سبحانه على جميل صنعه له - ﷺ -، وعظيم منته عليه بهذه النعمة التي هي النصر، والفتح لأُم القري.³</p>	<p>ما فائدة الجمع بين: التسبيح والحمد ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؟</p>
<p>والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر؛ لأن في صفة (الرب) وإضافتها إلى الضمير المخاطب:</p> <ul style="list-style-type: none"> • دليل على أن النصر والفتح ودخول الناس في الإسلام نعمة أنعم الله تعالى بها على نبيه - ﷺ -، إذا حصل هذا الخير العظيم بواسطته. • ليظهر تكريم الله تعالى وعناية بنبيه - ﷺ -، وهو شأن تطف الرب بالمربوب.⁴ 	<p>قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، علام يدل العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر (رَبِّ)، والإضافة إلى ضمير المخاطب (الكاف)؟</p>

هذا يتضح من وجوه:

- أمر الله - تعالى - بالتسبيح أولاً، ثم بالحمد، ثم بالاستغفار؛ لأنه قدم الاشتغال بما يلزم للخالق وهو التسبيح والتحميد، على الاشتغال بالنفس وهو الاستغفار.⁵
- (ومن ناحية الاعتراف بتعظيم الله تعالى، وحال العبد وتقصيره) ففي التسبيح

ما فائدة تقديم الأمر بالتسبيح والحمد، على الأمر بالاستغفار؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 603)
 2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 936)
 3 فتح القدير، الشوكاني (5/ 624)
 4 التحزيز والتنوير، ابن عاشور (30/ 596)، بتصرف يسير
 5 التفسير المنير، الزحيلي (30/ 452)

- والحمد الاعتراف بجلال الخالق وكماله، وفي الاستغفار توضيح لحال العبد وتقصيره.¹
- وفيه الجمع بين حق الله - تعالى - وحظ العبد، فالتسبيح: تنزيه الله - تعالى - عن النقص، والحمد: ثناء على الله تعالى لإنعامه، وهو أداء العبد ما يجب عليه لشكر المنعم، وهذا حق الله، وأما الاستغفار، فهو حظ للعبد؛ لأنه طلب من الله - تعالى - أن يعفو عما يؤاخذ به عليه.²
 - وأيضاً قيل في تقديم التسبيح والتحميد: تعليم أَدَبِ الدُّعَاءِ، وهو ألا يسأل فجأة من غير تقديم الثناء على المسؤول منه. وقيل: في تأخير الاستغفار مشروعية تعقيب العبادة بالاستغفار.³

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 98].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: 130].
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى السَّيِّئِ الَّذِي لَا يُمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: 58].

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: 55].
﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: 39].
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: 48].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: "من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة، حطت خطاياها، وإن كانت مثل زبد البحر".⁴
عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي - ﷺ - قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".⁵

التسبيح والتحميد عبادتان عظيمتان أمر الله - تعالى - بهما، وجاءت نصوص كثيرة في الحث عليهما مقترنين، وضح ذلك مع الاستشهاد.

- منها ما جاء عن النبي - ﷺ -: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف».⁶

اذكر بعضاً من صيغ الاستغفار؟

1 روح المعاني، الألويسي (495/15)، بتصرف

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (595/30)، بتصرف

3 روح المعاني، الألويسي (495/15)، بتصرف

4 صحيح البخاري، باب فضل التسبيح، رقم: (6405)

5 صحيح البخاري، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، فضلي أو قرأ أو سبح أو حمد أو هلل فهو على نيته، رقم: (6682)

6 سنن الترمذي، باب في دعاء الضيف، رقم: (3577) حكم الألباني: صحيح

- وصيغة سيد الاستغفار، في حديث شداد بن أوس - رضي الله عنه - : عن النبي ﷺ - : "سيد الاستغفار، أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" قال: «ومن قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»¹

- وكذلك كان النبي ﷺ - يدعو بهذا الدعاء: "رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدِمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"².

- في الصلاة، فعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه قال لرسول الله ﷺ - : "علمني دعاء أدعوه به في صلاتي، قال: قل "اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"³.
- في الركوع والسجود، فعن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: كان النبي ﷺ - يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"⁴.
- عقب الصلاة وسائر العبادات ومنها الإفاضة من عرفات.
- بعد الذنب.
- أذكار الصباح والمساء - سيد الاستغفار -.
- في السحر.
- عقب الوضوء، بعد الخروج من الخلاء، بعد كل مجلس.
- وقد صحَّ أنه - عليه الصلاة والسلام - كان يستغفر الله - تعالى - في اليوم واللييلة أكثر من سبعين أو مئة مرة، فقد جاء عن الأغر المزني، أن رسول الله ﷺ - قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»⁵.

ما مواضع الاستغفار المستحبة؟

1 صحيح البخاري، باب أفضل الاستغفار، رقم: (6306)
 2 صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ - : «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت»، رقم: (6398)
 3 صحيح البخاري، باب الدعاء قبل السلام، رقم: (834)
 4 صحيح البخاري، باب الدعاء في الركوع، رقم: (794) صحيح مسلم، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (484)
 5 صحيح مسلم، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم: (2702)

في التوكيد دلالة على:

- أنه سبحانه مبالغ في قبول توبة التائبين،¹ ولم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب كل من تاب توبة نصوحًا،² بدلالة صيغة المبالغة (تَوَابًا)، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.
- كما يدل على رحمته سبحانه بعباده، حيث يوفقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، ثم يقبلهم بعد التوبة، والعفو عنهم.³
- في هذا الختام:
- تعليل الأمر بالاستغفار؛ لأن الاستغفار طلب للمغفرة، فالطالب يتقرب إجابة طلبه.⁴
- كما أن فيه وعد بحسن القبول، بتقبل النبي -ﷺ- وتقبل استغفاره، تكريمًا منه سبحانه.⁵

ما الذي أفاده التوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾؟ وما مناسبة الختم به؟

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

1. النصر آتٍ لا محالة، ولكن نحتاج إلى الأخذ بمقومات النصر.
1. إنَّ النصر والجهاد بابان من أبواب هداية الخلق وسمو دعوة الإسلام.
2. المسلم لا ييأس؛ لأنه يعلم أن المحن تحمل في طياتها منح.
3. مشروعية نعي الميت لأهله.
4. وجوب شكر الله - عزَّ وجلَّ - على نعمه.
5. المداومة على الاستغفار بعد خواتيم الأعمال.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- تعظيم مكانة النبي -ﷺ- وأصحابه في أنفسنا.
- أن يبحث المسلم عن دور وهدف لنصرة الدين.
- أن يبذل المسلم جهده لنصرة الدين.

1 فتح القدير، الشوكاني (625 /5)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 946)، بتصرف يسير

3 فتح القدير، الشوكاني (625 /5)، بتصرف تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 946)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (597 /30)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (597 /30)، بتصرف

- دعوة غير المسلمين إلى دين الإسلام.
- المداومة على ذكر الله وتسيحه وتحميده.
- أن يكثّر المسلم من الاستغفار والتوبة.
- أن يحسن العبد الظن بالله - عزّ وجلّ - .

من الفوائد التربوية

- رفع الروح المعنوية والتفاؤل.
- تغرس العزة بالانتماء إلى هذا الدين.
- تغرس قيمة التواضع.
- تغرس التوكل على الله - عزّ وجلّ - وحسن الظن به سبحانه.
- تغرس قيمة الأخذ بالأسباب.

رسائل

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) ثق بوعده الله وتوكل عليه.
 (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) إن كان الأمر بالاستغفار للنبي - ﷺ - فما الظن بغيره؟!¹

111. سُورَةُ الْمَسَدِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).¹
سورتنا اليوم هي من دلائل صدق النبوة، فيها دفاع من الله - تعالى - لنبيه - ﷺ -
ووعيد لأعدائه وإن كان من أقربائه.
سورتنا هي سورة المسد.

تهيئة:

تعريف السورة

سُميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير بسورة «تبت».
وسُميت في بعض المصاحف وبعض التفاسير بسورة «المسد».
وسمّاها بعضهم بسورة (أبي لهب)، و(اللهب)، وسورة (ما كان من أبي لهب).²

اسم السورة:

مكية بالاتفاق.³

نوع السورة:

خمس آيات في جميع العدّد ليس فيها اختلاف.⁴

عدد آياتها:

أخرج البخاري وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -
- قال لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ - ﷺ - على الصفا
فجعل ينادي: (يا بني فهر، يا بني عدي) لبطن قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل
إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال:
(أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغيّر عليكم أكنتم مصدقي) قالوا:
نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)
فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ
وَتَبَّتْ ۝ مَأْغَنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.⁵

سبب نزولها:

1 صحيح البخاري، باب التواضع، رقم: (6502)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 599)

3 المرجع السابق

4 البيان في عدّ آي القرآن، (ص: 295)

5 المهر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد المزني (2/ 1101)

لم يرد فيها فضل خاص سوى أنها من المفصل، الذي ذكر فيه عن وائلة بن الأُسقع، أن النبي -ﷺ- قال: "أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المثين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل"¹.

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر:

ذكر في سورة النصر ثواب المطيع وحصول النصر، والاستعلاء في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى، وهنا ذكر أن عاقبة العاصي الخسار في الدنيا، والعقاب في الآخرة.²

مناسبة السورة لما قبلها:

أيضاً لما ذكر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الإسلام، عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه.³

المناسبة بين سورة المسد وسورة الإخلاص:

لما ذكر فيها عداوة أقرب الناس إلى رسول الله -ﷺ- وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت سورة الإخلاص مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الأوثان، والقائلين بالتثليث، وغيرها من المذاهب المخالفة للتوحيد.⁴

مناسبة السورة لما بعدها:

عدم منفعة النسب، والجاه مع الكفر بالله.⁵

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (3): توبيخ ووعيد لأبي لهب.
من الآية (4) إلى الآية (5): وعيد امرأة أبي لهب.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ۖ ذَاتَ لَهَبٍ ۚ﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ خسرت يدا عم النبي -ﷺ- أبي لهب بن عبد المطلب بخسران عمله؛ إذ كان

1 رواه أحمد في مسنده (16982) (188/28)، والطبرسي في مسنده (1105) (351/2)، وقال الألباني: حديث صحيح

2 تفسير المراغي، المراغي (260/30)

3 روح المعاني، الألوسي (496/15)

4 البحر المحیط، ابن حبان (570/10)

5 المختصر في تفسير القرآن الكريم (603/1)

يؤذي النبي -ﷺ-، وخاب سعيه.

2. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ أي شيء أغنى عنه ماله وولده؟ لم يدفعا عنه عذابًا، ولم يجلبا له رحمة.¹
 3. ﴿سَيَصِلُ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سيدخل يوم القيامة نارًا ذات لهب، يقاسي حرّها.
- تبت تَبَّ: خسر وهلك، يقال في الدعاء على الإنسان: تبتَّ يده. وتبَّأ له: هلاكًا له.²
- ما كسب: قال ابن عباس: (ما كسب: هو ولده فإن الولد من كسب أبيه).³
- والحقيقة أن الكسب: كل ما كسبه الإنسان مما يزيد شرفًا وعزًّا،⁴ كالجاه، والجد، والسمعة، والولد.

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
<p>ما دلالة افتتاح السورة بالدعاء بالتهاب، فيه تقريع وتوبيخ ووعيد بهلاك أبي لهب وخسرانه.</p> <p>بالدعاء في قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾؟</p>	<p>• افتتاح السورة بالدعاء بالتهاب، فيه تقريع وتوبيخ ووعيد بهلاك أبي لهب وخسرانه.</p> <p>• وفي ذلك براعة استهلال، بما يؤذن بالدم، والشتم، والهلاك، ومثل هذا الأسلوب ما جاء في فاتحة المطففين، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، والهمزة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.⁵</p>
<p>علام يدل إسناد التباب إلى اليدين، دون غيرها؟</p>	<p>في إسناد وجهان:</p> <p>أحدهما: يعني نفس أبي لهب، فقد يعبر عن النفس باليد، يشهد لذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَّ يَدَاكَ﴾ [الحج: 10]، أي نفسك.⁶</p> <p>الثاني: عمل أبي لهب، وإنما نسب العمل إلى اليد:</p> <ul style="list-style-type: none"> • لأنه في الأكثر يكون بها.⁷ • لأنَّ الهلاك والخسران غالبًا بما تكسبه الجوارح، واليد أشد اختصاصًا بذلك، فجاء إسناد البت إليها.⁸

في ذكر الله له بكنيته دون اسمه أربعة أوجه:

أحدها: أنه كان بكنيته أشهر منه باسمه.⁹

الثاني: أنه كان اسمه عبد العزى، والعزى: صنم، ولم يضيف الله - تعالى - في كتابه

ما دلالة ذكر كنية أبي لهب دون اسمه؟

- 1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (603 / 1)
- 2 تيسير التفسير، القطان (457 / 3)
- 3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (604 / 30)
- 4 تفسير العنيمين، ابن عثيمين، (ص: 347)
- 5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (600 / 30)
- 6 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (235 / 20)، بتصرف
- 7 الجامع لأحكام القرآن القرطبي (235 / 20)، بتصرف
- 8 أضواء البيان، الشنقيطي (144 / 9)
- 9 النكت والعيون، الماوردي (365 / 6)

العبودية إلى صنم.¹

الثالث: لأن الاسم أشرف من الكنية؛ لأن الكنية إشارة إليه باسم غيره، ولذلك دعا الله أنبياءه بأسمائهم تشريةً لهم - عليهم السلام -².
الرابع: حسن ذكره بها؛ للإشارة إلى أنه من أهل النار، وأن ماله إلى نار ذات لهب. فوافقت حاله كنيته التي كان يكنى بها لتلهب وجنتيه وإشراقهما، وإمضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه.³

اختص أبو لهب بأمرين عن سائر قريش، ولعلهما سبب تعيينه في القرآن الكريم زيادة في التنكيل به:

أولاً: إنه أول من جهر بالصد عن سبيل الله - عزَّ وجلَّ - وتجراً على أذى النبي ﷺ حين قال له (تَبَّأ لك سائر اليوم).

ثانياً: إنه كان عم النبي ﷺ، وفي عزِّ العرب من الحمية ألا يُعين على أخيه أو قريبه، حتى ولو لم يصدقه، فكيف به وهو يتولى كبر هذا الصد مع زوجته وأبنائه! وذلك لأن أثر أذى القريب أشد على الدعوة والداعية على حد سواء. فهو أشد على الداعية: من ناحية أن أذى القريب أشد على النفس من أذى البعيد.

وأشد على الدعوة: لأنه فتنة للناس ولمن يعلم بتكذيب القريب له الذي هو أعلمهم به وأولاهم باتباعه.

ونأخذ العبرة من ذلك بـ:

- الحذر من الصد عن دين الله - عزَّ وجلَّ - واتباع من كان هذا نهجه.
- لا نحزن إن أودينا في الله - عزَّ وجلَّ -، فهي سنة مُتَّبَعَةٌ، وطريق الأنبياء والصالحين، حتى وإن كان من القريب.

السباق دعاء وتقريع وتوبيخ لأبي لهب، دفاعاً من الله - تعالى - عن نبيه - ﷺ -، بمثل اللفظ الذي شتم به أبو لهب محمداً - ﷺ - جزاءً وفاقاً.⁴
ففي الجملة الأولى: دعاء عليه بالخسران والهلاك.
والثانية: إخبار من الله - تعالى - بأن هذا الدعاء قد حصل، وقد خسر الدنيا والآخرة.⁵

لَمْ يُعَيِّنِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ رَجُلًا
مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ الَّذِينَ كَانُوا
فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَبَا
لَهَبٍ؛ مَا دَلَالَةُ ذَلِكَ؟ وَمَا
الْمَعَانِي الَّتِي نَأْخُذُهَا مِنْهَا؟

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا
أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ تَكَرَّرَ لَفْظُ
التَّبَابِ، عَلَامٌ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

1 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (20/ 236)

2 النكت والعيون، الماوردى (6/ 365)، بتصرف يسير

3 محاسن التأويل، الفاسمي (9/ 563)، بتصرف الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (20/ 237)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 601)

5 تفسير المراغي، المراغي (30/ 261)

كما جاءت ﴿وَتَبَّ﴾ الثانية، بعد جملة الإنشاء والدعاء عليه الأولى؛ للتأكيد،¹ وليبيان أنه واقع به لا محالة، وأنه ممن حقت عليهم كلمات ربك، ليبأس -ﷺ-، والمسلمون من إسلامه. وتنقطع الملائفة معه.²

بالإضافة إلى إعجاز القرآن الكريم إجمالاً، تميّزت هذه السورة بوجه آخر من الإعجاز، وهو الإخبار عن مصير أبي لهب وأنه سيموت على الكفر، وبين نزول هذه السورة وموت أبي لهب أكثر من 10 سنوات، أسلم خلالها نفر كثير من قريش، ومات أبو لهب وزوجته على الكفر ليتحقق الوعيد الرباني بهما، وليذوقا من نار جهنم كما أخبرت هذه الآيات عنهما.

ما وجه الإعجاز في هذه
السورة؟

عليه أن يستعين بالله تعالى بالصبر عليهم.

ويتذكر حال النبي -ﷺ- كيف أؤدي من قرابته وعشيرته، فأحسن وصبر فكانت له الغلبة، والنصر، والعاقبة الحسنة، والهلاك والخسران لأعدائه في الدنيا والآخرة. ويعلم أن الأذى في دين الله - عزَّ وجلَّ - سنة، كما أورد البخاري في صحيحه أن ورقة بن نوفل قال للنبي ﷺ (يا ليتني فيها جذعاً أكون حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: **أُؤْمَرُجِيَّ هُمْ؟** فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي).³

في مجال الدعوة سيواجه
الداعية أذى وتسليطاً من
المدعّوين، فما الذي يعينه
على مواجهة هذا؟

لما جاءت الآية الأولى بالإخبار بوقوع هلاكه، انتقل من هذا الشمات والتوبيخ، للإعلام بأن الأحوال الدنيوية لا غناء لها؛ للتأسيس من النجاة من هذا التباب الذي حل به.⁴

ما مناسبة قوله تعالى: ﴿مَا
أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾،
بعد الدعاء عليه بالهلاك
والخسران؟

دَلٌّ على تحقيق وقوع عدم الإغناء،⁵ فماله وما كسب من الولد، لم يدفع ما حلَّ به من التباب، وما نزل به من عذاب الله تعالى، مع أن ما جرت به العادة أن المال ينفع صاحبه، فلو مرض انتفع بماله، ولو جاع لانتفع به، لكن النفع الذي لا ينجم صاحبه من النار، ليس ذا فائدة.⁶

علام يدل قوله تعالى: ﴿مَا
أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾؟

1 النكت والعيون، الماوردي (6/ 365)

2 أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 145)، بتصرف يسير

3 صحيح البخاري 6581

4 نظم الدرر، البقاعي (22/ 335)، بتصرف التحريز والتنوير، ابن عاشور (30/ 603)

5 التحريز والتنوير، ابن عاشور (30/ 604)

6 فتح القدير، الشوكاني (5/ 627)، بتصرف تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 346)

- (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ) [آل عمران: 10].
 - (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [آل عمران: 116].
 - (لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [المجادلة: 17].

المال والولد لن يغنيا من عذاب الله تعالى شيئاً، اذكر أدلة تؤيد هذا المعنى.

حتى تكون الأموال والأولاد مما يقربنا إلى الله، يجب علينا:

- تربية الأبناء على تقوى الله - تعالى -، وطاعته والخوف منه.
- الاستعانة بالله - تعالى - في تربيته، وسؤاله التوفيق، والهداية لهم والثبات.
- مراقبة الله فيهم، وعدم جعلهم وسيلة للكبر، والطغيان.
- الإنفاق عليهم من الكسب الحلال.
- صرف المال في وجوه البر، وتعليم الولد وتعييده على الطاعات قياماً بحقه على والده، وحتى يكون عمله امتداداً لعمل الوالد في ميزانه.

لن تغني الأموال والأولاد عن صاحبها شيئاً إلا أن يجعلها صاحبها قربى إلى الله، فكيف يكون ذلك؟

- بيان للعاقبة السيئة التي تنتظره، بعد مجيء الذم، والتأنيب، والوعيد فيما سبق من الآيات.¹
- تحقيق وقوع العذاب على أبي لهب، وقربه، وشدته، بدلالة دخول السين على الفعل (يصلى) التي تدل على التحقيق.²
- إحساسه بالنار، وشو به، وإحاطتها به من كل جانب.³
- ووصف النار بأنها ذات لهب:

○ لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره، إذ هو أبو لهب، والنار جزء كفره ذات لهب شديد.⁴

○ فاللَّهْبُ، لقب مناسب تماماً لحاله وماله؛ فسوف يكون في نار تتلظى لهباً عظيماً مطابقة.⁵

ما دلالة قوله تعالى:

(سَيَصَلَى نَارًا)، وعلام يدل وصف النار بقوله: (ذَاتَ هَبٍّ)؟

تلاوة

(وَأْمُرْهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَاللَّهْبِ ﴿١٠﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿١١﴾)

الآية (الآيات)

1 التفسير الوسيط، الططاوي (15/ 536)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 604)، بتصرف تفسير العليمين، ابن عثيمين، (ص: 347)

3 تفسير الكرم الرحمن، السعدي، (ص: 937)، بتصرف التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 604)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 605)، بتصرف يسير

5 تفسير العليمين، ابن عثيمين، (ص: 346)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

4. ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وستدخلها زوجته أم جميل التي كانت تؤذي النبي -ﷺ- بإلقاء الشوك في طريقه.
5. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ في عنقها حبل مُحْكَم القتل تساق به إلى النار.¹
- يصل: يُشَوِّى بها ويحس بإحراقها، وأصل الفعل: صلاه بالنار، إذا شواه.²
- الجيد: العنق، وغلب في الاستعمال على عنق المرأة وعلى محل القلادة منه،³ والجيد من محاسن المرأة، وسمى جيداً من الجودة، حيث تضع المرأة أجمل ما تزين به من حلى وجواهر.⁴
- الحبل: هو ضمير من اللبف، أو من سيور جلد، في طول متفاوت على حسب قوة ما يشد به، أو تربط به الأشياء التي يراد اتصال بعضها ببعض.⁵
- المسد: ليف من ليف اليمن الخشن الشديد، والحبال التي تفتل منه تكون قوية وصلبة.⁶

تدبر وتركيزية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
<p>ما الذي أفاده العطف في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ؟﴾ وما دلالة تقييدها بوصف ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ؟﴾</p>	<p>اشترакها مع زوجها في عذاب النار، دلّ عليه حرف (العطف الواو) لكونها شاركته في العداء، والإثم، والبقاء على الكفر؛ فلكل واحد منهما جزء من جنس عمله.⁷ ووصفها بـ﴿حَمَّالَةَ﴾ جاءت على صيغة المبالغة؛ لكثرة ما كانت تحمله من الحطب الذي فيه الشوك وتضعه في طريق النبي -ﷺ- من أجل أذى رسول الله -ﷺ-.⁸ كما أن هذا الوصف يدل على أن الجزء من جنس العمل، فكما آذوا النبي ﷺ القريب كان عذاب أبو لهب في جهنم على يد زوجته، وكما حملت الحطب في الدنيا؛ لتضعه في طريق النبي ﷺ، أنذرت بأنما تحمل الحطب في جهنم؛ ليقود به على زوجها، وذلك خزي لها ولزوجها؛ إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه، وجعلها سبباً لعذاب أعز الناس عليها.⁹</p>

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 603)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 604-605)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 606)

4 التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (16/ 1707)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 607)

6 المرجع السابق

7 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 606)، بتصريف تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 347)

8 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 347)

9 التحرير والتنوير (30/ 605) بتصريف يسير

في تخصص الجيد:

- ذكر الجيد فيه سخرية من امرأة أبي لُهب وتمكّم بها، ذلك أن الجيد موضع القلادة وهو موضع حسن من المرأة، فكان من عذابها أن تتحلّى يوم القيامة بهذا الحبل من مسد.
- اهتمامًا بوصف تلك الحالة الفظيعة، التي عُوِّضَتْ فيها بحبل في جيدها، عن العقد الذي كانت تُحلّي به جيدها في الدنيا فتربط به، حيث كانت هي وزوجها من أهل الثراء.¹
- وكان هذا الجزء من جنس العمل، حيث ذكر ابن المسيب أنها كانت لها قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللاتِ والعزّى لأنفقنها في عداوة محمد، فأعقبها الله منها حبلاً في جيدها من مسد النار.²
- ووصف الحبل بأنه من مسد: صورها الله - تعالى - بصورة بشعة، صورة من تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كبعض الخطابات الممتهات؛ احتقارًا لها، واحتقارًا لبعْلِها، حين اختارت ذلك لنفسه.³
- لأنها من أكابر قبائل قريش لكن لدنو نظرتها، وإهانتها لنفسها، ارتضت ذلك؛ من أجل أذية الرسول - عليه الصلاة والسلام -،⁴ وهذا يدل على حقد كبير تحمله هذه المرأة للنبي ﷺ.

ما دلالة تخصيص الجيد بالذكر هنا دون العنق؟
وعلام يدل وصف الحبل بقوله تعالى: (حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)؟

للمرأة تأثيرها القوي فيمن حولها وخاصة في الأسرة، زوجة أو أمًا، ولذلك أوصى النبي ﷺ - بحسن اختيار الزوجة فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ - قال للأب: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدنيها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك)،⁵ وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ - قال: (الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة).⁶

فالزوجة الصالحة تعين زوجها على دنياه وآخرته، فهي تعين زوجها في عبادته وتحنه عليها، وتعينه على بر والديه وصلة رحمه، وعلى الإنفاق في وجوه البر وتربي أولاده على الصلاح والخير، وتعلمهم حسن الخلق واحترام الكبير والرحمة بالصغير والضعيف، وهي في هذا تصلح أسرتها ويتعدى نفع ذلك إلى صلاح مجتمعها. وأما من أعانت زوجها على الشر والمعصية فأني يكون صلاحها وصلاح أسرتها.

الزوجة الصالحة تعين زوجها على الحق وتثبته عليه. وصَحَّ ذلك مع ذكر نماذج مشرفة عليه من السيرة.

1 التحريز والتنوير، ابن عاشور (30/ 607)

2 صفوة التفاسير، الصابوني (3/ 593)

3 تفسير المراغي، المراغي (30/ 263)

4 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 348)، بتصرف يسير

5 صحيح البخاري، باب الأكلفاء في الدين، رقم: (5090) صحيح مسلم، باب استحباب نكاح ذات الدين، رقم: (1466)

6 صحيح مسلم، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، رقم: (1467)

وفي تاريخنا أمثلة حثق أن يُقْتَدَى بها في إعانة المرأة الصالحة زوجها على الحق والخير: - فقد ضربت أم المؤمنين السيدة خديجة - رضي الله عنها - أروع مثال للمرأة المؤثرة في زوجها رسول الله - ﷺ - تثبته وتهدئ من روعه يوم رجع من غار حراء، ثم كانت أول من آمن به واستمرت تنصره وتشد من أزره. -وهذه أم سلمة - رضي الله عنها - تشير عليه يوم صلح الحديبية بأن ينحر ويحلق فيتبعه الصحابة اقتداء، لئلا يذهب بحسن مشورتها ما أهمه، وتكون سبباً في ثبات المسلمين - رضي الله عنها وأرضاها - . -وهذه أم الدحداح تشد على يد زوجها حين أنفق ما أنفق فتقول: ربح البيع.

-عن أنس - رضي الله عنه -، قال: كان رجل نصرانياً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي - ﷺ -، فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا: أنه ليس من الناس، فألقوه،¹ وهذا أمر خارج عن العادة يدل كل أحد على أن هذه عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين لا يصيبهم مثل هذا.

وهذه عبرة وعظة، والله على كل شيء قدير، ولا يعني هذا أن كل من آذى النبي ﷺ ينتقم الله تعالى منه في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الْظَّالِمُونَ إِنَّهَا يَوْمَ يُؤْخِرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: 42 - 43]. وواجهنا نصرة نبينا بما يسر الله لنا.

في أحداث التاريخ منذ بعثته - ﷺ -، ما يؤكد أن الله تعالى يدافع عن نبيه، اذكر بعضاً من المواقف والعبر.

- صور من إيذاء النبي - ﷺ - في المجتمعات المسلمة:
- الإعراض عن الأحاديث النبوية، وتكذيبها ممن يُسْمُون بمنكري السنة.
 - تعمد مخالفة السنة والاستهزاء بها.
 - نشر الأحاديث المكذوبة، دون التأكد من صحتها.
 - صور من إيذاء النبي - ﷺ - في المجتمعات الكافرة:
 - سبه وشتمه، وتصويره بصورة غير لائقة.

لا تزال تقع في زماننا في المجتمعات الكافرة وكذلك المسلمة صور من أذى النبي - ﷺ -، اذكر صوراً لذلك، وما واجبنا تجاهها؟

- الكذب عليه واتهامه بالباطل.
- تزوير سيرته ﷺ.

وأما واجبنا تجاه ذلك:

- إحياء سنة النبي ﷺ ونشرها، والحرص على الاقتداء به.
- محبته - ﷺ - وآل بيته، وصحابته، وتربية الأبناء على ذلك.
- دحر الشبهه والأباطيل التي تُثار حوله - ﷺ - وسيرته، وترجمتها إلى اللغات الأخرى.
- تحري صحة الحديث، وكل ما ينشر عنه أو ينسب إليه - ﷺ -.

- إن إيذاء أهل الحق سنة، فعلية الصبر والاحتساب.
 - قد يكون الإيذاء من القريب ويكون أشد على النفس، وله في رسول الله ﷺ أسوة في ذلك.
 - الطمأنينة إلى دفاع الله - عزَّ وجلَّ - عنه وينشغل بالدعوة لا الأعداء.
 - إن الله - عزَّ وجلَّ - مهلك أعداء الدين ولو بعد حين.
- ما العبر التي يأخذها الداعية من هذه السورة؟

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- هلاك أبو لهب وزوجته وخسارتهما في الدنيا والآخرة.
- على الداعية الصبر والاحتساب على الأذى في الله ما دام على الحق، وله في رسول الله - ﷺ - أسوة في ذلك.
- شدة الأذى الذي تعرض له النبي - ﷺ - من قومه ومن الأقربين؛ في سبيل تبليغ الدعوة.
- طريق الدعوة شاق، وعاقبته نعيم عظيم.
- لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئاً إذا لم يعيناه على رضا رب العالمين.
- تأييد الله تعالى لنبيه - ﷺ -، ولأوليائه في كف شر أعدائه عنه.
- سوء عاقبة المرأة، التي تقف عوناً لزوجها في الشر.
- في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فقد أخبرت عن أبي لهب وزوجه أنهما من أهل النار وماتا على الكفر.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- توفير النبي - ﷺ - والدفاع عنه، وتمثل سنته والذود عنها.
- الصبر على الأذى في سبيل الله - عزَّ وجلَّ - تأسيًا برسولنا الكريم.
- شكر نعم الله علينا من المال والولد وغيرها، وذلك بتوجيهها فيما يرضى الله عنا وينصر دينه.

- اختيار الزوجة الصالحة التي تعين زوجها وأولادها على الحق.
- الدعوة إلى الحق والخير، والحذر من أن يكون الإنسان أسوة في الشر والصد عن سبيل الله.

من الفوائد التربوية

- أهمية اختيار الزوجة الصالحة.
- دفاع المرء عن المترى، ودفع السوء عنه ما تيسر ذلك.
- الاهتمام بنفسية المترى.
- تعالج قضية التعلق بمتاع الدنيا من مال وأولاد.
- تغرس العزة بالدين.
- تغرس المسؤولية الفردية.

رسائل

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ لَا يَنْفَعُ مِنْ مَالٍ وَلَا وَلَدٍ إِلَّا مَا كَانَ فِي مِرْمَاتِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ الله حكم عدل، والجزاء من جنس العمل.
﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ احذر ممن يعينك على الباطل ويزينه لك، فلن ينفعك اشتراكه معك في الإثم.

112. سُورَةُ الْإِخْلَاصِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

سورة تضمنت أصل التوحيد، يشعر من يتدبرها بالهيبية والعظمة، تتعلق بذات الرب سبحانه وبأسمائه وصفاته، تعدل ثلث القرآن، ويُرجى لمن أحبها أن يدخل الجنة. سورتنا هي سورة الإخلاص.

تهيئة:

تعريف السورة

تسمى بـ(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) كما رويت عن النبي -ﷺ- والصحابة - رضي الله عنهم - وبها عنون البخاري.

سميت بسورة «الإخلاص» وبها عرفت السورة في المصاحف وكتب التفسير. وتسمى «الله الواحد الصمد»، وتسمى سورة الأساس، وسورة التوحيد، وسورة الممشقة، الممشقتان مع سورة الكافرون، وسورة الصمد، وسورة البراءة، إلى غير ذلك من الأسماء، وقد ذكر ابن عاشور أن الفخر الرازي ذكر لها عشرين اسمًا.¹

اسم السورة:

مكية في قول الجمهور، وقيل: إنها مدنية. والصحيح أنها مكية؛ حيث جمعت أصل التوحيد.²

نوع السورة:

خمس آيات في المكي والشامي وأربع في عدّ الباقيين.³

عدد آياتها:

ورد للسورة سببا نزول:⁴

1. إِنَّ (الْمُشْرِكِينَ) قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-: ائْسَبْ لَنَا رَبَّكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ..."

2. جَاءَ (نَاسٌ مِّنَ الْيَهُودِ) إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالُوا: صِفْ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَتَزَلُ تَعْتَهُ فِي التَّوْرَةِ، فَأَحْبَرْنَا: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ وَمِنْ أَيِّ جَنْسٍ هُوَ؟ [مِنْ] ذَهَبٍ هُوَ، أَمْ نُحَاسٍ أَمْ فِضَّةٍ؟ وَهَلْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ؟ وَمَنْ وَرِثَ الدُّنْيَا؟ وَمَنْ يُورِثُهَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ، وَهِيَ نَسْبَةُ اللَّهِ حَاصَّةٌ.

سبب نزولها:

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (609/30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (611/30)

3 البيان في عدّ آي القرآن، (ص: 296)

4 أسباب النزول، زغلول، (ص: 500)

وقيل: إن النبي -ﷺ- قرأ على اليهود هذه السورة لما سألوه، فظنها الراوي من الأنصار نزلت ساعتئذ، أو أن الرواية لم تضبط، وجمع بعضهم بين الروایتين بتكرار نزولها.¹

• من أذكار النوم، عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي -ﷺ- (كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: «قل هو الله أحد» و«قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس»، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده؛ يبدأ بهما على رأسه وعلى وجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مراتب).²

• تعدل ثلث القرآن، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: «قل هو الله أحد» يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله -ﷺ- فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقاهما، فقال رسول الله -ﷺ-: (والذي نفسي بيده، إنهما لتعدل ثلث القرآن).³

• قرأ بها النبي ﷺ في ركعتي الفجر، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: (أن رسول الله -ﷺ- قرأ في ركعتي الفجر {قل يا أيها الكافرون} و{قل هو الله أحد}).⁴

• فضل السورة والآثار الواردة فيها: قرأ بها النبي ﷺ في ركعتي الطواف، وفي حديث الحج قال جابر - رضي الله عنه -: «... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن، فرمل ثلاثاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم - عليه السلام -، فقرأ {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}، فجعل المقام بينه وبين البيت، فجعل أبي يقول - ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي -ﷺ- -: كان يقرأ في الركعتين: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}. و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}.⁵

• حبها سبب في دخول الجنة، عن أنس بن مالك: (كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح ب{قل هو الله أحد}، حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتهم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي -ﷺ- أخبروه الخبر، فقال: (يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة

1 لتحرير والتنوير، ابن عاشور (611/30)

2 صحيح البخاري، باب فضل المعوذات، رقم: (5017)

3 صحيح البخاري، باب فضل قل هو الله أحد، رقم: (5013)

4 صحيح مسلم، باب فضل ركعتي الفجر، رقم: (726)

5 صحيح مسلم، باب حجة النبي -ﷺ-، رقم: (1218)

في كل ركعة؟ فقال: إني أحبها، فقال: (حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ).¹

المناسبة بين سورة الإخلاص وسورة المسد:

- ما تقدم فيما قبلها كان في عداوة أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ - وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، ثم جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الأوثان، والقائلين بالتثليث، وغيرها من المذاهب المخالفة للتوحيد.²
- جاء في سورة المسد انتصار للنبي ﷺ على أذى عمه وزوجته، وفي هذه السورة دعوة للالتجاء إلى الصمد.

مناسبة السورة لما قبلها:

المناسبة بين سورة الإخلاص وسورة الفلق:

- لما بيّن الله - سبحانه وتعالى - أمر الألوهية في سورة الإخلاص لتنزيه الله - تعالى - عما لا يليق به في ذاته وصفاته، بين الله - تعالى - في هذه السورة ما يستعاض منه بالله تعالى من جميع الشرور.³
- لما صرّح تعالى بخالص التوحيد في سورة الإخلاص، وهي معركة الإيمان والشرك، ومثار الخلاف والخصومة بين النبي ﷺ وأعدائه، أمره تعالى أن يتعوذ من شرور الخلق فلا يضرونه.⁴
- وردت في سورة الإخلاص صفة الصمد لله - عزّ وجلّ -، وهو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، وذكر في سورة الفلق أثرًا عمليًا لذلك وهو الاستعاذة بالله - عزّ وجلّ -.

مناسبة السورة لما بعدها:

إثبات تفرد الله بالكمال والألوهية وتنزّهه عن النقص.⁵

مقصد السورة:

- من الآية (1) إلى الآية (2): إثبات تفرد الله بالألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات.
- من الآية (3) إلى الآية (4): تنزيه الله - تعالى - عن الولد، والصاحبة، والمثيل والند.

موضوعات السورة:

1 صحيح البخاري، باب الجمع بين السورتين في الركعة، (774)
 2 البحر المحيط، ابن حبان (570/10)
 3 روح المعاني، الألويسي (517/15)، يتصرف
 4 أضواء البيان، الشنقيطي (158/9)
 5 المختصر في تفسير القرآن الكريم (604/1)

تلاوة

الآية (الآيات)

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قل - أيها الرسول - هو الله المنفرد بالألوهية، لا إله غيره.
2. ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ هو السيد الذي انتهى إليه السؤدد في صفات الكمال والجمال، الذي تصمد إليه الخلائق.¹
الصمد: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، فهو المقصود في قضاء الحوائج على الدوام.²

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات

الأسئلة التدرجية

- ما مناسبة تسمية السورة
- بسورة الإخلاص واشتهارها
- بما مع عدم ورود اللفظ
- فيها؟
- إن سورة الإخلاص سميت بذلك لأمرين:
- الأول أن الله أخلصها لنفسه فليس فيها إلا أسماء الله وصفاته نفيًا وإثباتًا.
- والثاني أنها تخلص قائلها من الشرك إذا قرأها معتقدًا ما دلّت عليه: فالإخلاص من مقتضى كل آية من آياتها.

افتتاح هذه السورة بالأمر بالقول لإظهار العناية بما بعد فعل القول كما علمت ذلك عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ [الكافرون: 1] ولذلك الأمر في هذه السورة فائدة أخرى، وهي أنها نزلت على سبب قول المشركين: انسب لنا ربك، فكانت جوابًا عن سؤالهم فلذلك قيل له: قل.³

كما أن فعل الأمر "قل" يشير إلى الصدع بكلمة التوحيد والدعوة إلى الله - عز وجل - والجهر بها.

ما دلالة افتتاح السورة

بالفعل ﴿قُلْ﴾؟

- ما دلالة ذكر ضمير الشأن
- ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؟
- إشارة إلى فخامة مضمون الجملة.
- وزيادة التحقيق والتقرير؛ لأن الضمير يشير إلى شيء مبهم تترقبه النفس، فإذا جاء الكلام من بعده زال الإبهام، وتمكن الكلام من النفس.⁴

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 604)

2 أيسر التفاسير، الجزائري (5/ 628)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 612)

4 التفسير الوسيط، طنطاوي (15/ 540)

قال الأزهري: لا يوصف شيء بالأحدية غير الله تعالى، لا يقال: رجل أحد ولا درهم أحد، بل «أحد» صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها شيء، ومن الفروق بينهما:

- إن الواحد يدخل في الأحد، والأحد لا يدخل فيه.
- إنك لو قلت: فلان لا يقاومه واحد، جاز أن يقال: لكنه يقاومه اثنان بخلاف الأحد.
- إن الواحد يستعمل في الإثبات، والأحد يستعمل في النفي، تقول في الإثبات رأيت رجلاً واحداً، وتقول في النفي ما رأيت أحداً؛ فيفيد العموم.¹
- الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.²

ما وجه التعبير باسم الله
(أَحَدٌ) دون الواحد؟ وما
الفرق بين الوصفين؟

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163].
قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: 31].
قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: 65].³

نصوص القرآن الدالة على
وحدانية الله - تعالى -
كثيرة، اذكر بعضها.

الصمد لغة:

الصاد والميم والدال أصلان: أحدهما الصَّد، والآخر الصَّلابة في الشَّيء.⁴

الصمد في حق الله - عزَّ وجلَّ -:

الأول: الذي لا جوف له.

الثاني: الذي لا يخرج منه شيء.

الثالث: الذي لم يلد ولم يولد.

الرابع: السيد الذي قد انتهى في سؤده.

الخامس: الباقي الذي لا يفنى.

السادس: المقصود في قضاء الحوائج، الذي تصمد إليه الخلائق.

وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو غنى الله عما يحتاجه خلقه؛ لكمال

سؤده،⁵ وحاجة كل خلقه إليه سبحانه.

ما معاني الصمد في حق الله
- عزَّ وجلَّ -؟

ما الآثار الإيمانية لمعرفة اسم

• محبة الله تعالى، ولازم هذه المحبة؛ عبادته وحده والبراءة من الشرك.

الله الصمد؟

1 أعضاء البيان، الشنقيطي، (9/ 147-148) بتصرف يسير

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 937)

3 أعضاء البيان، الشنقيطي (9/ 149)

4 مقاييس اللغة، ابن فارس (309/3)

5 تفسير جزء عم، الشيخ مساعد الطيار (268)، بتصرف

- إناخة المطالب ببابه، والتوجه بالقصد إليه وحده، وطلب الخواص منه سبحانه، والاستغناء به عن كل أحد.
- إفراده سبحانه بالتوكل والتعلق، والثقة في كفايته، وقدرته.
- تعظيمه وإجلاله، وحمده، والثناء عليه؛ لأنه الكامل في أسمائه وصفاته، المستغني عن كل شيء، ومن سواه مفتقر إليه في كل شيء.
- التعلُّق به بعد بذل الأسباب المادية مهما كثرت وتعددت، واليقين بأنه رها ومسبها ومدبرها ومقدرها.
- دعاؤه سبحانه بهذا الاسم العظيم، والتوسل به إليه، وقد أخبر النبي -ﷺ- عن الرجل الذي دعا الله - تعالى - فقال: [اللهم إنا نسألك بأننا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر ذنوبنا وتكفر عنا سيئاتنا إنك أنت الغفور الرحيم]،¹ أنه قد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب.

-
- في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (1)؛ اللَّهُ الصَّمَدُ) ما وجه التعظيم في تكرار اسم الجلالة (الله)، دون التعبير بالصمير؟
 - لاستقلال كل جملة بمعنى كامل.
 - وللاشعار بأن من لم يتصف بالوصف المذكور في كل جملة لا يستحق الألوهية.²
 - كما أن في تكرار الاسم الظاهر، دلالة على تأكيد الخبر الآخر وقوته (صمدية الله تعالى)، كما دل على ذلك الخبر الأول ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. ويظهر في هذا أسلوب التلقين ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

-
- اسم الله تعالى الصَّمَدُ لم يرد إلا في هذه السورة، فما دلالة اقتترانه باسم الله الأحد؟
- إن من معاني (الأحد)؛ هو الكامل المطلق المنفرد في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وربوبيته وإلهيته، ولا يصدق اسم (الصمد) إلا على من هذه صفاته (الواحد الأحد) - سبحانه وتعالى -.³

نؤمن أن الله أحد، فهل خلصت له قلوبنا، وهل صدقت أفعالنا أقوالنا، طاعة وقصدًا وامتنالًا؟! هل توجهنا إلى الله - تعالى - بصدق في جميع أعمالنا؟ ما أجمل أن نستشعر كمال الله وغناه وفقرنا وحاجتنا إليه سبحانه! هل تأدينا مع اسم الله الصمد، قصدًا له في حاجتنا، وقطعًا لرجائنا فيما سواه؟!

1 فقد جاء في الحديث أن رسول الله -ﷺ- سمع رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد)، فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب» سنن أبي داود، باب الدعاء، رقم: (1493)، قال الألباني: حديث صحيح وفي الحديث الآخر، دخل رسول الله -ﷺ- المسجد، فإذا هو برجل قد قضى صلاته، وهو يتشهد وهو يقول: (اللهم إني أسألك يا الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم)، قال: فقال: «قد غفر له، قد غفر له» ثلاثاً سنن أبي داود، باب ما يقول بعد التشهد، رقم: (985)، قال الألباني: حديث صحيح

2 روح المعاني، الألبوسي (15/512-513)

3 والله الأسماء الحسنى، عبد العزيز الجليل، (ص: 114)

تلاوة

الآية (الآيات) ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿١﴾

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

3. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ الذي لم يلد أحدًا، ولم يولد أحدًا، فلا ولد له سبحانه ولا والد.
4. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولم يكن له مماثل في خلقه.¹
كفوًا: الكفو: هو المكافئ والمماثل، والمشابه لغيره، في العمل أو في القدرة.²

تدبر وتركيبية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

هدايات

الأسئلة التدرجية

تقديم نفي الولد دلالة على أنه أهم، إذ قد نسب أهل الضلالة الولد إلى الله - تعالى - ولم ينسبوا إلى الله - تعالى - والدًا،³ يشهد لذلك:
- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٥٠﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَجْرُ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٥١﴾ [مريم: 88 - 90].
- وعن أبي موسى - رضي الله عنه -، عن النبي - ﷺ - قال: (ليس أحد، أو: ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدًا، وإنه ليعافيههم ويرزقهم).⁴
- عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، عن النبي - ﷺ -، قال: قال الله: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أي لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي، فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا).⁵ وفي هذه الشواهد تعظيم لجرم من نسب لله تعالى الولد.
وذلك نفي الوالد والولد على كمال الله تعالى، وكمال غناه.⁶
كما جاء بمنزلة الاحتراس سداً لتجويز أن يكون له والد،⁷ وتممة للنفي والتنزيه،⁸ وإقامة الحججة عليهم.

ما دلالة تقديم نفي الولد على الوالد؟ وما دلالة العطف بالنفي ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ مع أنه لا يوجد من ادعى ذلك؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم، (1/ 604)

2 التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 541)

3 أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 153)

4 صحيح البخاري، باب الصبر على الأذى، رقم: (6099)

5 صحيح البخاري، باب ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ [البقرة: 116]، رقم: (4482)

6 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 937)

7 التحريز والتنوير، ابن عاشور، (30/ 618)، بتصرف

8 أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 151)

ونفسي لإحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذي لم يتقدمه والد كان منه، وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه.¹

وجاء النفي في زمن الماضي؛ لأن عقيدة التولد ادّعت وقوع ذلك في زمن مضى، ولم يدّع أحد أن الله - عزّ وجلّ - سيتخذ ولدًا في المستقبل.²

في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ رد على أصحاب المعتقدات الباطلة، وضح لك.

في الآية رد على:

- المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله.
- اليهود القائلين: عزيز ابن الله - سبحانه عما يقولون -.
- النصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله - تعالى الله علوًا كبيرًا³ -.

قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْسُقُ الْأَرْضُ وَنَحْنُ الْجِبَالُ هَذَا ۝ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝﴾ [مریم: 90 - 93]، هذا حال السماوات والأرض والجبال فكيف حالنا مع هذا الادعاء؟!، عجبًا لمسلم يهنيئ النصارى بعيد ادعاء أن الله ولدًا!

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: 4].

وقال تعالى: ﴿يَبْدِعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ أَلَيْسَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101].

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِثْرٌ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تُكْبِيرًا﴾ [الإسراء: 111].

هات شواهد من القرآن الكريم تفيد شناعة ادعاء الولد لله - سبحانه وتعالى عما يقولون - والرد عليه.

يورث تعلق القلب بالله وحده، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، وترك ما سواه.⁴

كما دلّ على شناعة هذا القول وتعظيمه في النفس، قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْسُقُ الْأَرْضُ وَنَحْنُ الْجِبَالُ هَذَا ۝ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝﴾ [مریم: 90 - 92].

فادعاء أن الله ولدًا شيء عظيم، ما كان ينبغي للمؤمن أن يشارك قائله الاحتفال وغير ذلك من شعائرهم.

إبطال وجود الولد والوالد لله - تعالى - له أثر إيماني في القلوب، وضح ذلك.

1 محاسن التأويل، القاسمي (569/9)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (619/30)

3 التفسير المنير، الزحيلي (465/30)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (619/30)

وكذلك يبعث في النفس الشعور بالعزة؛ لأننا عبيد لله تعالى، فهو المستحق للعبادة، فكم نرى في واقعنا من أقوام عبدوا غير الله - تعالى - ممن لا يملكون الضر، والنفع، بل مما تستقدره النفس أحياناً، فالحمد لله أن عرفنا به، وشرّفنا بعبادته.

نفي أن يكون لله أحد يساويه، أو يماثله، أو يشاركه في شيء، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وهو نفي أيضاً لوجود الصاحبة. كما دل الختام على إبطال ما يعتقده المشركون العرب من أن لله نذّاً في أفعاله، حيث جعلوا الملائكة شركاء لله، والأصنام والأوثان أنداداً لله - تعالى الله عما يصفون -¹

دل ختام السورة (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) على معانٍ عظيمة، وضحها.

- معرفة الله - عزّ وجلّ - بأسمائه وصفاته وأفعاله ومخلوقاته.
- معرفة العقيدة الصحيحة وغرسها في النفوس، وخاصة وحدانية الله - عزّ وجلّ - ودلائلها.
- التسلح بالعلم الشرعي، والرجوع إلى أهل الاختصاص فيما يرد إلينا من جديد حتى لا ننخدع ببريقه ونوّتى من قبل ذلك ونحن نروم تعلمنا وإحساناً.
- توعية من حولنا ببيان أوجه النقص فيها وأثرها في العقيدة، وخاصة في التعلق بالله - عزّ وجلّ - والتوكل عليه والإخلاص له.

تنتشر في وقتنا الحاضر مظاهر مختلفة من الشرك منها تقديس الذات ومن يدعو لذلك، ومنها التعلق بالطاقة أو بمظاهر طبيعية وغيرها مما يُستحدث، فما السبيل إلى معالجة ذلك؟

هذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز، وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله - جل وعلا - عن صفات العجز والنقص، فقد أثبتت الآية الأولى الوحدانية ونفت التعدد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وأثبتت الثانية كماله تعالى ونفت النقص والعجز ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، وأثبتت الثالثة أزليته وبقائه ونفت الذرية والتناسل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وأثبتت الرابعة عظّمته وجلاله ونفت الأنداد والأضداد ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.²

سورة الإخلاص سورة شاملة جامعة لإثبات صفات الجلال والكمال، وتنزيه الرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص، وضح ذلك.

قد ذُكرت في ذلك وجوه منها: أن القرآن أنزل على ثلاثة أقسام. ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات. وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات.³

بعد مدارستنا لسورة الإخلاص ما وجه كونها تعدل ثلث القرآن؟

1 التفسير المنير، الزحيلي (30/ 466)

2 تفسير القرآن العظيم، عبد الملك القاسم، جزء عم (188-189)

3 محاسن التأويل، تفسير القاسمي (9/ 571)

ما المواضع التي يسن فيها
قراءة سورة الإخلاص؟

تقرأ في صلاة الوتر، وسنة الفجر، وسنة الطواف، وفي أذكار الصباح والمساء، وأذكار
دبر الصلوات.¹

- في صلاة الوتر، وسنة الفجر: يتعين تجديد الإخلاص لله - عزَّ وجلَّ - وتذكير النفس به حال تغير الحال والانقلاب من النوم إلى اليقظة وعكسه.
- أذكار الصباح والمساء: يتأكد تجديد الإخلاص لله - عزَّ وجلَّ - وإخلاص التوكل عليه والاتجاء إليه وبه تحت أعمال اليوم والليل.
- سنة الطواف: يتجلى التأكيد على الإخلاص في كل أعمال الحج والعمرة، فهو شعيرة استسلام وتسليم الأمر لله - عزَّ وجلَّ - ويحسن استشعار كمال الله - عزَّ وجلَّ - وتنزيهه فيه.
- أذكار دبر الصلوات: يحسن تذكير النفس بالإخلاص لله - عزَّ وجلَّ - وبكماله سبحانه وتنزيهه عن النقائص حتى لا يدخل العجب إلى القلب بالعمل، وحتى لا يغفل عنه بعد الانتهاء من الصلاة.
- ويتجلى من خلال هذه المواضع استمرارية التذكير بهذه السورة ومعانيها على اختلاف أحوال العبد وتقلبه، لما لها من أثر بمعرفة العبد بربه وتعلق القلب به والإخلاص له وحده سبحانه.

ما الحكمة من قراءة سورة
الإخلاص في هذه المواضع؟

- معرفتنا بالله - عزَّ وجلَّ - بأسمائه وصفاته فهو الواحد في ربوبيته، وألوهيته وأسمائه وصفاته.
- وهو الصمد الذي له الكمال كله، والغنى والسؤدد، إليه تلجئ الخلائق كلها في حاجاتها، فهل ينصرف العبد عنه إلى من هو دونه؟!!
- وهو المنزَّه عن الشريك والولد وكل أحد، ليس كمثله شيء ولم يكن له كُفُوًا أحد.
- إذا عرف العبد وأيقن وآمن واستشعر ذلك كله، صدق في توجهه إلى الله - سبحانه - في كل عمل، وهان عليه نظر كل مخلوق، واستوى شكره وشاؤه ومدحه وذمه، وتوجه بقلبه إلى من يعلم السر وأخفى.
- وإذا عرف الله بأسمائه وصفاته استحق منه وراقب حاله ونيتيه.
- وإذا عرف أن الإخلاص شرط في قبول العمل، تحرَّاه ب:

○ الحذر من معوقات الإخلاص، مثل: الطمع، والعجب، وحب المدح والرياء والسمعة.

كيف نربي أنفسنا على
الإخلاص من خلال سورة
الإخلاص؟

- الإكثار من الأعمال الخفية التي لا تظهر للناس، تربية للنفس على الإخلاص.
- الإلحاح بالدعاء أن يلهمنا الله - عزَّ وجلَّ - الإخلاص ويقينا الشرك بأنواعه، قال النبي ﷺ: يا أبا بكرٍ، لَلشِّرْكَ فَيَكْمُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ التَّمَلِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكَ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ التَّمَلِّي، أَلَا أُذَلِّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لَمَّا لَا أَعْلَمُ.¹

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- هذه سورة التوحيد، فالله هو الأحد المتفرد في ربوبيته، المستحق للعبادة وحده، الواحد في أسمائه الحسنى وصفاته العلى.
- الأمر بالصدع بكلمة التوحيد والدعوة لها.
- توجهنا السورة إلى تحري الإخلاص لله - عزَّ وجلَّ - .
- في السورة بيان لكمال الله - عزَّ وجلَّ - وتنزيهه عن كل نقص.
- شناعة ادعاء الولد لله أو الشريك.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- توحيد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والدعوة إلى ذلك.
- من ثمرات الإيمان بالله الأحد الصمد القصد إليه والاستغناء به.
- إثبات كل كمال لله سبحانه، وتنزيهه عن كل نقص.
- حب الله - تعالى - وتعظيمه والتوكل عليه والاتجاه إليه.
- سؤال الله أن يرزقنا الإخلاص، وأن يدفع عنا الرياء.
- الحرص على عبادات السر.
- المحافظة على قراءة السورة في المواضع المستحبة: دبر الصلوات، وفي أذكار الصباح والمساء وغيرها.

من الفوائد التربوية

- استعمال أسلوب سهل وواضح في التعليم.
- تقديم منهج واضح وسهل وموجز في تعلم التوحيد والإخلاص.
- في السورة علاج للشرك والإلحاد.
- في السورة غرس لقيمة التواضع ونبذ الكبر.
- تُرِيّ السورة على العزة بالله - عَزَّ وَجَلَّ - والثبات على التوحيد.
- تربي على الإخلاص لله - عَزَّ وَجَلَّ -.

رسائل

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾
من عرف الله أخلص له، ومن أخلص نجا.

113. سُورَةُ الْفَلَقِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

يتعرض الإنسان في حياته للحوادث والشور، سواء من البشر أو غيرهم من المخلوقات، فدلنا الله - عزَّ وجلَّ - على سبيل اتقائها، وكيفية التحصن والتعوذ بالله منها؛ لنكون في ملجأ أمين وحصن حصين. ومنها سورتنا هذه وهي سورة الفلق.

تهينة

تعريف السورة

سميت بسورة «الفلق» وبما عرفت السورة في المصاحف وكتب التفاسير، وتسمى بـ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) كما عنوانها البخاري، وتسمى مع سورة الناس «بالمعوذتين» بكسر الواو، وتسمى «المشققشتين» بتقديم الشينين على القافين، وتسمى «المشققشتين» بتقديم القافين على الشينين، وتسمى سورة «المعوذة الأولى» بإضافة «سورة» إلى «المعوذة» من باب إضافة الموصوف إلى الصفة.¹

اسم السورة:

قيل: إنها مكية. وقيل: إنها مدنية، والأصح أنها مكية وعدت العشرين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الفيل وقبل سورة الناس.²

نوع السورة:

خمس آيات في جميع الأعد ليس فيها اختلاف.³

عدد آياتها:

كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فأتت إليه اليهود ولم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطَةَ النبي ﷺ وَعِدَّةَ أَسْنَانٍ مِنْ مُشْطِهِ، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك لبيد بن أعصم اليهودي ثم دسها في بئر لبني زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهَا دَرْوَانٌ، فكان النبي ﷺ يخيل إليه أنه يأتي الشيء ولا يأتيه، فبينما هو نائم ذات يوم أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبِّ. قال: وما طُبِّ؟ قال: سَجَرَ. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي. قال: وَمِمَّ طَبَّهُ؟ قال: بِمُشْطِ وَمُشَاطَةِ. قال: وأين هو؟ قال: فِي جُفَى طَلْعَةٍ تَحْتَ رَاغُوفَةٍ فِي بَيْرِ دَرْوَانَ. فانتبه رسول الله ﷺ فقال: يا عائشة

سبب نزولها:

1 التحرير والتنوير، ابن عاشور (623 / 30)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (623 / 30)

3 البيان في عد أي القرآن، (ص: 297)

أما شعرت أن الله أخبرني بدائي؟ ثم بعث عليًا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه ثِقَاعَةُ الْحِنَاءِ، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا هو مشاطة رأسه وأسنان مشطه، وإذا وَتَّرٌ مُعَقَّدٌ فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى سورتي المعوذتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل - عليه السلام - يقول: بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك ومن حاسد وعين الله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث فنقتله فقال: أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شرًا.¹

هذه الحادثة سبب نزول لمن قال: إن السورة مدنية، ومن ذكر أنها مكية ذكر أن السورة سابقة في العهد المكي، ثم نزل بها جبريل - عليه السلام - مرة ثانية لفك السحر عن النبي ﷺ.

عن عائشة - رضي الله عنها -: (أن رسول الله - ﷺ - كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها).²

عن عائشة: «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات».³

وورد عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ: "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط، (قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)".⁴

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

المناسبة بين سورة الفلق وسورة الإخلاص:

- لما بين الله - سبحانه وتعالى - أمر الألوهية في سورة الإخلاص لتنزيه الله تعالى عما لا يليق به في ذاته وصفاته، بين الله تعالى في هذه السورة ما يستعاذ منه بالله تعالى من جميع الشرور.⁵
- لما صرَّحَ الله - تعالى - بخالص التوحيد في سورة الإخلاص، وهي معركة الإيمان والشرك، ومثار الخلاف والخصومة بين النبي ﷺ وأعدائه، أمره تعالى أن يتعوذ من

مناسبة السورة لما قبلها:

1 أسباب النزول، الواحدي، (ص: 473)
 2 صحيح البخاري، رقم: (5016)، باب فضل المعوذات
 3 صحيح البخاري، رقم: (5017)، باب فضل المعوذات
 4 صحيح مسلم، رقم: (264)، باب فضل قراءة المعوذتين
 5 روح المعاني، الألويسي (517/15)، يتصرف

شُرور الخلق فلا يضرّونه.¹

ورد في سورة الإخلاص صفة الصمد لله - عزّ وجلّ -، وهو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، وذكر في سورة الفلق أثرًا عمليًا لذلك وهو الاستعاذة بالله - عزّ وجلّ -.

المناسبة بين سورة الفلق وسورة الناس:

الفلق اشتملت على أربع خصال يستعاذ منها وهي: من شر كل ذي شيء من سائر الخلق، والثانية: من شر ما يحدث في الظلام؛ ظلام الليل أو ظلام القمر إذا غاب، والثالثة: من شر السواحر النفاثات في العقد، والرابعة من شر حاسد إذا حسد. وقد اشتملت هذه الأربعة على كل ما يخاف أذاه وضرره.

أما سورة الناس فإنها قد اشتملت على شر واحد؛ لكنه أخطر من تلك الأربعة؛ وذلك لتعلقه بالقلب، والقلب إذا فسد فسد كل شيء وإذا صلح صلح كل شيء؛ ولذا كانت سورة الناس خاصة بالتعوذ من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.²

وعلى هذا ففي سورة الفلق الاعتصام بالله - عزّ وجلّ - من الشرور الخارجية، وفي سورة الناس الاستعاذة من الشرور الداخلية. وكذلك في سورة الفلق الاعتصام بالله - عزّ وجلّ - من الشرور الظاهرة، وفي سورة الناس الاستعاذة من الشرور الخفية.

مناسبة السورة لما بعدها:

التحصن والاعتصام بالله من الشرور الظاهرة.³

مقصد السورة:

من الآية (1) إلى الآية (2): اللجوء إلى الله تعالى، والاستعاذة به من جميع الشرور. من الآية (3) إلى الآية (5): الاستعاذة بالله تعالى من شر ما يكون في الليل، ومن شر السحرة، والحسدة.

موضوعات السورة:

تلاوة

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾

الآية (الآيات)

1 أضواء البيان، الشنقيطي (158 /9)

2 أيسر التفاسير، الجزائري (632 /5)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (604 /1)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

1. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ قل - أيها الرسول - : أعتصم برَبِّ الصبح، وأستجير به.
 2. ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من شرِّ ما يؤذي من المخلوقات.¹
- أعوذ: العوذ: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، يقال: عاذ بفلان، وعاذ بحصن. فهو لفظ يدل على التحرز والتحصن والنجاة.²
- الفلق: أصله شق الشيء عن الشيء، وفصل بعضه عن بعض،³ ف(الفلق) كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح، والنوى، والحب.⁴

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما دلالة افتتاح السورة بفعل الأمر (قل)؟	الأمر بالقول يقتضي المحافظة على هذه الألفاظ؛ لأنها التي عينها الله للنبي ﷺ ليتعوذ بها فياجابتها مرجوة. ⁵
علام يدل مجيء الفعل (أعوذ) بصيغة المتكلم؟	استعمال صيغة التكلم في فعل أعوذ؛ دلالة على أنه مأمور به، لكل من يريد التعوذ بها، ⁶ وفيها بيان حاجة الإنسان نفسه إلى العوذ.
ما مناسبة مجيء صفة الربوبية في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾؟	<ul style="list-style-type: none"> • الإعازة من المضار: فيها تربية وعناية، وهذا ما يدل عليه اسم الرب سبحانه.⁷ • إن قدرة الرب تعالى، وسعة علمه سبحانه، ظهرت في كل ما فلقه الله -تعالى ما مناسبة مجيء صفة الربوبية - عن غيره كالإصباح، والحب، والنوى.⁸ • الربوبية تذكر في مقام الاستعاذة من الخلق ومن شرهم؛ إذ إن معنى الرب تعالى الخالق، المالك، المدبر، المتصرف، فناسب ذكره في هذا المقام. • إن في تخصيص هذا بالذكر (أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، ما يظهر به عظمة (الرب) المستعاذ به.⁹

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (604/1)

2 التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، (ص: 601)، بتصرف التحرير والتنوير، ابن عاشور (626/30)

3 التفسير الوسيط، الطنطاوي (544/15)

4 تفسير العنيمين، ابن عثيمين، (ص: 352)

5 التحرير والتنوير، ابن عاشور (625/30)

6 التحرير والتنوير، ابن عاشور (626/30)

7 التفسير المنير، الزحيلي (473/30)

8 أيسر التفاسير، الجزائري (630/5)، بتصرف

9 محاسن التأويل، القاسمي (574/9)

- عند قراءة القرآن، سواء كان ذلك في الصلاة أم خارجها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98].
- عند نزول منزل، ففي حديث خولة بنت حكيم أنها سمعت النبي -ﷺ- يقول: من نزل منزلاً ثم قال: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرحل من منزله ذلك).¹
- عند الغضب، لحديث سليمان بن صرد - رضي الله عنه -، قال: استبّ رجلان عند النبي -ﷺ- ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسبّ صاحبه، مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي -ﷺ-: "إني لأعلم كلمة، لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).²
- عندما يرى المسلم رؤيا يكرهها، لحديث أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه، فلينفث عن يساره ثلاث مرات، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره).³

اذكر بعضاً من مواضع الاستعاذة الواردة في القرآن الكريم، والسنة النبوية.

- أول هذه المعاني: استشعار محبة الله تعالى ورحمته بعباده، إذ يرشدهم إلى ما يؤولونهم من الاعتصام به، واللجوء إليه.
- يورث ذلك في قلب العبد المعتصم بالله المتوكل عليه ثقة بمنعته وطمأنينة إلى كفايته، فلا يتعلق إلا به، ولا يتعوذ بغيره ولا يرجو سواه، ولا يخاف إلا منه سبحانه.
- تربية الأبناء على القوة بالله إن عرض لهم ما يخيفهم: تعظيماً لقدر الله وقدرته في قلوبهم، وتحويلاً لما سواه.

في تربية المؤمن على اللجوء إلى الله والاستعاذة به فيما يعرض له من شرور تأسيس لمعانٍ إيمانية عظيمة، وضح ذلك.

- فلق: الحب والنوى، والإصباح (شق الصبح من أوساط الظلام).
- ومن معاني الفلق أيضاً: الخلق، إذ يكاد أن يكون الخلق أكثره عن انفلاق،⁴ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الأنعام: 95].
- وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [سورة الأنعام: 96].

ورد في كتاب الله - تعالى - بعض من معاني الفلق، اذكر هذه المعاني مع الاستشهاد عليها.

- عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - هُوَ رَبُّ الْفَلَقِ، فَمَا أَثَرُهُ فِينَا؟
- التناؤل، والبشارة، والإيذان بالفتح، والفرج من الله تعالى.
- استحضر المعاني العظيمة عند أي ضائقة، أو كربة سواء كانت مالية أو مرضية؛

1 صحيح مسلم، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم: (2708)

2 صحيح البخاري، باب الحذر من الغضب، رقم: (6115)

3 صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، رقم: (2261)

4 معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (5/ 379)

لأنَّ رب الفلق - تعالى - قادر على تبديل الحال وتغييره.

- حتى لا يفهم من الاستعاذة كل ما خلق الله - عزَّ وجلَّ -؛ فإن الجنة وما فيها، والملائكة، وما شاء الله - عزَّ وجلَّ - خير محض، ليست من الشر المستعاذ منه.
- إن الاستعاذة من شر ما خلق: تعم شر كل مخلوق فيه شر، وكل شر في الدنيا والآخرة، وكذلك نفس الإنسان الأمانة بالسوء.¹
- وقد جاء عن أبي هريرة، أنه قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغنتي البارحة، قال: "أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك".²

في قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ فَيُذِ الْعَمُومِ بِ(شَرِّ)، فَعَلَامٌ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

- ما جاء في مسند الإمام أحمد في خطبة الحاجة: (نعوذ بالله من شرور أنفسنا).³
- وعن أبي هريرة، قال: قال أبو بكر - رضي الله عنه - : يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت، وإذا أمسيت؟ قال: «قل: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه، قال: قل: قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعي».⁴

الاستعاذة من شر النفس وهواها وردت عن النبي - ﷺ -، استشهد على ذلك.

فهل سنخشي أذى أحد وضرره؟! والله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿١﴾، وَنَبِيهِ - ﷺ - يقول: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).⁵

تلاوة

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿١﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٣﴾﴾

الآية (الآيات)

تفسير: (المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة)

3. ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وأعتصم بالله من الشرور التي تظهر في الليل من دواب ولصوص.

1 التفسير القيم - تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، (ص: 620-621)، بتصرف تفسير العنيمين، ابن عثيمين، (ص: 352)
 2 صحيح مسلم، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم: (2709)، فائدة: وقد ذكر الشيخ: عبد العزيز الطريفي - حفظه الله -، في كتابه أذكار الصباح والمساء رواية ودراية: أن رواية تكررها ثلاث مرات غير ثابتة، وإنما تقال مرة واحدة مساءً
 3 أخرجه الإمام أحمد في المسند (302/1)
 4 سنن الترمذي، رقم: (3392)، وقال: حديث حسن صحيح
 5 سنن الترمذي، رقم: (2516)، وقال: حديث حسن صحيح

4. ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وأعتصم به من شرّ السواحر اللائي يَنْثُقْنَ في العُقَدِ.
5. ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وأعتصم به من شرّ حاسد إذا عمل بما يدفعه إليه الحسد.¹
- الغاسق: قيل: إنه الليل. وقيل: إنه القمر، والصحيح أنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل، فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: 78]، وأما القمر، فقد جاء في الحديث عن النبي -ﷺ-: أرى عائشة القمر، وقال: (هذا هو الغاسق).^{2,3}
- النفاثات: أصل النفاثات جمع نفّاثَة، وهذا اللفظ صيغة مبالغة من النَفَث، وهو النفخ مع ريق قليل يخرج من الفم.
- العقد: جمع عقدة من العقد الذي هو ضد الحل، وهي اسم لكل ما ربط وأحكم ربطه.⁴
- النفاثات في العقد: المراد به السحرة، سواء كان النَفَث من النساء كما هو ظاهر اللفظ، أو من الرجال على معنى الجماعات، أو النفوس الشريرة فتشمل النوعين.⁵

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الهدايات	الأسئلة التدرجية
<p>- وذكر هذه الأصناف الثلاثة بعد التعميم الشامل لها (ما خَلَقَ)؛ لشدة شرّها، فكان التخصيص من أجل شرور المخلوقات البادي شرها.⁶</p> <p>ولأن العبد لا يرى شرّها إنما يرى أثره، وليس له قدرة على دفعه أو النجاة منه، فكان تعيينها أدعى.</p>	<p>ما مناسبة تعيين هذه الأصناف الثلاثة: (الغاسق، النفاثات، الحاسد) بعد العموم في قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؟</p>
<ul style="list-style-type: none"> • من شأن الليل عند ما يكون بهذه الصفة، أن يكون مخيفاً مرعباً؛ لأن الإنسان لا يتبين ما استتر تحته من أعداء.⁷ • وفي تخصيصه بالتعوذ توقّعاً لحصول المكروه.⁸ • كما أنه وقت الغفلة، ونوم الناس؛ فيتحينه المفسدون وأهل العبث لتحقيق رغباتهم السيئة.⁹ 	<p>في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، هل لليل شر في ذاته؟ وما فائدة تخصيص التعوذ من أشد أوقات الليل (إِذَا وَقَبَ)؟</p>

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (604/1)

2 سنن الترمذي، باب ومن سورة المعوذتين، رقم: (3366) عن عائشة، أن النبي -ﷺ- نظر إلى القمر، فقال: «يا عائشة استعدي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»، قال: «هذا حديث حسن صحيح»

3 تفسير العثيمين، ابن عثيمين، (ص: 352)

4 التفسير الوسيط، الططاوي (545/15)

5 أضواء البيان، الشنقيطي (161/9)

6 التفسير المنير، الزحيلي (474/30)، بتصرف التفسير القرآني للقرآن، عبد الكرم الخطيب (1721/16)

7 التفسير الوسيط، الططاوي (545/15)

8 التحريز والتنوير، ابن عاشور (628/30)

9 التحريز والتنوير، ابن عاشور (627/30)، بتصرف

• لذلك نهي النبي ﷺ عن خروج الأطفال والمواشي في شدة الظلمة، قال رسول الله -ﷺ-: (لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء، فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء).¹

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾
[الإسراء: 79].

وردت نصوص تبين فضل

الليل وخصوصاً آخره،

استشهد ببعضها من الكتاب

والسنة؟

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: 26].
عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن النبي -ﷺ- قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له).²

يتميز الليل بالراحة والهدوء والسكينة، وهو مضنة التركيز وصفاء الذهن والنفس؛ لذا يسهل التركيز في العبادة فيه.

كيف نستثمر الليل في

الخير؟

فالمسلم يستثمره في خلوته بربه، والدعاء والقيام، وكذلك يستثمره في طلب العلم والتفكير في آلاء الله - عز وجل - وتدبر كتابه، وغيرها من العبادات.

في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ شَرِّ

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿3﴾ وَمِنَ

شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾

ما علاقة العطف بين: (شر

النفاثات) و(شر الليل)؟

وعطف (شر النفاثات) في العقد على (شر الليل)؛ لأن الليل وقت يتحين فيه السحرة لإجراء شعوذتهم؛ لئلا يطلع عليهم أحد.³

جاءت الاستعاذة في الآية:

﴿وَمِنَ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي

الْعُقَدِ﴾، من النفاثات لا من

النفث، فما وجه ذلك؟

ووجه ذلك أن النفث لا يجلب الضر بحد ذاته، وإنما الذي يضر هي النفوس، التي تقوم بهذا النفث، وبهذا الكيد والمكر، فالساحر يحرص على ألا يترك شيئاً يحقق له ما يعمل من السحر، إلا سعى في إيصاله وبذل.⁴

1 صحيح مسلم، باب الأمر بتغطية وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم: (2013)، ومن شرح معاني الحديث: (لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم) قال أهل اللغة: الفواشي: كل منتشر من المال؛ كالإبل، والغنم، وسائر البهائم، وغيرها وهي جمع فاشية؛ لأنها تفتشو أي تنتشر في الأرض

(فحمة العشاء): ظلمتها، وسوادها، وفسرها بعضهم هنا بإقباله وأول ظلامه، وكذا ذكره صاحب نهاية الغريب، قال: [ويقول للظلمة التي بين صلاتي المغرب الفحمة، ولتي بين العشاء والفجر العسمة]

2 صحيح البخاري، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم: (1145) صحيح مسلم، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم: (758)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (628 / 30)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (629 / 30)، بتصرف

- بيان حرمة التداوي بالسحر، وأن التداوي بالسحر نوع من أنواعه، ولا يجعل الله شفاء المسلمين فيما حرم عليهم.
- الحذر من كل ما يمس العقيدة من التعلق بغير الله - سبحانه - أو اللجوء إلى السحرة والتواصل معهم.
- الاعتصام بالله والاستعاذة به من شر السحر والسحرة، ولزوم الأذكار.
- التوكل على الله - تعالى - فهو الحافظ، ولن يقع سحر إلا بإذنه.
- التداوي بالرقية الشرعية، واليقين في شفاء الله - سبحانه وتعالى -.
- الحذر من القنوات الفضائية، والبرامج المشبوهة التي تُرَوِّج لهذه الموبقات، وَتُهَوِّن أمر الوقوع فيها.

ابتلينا في عصرنا الحاضر
بقضية انتشار السحر،
والذهاب إلى السحرة بحجة
التداوي منه، في ضوء ما
تدارسناه ما السبيل إلى
الوقاية والعلاج من ذلك؟

- إن الساحر له تأثير خفي بالسحر، وكذلك الحسد له تأثير خفي بالحسد.
- وأيضاً يشتركان في إيقاع الضرر.
- وكلاهما منهي عنه.¹
- كما أن الاستعاذة منهما تعم كل شر يأتي من شياطين الإنس، والجن.²

ما وجه التشابه بين شر
الحاسد، وشر الساحر؟

وذلك أن (النفث في العقد) هو عين السحر، فتكون الاستعاذة واقعة موقعها عند سحره وفعله.³

أما الحاسد فلم يستعد منه إلا إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر، ومبادئ الأضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً.

وأما - إذا لم يظهر الحسد - فإنه لا يتأذى به، ولا يتأتى منه شر لأحد، إلا على الحاسد نفسه لاغتنامه بنعمة غيره.⁴

- كما أنه ما من نفس إلا وفيها شيء من الحسد، لأن هذا من طبع بني آدم، فيقل بل ويندر أن يسلم منه أحد، لذلك لم تأتي الاستعاذة منه، حتى أنه قيل ما خلا جسد من حسد، ولكن المؤمن يدفعه بقوة إيمانه وبرضاه بقضاء الله - عزَّ وجلَّ - وحكمه.

ما وجه تقييد الاستعاذة في
الحسد، بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ
شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، ولم
تقييد في السحر، من شر
ساحر إذا سحر؟

1 أعضاء البيان، الشنقيطي (162/9)، بتصرف

2 بدائع التفسير، ابن القيم، (423/3)

3 أعضاء البيان، الشنقيطي (162/9)، بتصرف

4 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (215/9)، بتصرف نظم الدرر، البقاعي (413/22)

علام يدل ختم السورة

بالاستعاذة بقوله تعالى:

(وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا
حَسَدَ؟)

عظم شر الحسد، وحاجة المسلم إلى الاستعاذة بالله - تعالى - من كيد الحاسد.¹

كيف نجمع بين: أمر الله

تعالى بالاستعاذة من شر

الحاسد، وإقرار النبي - ﷺ -

بالحسد، في الحديث الذي

جاء في الصحيحين؟

المستعاذ منه في الآية هو الحسد المذموم، وهو استكثار النعمة على المحسود، وتمني زوالها عنه أو عدم حصولها.

أما ما أقره النبي - ﷺ - فهو الحسد المحمود الغبطة وهو تمني ما عند الآخرين، من غير زواله عنهم،² كما جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، قال: سمعت النبي - ﷺ - يقول: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها).³

في قوله: (وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ

إِذَا حَسَدَ)، كيف نربط الآية

بواقعنا المعاصر؟

في واقعنا نجد إقبال الناشئة على مواقع التواصل الاجتماعي بأنواعها المختلفة، والتباهي بعرض الصور، ومقاطع الفيديو، لتفاصيل حياتهم اليومية من المأكّل، واللباس، والتنزه وغير ذلك، مما قد يُعَرِّضُ الإنسان للإصابة بالحسد ممن يشاهد تلك الصور، وقد حُرِّمَ بعض الناس تلك النعم، وقد جاء في الحديث: (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود).⁴

وردت في القرآن الكريم نماذج للحسد، ومنها:

• حسد إبليس لبني آدم، فتوعدهم بالإغواء، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٥﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: 82 - 83]، فكان إبليس ومن اتبعه في النار خالدين فيها.

• حسد ابن آدم لأخيه فكان أول من سَنَّ القتل بين الناس: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ بَبَأً أَبْنَىٰ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيْيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة: 27 - 30].

عاقبة الحسد وخيمة على

صاحبها، اذكر نماذج

من القرآن الكريم عن

ضرر الحسد على الحاسد

والمحسود.

1 تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 937)، بتصرف

2 أضواء البيان، الشنقيطي (345/9)، بتصرف

3 صحيح البخاري، باب إنفاق المال في حقه، رقم: (1409) صحيح مسلم، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بما وعلمها، رقم: (816)

4 صححه الألباني في السلسلة الصحيحة 436/3 (حديث رقم 1453) وفي صحيح الجامع برقم: (943)

• حسد اليهود للنبي ﷺ فكان من أسباب زيادة ضلالهم، قال تعالى: ﴿يَسْمَأُ أَشْتَرُوا بِهٖ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ وَيَعْصِبُ عَلَى عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: 90].

أصل الحسد: بغض نعمة الله على المحسود، وتمني زوالها.¹
وعلاج هذه القضية من شقين:

1. علاج الحاسد:

• الرضى بما قسم الله، مع الجِدِّ في السعي وسؤال الله من فضله.
• العلم:

وهو أن يعلم يقيناً أن النعمة التي يراها على المحسود، إنما هي عطاء من الله تعالى بقدر سابق، وأن حسده إياه لن يكسبه شيئاً لنفسه ولن يضر به المحسود إلا بأمر الله.

ويعلم أن ضرر حسده يعود عليه، فيورث الأسقام، والأحزان، والكآبة، ونفرة الناس منه، ومقتهم إياه، ومن وراء ذلك العقاب في الآخرة.

ويعلم قبح الحسد، ففيه سوء أدب مع الله - عزَّ وجلَّ - واعتراض على قدره، وبكفيه قبحاً أن يستعبد منه المسلمون صباحاً مساءً في أذكابهم وأدعيتهم..
مجاهدة نفسه ضد نوازع الحسد، وتمني مثل ما لدى المحسود من النعمة دون زوالها عنه، فما دام في مجاهدة صادقاً في ذلك فهو مأجور إن شاء الله.

• الدعاء:

بالبركة بأي صيغة من الصيغ، حيث أمر النبي -ﷺ- عامر بن ربيعة - رضي الله عنه - لما عان سهل بن حنيف بالدعاء بالبركة.²

قول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، حتى يدفع ما قد يقع من الحسد.

الدعاء لصاحب النعمة بأدعية مختلفة تدفع ما في نفسه من حسد.

2. علاج المحسود:

• الاعتصام بالله والاستعاذة به من شر الحاسدين كما وجهت السورة، إلى جانب التحصن بالأذكار المشروعة، لاسيما أذكار الصباح والمساء.

الحسد باب للإثم وفساد القلب، فكيف يتقي المسلم الحسد حتى لا يصيب أو يصاب به؟

1 التفسير القيم، ابن القيم (ص: 641)

2 ففي سنن ابن ماجه (2/ 1160)، مر عامر بن ربيعة - رضي الله عنه - بسهل بن حنيف - رضي الله عنه -، وهو يغتسل فقال: لم أر كاليوم ولا جلدٌ مَحْتَبَأَةٌ، فما لبث أن لَبِطَ به، فأتي به النبي -ﷺ- فقيل له: أدرك سهلاً صريعاً، قال «من تتهمون به» قالوا: عامر بن ربيعة - رضي الله عنه -، قال: «علام يقتل أحدكم أخاه، إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه، فليدع له بالبركة» ثم دعا بماء، فأمر عامراً أن يتوضأ، فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخله إزاره، وأمره أن يصب عليه، باب العين، رقم: (3509)

- أخذ أثر من العائن، فعن ابن عباس - رضي الله عنه -، عن النبي - ﷺ - قال: العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا.¹
- الرقية، وقد كان جبريل - عليه السلام - يرقى النبي - ﷺ - بقوله: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك.² عدم إظهار النعمة خاصة أمام فاقدها، ومما يعين على درء العين والوقاية منها: ستر النعم عن أعين الناس حتى يأمن جانبهم، ونرى اليوم نشر الناس لتفاصيل من حياتهم في جلهم وترحالهم وبيوتهم وأطفالهم ما يوغر الصدور المحرومة والأنفس المهمومة، ويستجلب لهم الحسد.
- أذكار الصباح والمساء هما حصن طيلة اليوم.
- وخير ما نختم به قول الإمام ابن القيم في هذا الباب، حيث قال: «ومن جرب هذه الدعوات والتعوذات عرف مقدار منفعتها وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن، وتدفعه بعد وصوله، بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه، فإنها سلاح، والسلاح يضاربه لا بحده».³

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- حاجة الإنسان إلى عوذ ربه وخاصة من الشرور التي لا قدرة له على دفعها.
- هذه السورة فيها البُشْرَى والإيذان بالفتح والفرج من الله القادر على أن يفلق الجماد ليخرج منه حياة، وهذا يورث إحسان الظن به، والتوكل عليه.
- أولى المخلوقات بالحذر والاستعاذة من شرها نفس الإنسان التي بين جنبيه؛ لأنها أمانة بالسوء إن لم يهذبها.
- تقرير وقوع السحر والحسد وضررها على العبد بقدر الله - عزَّ وجلَّ -.
- الاستعاذة بالله - عزَّ وجلَّ - حصن حصين ودافعة لكل الشرور.
- من قبح الحسد أن يستعيز به المسلمون جميعًا.
- ما خلا جسد من حسد ولكن المؤمن يدفعه بقدر إيمانه ورضاه بالله - عزَّ وجلَّ - وبقدره وحكمه.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- المحافظة على قراءة هذه السورة، والتعوذ بها مع سورة الناس.

1 صحيح مسلم، باب الطب والمرض والرقى، رقم: (2188)

2 صحيح مسلم، باب الطب والمرض والرقى، رقم: (2186)

3 زاد المعاد، ابن القيم (593)

- الاستعاذة بالله - عزَّ وجلَّ - من كل الشرور.
- اغتنام الليل وإعمارها بالطاعة والأعمال الصالحة.
- المحافظة على أذكار الصباح والمساء فهي حرز للمسلم مما يؤذيه.
- حسن الظن بالله - عزَّ وجلَّ - وتمام التوكل عليه.
- دفع ما في النفس من حسد والرضا بقضاء الله وحكمه.

من الفوائد التربوية

- عناية المربي بالمتربين وتوجيههم لما يصلح به شأنهم.
- تنبيه على ضعف الإنسان وحاجته إلى ربه.
- غرس قيمة التواضع ونبذ العجب.
- علاج للكبر والحسد.
- غرس قيمة الذكر عمومًا وأذكار الصباح والمساء خصوصًا.
- غرس قيمة الرضا والتسليم لله - عزَّ وجلَّ -.

رسائل

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلْبِ﴾ فالق كل شيء، لا يعجزه أن يفلق لك ما تحابه من هم وشر وظلمة، فعلق قلبك به.
 ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ احذر نفسك التي بين جنبيك، هذبها بالطاعة، واسأل الله أن يجعل هواها فيما يحب ويرضى.
 ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ لا يزال عليك من الله حافظ ما ذكرته، واستعنت به ولجأت إليه.
 ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ يكفي الحسد قبحًا أن يستعاذ منه بآية من القرآن، فادفعه عنك.

114. سُورَةُ النَّاسِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ

تمهيد

ثبت في الصحيح أنه - ﷺ - قال: "ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينة". قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: "نعم، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير"¹.

من الثوابت في العقيدة وجود الشيطان وعداوته للإنسان، والإقرار بأثره، وتفاوت ذلك الأثر بحسب ما لدى العبد من علم، وإيمان، ومعرفة بطرق التحصن من شروره ووسوسته.

تهيئة:

وبين أيدينا اليوم سورة تعلمنا كيف نتحصن من شر الشيطان ووسوسته، تنبهنا على ضعف سلاحه إن ذكرنا، وقوة سلاحه إن غفلنا. تعلمنا أن من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين، وإلى الله المفر. إذن: سورتنا هي سورة الناس.

تعريف السورة

سميت بـ «سورة الناس» وبه عرفت السورة في المصاحف وكتب التفاسير، وتسمى بـ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) كما عتوها البخاري، وتسمى مع ما قبلها «بالمعوذتين» بكسر الواو، وتسمى «المششقتين» بتقديم الشينين على القافين، وتسمى «المششقين» بتقديم القافين على الشينين، وتسمى «سورة المعوذة الثانية» بإضافة «سورة» إلى «المعوذة» من إضافة الموصوف إلى الصفة.²

اسم السورة:

قيل: إنها مكية. وقيل: مدنية، وعلى الصحيح أنها مكية، فقد عُذَّتِ الحادية والعشرين من السور، نزلت عقب سورة الفلق وقبل سورة الإخلاص.³

نوع السورة:

سبع آيات في المَكِّيِّ والشامي وست في عدد الباقين.⁴

عدد آياتها:

كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فأنت إليه اليهود ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها، وكان

سبب نزولها:

1 رواه مسلم، (2814)

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور (631 / 30)

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (631 / 30)

4 البيان في عد أي القرآن (ص: 298)

الذي تولى ذلك لبيد بن أعصم اليهودي، ثم دسّها في بئر لبني زريق يُقال لها ذروان، فكان النبي ﷺ يُخيل إليه أنه يأتي الشيء ولا يأتيه، وبينما هو نائم ذات يوم أتاه ملكان فقعده أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبِّب. قال: وما طُبِّب؟ قال: سُحِر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي. قال: وم طبه؟ قل: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان. فانتبه رسول الله ﷺ فقال: يا عائشة ما شعرت أن الله أخبرني بدائي، ثم بعث عليّاً والزبير وعماراً بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف، فإذا هو مشاطة رأسه وأسنان مشطه، وإذا وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرورة بالإبر، فأنزل الله - تعالى - سورتي المعوذتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل - عليه السلام - يقول: بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك ومن حاسدٍ وعينٍ الله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله أو لا نأخذ الخبيث فنقتله فقال: أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شراً.¹

هذه الحادثة سبب نزول لمن قال إن نزول السورة مدنية، ومن ذكر أنها مكية ذكر أن السورة سابقة في العهد المكي، ثم نزل بها جبريل - عليه السلام - مرة ثانية لفك السحر عن النبي صلى ﷺ.

عن عائشة - رضي الله عنها -: (أن رسول الله ﷺ - كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها).²
عن عائشة: « أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسخ بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.³

وورد عن عقبه بن عامر - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط، (قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس).⁴

فضل السورة والآثار الواردة فيها:

المناسبة بين سورة الناس وسورة الفلق:

الفلق اشتملت على أربع خصال يستعاذ منها وهي: من شر كل ذي شيء من

مناسبة السورة لما قبلها:

1 أسباب النزول، الواحدي (ص: 473)
2 صحيح البخاري، رقم: (5016)، باب فضل المعوذات
3 صحيح البخاري، رقم: (5017)، باب فضل المعوذات
4 صحيح مسلم، رقم: (264)، باب فضل قراءة المعوذتين

سائر الخلق، والثانية: من شر ما يحدث في الظلام ظلام الليل أو ظلام القمر إذا غاب، والثالثة: من شر السواحر النفاثات في العقد، والرابعة: من شر حاسد إذا حسد، وقد اشتملت هذه الأربعة على كل ما يخاف لأذاه وضرره.

أما سورة الناس فإنها قد اشتملت على شر واحد؛ إلا أنه أخطر من تلك الأربع؛ وذلك لتعلقه بالقلب، والقلب إذا فسد فسد كل شيء، وإذا صلح صلح كل شيء؛ ولذا كانت سورة الناس خاصة بالتعوذ من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس¹.

وعلى هذا فسورة الفلق الاعتصام بالله - عزَّ وجلَّ - من الشرور الخارجية، وفي سورة الناس الاستعاذة من الشرور الداخلية.

وكذلك سورة الفلق الاعتصام بالله - عزَّ وجلَّ - من الشرور الظاهرة، وفي سورة الناس الاستعاذة من الشرور الخفية.

مناسبة المعوذتين لحتم القرآن الكريم:

ذكر ابن جزري في التسهيل:

”أن ختم القرآن الكريم نعمة عظيمة، والنعم مظنة الحسد؛ لذا جاءت المعوذتان في ختامه.“²

مناسبة المعوذتين لحتم القرآن الكريم:

- العبد يستعين بالله - عزَّ وجلَّ - من بداية الأمر إلى نهايته، فافتتح القرآن بالاستعانة، وختتم بالاستعاذة.
- أنه جمع بين حسن البدء وحسن الختام، افتتح القرآن الكريم بأنواع التوحيد الثلاث، واختتم بها أيضًا.
- وربط ذلك من ناحية الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل الفاتحة أنه ما أنزلت مثلها في التوراة والإنجيل والزيور، وقوله ﷺ في فضل المعوذتين ألم تر إلى آيات أنزلت اللبلة لم ير مثلهنَّ، فبدأ بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم ينزل مثلهنَّ.
- مضمون سورة الفاتحة هو تحقيق العبادة لله - تعالى - : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وأظهر صور العبادة هو: الاستعانة، ومن أبرز صور الاستعانة الاستعاذة، واللجوء إلى الله - عزَّ وجلَّ - فكان المعوذتين نموذج عملي تطبيقي لسورة الفاتحة.
- كلها رقية.

مناسبة السورة لختام القرآن الكريم ومناسبتها للفاتحة:

الاعتصام والتحصن بالله من شر الشيطان ووسوسته، ومن الشرور الخفية.³

مقصد السورة:

1 أيسر التفاسير للجزائري (632/5)

2 تفسير ابن جزري - التسهيل لعلوم التنزيل (530/2)

3 المختصر في تفسير القرآن الكريم (604/1)

مواضيع السورة:

من الآية (1) إلى الآية (3): اللجوء إلى الله بأسمائه، وصفاته.
من الآية (4) إلى الآية (6): بيان حقيقة الوسوسة، وفاعلها من الجن والإنس.

تلاوة

الآية (الآيات)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝﴾

تفسير: المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

6. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ قل - أيها الرسول -: أعتصم برب الناس، وأستجير به.
7. ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ملك الناس، يتصرف فيهم بما يشاء، لا ملك لهم غيره.
8. ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ معبودهم بحق، لا معبود لهم بحق غيره.¹

تدبر وتركيبية: الأسئلة التدرجية والهدايات).

الهدايات

الأسئلة التدرجية

الأمر بالقول يقتضي المحافظة على هذه الألفاظ؛ لأنها التي عبَّها الله للنبي - ﷺ - ليتعوذ بها فإجابتها مرجوة، ففيها إرشاد وتعليم.²
وفيها تشريف النبي ﷺ، وتخصيصه بمزيد اعتناء بالمخاطبة له للاقتداء به.
وفيها طمأنة لنا أن الله يستجيب دعاءنا ويعيدنا حين نلتجئ إليه ونستعذ به.
فسبحان من علمنا الاستعاذة، وأمرنا بها، ويعيدنا متى طلبناها ويأجرنا عليها، وهل يكون ذلك من غير الشكور سبحانه؟!³

علام يدل افتتاح السورة
بفعل الأمر قل؟

أتى التعبير بأعوذ؛ لأنها تدل على امتثال العبد ما طُلب منه من الالتجاء، والاعتصام بالله - تعالى -، والهرب إليه.
بينما أستعذ تُبين طلب السؤال من ربه أن يعيده كأنه يقول: أطلب منك أن تعيدني؛ لذا كان لفظ أعوذ) أكمل وأعلى؛ ولهذا امتثل النبي - ﷺ - أمر ربه، فقال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» و«أعوذ بكلمات الله التامات» و«أعوذ بعزة الله وقدرته».³

ما الفائدة في التعبير بالفعل
(أعوذ) دون (أستعذ)،
وما مناسبة لمقصد السورة
الكرهية؟

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 604)

2 بتصرف يسير: التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 625)

3 بتصرف: بدائع الفوائد، ابن القيم (201/2)

وهذا يدلُّ على شدة حاجة العبد لهذه السورة، وبقدر تحقق هذه المعاني في قلب العبد بقدر تحصيله للتحصن والاعتصام بالله - عزَّ وجلَّ -.

فأما دلالة الترتيب تدل على:

• التدرج في التنبيه على المعاني العظام التي دلت عليها هذه الأسماء الرب، الملك، الإله).

• الانتقال بالعباد والترقي بهم من مبدأ الإيمان بالرب لما شاهدوه ولمسوه من آثار الربوبية في الخلق والرزق، وفي جميع الكائنات، ثم الإقرار بموجها بأن الذي أوجدها هو ربهم، يشهد لذلك قوله - عزَّ وجلَّ - في أول نداء وُجِّه إليهم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21-22]. ومن ثمَّ ينتقل إلى الدرجة الثانية، وهي أن ربهم الذي هذه أفعاله هو ملكهم وهو المنصرف في تلك العوالم، وملك لأمرهم وجميع شؤونهم، وملك لأمر الدنيا والآخرة جميعاً، فإذا وصل بإقرارهم إلى هذا الإدراك، أقروا له ضرورةً بالمرتبة النهائية وهي المرتبة الثالثة في كمال العبودية، ألا وهي إفراد الله - تعالى - بالألوهية.¹

ومناسبة الترتيب للاستعاذة، من وجوه:

إذا كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا، فلا مَفْزَع لنا في الشدائد سواه، ولا مَلْجَأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره.²

وإنما قُدِّمَت الربوبية لمناسبتها للاستعاذة، فهي تتضمن نعمة الصون والحماية والرعاية، ثم ذكر الملكية؛ لأن المستعبد لا يجد عوناً له ولا غوثاً إلا ماله، ثم ذكر الألوهية لبيان أنه المستحق للشكر والعبادة دون سواه؛ وبهذا يحقق العبد توحيد العبادة، ومنه ما تقتضيه الاستعاذة والتحصن والاعتصام بالله.³

في قوله - عز وجل - : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ 1
مَلِكِ النَّاسِ 2 ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ ما دلالة الترتيب في أسماء الله - تعالى -؟ وما مناسبة ذلك للاستعاذة من الشيطان؟

ذكر القاسمي في محاسن التأويل: «قال ابن تيمية: وإنما خص الناس بالذكر، لأنهم المستعبدون، فيستعيذون بربهم الذي يصونهم، ويملكهم الذي أمرهم ونهاهم، ويملكهم الذي يعبدونه من كل شر يحول بينهم وبين عبادته).⁴ وفي هذه الإضافة زيادة في التوسل والتذلل لله - عزَّ وجلَّ - في طلب الاستعاذة، وكذلك زيادة في طمأنينة المستعبد باستجابة دعائه؛ لأنه ربه وملكه ومعبوده.

ما دلالة إضافة أسماء الله - تعالى - (لناس) دون غيرهم من المخلوقات؟ وماذا أفاد تكرار المضاف إليه (الناس) باللفظ الظاهر؟

1 أعضاء البيان، الشنقيطي (9/ 175-177)

2 التفسير القيم، ابن القيم (ص: 660)

3 التفسير المنير، الزحيلي (30/ 480)

4 محاسن التأويل، القاسمي (9/ 580)

وتكرار الناس:

- جاء على سبيل التشريف لجنس الإنسان، والإشعار بالاختصاص.¹
- فيه مزيد من الكشف والتقرير؛ لأنَّ الناس هم الذين أخطأوا في حقه - تعالى -؛ إذ منهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد النار، ومنهم من عبد الشمس إلى غير ذلك من المعبودات الباطلة التي هي مخلوقة له - سبحانه -.²
- أيضًا في التكرار تأكيد على ربوبية الله - تعالى - وملكه وإهيئته للناس كلهم.³

أكثر ما وردت الاستعاذة بالله - عزَّ وجلَّ - من الشيطان الرجيم وأثره: منها قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٥٨﴾ [المؤمنون: 97-98]. أي: أعوذ بك من الشر الذي يصيبني بسبب مباشرتهم، وهمزهم، ومسيئتهم، ومن الشر الذي بسبب حضورهم، ووُسُوسَتِهِمْ. وهذه استعاذة من مادة الشر كله.⁴ وهمزاته: وهي سورات⁵ الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه.⁶

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200]. أي عندما تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر.⁷

وردت الاستعاذة في القرآن

الكريم في أكثر من موضع، الاستعاذة بالله عزَّ وجلَّ من الكبر والمنتكبر:

اذكر بعضًا منها، وما يستعاد منه.

أذكر بعضًا منها، وما يستعاد منه.

أذكر بعضًا منها، وما يستعاد منه.

منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْبُرُونَ سُلْطَانًا أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 56].

الاستعاذة بالله - عزَّ وجلَّ - من الظلم والجهل والمعصية:

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67].

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: 20].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعِنَا عِندَهُ﴾ [يوسف: 79].

1 بتصرف: أضواء البيان، الشنقيطي (9/ 174)، التفسير الوسيط، طنطاوي (15/ 549)
 2 بتصرف: محاسن التأويل، القاسمي (9/ 581)، التفسير الوسيط، طنطاوي (15/ 549)
 3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/ 635)
 4 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 559)
 5 سورة الغضب: شدة الغضب
 6 المخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (4/ 155)
 7 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 313)

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود:47].
وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ [مريم:18].

- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.
 - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
 - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.
- للاستعاذة من الشيطان بعض الصيغ، اذكرها.

• عند تلاوة القرآن، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:98].
• عند دخول المسجد: (أعوذ بالله العظيم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم).
• في الصلاة: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه).
• عند إتيان الزوجة: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا).

• عند الغضب استتبَّ رجلان عند النبي - ﷺ - فجعل أحدهما يغضب ويحمرُّ وجهه، فنظر إليه النبي - ﷺ - فقال: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" فقام إلى الرجل رجلاً من سمع النبي - ﷺ - فقال: أندرون ما قال رسول الله - ﷺ - أنفاً؟ قال "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" فقال له الرجل أجنون تراني؟¹
• إعادة الأبناء: دلَّ عليه قول امرأت عمران، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمِعْتُهَا مَرِيَمَ وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:36].
• دعاء الخروج من المنزل: (بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ).
• دعاء دخول الخلاء: (اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث).
• دلَّت هذه الأحاديث مجموعة على أن المحافظة عليها تجعل العبد في ستر وحماية ووقاية من الله - عزَّ وجلَّ- في جميع أحواله، كالمحارب المتحصن في قلعة حصينة لا يجد العدو له منفذاً من خلالها.

شرعت الاستعاذة في مواطن عديدة، بيِّن بعضاً منها.

• إذا كان وحده هو ربنا وملكننا وإلهنا، فلا مفرج لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يُدعى ولا يُخاف ولا يُرجى، ولا يُحب سواه، ولا يذلُّ لغيره، ولا يخضع لسواه، ولا يتوكَّل إلا عليه.²
• المحافظة على تلاوة السورة في مواطنها المشروعة كأذكار الصباح والمساء، وأدبار

ما الأثر الإيماني والعملي من الآيات الكريمة؟

1 رواه مسلم، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، رقم: (2610)

2 التفسير القيم، ابن القيم (ص: 660)

الصلوات، وغير ذلك.

- العزة بعبادة الله وحده، فلا أعبد إلا رب الناس جميعهم ومالكهم وإلههم، فكيف أنصرف عنه أو أخشى غيره؟!
- الطمأنينة إلى حفظ الله - عز وجل - وإعادته لي إن حافظت على الاستعاذة به والالتجاء إليه.

تلاوة

(الآية الآيات) ﴿مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿١﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٢﴾ مِنَ الْخِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٣﴾﴾

تفسير: المعنى الإجمالي ومعنى الألفاظ الغريبة).

9. ﴿مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ من شرّ الشيطان الذي يلقي وسوسته إلى الإنسان إذا غفل عن ذكر الله، ويتأخر عنه إذا ذكره.
10. ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ يلقي بوسوسته إلى قلوب الناس.
11. ﴿مِنَ الْخِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ وهو يكون من الإنس كما يكون من الجن.¹

تدبر وتزكية: (الأسئلة التدرجية والهدايات)

الأسئلة التدرجية	الهدايات
ما مناسبة قوله -عز وجل- : ﴿مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ لما قبلها من آيات؟	الشيطان هو أصل الشرور كلها ومادتها لذلك كانت الاستعاذة برب الناس، ومالكهم، وإلههم من شره. ² وهو العدو المتربص، ولا منجى منه إلا بالله عز وجل.

الوسوسة: إلقاء المعاني إلى القلب في خفاء وتكرير. كما أن الكلمة الدالة عليها «وس» مكررة، وأصلها صوت الحلي، وحديث النفس، ضوعف لفظه مناسبة لمعناه؛ لأن الموسوس يكرر ما ينفثه في القلب، ويؤكد في خفاء ليقتبل.³
دلت تسميته بالوسواس على أن الوسوسة صفة ثابتة في الشيطان لا تنفك عنه.

1 المختصر في تفسير القرآن الكريم (1/ 604)

2 تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: 937) بتصرف يسير

3 نظم الدرر، البقاعي (22/ 430)

كما دلت على ضعفه، وأن تأثيره لا يتعدى الوسوسة، إنما أثره السيئ ناتج عن الاستجابة والإصغاء إليه.

- لكونها صفة خفية ومميزة لشر الشيطان للناس، (قال ابن عباس إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل، وسوس، وإذا ذكر الله خنس).¹
- ولأن فيها دلالة أيضاً على ضعف كيد الشيطان، قال-تعالى-: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.²

ما دلالة التعبير بالصفة دون الموصوف في قوله -تعالى-: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾؟

أولاً: تنبيهاً على ما في وسوسة الشيطان من الشر الذي ليس للإنسان دفعه إلا بالاستعاذة بالله عز وجل.
ثانياً: للزوم القرين لابن آدم، فهو لا يتركه ولا ينفك عنه، إنما بالاستعاذة يخنس ويتصاغر، حتى يغفل العبد فيرجع للوسوسة من جديد.

لم يُستعذ من (الوسواس) بل من (شره)، فعلام يدل ذلك؟

لا يزال الشيطان بالإنسان حتى يشرك بالله عز وجل، وذلك لأنه الذنب الذي لا يغفر إن مات عليه العبد، فإن لم يكن، انتقل إلى البدع والكبائر، فإن لم يكن فالصغائر، فإن لم يكن فالاشتغال بالمباحات عن الطاعات، فإن لم يكن، فالاشتغال بالمفضول عن الفاضل من العبادات.
وذلك مع كل إنسان مهما بلغ من العلم والتقوى والصلاح، فلا يأمن أحد من شره ووسوسته إلا أن يعصمه الله - عزَّ وجلَّ - بكثرة الذكر
ودفع شرور الشيطان تكون بـ:

الاستعاذة والاستعانة بالله - عزَّ وجلَّ -، وصدق الالتجاء إليه- سبحانه- في إذهاب شره.

الإكثار من ذكر الله - تعالى - وخاصة بالمحافظة على الأذكار في حينها كأذكار النوم، وأذكار دخول المنزل، والخروج منه وغيرها) فهي تضعف وسوسة الشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ فعقوبته: ﴿تُنْقِضُ لَهُ شِيطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36].

تقوية المعرفة بالله - تعالى - ومحبه وخشيته، واستشعار مراقبته- سبحانه- والحياء منه، وإخلاص الدين له.

- عدم الاسترسال في الخواطر السيئة.
شغل أوقات الفراغ واغتنامها في الخير.

ما هي مراتب شرور الشيطان ووسوسته؟ وما السبيل لدفع شره؟

1 رواه البخاري تعليقا، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، باب: باب ذكر الله عزَّ وجلَّ والتقرب إليه، رقم: (2281)

2 جامع البيان، الطبري (709/24)

1. في العقيدة: وقد جاءت بهذا السنة الصحيحة ومنها: ما ورد عن النبي ﷺ، عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أحدث نفسي بالشيء، لأن أُحَرَّ من السماء أحب إليَّ من أن أتكلم به، قال: فقال النبي ﷺ: الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة).¹ وجاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان).²

قال الخطابي: «المراد بصريح الإيمان هو الذي يعظم في نفوسهم إن تكلموا، ومنعهم من قبول ما يلقي الشيطان، فلولا ذلك لم يتعاظم في نفوسهم حتى أنكروه، وليس المراد أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان بل هي من قبل الشيطان وكيد». وعلاجها: يكون بردها والإعراض عنها وعدم الاسترسال معها، وقد نبه النبي -

ﷺ - أصحابه إن وجد أحدهم ذلك أن يتعوذ وينتهي ويقول: آمنت بالله ورسله. 2. في العبادة: ومن ذلك ما بيثه في روع العبد في جوانب الطهارة، والوضوء، وعدد ركعات الصلاة، حتى يفسد عليه عبادته بل قد يكرهها ويضيعها.

وعلاج هذا: في القاعدة الفقهية الوسوسة والشك لا يلتفت إليها بعد انتهاء العبادات، والموسوس يرد الوسوسة بعدم الالتفات لها.

3. في علاقته بالناس: فيوسوس له فيما يقولونه أو يعتقدونه عنه. وقد ورد علاج هذا في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، فلا يلقي لهذه الوسوس بالآل بل يحسن الظن بالناس ويعاملهم بالظاهر ويكسر سرائرهم إلى بارئهم.

المنهج الرباني لعلاج الوسوسة:

معرفة العدو الحقيقي، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْنَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

التعوذ بالله والتحصن بأسمائه وصفاته، ﴿وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

معرفة قدراته الحقيقية، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، وقال في وصفه: ﴿الْأُسْوَائِينَ الْخُنَّاسِ﴾ فوصفه بالخناس الضعيف. وفي الحديث: الحمد لله

الذي رد كيده إلى الوسوسة).³

تحقيق الإخلاص لله - تعالى -: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾

لا يزال الشيطان بابن آدم
يلبس عليه أمره ويفسد عليه
دينه بالوسوسة، اذكر بعضاً
من مظاهر ذلك، وكيف
يسلم المسلم منها؟

1 أخرجه أحمد، حديث رقم: (2097)، وأخرجه أبو داود، رقم: (5112) وصححه الألباني في سنن أبي داود (5112)

2 رواه مسلم باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم: (132)

3 سبق تخريجه

ومن السنة النبوية:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "الشیطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس"¹.
وذكر الله - تعالى - يشمل: طلب العلم النافع، والدعاء، وقراءة القرآن، والمحافظة على أذكار اليوم والليلة.

عبر بالصدر لأنه: ساحة القلب وبيته، فمنه تدخل الواردات والوساوس، ثم تلج في القلب بحسب ضعفه ورقته وغفلته.²
فالشیطان ليس له نفوذ إلى القلب إلا أن يدخله العبد بتشرب الوسوسة وقبولها، وهذا فضل من الله عز وجل، كلما كان القلب عامراً بذكر الله عز وجل كان منيعاً أمام الوسواس بإذن الله تعالى.

ما دلالة التعبير بالصدر
دون القلوب؟

وقدمت الجنة لأنهم أصل الوسواس.³
وعقب بهذه الآية: لبيان خفاء نوع آخر من الوسوسة؛ وهو وسوسة الناس لبعضهم، فقد جرت العادة من التحذير من وسوسة الشيطان، وربما لا يخطر بالبال أن من الوسواس ما هو أشد من وسواس الشياطين، فالتعوذ من هؤلاء الناس أجدر، لأنهم أقرب، وأخطر، وأظهر ضرراً.⁴ ولو نظرنا حولنا فما أكثر الذين يأتون إلى الإنسان يوحون إليه بالشر، ويزينونه في قلبه حتى يأخذ هذا الكلام بلبه وينصرف إليه.⁵

في قوله - عز وجل - : ﴿مَنْ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، ما الحكمة
من تقديم الجنة على الناس،
وعلام يدل التعقيب بالآية؟

تتفق وسوسة شياطين الإنس مع وسوسة شياطين الجن في أكثر من وجه:

- شياطين الإنس غالباً ما يكونون من المقربين من العبد وليس ممن يحذر منهم، فهم من الأهل المقربين أو من أصدقاء السوء المحيطين به المقربين منه، ولذلك فإن أثرهم أكثر وخطرهم أشد.
- تتمثل وسوستهم في تزيين الباطل والمعاصي للعبد، مثلهم مثل شياطين الجن.
- وغالباً ما يكمن شرهم في تكرار الحث على المعصية، فهم يعينون شياطين الجن في ذلك.
- يكمن خفاء وسوسة شياطين الجن حديثهم مع النفس في الصدر، ويكمن خفاء شياطين الإنس في خفاء عداوتهم للعبد والكيد له عن علم أو جهل.

قد علمنا وسوسة شياطين
الجن في صدور ابن آدم،
فكيف بوسوسة شياطين
الإنس؟ ولماذا تسمى وسوسة
وهي مسموعة وليست
خفية؟

1 سبق تحريجه

2 بدائع التفسير، ابن القيم (3/ص 454) بتصرف

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/635)

4 التحرير والتنوير، ابن عاشور (30/635) بتصرف

5 تفسير العثيمين، ابن عثيمين (ص: 356)

- كما تتفق شياطين الجن والإنس في معرفتهم بنقاط ضعف الإنسان وشهواته وأحواله بسبب مرافقتهم له، فيكون وسيلة لهم لتزيين المعاصي والآثام.
- وتختلف شياطين الإنس عن شياطين الجن في أكثر من وجه:
- شيطان الجن عداوته واضحة ووسوسته خفية، أما شيطان الإنس فعداوته خفية ووسوسته واضحة.
- شيطان الجن يخنس عند ذكر الله عزَّ وجلَّ كما أخبرت الآيات، وأما شيطان الإنس فإنه يتلبس بهيئة الصديق والرفيق والناصح المشفق ثم هو يجالس المرء ويخالطه ويألفه وقد يستهزئ منه إذا ذكر الله عز وجل، وقد يذكر الله معه، ثم يدفعه ويعينه على المعصية.
- من هنا تأتي خطورة شياطين الإنس...

- باختيار الصحبة الصالحة التي تعيننا على الخير وتبعدنا عن الشر، وتعيننا على الشيطان ولا تعين الشيطان علينا.
- بَتَحَرُّرٍ من نُسْرٍ لهم ونستشيرهم في أمورنا الخاصة من الأهل الذين نحسبهم على طاعة وصلاح.
- بقبول النصح من الآخرين وعدم صدهم عن نقدنا.
- بالحذر ممن يزين لنا المعصية ويدعوننا إليها ولو كان من أقرب الناس، وكذلك ممن يبالغ في المدح والمجاملة.
- بقوة الإيمان والتعلق بالله عز وجل، والنصح للآخرين.
- بالحذر من أن نكون نحن شياطين الجن برؤية الباطل والسكوت عنه أو تزيينه مجاملة لغيرنا.

كيف نتقي خطر شياطين الإنس؟

- أولاً ببيان خطورة صديق السوء ومن يعين على معصية.
- نبين لهم أن المرء مع من أحب، فاختر من تحب أن تكون معه في الآخرة.
- صاحب من إذا رأيته ذكرك بالله ولا تصاحب من إذا رأيته ذكرك بالدنيا وملهياتها.
- اختر الصديق الناصح لا المادح، فمن أحبك أعانك على صلاح نفسك، ومن مدحك أعانك على الغرور والخذلان.
- يكفي لشيطان الإنس قبْحاً أن كلما قرأت سورة الناس استعدت بالله منه وكل من قرأها.
- احذر من أن تكون أنت شيطان الإنس فيستعيد منك المسلمون.

كيف نربي أبناءنا على أهمية اختيار الصحبة الصالحة.

غالب المشاكل الأسرية والزوجية ترجع إلى سوء الظن وهو من وساوس شياطين الجن والإنس، فلو أعرض عن هذه الوسواس كل الأطراف لما تفاقمت. وكثير ما تحصل بسبب الاستشارات الخاطئة ونحياز العائلة لطرف دون الآخر، وأصدقاء السوء بما يغذي حظ النفس ويزين الفرقة والخصومة. ولو علم من ينصح صاحبه بسوء وتنبه أن كل المسلمين يستعيدون بالله من شره، لكفه عنه. فاحذر أن تكون شيطاناً من الإنس، أو أن تنزلق في خطواتهم.

في السورة علاج لكثير من المشاكل الأسرية. كيف ذلك؟

فهل استشعرتنا رحمة الله بنا حين أمرنا بالتعوذ! ووعدنا بالإجابة! ويسرها علينا آيات قصيرة! وأجرنا عليها! وهل نحن ممن يحافظ على قراءة هذه السورة والتحصن بها؟ وهل نحن ممن يكثر من ذكر الله - عزَّ وجلَّ -؟ كيف نغفل عن ذكر الله - عزَّ وجلَّ - وهو سلاحنا الوحيد، وعدونا متربص فتاك لا يترك سلاحه؟ كيف يخشى من الشيطان من التجأ إلى الله - عزَّ وجلَّ - واحتمى بمناجاة سبحانه؟ هل اخترنا الصديق الصدوق وقبلنا نصحه أم فضلنا المادح والمجامل؟ شرُّ أمرنا الله أن نستعيد منه بربوبيته، وملكته، وألوهيته جدير بالأ نغفل عنه.

ختام المجلس

خلاصة هدايات السورة

- تشریف النبي - ﷺ -، وتخصيصه بمزيد اعتناء بالمخاطبة له للاقتداء به.
- تنبيه على خطورة الشرور الخفية التي تزين للعبد المعاصي والآثام.
- الحذر من وساوس الشيطان وعدم الغفلة عنها.
- سلامة القلب وتعلقه بالله - عزَّ وجلَّ - دافع لوسوسة الشيطان بإذن الله تعالى.
- كيد الشيطان ضعيف، لا يتعدى الوسوسة، وسلاحك أقوى وهو ذكر الله عز وجل.
- من رحمة الله - عزَّ وجلَّ - أن وسوسة الشيطان في الصدر وليس في القلب، فادفعها بذكر الله - عزَّ وجلَّ - وقطعها.
- الحذر من شياطين الإنس، وتخيَّر الصاحب الناصح الصدوق، فالمرء على دين خليله فلينظر أحدهم من يخال.

خلاصة الأعمال التطبيقية

- محبة الله - عزَّ وجلَّ - وتعظيم أمره في قلوبنا واستشعار رحمته بنا؛ حيث شرع لنا ما فيه نجاتنا، وصلاح أمرنا.
- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والاعتصام به، واليقين بأنه لا كاشف للضر إلا هو.
- استحضار معاني أسماء الله وصفاته مما يورث قوة في قلب المؤمن، ويزيد إيمانه ويقينه بربه، ويعينه على دحر وساوس الشيطان.
- التعرف على أسماء الله - عزَّ وجلَّ - وصفاته والعيش معها.
- الإكثار من ذكر الله - عزَّ وجلَّ - وعدم الغفلة عن عداوة الشيطان.
- تحيُّر الصاحب والحذر من صاحب السوء.
- الصدق في النصح والحذر من الدعوة إلى معصية أو المساعدة عليها.

من الفوائد التربوية

- عناية الربِّي بالمتربين وتوجيههم لما يصلح به شأنهم.
- تذكيرُ بالعدو ووصف لسلاحه.
- تنبيه على مراكز القوة والضعف.
- غرس لقيمة الصحة.
- غرس لقيمة الصدق.
- في السورة علاج للعجب، وغرس لقيمة التواضع.
- غرس للافتقار إلى الله - عزَّ وجلَّ - والحاجة إليه.
- ثرِّي السورة على معرفة النفس وكبح الهوى.
- غرس لقيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رسائل

- (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾) من عرف ربه بأسمائه وصفاته تعلَّق قلبه به حبًّا وخشية، رغبة ورهبة، وتوكلًا ورجاء.
- (الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿١﴾) عدة المؤمن: الاستعاذة بالله والاعتصام به، والحذر من الغفلة وذكر الله: فعدونا مُتَرَبِّصٌ حال غفلة القلب وسواس، مُتَصَاغِرٌ حال ذكر الله خناس.
- (الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿١﴾) عدوك متربص لا يترك سلاحه، متوعد بهلاكك، فكيف تغفل عن سلاحك؟
- ليس أضر على العبد من نفسه على نفسه، غاية شر الخلق جميعًا هو خسارة حياته الدنيا، ولا يضر بأخرته إلا هو.

الفهرس

001. سُورَةُ الْفَاتِحَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 5
078. سُورَةُ النَّبَأِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 20
079. سُورَةُ النَّارِ عَاتِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 44
080. سُورَةُ عَبَسَ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 73
081. سُورَةُ التَّكْوِينِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 96
082. سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 111
083. سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 125
084. سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 149
085. سُورَةُ الْبُرُوجِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 167
086. سُورَةُ الطَّارِقِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 186
087. سُورَةُ الْأَعْلَى: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 198
088. سُورَةُ الْعَاشِيَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 216
089. سُورَةُ الْعَجْرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 232
090. سُورَةُ الْبَلَدِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 253
091. سُورَةُ الشَّمْسِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 273
092. سُورَةُ اللَّيْلِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 288
093. سُورَةُ الضُّحَى: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 305
094. سُورَةُ الشَّرْحِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 324
095. سُورَةُ التِّينِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 338
096. سُورَةُ الْعَلَقِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 351
097. سُورَةُ الْقَدْرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 369
098. سُورَةُ الْبَيِّنَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 382
099. سُورَةُ الزُّزُلَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 398
100. سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 411
101. سُورَةُ الْقَارِعَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 424
102. سُورَةُ التَّكْوِينِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 435
103. سُورَةُ الْعَصْرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 447

104. سُورَةُ الْمُحْمَرَةِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 457
105. سُورَةُ الْفِيلِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 467
106. سُورَةُ قُرَيْشٍ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 475
107. سُورَةُ الْمَاعُونِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 487
108. سُورَةُ الْكَوْثَرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 496
109. سُورَةُ الْكَافِرُونَ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 507
110. سُورَةُ النَّصْرِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 516
111. سُورَةُ الْمَسَدِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 528
112. سُورَةُ الْإِحْلَاصِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 539
113. سُورَةُ الْقَلْقِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 551
114. سُورَةُ النَّاسِ: تَرْبِيَةٌ وَبِنَاءٌ 564